[illegible]

د. ادوين سليمان بايك

ترجمة

د. يوسف حطوري   د. عبد الرحمن محمية

د. محمد حمدان   د. محمود معروف

الدكتور
أديب سليمان باغ

الجولان

دراسة في الجغرافية الإقليمية

ترجمة

د. يوسف خوري | د. عبد الرحمن حميدة
د. محمد حرب فرزات | د. محمود رمزي

منشورات اتحاد الكتاب العرب

١٩٨٣

صمم الغلاف : سمير الكراد

لمحة عن حياة المؤلف الفقيد المرحوم الدكتور أديب سليمان باغ

■ ولد الفقيد في عام ١٩٢٨ في قرية الجويزة في محافظة القنيطرة ـ الجولان .

■ بعد ان دخل المدرسة الابتدائية عام ١٩٣٦ في قريته اتم تعليمه الابتدائي بحصوله على الشهادة الابتدائية في حمص ١٩٤١ بدرجة جيدة .

■ ثم قبل في مدرسة التجهيز الاولى بدمشق طالباً داخلياً ونال الشهادة المتوسطة عام ١٩٤٤ بدرجة جيدة .

■ تابع الدراسة في دمشق ونال الدراسة الثانوية (البكالوريا) عام ١٩٤٧ .

■ نال شهادة الاجازة في الآداب (الليسانس) ، متخصصاً في الجغرافية عام ١٩٥١ ودبلوم في التربية .

■ عمل مدرساً للجغرافية في المدارس الثانوية بين ١٩٥١ ـ ١٩٥٤ .

■ في ١١/ ١٠/ ١٩٥٤ اوفد الى باريس لتحضير شهادة الجغرافية العامة والحصول على شهادة الدكتوراه في الآداب .

■ في ١٥/ ١١/ ١٩٥٨ تقدم باطروحته عن اقليم الجولان الى اللجنة الفاحصة في جامعة باريس (السوربون) وحاز على لقب دكتور دولة في الآداب .

■ في ١٦/ ١٢/ ١٩٥٨ صدر القرار رقم ٨٠ بتعيينه مدرساً في كلية الآداب . أما انتاجه العلمي فغزير متنوع رغم حياته العلمية القصيرة :

فقد أعدّ بالفرنسية مؤلفين :

١ ـ الصناعة في سورية بين ١٩٢٨ ـ ١٩٥٨

١ ـ اقليم الجولان ، دراسة في الجغرافية الاقليمية . (وهو الكتاب الذي قمنا بترجمته)

وترجم الى العربية كتاب « المدخل الى علم الجيولوجيا » تأليف شارل كومبالوزية (ترجم بالاشتراك مع د . يوسف خوري) ، وكان هذا الكتاب خاتمة انتاجه العلمي .

وألّف باللغة العربية المؤلفات التالية :

١ ـ جغرافية امريكا .

٢ ـ البيئات .

٣ ـ الحيوية والترب .

٤ ـ جغرافية اوستراليا .

٥ ـ جغرافية آسية .

٦ ـ الجغرافية البشرية للبلاد العربية (بالاشتراك مع الدكتور صلاح الدين عمر باشا)

٧ ـ اقتصادية البلاد العربية (بالاشتراك مع الدكتور صلاح الدين عمر باشا)

٨ ـ الجغرافية البشرية والاجتماعية (بالاشتراك مع الدكتور صلاح الدين عمر باشا)

٩ ـ المدخل الى الجغرافية الطبيعية (بالاشتراك مع الدكتور صلاح الدين عمر باشا والاستاذ عمر الحكيم)

١٠ ـ المدخل لدراسة الجغرافية البشرية (بالاشتراك مع الدكتور صلاح الدين عمر باشا)

١١ ـ جغرافية بلاد الشام للصف الثاني من دور المعلمين (بالاشتراك مع الاستاذ بسام كرد علي والاستاذ دواود صليبا)

وقد استمرّ الفقيد مثابراً على نشاله العلمي الخصب في التأليف والتدريس في جامعتي دمشق وعمّان الى ان توفاه الله صبيحة يوم السبت الواقع في ٢١ آذار ١٩٦٤ بعد مرض لم يمهله الاّ اسبوعاً واحداً مخلفاً اسرته وأبناءه الاربعة وتلاميذه الكثر وزملاءه وأصدقاءه الذين فاجأهم نعيه الخاطف .

والآن بعد مضي عشرين عاماً من فقده تترجم هموم أديب باغ وأفكاره عن الجولان مسقط رأسه لكي تنتقل بلسان عربي الى أبناء هذا القطر العربي السوري وأجياله الصاعدة فيعرفوا بصدق ما ينبغي ان يعرف عن هذه البقعة الغالية من أرض الوطن الحبيب .

الاهداء

- الى ذكـرى ضبـاطنـا الشجعـان ، وصف الضباط والجنود الذين سقطوا شهداء على جبهة الجولان من اجل الدفاع عن الوطن .

- الى ذكـرى والـدي الـذي لاقى وجه ربه قبل مثول هذا الكتاب للطبع ، الذي يرقد جثمانه الطاهر في قرية تل عكاشة ، وهو واحد من اشهر تلال ارض الجولان .

- الى ولـديّ عرفـان وصفوان اللذين ولدا في دمشق بعيدين عن الجولان ، مسقط رأسي ، لكي يخلد عندهما نفس ما أكن له من حب .

أهدي هذا الكتاب .

باريس ١٩٥٨

أديب دباغ

مقـــدمة

كرّس اديب دباغ سنوات عديدة لدراسة منطقة الجولان التي هي مسقط رأسه وموطنه ولذا فقد جاء عمله في هذا الكتاب ثمرة لخبرة شخصية لان المؤلف هو ابن المنطقة .

إن العمل الذي أنجزه اديب دباغ حيٌّ وأخاذ اتبع فيه الطرق العلمية المرعية في دراسة الجغرافية الاقليمية ، وهو بعمله يسهم بدور مهم في ميدان البحث الجغرافي في سورية ، وقد تناول فيه منطقة لم تسبق دراستها بهذه الدرجة من الاتساع والتخصص المستقل

أما الاصالة في بحث أديب باغ فتتجلى في النتائج التي توصل اليها من دراسة منطقة معقدة من الناحية الطبيعية وقوعها بين جبل الشيخ الرطب وبين سهول حوران ذات المناخ شبه الجاف والامطار الأقل ، وهي معقدة ايضا من الناحية البشرية لاختلاف اصول السكان واختلاط عناصرهم ، ولتنوع أسلوب معيشتهم عندما تلتقي الفلاحة بالبداوة والرعي ، لممارسة فعاليات اقتصادية تتناسب مع فئاتهم الاجتماعية ومع ظروف الاستقرار والترحال . ويلاحظ الباحث ، وهو مصيب في ذلك ، انه في الوقت الذي تستمر فيه المؤثرات الطبيعية في أداء دورها تتقلص شيئاً فشيئاً تأثيرات الاختلافات العرقية والدينية التقليدية . لقد اعارت الدراسة أهمية أكبر للعوامل الاجتماعية : نظام الملكية واستثمار الأرض الذي يتحكم في طرق الانتاج والمردود وفي السوق ونظام العمل .

وتتضمن هذه الدراسة مادة علمية غنية نتعلم منها . وهي ككل بحث جغرافي ليست عملا وصفياً او شرحاً مخصصاً لأرضاء فئة مختصة ومحدودة العدد . بل إنها تقدم نتائج واضحة محسوسة ومحددة تساعد على رسم الطريق للعمل على تحسين شروط المعيشة عند السكان وللمساعدة على ادماج المنطقة بشكل اكثر فعالّية في اقتصاد البلاد . وفي سبيل تحقيق هذا الهدف فإنني أتمنى ان يخرج هذا الكتاب من خزائن المكتبات المغبّرة ليعرف طريقه الى المهتمين بمختلف شؤون الاقليم من جميع الوجوه .

ويأتي بحث أديب باغ الذي تقدم ، عام ١٩٥٨ الى جامعة باريس للحصول على درجة دكتور في الآداب حلقة جديدة في سلسلة الأعمال الرائعة للجغرافيين السوريين الذين درسوا أقطار بلادهم وأقاليمها (مثلاً : النعمان ، منطقة حمص ، وحميدة ، منطقة حلب) إنني لآمل ان ينشر الباحثون أعمالهم بالتعاون فيما بينهم وبمعونة المؤسسات السورية المسؤولة ، وإن أمامهم مناطق ومسائل أخرى لدراستها وفق الطرق العلمية التي تتطور نحو الأفضل باستمرار

واننا نعيش في عالم متغير بشكل متسارع وان بامكان الجغرافي أن يقوم بدور مهم في تحليل هذه التغيرات ، لأن للجغرافي من الاهتمامات المتنوعة ما يسمح له بأن يضع يده على الشروط المعقدة للحياة وان يفسرها كما ينبغي ان يكون للكتاب الجغرافيين كلمتهم في توجيه التطور ، لأن الجغرافي ككل باحث آخر يعمل في خدمة الانسان والوسط الطبيعي الذي يعيش فيه دون أن يتخلى عن الاهتمام بالمستقبل .

ج . دريش
استاذ في السوربون

القسم الأول

الجولان في الإطار الطبيعي

الفصل الأول :

تعريف :

الاسم ، الحدود ، الموقع ، الاصالة ، المساحة :

«الجولان» اسم المنطقة التي ستكون موضوع هذه الدراسة ، وقد اطلق الجغرافيون العرب بتحديد دقيق وبمطابقة صحيحة هذه التسمية على الاقليم مما يجعل من المجدي التحقق من اشتقاق الكلمة .

فقبل الاسلام اطلق العرب اسم الجولان على جبل في بلاد الشام اي في سورية . فلقد كانوا يعرفون جبل الجولان . ولقد كانت المنطقة جزءاً من إمارة الغساسنة العرب الذين حكموا سورية الجنوبية وعاشوا فيها وتركوا فيها آثاراً تنتشر في انحاء كثيرة من البلاد .

والاشتقاق اللغوي لكلمة الجولان يدل على اتصاله بكلمة «اجوال» وهي تعني البلاد التي يعج فيها الغبار . وبهذا المعنى يكون اختيار اسم الجولان للمنطقة في محله . فغالباً ما يسبب هبوب الرياح وعجيج الغبار في تعرّض العيون للأمراض كالتراخوما منذ نهاية فصل الصيف وبداية الخريف ، عندما يفقد معظم الأرض الغطاء النباتي بحلول الحصاد وفصل الجفاف . وفي هذا الموسم يتغير اتجاه الرياح وتصبح عنيفة وغير منتظمة وزوبعية .

على ان الاسم الجغرافي للمنطقة هو نفسه في العصور الكلاسيكية ، ففي العصر الروماني كانت المنطقة تعرف باسم أرض الجولان (Gaulamitide) وتقع ما بين سفح جبل خرمون واليرموك من الشمال الى الجنوب وما بين بحيرة طبرية ونهر العلاّن من الغرب الى الشرق[1] .

---

(١) من . آبل جغرافية فلسطين بالفرنسية ص ١١

وهكـذا يتطـابق هذا التحـديد مع حدود الجولان المعاصرة . ولكن آبل يعلل تسمية الجـولان بطـريقة عربية عندما يقول بأن اسم المنطقة هوبالاصل اسم محلّة في ارض باشـــان ، وهي المعـروفـة باسم سحم الجـولان[٢] . فهـذا التفسـير غير صحيـح إن سحم الجولان اسم مكان اضيف الى اقليم الجولان الموجود قبلاً .

امـا التفسـير الذي قدّمه آبل فيرمي الى نسبة الجولان الى باشان ولكن ر . دوسو يرى رأياً آخر مفاده «ان التعسف في استخدام اللغة هو الذي اعطى لاصطـلاح باشـان وبخـاصة في الادب العبراني مفهوماً اوسع تتجاوز بموجبه مملكـة عوج ملك باشـان حدود باثـانيـا . ولكن هذا لا يبرر تعـديلاء في قيمة الاصطـلاح الجغـرافي . فالاتجـاه الـذي يبـديـه محررو اسفـار التـوراة لتوسيع اصطـلاح باشـان[٣] ليشمـل كل ممتلكات عوج يجب تصحيحه . وقد جرذلك اضافات على النص التوراتي من السهل تقصيه واكتشافه[٤] .

ومن المناسب أن نشير هنا الى ان لاسم الجولان حالياً مدلولاء ادارياً اصطلاحياً . فالجولان او قضاء القنيطرة يتطابق مع القسم الشمالي من مدلول اصطـلاح «جـولانتيد» القديم بينما القسم الجنوبي من هذا الاصطلاح ينطبق على وحـدة اداريـة اخـرى هي قضـاء فيق الذي يرتبط بمحافظة درعا . هذا التقسيم الاداري التعسفي ليس قديماً جداً . وينقسم قضاء القنيطرة ايضاً الى مديريتي ناحية ، الشعرة ومركزها مجدل شمس والزوية ومركزها فيق .

اننا دون ان نتقيد بهذه التقسيمات الادارية،فإن دراستنا ستتناول الجولان كوحـدة جغـرافيـة حسب ما يتضمنـه اصطـلاح الجولانيتيد ، بلاد الجولان . وهكـذا فإن الجـولان بهذا الاعتبـار ، يضم القنيطـرة المـرتبطـة بمحـافظة لواء

(٢) آبل ، المرجع السابق ص ٢٧٥

(٣) أرض بثينة ، وبقي باسان ، باشان اسم بيت سان ـ بيسان (المترجم)

(٤) ر . دوسـو . الطبغـرافيـة التـاريخيـة لسـوريـة القـديمـة في العصور الوسطى باريس ١٩٢٧ ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ (بالفرنسية) .

دمشق ، قضاء فيق (الزوّية) المرتبطة بمحافظة درعا (حوران) والقسم الجنوبي الغربي من قضاء وادي العجم المرتبط بدوره لمحافظة لواء دمشق(٥) .

وهكذا بعد ان حددنا ميدان البحث يمكن تحديد الجولان كما يلي : السفح الجنوبي والجنوبي الشرقي من جبل حرمون ، وادي الاردن غرباً وادي اليرموك جنوباً وشرقاً المنخفض الطولاني العريض الذي يتخذه مجريا نهري الرقّاد والعلاّن .

وتتضح حدود الجولان الطبيعية عند الأب آبل في الخارطة التي تضمنها مؤلفه عند بحثه في جغرافية فلسطين الطبيعية . وقد حدد على خارطته المناطق المجاورة للاقليم بصورة تتحدد معه بوضوح حدود الجولان على الصورة التي حددنا آنفاً . ويذكر فيها جدور في الشمال والنقرة في الجنوب كحدود شرقية بين الجولان وحوران . ولكن جدور والنقرة ليسا في الحقيقة سوى فرعين شمالي وجنوبي لمنخفض واحد يحتله بصورة متوازية نهرا الرقّاد والعلاّن اللذان يتوازيان في مجراهما .

ويرى ر . دوسّو ان حدود الجولان القديم (جولانيتيد) تغيرت على مر الزمن فسحم الجولان وهي قرية في حوران حالياً كانت تقع في الماضي في ارض الجولان . وحسب رأيه يعتبر نهر الرقّاد هو الحد الشرقي . إن هذا الرأي لايختلف ابداً عما تقدمنا به . ولقد فضلنا ان نحدد المنطقة بالحوض بمجمله وليس بنهر الرقاد لسبب هام نوضحه فيما يلي :

لقد تعرّض نهر الرقّاد بالواقع الى تغييرين خطيرين في الصورة . فالجزء الاعلى من النهر الذي كان يزوده بالمياه الدائمة فُصل عنه بتشكل الوعرة في الدور الرابع الجيولوجي وبانحراف مجرى المياه نحو الشرق وعندها يتخذ اسم نهر الأعوج . بينما استولى رافد ثانوي من روافد اليرموك على مياه الجزء الادنى من نهر الرقاد . وهكذا نرى ان المجرى القديم لنهر الرقّاد ينبغي ان يعتبر الحد الشرقي لأرض الجولان(٦) .

---

(٥) حسب الاحصاءات الادارية المعتمدة عند تأليف الكتاب

(المترجم)

(٦) انظر المصور رقم ١ .

تقـع المنطقـة التي نتنـاولها في بحثنا إذن في الجنوب الغربي من سورية .، بين شرقي الاردن جنـوبـاً وفلسطـين غربـاً ولبنـان الى الشـال الغـربي وجبل الحرمون شمالاً، وقضاء وادي العجم الى الشمال الشرقي وحوران شرقاً . ولهذا الموقع اهمية خاصة . وسنرى فيما بعد النتائج التي ترتبت على هذا الموقع على جوانب الحيـاة في المنطقـة : على جيـولـوجيتهـا ، ومنـاخهـا ، ومـيـاههـا ، وجغرافيتها الحياتية والبشرية والاقتصادية .

إن الجولان في موقعه بين أربعة اقطار : سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الاردن مرّ جيـولـوجيـاً وتـاريخيـاً بنفس الادوار التي مرّت فيهـا الأرض ومـرّ فيها النـاس . انـه المحـور بين هذه الأقطـار في قلب بلاد الشام ليس على الصعيد الانسـاني وحسب بل وعلى الصعيـد الطبيعي وإنـه عزلـه عن كل منها . فكل المنـاطق المجـاورة أثـرت في تكـوين الجولان وتركت بصماتها عليه . فقد إرتبط الجـولان بفلسطـين وتـاريخهـا القديم العربي الاسلامي . كما ان من الصعب التمييز بين الجولان وحوران ولكن الدراسة المعمقة لسورية الجنوبية وجغرافيتها هي التي تتيـح لنـا التعـرّف على مميـزات الجـولان وأصالته وجدارته بان يكون موضوع بحوث معمقة ومتطورة .

فالجولان وحدة جغرافية اقليمية والأدلة على ذلك كثيرة منها :

١ء - إن حدوده الطبيعية واضحة المعالم فإلى الغرب منه يقع نهر الأردن وحـوض الحـولـة وبحـيرة وطـبرية بينه وبين فلسطين . وان نهر الاردن والحولة وطـبريـة تشكـل عنـاصـر من الغور الذي يبلغ عمقه حوالي ٤٠٠م الى شرقي الحولة و٥٠٠م شرقي طبرية وعلى مستوى القرية السورية كفر حارب . وهذا انحدار عميق قليل التقطيع يشكل جرفاً عالياً مشرفاً على أرض فلسطين .

أمـا وادي الـيرمـوك الـذي يشكـل الحـد الفـاصل بين الجولان وشرقي الاردن فليس أقـل وضـوحـاً . يبلغ عمقه ٣٠٠م عند مصب نهر العلاّن في نهر الـيرمـوك . ثم يعمق النهر مجراه متجهاً الى الغرب . ولكن فرق الارتفاع يبلغ ٤٠٠م عنـد مصب نهر الـرقـاّد في نهر اليرموك . وهو يبلغ ٤٥٠م عند الحمة ، محطة الحمامات الطبيعية الحارة المشهورة

أما جبل حرمون فهو جدار مانع حقيقي يسيطر على أرض الجولان . والحدود السورية - اللبنانية شمال الجولان تقع في نقاط ترتفع الى ٢٢٦٩ ، ٢٤٦٥ ، ٢٨١٤ ، ٢٦٨٣م .

ولكن جبل حرمون كما يدعى في الجغرافية القديمة هو جبل الشيخ ليس مجرد حد شمالي لاقليم الجولان ولكنه العامل الجغرافي الاساسي في مناخ الجولان وخزان المياه في المنطقة . اما الى الشرق فالحوض الممثل بالنقرة والجدور وإن لم تكن منخفضة بدرجة انخفاض المعالم السابقة الذكر فإنها تمثل الحد الفاصل الجغرافي بين الجولان وحوران .

٢ء - على الرغم من وحدة الغطاء البازلتي الذي يغطي كل المنطقة البركانية في سورية الجنوبية ، فإن إقليم الجولان يحتفظ بخصائص مميزة له عن حوران . إن مخاريط الحمم البركانية من النموذج الاستر ومبولي عديدة وتشكل عنصراً أساسياً في مشهد المنطقة . وقد تم تكوين أرض الجولان في الحقب الجيولوجي الرابع ، وان نضارة أشكال هذه المخاريط تبدي لنا مدى حداثة المنطقة جيولوجيا .

وحول هذه المخاريط يمكن التعرّف غالباً على مسكوبات متأخرة لم تمسها يد الفساد الا قليلا فالمسكوبات المتأخرة في حضر والوعرة لاتعود اطلاقا لأكثر من ٦٠٠٠ آلاف سنة في حين تعود صخور بازلت حوران الى الميوسين ولما كانت أغشية الجولان المتأخرة سليمة من التفكك فهي تقدم سطحاً فوضوياً حيث تتراكب وتتجاوز القبات المطموسة الى جانب بعضها البعض مثلما تكون متشققة محورياً أوجانبياً ، وترسم على سطحها المؤلف من اللافا المفتولة اقواساً مندمج بعضها بالاخر .

فالمشهد الطبيعي هو حديث جداً على عكس ما نراه في سهل او حوض حوران . وقد شددّ لارته على هذا الاختلاف في الخارطة الجيولوجية التي وضعها(٧) ، عندما قال بأن البازلت يغطي الجولان في حين ان في حوران تجمعت بقايا بازلتية .

(٧) انظر : ل . لارته L.lartet ، رحلة استكشافية الى البحر الميّت ، الى بترا والضفة اليسرى للاردن .

ومن ناحية اخرى فان الانقاض البازلتية هي التي عملت على اذاعة شهرة حوران منذ العصور القديمة بخصوبة تربتها ووفرة انتاجها للحبوب ، فاستحقت بذلك اسم اهراء سورية . فالمقابل ليس الجولان اقليماً منتجاً للحبوب لكنه بلد نموذجي للمراعي وتربية المواشي .

٣ ـ اما طبغرافية الجولان فتقدم لنا ملامح اسياسية من خصائصه . فارض الجولان هضبة حقيقية ترتفع ٢٠٠ م وتنزرع فيها مخارط الحمم البركانية ومحاطة بوديان منخفضة جداً . وهكذا تسيطر هضبة الجولان على سهول حوران الى حد يمكن معه للمراقب الناظر الى الشرق في يوم صحو استكشاف حوران بل يمد بصره الى جبل الدروز .

٤ ـ ويشكل المناخ خاصية مميزة للجولان . فما يهطل عليه من امطار وثلوج يمكن مقارنته بما يهطل على الساحل السوري ولكنه اعلى مستوى مما يهطل على حوران وجبل الدروز .

وفيما يلي جدول مقارن (للعام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ من احصاءات وزارة الزراعة) :

المحطة	المتوسط السنوي	الايام الماطرة	الأيام الاقل مطراً
درعا	١٥٠ مم	٣٥	٨
ازرع	١٩٦ر٨ مم	٣١	٧
السويداء	٢٤٢ر٩ مم	٣٩	٧
قطنا	٢٦٨ر٥ مم	٣٤	٧
القنيطرة	٥٧٩ر٥ مم	٥٢	٩

ان امطار القنيطرة يمكن مقارنتها مع الامطار الهاطلة في بيروت واللاذقية . وينبغي علينا ان نوضح ان القنيطرة تنال في شهر كانون الاول وحده كمية من الامطار تساوي ٤٠٤ر٢ مم وهو ما يزيد عن معدلات كميات

الامطار في المحطات المذكورة في الجدول اعلاه للعام كله . وسنعود الى شرح هذه الخاصية في مناخ الجولان في الفصل المخصّص لذلك في هذه الدراسة .

وهناك امر ملفت للانتباه عند المقارنة بين نظامي الامطار في الجولان وفي حوران . فبالنسبة الى الجولان ما يهُم هو استمرار الهطول اما في حوران فالمهم هو الكميــة . وينعكس هذا على ما يتــداولـه الفـلاحـون في وصفهم لموسم الامطار قياساً على طبيعة الهطول فيدعون السنة جولانية اوحورانية . فالواقع ان المسألة ترتبط بتكوين التربة في كل من الاقليمين وحاجة كل منهما للمياه . فالكميــات الكبــيرة من الميــاه يمكن ان تغـذي الارض العميقـة في حوران وتخصبهـا . لكن كميّـات مماثلة يمكن ان تغـرق ارض الجولان القليلة العمق وتعطل الحراثة وتجرف اجزاء التربة الى السفوح .

٥ء ـ إن التبـاين المنـاخي بين الجـولان وحـوران ينعكس على جغـرافية المياه . فان كمية الامطار السنوية في حوران ادى الى ضعف افتقار البلاد الى الثـروة المـائيـة . والمياه الصالحة للشرب ليست متوفرة في كثير من قرى حوران ولـذا يجري توزيـع الميـاه في موسم الامطـار في احـواض تدعى البرك . اما في الجولان فالثروة المائية جيدة . والقرى التي لا تتوفر فيها الينابيع والآبار نادرة . امـا عى سفـوح جبـل حرمـون وعلى المنحدر الغربي للجولان فالينابيع كثيرة وغزيرة ودائمة التدفق .

٦ء ـ وللمنـاخ والميـاه تأثـير على الجغـرافية النباتية للجولان . فحوران لكـونـه اقـل ميـاهاً فهو اكثر فقراً في الاشجار والنبات . ومن الظواهر البارزة في منطقة الهضاب بما فيها حوران اختفاء الغطاء الشجري . لكن الشجر مايزال موجـوداً في الجـولان في نقـاط مختلفـة على الـرغم من الاتـلاف المريع ، ذلك لانتشـار القطعـان والمـواشي التي يرعاها البدو . اما البقايا التعيسة المبعثرة هنا وهناك فهي تسرد لنا القصة الحزينة لغابات الجولان لتي كانت تغطي كل سطح المنطقة .

وقد تؤدي كميات الامطار الكافية في ارض قابلة للعطاء الى نمو الاشجار من جديـد اذا كانت بمنأى من الحيـوانـات وبمنجاة من فؤوس الحطابين . وبرقم اجمــالي فإن البقــع البــاقــة من غابــات الجــولان تغطي مســاحـة تسـاوي

١٨١٫٢٥٠ دونم اي ما يعادل ١٨٫١٢٥ هكتار . اما حوران فهي خالية من كل اثر للغابة . اما الأشجار التي تراها على مقربة من التجمعات السكانية فهي من شتل الانسان وزرعه .

٧ء - إن هذه الفروق المناخية والمائية والحيوانية من نتائجها وجود فروق في التربة بين تربة الجولان وحوران . فتربة حوران تصنف في مجموعة التربة السمراء . اما تربة الجولان فهي من مجموعة التربة الكستنائية حسب الدكتور فان لير .

٨ء - أما الجغرافية البشرية فهي تعكس بدورها خصائص مميزة . فسكان حوران يتميزون بانسجام تام تقريباً . فالسكان هناك من اصول عربية والنمط المعاشي هو الزراعة . والاكثرية الساحقة مسلمة اما الفعالية الاساسية فهي زراعة الحبوب . اما في الجولان فعلى العكس فالجولان يضم سكاناً سوريين ولكن من اصول عرقية مختلفة عرب وتركمان وجراكسة واكراد وازمن ، هذا عدا التعدد في العقائد الدينية . اما فعّاليات السكان فمتنوعة : فهناك البدو الرعاة ، ومن هؤلاء الغنامة رعاة الغنم والبقّارة رعاة البقر ، والفلاحون المستقرون العاملون في الزراعة او في رعي المواشي وهناك المشتغلون بالاخشاب ، او الكرمة ، او زراعة الرز .

٩ء - إن ما اتينا على ذكره فيما يختص الجغرافية البشرية يصح قوله بشأن النتاج الاقتصادي . فاقتصاد حوران بأجمعه يستند على مدى خصوبة التربة وبالتالي على نوع واحد من زراعة الحبوب غير المسقية . ويتعلق الانتاج الى حد كبير بكميات الامطار الهاطلة . وان توالي سنتين في شح المطر يكفي للقضاء على التوازن الاقتصادي في اقليم حوران ويؤدي الى هجرة عدد كبير من السكان الى اي مكان والى المدن الكبرى للبحث عن عمل ومورد للعيش . ولكن سكان الجولان يمارسون حرفاً وفعاليات اخرى الى جانب الزراعة ، ولذا فإنهم لا يتعرضون بالتالي لاخطار الاعتماد على مورد واحد محدود .

إن هذه المقايسة التي عقدناها بين اقليمي الجولان وحوران في سورية تكشف لنا اصالة اقليم الجولان ، وهي أصالة واضحة حتى بالنسبة لاقطار

الشرق الادنى . وان شرقنا يختص بغلبة الماضي على الحاضر ، وللتاريخ دور مهم جداً عندما يلجأ المرء الى التاريخ لتفسير وقائع جغرافية . وانطلاقاً من ملاحظة ثاقبة يقول ج . فولرس : « بالنسبة الينا نحن الغربيين ، يبدو الشرق الادنى آلة لصعود الزمن إذ حيث يعيش الناس الى اليوم في اطار الماضي بصورة عادية وهنا يحاذي الجغرافي في عمله زميله المؤرخ او عالم الآثار » .

إلّا أنه بالنسبة الى الجولان تتقدم الجغرافية على التاريخ . فهذه البقعة من ارض سورية بوتقة ذابت فيها المجموعات العرقية كما ذابت عاداتهم وتقاليدهم الشعبية وحتى طريقة حياتهم من تركمان وجراكسة بالاضافة الى سائر المواطنين من مذاهب مختلفة حيث لا نلمس اي اثر لاي تنافس عرقي . وان اندماج السكان في المحيط الذي يعيشون فيه يجعل من الصعب على الغريب ان يميز بسهولة الفروق بين مجموعات السكان لامن حيث السحنة ولا من حيث اللباس او طريقة المعاش . هذا الى ان بعض فئات السكان كالجراكسة والاتراك الذين قدموا الى الجولان حديثاً لا يستطيعون الّا بصعوبة كبيرة المحافظة على بعض خصائصهم العرقية .

ان اقليم الجولان الذي اتينا على تعريفه وتحديده ووصفه فيما سبق يضم إدارياً ثلاث وحدات : قضاء الجولان او القنيطرة ، قضاء الزوية اوفيق واخيراً الجوء الجنوبي الغربي من قضاء وادي العجم . هذه الوحدات تتباين في مساحتها . فاستناداً الى احصاءات مصلحة المساحة تكون مساحة كل وحدة كالتالي :

قضاء القنيطرة	١٣٤ر٨٠٠ هكتاراً	ضاء
قضاء الزوية	٥٥ر١٠٠ هكتاراً	حسب الاحصاءات القديمة
	٥٩٠٠٠ هكتاراً	حسب احصلءات احدث
جنوب وادي العجم	٢٠ر٣٠٥ هكتاراً	

فالمساحة الكليّة تغطيان ٢١٤ر١٠٥ هكتاراً اي ما يساوي ٢١٤١ كم

الفصل الثاني

جيولوجية الجولان

١ ـ مدخل

نجد في مجمل ثبت المراجع العائدة الى الشرق الادنى ، بعض الاسماء اللامعة التي يمكن اعتبار اصحابها رواداً حقيقيين لهذه المنطقة .

غير ان هؤلاء العلماء لم يكونوا دوماً على اتفاق في تفسيرهم للحادثات حتى العادية منها . وهكذا فان اول من بدراسة منطقتنا هما : س دينر ، وم . بلانكنهورن على التوالي في عام ١٨٦٦ وانطلقا من عام ١٨٨٨ واخذا بنظرية الانهيارات والكسورات . اما . ل . كوبر فقد فسّر عام ١٩١٠ بنية هذه المنطقة على اساس الالتواءات . وفي عام ١٩٢٥ اندمج المفهومان المتناقضان من قبل ا . كركنل في تركيب اقل ما يقال فيه انه خيبة امل . وعاش الجيولوجوين والجغرافيون منذ هذا التاريخ الاخير ، على هذا الميراث من النظريات . ونجد هكذا ل . دوبرتريه الذي كان يتابع ابحاثه ، منذ مايقرب من ثلاثين عاماً ، في الشرق الادنى . فقد انحاز الى النظريتين المتناقضتين آخذاً بالاولى بعد اخذه بالاخرى . فنراه يقول هو نفسه : « لقد انحزنا نحو فرضية كوبر ، ولكننا عدنا الى آراء دينر وبلانكهورن ولكنا نتمسك بها بزيادة وذلك بقدر ماكانت تتضاعف لدينا المعطيات الحقلية ° .

ان احدث دراسة عن بنية الشرق الادنى هي درساة اتيان دي فوماس . ان هذا لاخير هو نصير النظرية الثانية وهي نظرية الالتواءات ولا تعدو كونها عودة الى رآء كوبر .

لقد كان الشرق الادنى ، منذ الحرب العالمية الاولى ، هدفاً للبحوث المعمقة . اذ ظهرت عدة مصورات بمقياس ١/٥٠٠٠٠ كما ان مخططات طبوغرافية شاملة ساهمت في الحصول على معلومات دقيقة عن التضاريس .

٢ ـ البنية الجيولوجية والتكتونية :

لما كان الجولان يقع في وسط بلاد الشرق الادنى تقريباً فان بنيته الجيولوجية لا يمكن بالواقع ان تدرس منفصلة عن دراسة بينية مجموع هذه البلاد . وان القول بان بنية الشرق الادني هي افريقية اكثر ما هي اسيوية هو قول عادي ومبتذل . وتبدو حقيقة هذا الوقع اكثر فاكثر اذا اعتبرنا ان الجولان يمثل سطحاً مائدياً على العموم مصاباً بالاخدود الانهدامي وموزعة عليه هنا وهناك مخارط بركانية ذات منشأ صدعي . والامر يتعلق بالواقع بزمرة طبقات رسوبية تعود بجوهرها للحقب الثاني كما ان منها ما يتصل بالحقب الثالث مصابة بطية محدبة سحج سطحها سطح حتي اتت عليه صبات بازلتية ميوسينية فحجّرته واستحاثته .

هذه الطية تهيمن على منطقة حوران ، التي تشكل ، حوضاً على شكل منحدر خفيف يقابل ليأ (شكل ١) . ولكن يبقى لدينا الجانب الغربي الذي يطرح سؤ الاً لا يجد له جواباً . فماهو المقصود من ذلك ؟ هل هو جرف الانهدام ام هو شدة تحدر جانب الطية التي ينعتونها بالمصندقة او ذات المقطع المربعي . وبالواقع فان سهولة بنية الجولان والشرق الاوسط إن هي إلا سهولة ظاهرية . وان المناقشات التي دارت حولها منذ بداية القرن التاسع عشر لمّا تنته بعد .

لقد سبق للعالمين : س . دينر ، وم . بلانكهورن وهما اول من درس بشيء من التفصيل الشرق الاوسط ، ان فسرا المورفولوجية باضفائهم الدور الرئيسي للصدوعات وليس للطيات . ويكون هذا الانخفاض ، الذي يحتوي على بحيرتي الحولة وطبريا برأي هذين الباحثين عبارة عن حفرة نموذجية ، هي امتداد لحفرة البحر الميت الكبيرة وتكون الجبال المحيطة بها بمثابة نجود .

ويكـون الجـولان وهـو يمثل المنطقة التي تهمنا خصيصاً ، نجداً حقيقياً بحسب رأي هذين العالمين . ان ل . دوبرتريه يتفق معهما على هذه الفرضية ويقـول : « لقـد اكثـرا من عدد الفوالق بعض الشيء غير ان تفسيراتهما تبقى اقـرب من غيرهـا بكثـير للواقـع » لم تقتصـر الصـدوعـات على اصابة الحفرة الوسطى فحسب بل تعدتها الى لبنان والسلسلة الشرقية . والفوالق الكبيرة في السلسـة الشـرقيـة سهّلت ايضـاً انتقـالات شاقـولية لاقسام كبيرة ـ اما النمط الالتوائي فهو لا ينتشر الا باتجاه الشرق .

لقد صنع ل . كوبر ، وهو احد جيولوجيي الالب ، من سلسلتي لبنان الغـربيـة والشـرقية طيتين ومن البقاع مقعراً مصدعاً . فهو يجد في ذلك رد فعل لجبال طوروس من جهة ولسلسلتي لبنان الغربية والشرقية من جهة اخرى ، كما هو الحال على التعاقب في جبال الالب والجورا . فالحفرة السورية تقابل الحفرة الـرينـانيـة وكـذلـك تأتي بمقـابـل هضـاب فلسطين وشرقي الاردن (بما فيها الجولان) جبال الغابة السوداء والفوج . وقام كرنكل بدمج المفهومين المتقابلين بتركيب يجمع جميع التضاريس الحافة الجنوبية الشرقية والشرقية للبحر المتوسط بشريط عريض من الطيات يمتد من مصر حتى جبال طورورس .

غير ان الفـرع الشـمالي لهذا الشـريـط مقطـوع طوليـاً ، وليس بشكـل مائل ، بامتداد حفرة البحر الميت بنوع يصبح فيه البقاع عبارة عن حفرة محاطة بطيات سلسلتي لبنان الغربية والشرقية .

ان محاولـة الـدمـج التي تعود الى ا . كرنكل استخدمت كنقطة انطلاق من قبل باحث حديث هو دي فوماس في دراسته التركيبية لاعطاء تفسير جديد لبنية الشرق الادنى .

لقد قبل ل . دوبرتريه ، الذي بدأ ابحاثه حوالي عام ١٩٢٨ في سورية ولبنـان ، فرضيـة كوبـر معلمـه وصديقه . لكنه عاد الى الفرضية المقابلة وهي فرضية دينر وبلانكنهورن .

وكـان دوبـرتـريـه يغـير رأيه من سنة الى اخرى ويترك فرضية ليتمسك بفرضبة اخرى .

يمكننا ان ننقل بعض المقاطع التعبيرية المأخوذة من مذكراته :

لقد كتب في عام ١٩٢٩ : يؤلف لبنان قبة كبيرة . . وسقوط الجانب الشرقي . . يحصل فجأة وبرفقة فالق نحو البقاع الذي هو عبارة عن سهل واسع مقعر ، تصعد بعده الطبقات بانحدار ضعيف نحو سلسلة لبنان الشرقية وهي القبة الثالثة . .

فإذا كان هذا صحيحاً فإن منخفض الحولة يكّون مقعراً والجولان هو ايضاً يكّون قبة . ونجد بعد مرور ثلاث سنوات ان دوبرترية لم يعد يتمسك بما كتبه عام ١٩٢٩ وهكذا نجده يكتب في عام ١٩٣٢ ليقول : ان جبال سورية وفلسطين الكتلية ومنخفضاتها لها احياناً صفات القبب والمقعرات وطوراً صفات النجود والحفر . فهي تنجم عن تشويهات الركيزة والغطاء الرسوبي المطاوع الذي لم تلحقه الالتواءات الاّ ثانوياً .

ونراه بعد مرور سنة واحدة يترك فرضية القبب والمقعرات ليأخذ بالفرضية المقابلة وهي فرضية النجود والنشاذات والاغوار . لقد كتب في عام ١٩٣٣ « تبين الخريطة الجيولوجية اليوم ان المناطق العليا لهذه الجبال هي مائدية نسبياً وانها محددة بفوالق ذات رميات كبيرة اوبمناطق ضيقة ذات انحدارات قوية . فهي تقابل اذاً نجوداً والمنخفضات التي تحيط بها ان هي الا حفر . وتابع يكتب في عام ١٩٣٤ على النحو التالي : « البقاع هو حفرة في الواقع غير انه يعطي للوهلة الاولى انطباعاً بانه عبارة عن منخفض عريض مقعر » .

وعند قيام آ . دي فوماس بوصف تضاريس الشرق الادنى فإنه لم يأت الاّ على ذكر طيات . والخريطة البنيوية المرفقة والمتعلقة بالحافة الغربية للشرق الادنى تظهر بوضوح رجحان المحدبات (خريطة رقم ٥) . ويذكر المؤلف من بينها محدبات سلسلتي لبنان الغربي والشرقي والحرمون . والمنخفض الذي يفصل هاتين السلسلتين هو مقعر البقاع . اما منخفض الحولة الذي يحد منطقة دراستنا نحو الغرب فهو المنخفض الذي يحدّد بالواقع مقعر البقاع والذي لا يفصله عنه سوى طية صغيرة محدبة (محدب الخيام) .

يتجه مقعر الحولة في البداية نحو الشمال الغربي ثم ينحرف نحو الجنوب الغربي آخذاً جانبياً بحيرة طبرية .

ويأتي جبل الجليل الذي يتمم بالضبط السلسلة الغربية للبنان الى الجنوب من نهر الليطاني ، على شاكلة محدب مواز لمقعر الحولة . اما اتجاهه في البداية فهو شمال ـ جنوب ثم ينحرف بوضوح نحو الجنوب الغربي على ارتفاع بحيرة الحولة .

ان فوماس لم يعط اي شكل بنيوي للجولان وهو الجبل المرتفع الذي يسيطر على مقعر الحولة الى الشرق ويحدّه .

ولكن اذا اخذنا بآراء المؤلف نفسه ، أفلا يؤلف الجولان محدباً آخر (طية غطائية) موازياً لمحدب الجليل ومناظراً له ؟ .

صحيح ان جولاننا يدخل ضمن المنطقة الواسعة المغمورة بغطاء بازلتي . غير انه لما كان هذا الغطاء حديث العمر وعمل ببساطة على افراغ التضريس الموجود من قبل في قالبه ، فمن الواجب الاّ يجعلنا نهمل البنية الجيولوجية قبل البازلتية وكذلك مورفولوجيتها .

ان هذا العرض المنوط ببنية الشرق الادنى كان ضرورياً وحتى لا مندوحة عنه لتفهم بنية الجولان الذي يقع بالضبط في وسط الحافة العربية للشرق الادنى .

نستخلص من كل ما تقدم ان الجغرافيين والجيولوجيين القائمين على دراسة هذه المنطقة منذ القرن التاسع عشر قد تجمعوا في زمرتين : الاولى وهي الممثلة حالياً بـ لويس دوبرتريه وهو من انصار الفرضية الانهيارية والمتصدعية او بالاحرى « الحفرة السورية » والثانية ممثلة بـ آ . دي فوماس وهو من انصار الفرضية المقابلة اي فرضية الالتواءات دون ان تنفي مع ذلك وجود تصدعات وفوالق .

اما استاذنا ج دريش فانه يجد ان هذه المناقشات شكلية الى حدٍّ ما . وبرأيه : « ان طيات الجبال الساحلية هي طيات « مصندقة » محدبة وشبيهة بتلك التي نشاهدها في عدة سلاسل تمهيدية من نموذج الجور أو الأطلسي . ان جوانب الطية مربعة القطع ان تمر الحالية ممطوطة ، او الى فالق في العمق ، حسب مقاومة المواد . وحتى اننا نمرّ كذلك من الكسورات او طيات الاعماق الى طيات غطائية . وطبقاً للآراء التركيبية التي ينادي بها ج. انجينو وعلى

الاخص لـ . بيكـار فاننـا نلاحـظ اذن بشكـل مجمل تجمعاً للتكتونيات الالبية (جبـال طورس) والافـريقيـة ومـا قبـل الالـب . وبينما يبدو ان تكتونية ما قبل الالب هي الـراجحـة في جنـاحي مقـدمـة البـلاد ، في افـريقيـا وفي سوريـة الـداخليـة ، والعراق ، والعربية السعودية فان هذه الانماط الثلاثة تتداخل مع بعضهـا في لبنـان . والحركات الشاقولية على مايبدو ايضا هي الاقدم وبالتالي المسيّرة اذ انها حَدّدت التجاوزات البحرية والمنخفضات الداخلية التي تتجمع فيها رسوبيات قارية . ولم تأخذ الطيات والكسورات على ما يظهر اهمية الا في الاوليغـوسـين او الميـوسين الادنى وذلك في مقدمة البلاد المتوسطية الآسيوية ، غير ان الكسـورات التي رافقتهـا تشـوهـات خفيفـة لم تلعب لدرجة تصل فيها الرميات التي نلحظها حالياً ، الا بقدر ماكانت تمتد هذه الحركات وتتعاظم في نهايـة الميـوسـين وفي البليـوسين .[1] . وعلى هذا فانه يمكننا بلا ريب ان نقول عن الجولان انها منطقة مرتفعة تكتونياً وطبوغرافياً اذا ماقيست بالحولة اوحوران وهما المنخفضـان اللذان يحددان المنطقـة موضـوع بحثنا وذلك على التوالي من الغرب ومن الشرق .

وبـالـواقـع فان الجـولان لا يمثـل شيئاً آخر سوى انه يمثل تتمة طبيعية لمحدب الحرمون كما ان الجليل هو تتمة لمحدب السلسلة الغربية

والجولان يهيمن على مقعر الحولة من جهة بجانب شديد التحدّر وعلى منخفض حوران الـذي يعتـبر بمثـابـة امتـداد طبيعي لمنخفض وادي سرحان المقعر ، بلي ممطوط في العمق من جهة ثانية (شكل ١)

ان خريطـة التسـاوي في شواذات بوغر لسورية ولبنان (خريطة ٤)تبين انحـراف الـركيـزة السـورية نحو الشمال والشمال الشرقي ، وتظر ايضاً ضعف سماكتهـا تحت الجـولان والجليـل . وهـذا امـر حيـوي اذ انه يخولنا ان نقول ان محدب الجليل ، ومقعر الحولة وكذلك محدبُ الجولان كلها من نموذج الطيات الغطائية .

---

(١) دريش : المتوسط والشرق الاوسط . الجزء الثاني ص ٢٢

والحق يقال فان الجولان هو طية محدبة مصندقة تابعة للحرمون وهي متناظرة وموازية لمحدب الجليل الذي يفصله عنه مقعر الحولة . والى الشرق من الجولان تأتي حفرة حوران التي ليست سوى تتمة لوادي سرحان الذي هو بمثابة منخفض مقعر .

ويثبت ل . دوبرتريه هو ايضاً صفة الجولان المحدبة عن غير قصد اذ يقول « الى القرب من ارتفاع ٥٠٠ م وعلى بعد ١٢ كم الى الغرب ـ شمال غرب القنيطرة يبدأ بالتكشف السينوماني والتوروني والسنيوني والايوسين افقيا او مع ميل خفيف نحو الغرب . وهناك تكشفات اخرى تظهر كلما اقتربنا من الحرمون وتبدي انحداراً نحو الجنوب الشرقي » .

وبالاضافة الى ماتقدم فان صبات الحدر (الوعرة)وتل الاحمر المنتشرة على التوالي نحو الشرق والغرب قد اثبتت بوضوح ميول الطبقات الرسوبية التحتية (انظر الخريطة الجيولوجية رقم ٣) ـ يتجه المحدب الجولاني نحو الشمال ـ الجنوبي غير انه مصاب ، على ارتفاع بحيرة طبريا ، بالانهدام وببحيرة طبريا ولكنه يقع في هذه المرة في حفرة تكتونية حقيقية .

فالمحدب المقطوع على هذا النحو يظهر ثانية خلف البحيرة (محدب رقم ٦ على الخريط البنيوية رقم ٥) باتجاه شمال شرق ـ جنوب غرب ـ والامور تجري كما لو كان شغل محدب الجولان الشاغل هو الحفاظ على التناظر والتوازي مع محدب الجليل .

١١١ ـ المواد كيفية احتلالها مواقعها

١ ـ الستراتيغرافيا والسلم السترتيغرافي

ان استراتيغرافية الجولان والمناطق المجاورة لها معروفة تماماً في الوقت الحاضر . وبالنسبة لفوماس «اذا كانت لا تزال هناك نقاط بحاجة لتحديدها بدقة فإنه من المؤكد بان لبحوث التي ستجري لن تؤدي الى تعديل في مجمل الفكرة » ان الركيزة البلورية لا تتكشف في اي مكان . فهي غير معروفة قطعاً من جبال طوروس حتى البحر الميت وفي جبل سيناء . حتى انه لا تظهر اية طبقة قديمة . فالحقب الاول وكذلك عصر الترياس1ل لايظهران في اي نقطة ، وحتى ان ظهور اللياس في الحرمون يبقى عرضة للشك . ومع هذا فان دوبرتريه قد اشار اليه على الخريطة الجيولوجية بمقياس ٢٠٠٠٠٠/١ بحرف . . . وهكذا فاللياس يشغل مساحة شاسعة على السطح الجنوبي الشرقي للحرمون وضمن حدود حقل دراستنا . (خريطة رقم ٣) ويخصه فوتران بحجر رملي فحمي يجتمع مع كلس بحيري ذي معديات الارجل . اذا كان وجود اللياس في الحرمون مشكوكاً فيه ، فان بقية الطبقات التي تعود للجوراسي تحتل الحرمون بكامله وتشكل هيكله .

لقد اهتم عدد لا يستهان به من الجيولوجيين بدراسة جوراسي الحرمون منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر وعلى الاخص بدراسة ضواحي مجدل شمس .

« ان الفضل بتسليط الاضواء على جوراسي الحرمون يعود بالنهاية الى فوتران وذلك بتبيانه كون طبقات مجدل شمس تتوج متتالية سميكة دولوميتية وكلسية جوراسية وهي التي تؤلف مجموعة جبل الحرمون . (انظر رسم ٢ ورسم ٣) ويحدد فوتران بالاضافة الى ذلك « ان التتابع الستراتيغرافي المستمر من الباتونيان المؤكد وجوده الى الكيمردجيان لا نصادفه الا في الطرف الجنوبي للسلسلة الشرقية بين عرنة ومجدل شمس (رسم ٤) .

انه من العسير جداً بل من المستحيل تقدير سماكة جوراسي الحرمون بدقة إذ ان مداهمة الحت الشديد لم تصل في اي نقطة الى حدود تماسه مع الترياس

ومع ذلك فان فوماس يقدر هذه السماكة بحدود ١٥٠٠ م الى ٢٠٠٠ م في قمة الحرمون ودوبرتريه يعطيها ٢٠٠٠ م .

لايظهر الجوراس في اي نقطة منذ الحرمون حتى شرقي الاردن ، فهو مغطى باراضٍ احدث منه . غير انه يعود فيظهر من جديد في شرقي الاردن ولكن سماكته في هذه المرة منكمشة بحدود ٢٠٠ م .

ان التتابع الطبقي نفسه قد شوهد في لبنان وفي الحرمون ممتداً من اللياس حتى البورتلانديان فالكريتاسي يستقر على سطح حتي قاطعاً طبقات الجوراسي العليا .

ان الكريتاسي في ضواحي بيروت هو الاكثر انتشاراً على كل السواحل الشرقية للبحر المتوسط . وقد وضعت فيها السلالم الطبقية للكريتاسي نظراً لسهولة الوصول اليها .

لقد سهلت الفوالق العديدة وكذلك الحت تعرية الغطاء الكريتاسي . ومع هذا فان هذه الطبقات تستمر ايضاً على السفوح الجنوبية والجنوبية الشرقية . وهنا ايضاً نجد استراتبغرافية الكريتاسي كاملة : النيوكوميان او حجر رمل الاساس ، فالابسيان ثم الالبيان ويبدو واضحاً السينوماني والطوروني والسنيوني الى الجنوب من مجدل شمس موزعين على شاكلة هالة حول الحرمون .

ان هذا السلم نفسه ايضاً ساري المفعول فيما يخص لبنان والسلسلة الشرقية وحتى الجليل غير ان السماكات والسحنات تتحول جانبياً وبخاصة تشكيلات السحنات الضحلة »[٢] .

غالبا ما يصعب تثبيت الحد الاعلى للسينوني على الارض اذ انه يعقب هذه الاراضي الكلسية ـ المارنية البيضاء مارن ابيض يعود للباليوسين ثم يأتي مارن كلسي ابيض يعود للايوسين الادنى بنوع يمرّ فيه غالباً السينوني بشكل لا

---

(٢) مذكرة الخريطة الجيولوجية بمقياس ١/٢٠٠٠٠٠ بيروت . حزيران ١٩٥٤

شعوري الى اسفل الايوسين . وقد جمع الاثنان معاً على الخرائط الجيولوجية تحت اسم .C6..E غير ان دراسة الحيوانات المجهرية تثبت وجود انقطاع واضح بين السينوني والنمولوتي يرافقه غالباً حت . والتشكيلتان هما من نفسي نموذج الترسيب . وهكذا نرى في جنوب لبنان ان الحوار السينوني يمر بشكل لا شعوري في قسمه الأعلى الى حوارذي اسرة من الصوان تكون فيها الفلسيات أولاً نادرة ثم تصبح فيما بعد غزيرة جداً . يتكشف النمولوتي ، في عدة نقاط ، في الجولان ويرتكز غالياً على السينوني . ولا يشكل كلاهما ، في منطقتنا ، الا مساحات محدودة . (خريطة ٣) .

ويبدو النمولوتي ، في حوض دمشق ، كأنه مكوّن ، بمجمله ، من كلس حواري ذي غلوبيجرين غير انه يصبح كلسياً تحت رصيفي على حافة السلسلة الشرقية .

ان استراتيغرافية نمولوتي مناطق خريطة بيروت او ضواحيها المباشرة تظهر طبوغرافية تحت بحرية معقدة او بحالة تطور .

ونجد ، من جهة ، انه توجد احواض بقي فيها الترسيب متواصلا منذ السينوني حتى آخر التوضعات النمولوتية .

كما انه من جهة اخرى ، عند ضواحي جبال السلسلتين الشرقية والغربية وكذلك الحرمون يتولد شعور لدينا بوجود انقطاع استراتيغرافي رافقه حت في اسفل الايوسين . فيحل هنا الكلس تحت الرصيفي محل الحوار ذي غلوبيجرين . واخيرا فان الطفو قد حصل في نهاية اللوتيسيان .

يقابل دور الانقطاع الستراتيغرافي والحت للجزء الشمالي من الجولان توضع الكونغلوميرا في جنوب المنطقة التي انتشرت عليها اولى الصبات البازلتية . لم يترك الاوليغوسين اي اثر له في منطقتنا .

ونرى تشكلات النيوجين تؤلف احيانا من توضعات بحيرية كتلك التي توضعت في منخفض الحولة الى الجنوب من البحيرة وهي تعود للميوسين وتؤلف من توضعات المياه العذبة ، وتكون طوراً سيليسية وتعود للبليوسين كتلك التي توجد في كعب السفح الجنوبي الشرقي للحرمون .

غير ان النيـوجـين يلعب دوراً رئيساً في الجولان بفضل صباته البازلتية ، إذ ان هذه الصبات قد غمرت هذه المنطقة بكاملها تقريباً .

ان هذا البازلت النيوجيني المعبر عنه B2 و B3 . . [3] قد تدفق على طول الشقـوق على شكـل صبـات كثيرة الميوعة انتشرت على مسافات بعيدة جداً عن مركـز قذفهـا لقـد قولبت هذه الصبـات الطبـوغرافية الموجودة من قبل والتي استقـرّت عليهـا بسقف حتّى قاطع للاراضي التي تعود للحقبين الثلاثي والثنائي (رسم ٥) وقد غمر هذا البازلت بالتالي الاودية ومجاري المياه القديمة .

ويبقى مع هذا من الصعب بل ومن المستحيـل ، التمييـز بين البـازلت الموسيني والبليوسيني .

لقـد خلّفت الـبركنـة الـربـاعية في الجولان مخاريط من الخبث البركاني يتجمـع بعضهـا حسب خط ممتـد من الجنـوب ـ الجنوب الشرقي الى الشمال ـ الشمـال الغـربي : مثـل المخـاريـط الملتصقة والتي تمتد من بريقة حتى مضربة (قحطانية) تحت اسم بريقة وبير العجم داغلاري .

ونتعـرف غالبـاً على مسـاحات صغيرة من الصبات اللاحقة حول هذه المخـاريـط يكـاد الفسـاد ان يصيبها ولا يوجد سوى مركزي قذف كانا مصدراً لتـدفق صبـات بازلتيـة واسعـة ومتأخـرة (ربـاعية) . وهما تل الاحمر يقع الى الجنـوب من مسعـدة وقد بث صبات هبطت نحو منخفض الحولة باتجاه منحدر السفـح الغـربي لمحـدب الجـولان والفـوهـة البركانية للحدر في اسفل السفح الجنوبي للحرمون وقد قذفت صبة «الوعرة» الشهيرة التي امتدت على السطح الشرقي حتى الكسوة اي انها امتدت الى مسافة ٤٠ كم . وهناك صبة صغيرة متأخـرة ربـاعيـة تتبـع قعـر سيل يهبط من السفح الغربي للجولان نحو الزاوية الشمالية الشرقية لبحيرة الحولة .

---

(٣) تعبير اطلقه الدكتور بردن في

« معدلات الترشيح في حوض اليرموك لسوريا ـ الاردن»

والطبقات الرقيقة من الرماد ذات التطبيق المنتظم حول تل ابو الندى الى القرب من القنيطرة تعود هي أيضاً الى الحقب الرباعي .

كما ان الرباعي يتمثل ايضاً في الجولان بتوضعات قارية وسطحية تنحصر في المنخفضات : منخفض الحولة ؛ وكذلك في فوهة بركان : فوهة بركان تل ابو الندى .

اما مخاريط التفريغ في وادي الاردن ، اليرموك ، والرقاد وفي اسفل الحرمون فهي تعود للحقب الرابع وتتوّج السلم الستراتيغرافي .

٢ ـ مميزات السلم الستراتيغرافي .

لا يكفي في الواقع ، ان نقدر ما لهذا الصخر او ذاك من تأثير على البنية وبالتالي على التضريس فحسب ، بل يتوجب علينا ايضا ان نشير الى اصالة تجمعات الصخور ونبيّن كيف يكون رد فعل التضريس لقاء القوى المولدة للجبال (القوى الاوروجينية) القابلة لاحداث طيات فيه او كسورات .

يمكن تلخيص الخطوط الرئيسية للسلم الستراتيغرافي بما يلي :

أ ـ نضع جانبا الركيزة البلورية لانها لا تنكشف في اي مكان والسلم الستراتيغرافي هو رسوبي بجوهره . غير انه تبقى مع هذا صبات بازلتية متداخلة بين الطبقات التي تعود للجوراسي الاعلى والاوسط وبخاصة في الحرمون (شكل٣) . وتعود الصبات في الجولان على الضبط الى الميوسين فتكون اذا احدث من الاراضي الرسوبية وتغطي قريبا المنطقة بكاملها .

وتكون هذه الصبات البازلتية ، من جهة اخرى ، متطبقة على نمط الصخور الرسوبية وتتصرف مثلها (شكل ١٠)

ب ـ لايكون للطبقات الرسوبية نفسها التي توجد في الوقت ذاته في الجولان وفي المناطق المتاخمة لها ، نفس السماكة في كل مكان ؛ كما ان السحنات تتغير جانبيا من منطقة الى اخرى .

فالسماكة تتناقص نحو الجنوب ونحو الشمال اعتبارا من السلسلتين الغربية والشرقية (بما فيها الحرمون) . وتحولات السماكة تلعب بلا ريب فيما يخص السنيوماني مثلا . فسماكته تتراوح بين ١٣٠٠ م الى ١٥٠٠ م في لبنان الشمالي بينما تنخفض الى ٥٠٠ ـ ٦٠٠ م فقط في لبنان الجنوبي « تنطلق من

هذه الملاحظات خلاصة عامة » لقد كان الترسيب اكثر فعالية بكثير في لبنان وفي السلسلة الشرقية مما كان عليه في المناطق المجاورة . وقد بلغ ذروته في مواقع هذه الجبال بينما كانت فعاليته تقل تدريجيا كلما ابتعدنا نحو الجنوب ونحو الشرق وبخاصة نحو الشمال . « لقد كان تجمع المواد كبيراً لدرجة تجعلنا نفكر بترسبات جيوسنكلينالية لو لم نكن ندري بوجود الجبال الشرقية التي تقع بلا شك على السطحية السورية العربية . فهي تظهر على اقل تقدير نطاق هبوط ثابت وجدت فيه الطبقات نقطة اصطفاء للتوضع

لقد اشرنا في موقع آخر الى ان الجولان هو طية محدبة تمدد الحرمون نحو الجنوب وبشكل مواز لمقعر الحولة ومحدب الجليل . ان هذاالنمط من طيات الغطاء لا يقارن مع نمط لبنان ـ البقاع والحرمون لا بالارتفاع ولا بتعقد البنية . وبالوقع « ان اهمية السلسلتين الشرقية والغربية لا تفسر في الاتساع الذي اتسمت فيه عملية تشكل الجبال فحسب بل انها تعود ايضا بقسمها الاكبر الى واقع كون الالتواءات قد نمت في السلسلتين بشكل يفوق ماصارت عليه في الجبال المجاورة[٥] .

والسلم الستراتيغرافي هو الذي يفسر لنا اذن ، في تبيانه لنا ضئالة سماكة طبقاته الرسوبية ؛ الاهمية البسيطة التي تُعزى للجولان بصفته تضريسا التوائيا ، بالنسبة للبنان ، وللسلسلة الشرقية والحرمون .

جـ ـ لما كانت الطبقات وكذلك سماكتها متحولة فانه لم يكن لها بتاتاً درجة اللدونة وبالتالي لم يكن لها اي سبب للاستجابة الى المجهودات الاوروجينية (الحركات المولدة للجبال) وفيها جاء ميل هذه الزمرة الستراتيغرافية للخضوع للالتواء غير المتناسق .

ويكون هذا الواقع اكثر احتمالا بقدر ما يكون الدفع قد مارس عمله الى حد ما في الاعماق ليخضع بعضا من هذه الطيات الى تشوه اكثر اهمية مما هو

---

(٤) E. دي فوماس . لبنان (جبل لبنان . البقاع ، السلسلة الشرقية ، الحرمون ، الجليل الاعلى اللبناني) اطروحة منسوخة على الآلة الكاتبة .

(٥) E. دي فوماس .

عليه في بقية الطبقات « هناك صفة بارزة جدا لجبال المشرق تتمثل في اظهار الجوراسي ذي طبقات شديدة (الحرمون ، جبل الجاج الخ . .) بينما لايظهر السنيوماني غالبا الا عل شاكلة قبب عريضه » ومصندقة كتلك التي توجد في الجولان .

لقد استنتجوا من هذه المشاهدة ان الدفع الاوروجيني مارس عمله في الاعماق على مستوى شريحة الطبقات الجوراسية وان البقية لم يصبها التشويه الا بفعل النهوض اللاحق للطي الذي اصابها فلو ان السلم الطبقي كان متجانسا وله نفس المقاومة لكانت طبقة الكريتاسي اعادت احداث الطبقات الجواراسية بامانه . وفي الحقيقة فان الاساس اللدن للكريتاسي هو الذي اضعف تشوهات طبقات الجوراسي الاساسية . وهكذا نتمكن من تفسير الفارق الواضح الذي يوجد بين شدات الطي في الجبال الجوراسية والسينومانية .

وفي الحقيقة فان الطابع البنيوي الالتوائي للحرمون بواضح العبارة مختلف جدا عما هو عليه في متن الجولان . ويعود هذا الاختلاف الى الطبقات الجوراسية التي تكشفت في الحرمون بعد ان اصابتها الالتواءات وارتفعت بشدة بتأثير التكتونية وبعد ان مزقتها الفوالق العديدة التي سهلت من جهتها تعرية الحرمون من غطائه الكرتاسي . واظهار النواة الجوراسية . واذا اتجهنا اكثر فاكثر نحو الجنوب اي دخلنا في الجولان بمعنى الكلمة ، نجد ان الطبقات الجوراسية لم يلحقها نهوض بنفس الدرجة ولم يتهيأ للحت نسف الغطاء لكريتاسي . كما ان سطح الحت الذي يقطع هذه الاراضي قد استحاث بفعل الصبات البازلتية . والفضل كل الفضل يعود الى درع الكلس السينوماني الذي حفظ لمحدب الجولان قبة عريضة وسطحاً يكاد يكون مائديا نوعا ما مما يجعله يشبه بالتالي ، هضبة حقيقية . كما ان البازلت هو ايضا لم يشوه مظهر الجولان المائدي .

د ـ لم تكن الترسبات تتم بشكل متواصل كليا ، كما ان النشاط البركاني كان دوريا . ولذا فاننا نجد السلم الستراتيغرافي من الناحية النظرية على الاقل يتصف بوجود عدد من سطوح عدم التوافق حسب التعبير الجيولوجي .

أو من سطوح حتية حسب تعبير الجغرافيين .

ان اراضي المنطقة التي نهتم بها هي جوراسية ، كريتاسية ، ثلاثية ورباعية . والاراضي الرسوبية تقابل طغيانين بحريين اغرقا البلاد بكاملها ثم حصلت حادثات طفو استمرت حتى تحقيق التضاريس الحالية .

فالطغيان الاول يعود للجوراسي وان اراضي هذا الدور لا نراها الا في المناطق المرتفعة : الحرمون والسلاسل التي تسانده .

اما الطغيان الثاني فانه يعود للكريتاسي . وهناك بعض الصخور التجمعية النادرة كالبودنغ تشهد على انه حصل طفو فصله عن الطغيان الاول وذلك موضعياً على الاقل فالكريتاسي يستقر اذا على سطح حتي انتزع من طبقات الجوراسي العليا .

ونمر بصورة لا شعورية من الكريتاسي الاعلى الى الفلسي (النمولوتي) الذي يتألف مبدئيا من مارن حواري مع انه اشد تماسكاً من الكريتاسي الاعلى واغنى منه بالصوان . ومن المحتمل ان تكون هذه المنطقة قد حصل فيها طفو خلال العصر النمولوتي ، اذ ان الكلس الرصيفي قد حل محل المارن الحواري . وبدأ البحر بالانسحاب تدريجيا منذ نهاية الايوسين الاوسط آخذاً اتجاه الشاطىء الحالي من جهة واتجاه الصحراء من جهةاخرى . لقد نوهنا في مكان آخر ، بان دراسة المستحاثات المجهرية اثبتتْ مع ذلك انقطاعاً واضحاً بين عصري السنيوني والفلسي رافقه حت على الأغلب .

تظهر مع الميوسين الصخور التجمعية أو بالأحرى يظهر البودنغ البحري اوالقاري على شكل واسع الانتشار . وتعتبر الحصباء الغليظة المستديرة التي تحتوي عليها الصخور التجمعية (البودنغ) والواقعة الى الجنوب من الجولان شاهدا على حصول طور بنائي فعّال نحو الشمال (اوروجيني) وعلى حصول نقل الى مسافات طويلة من شأنها ان تؤدي الى تدورة البقايا المجروفة . تستقر هذه التوضعات الجديدة من الصخور التجمعية بعدم توافق استراتيغرافي صريح على الرسوبات السابقة .

ان هذه التحـولات العميقـة رافقتها يقظة بنيوية (اوروجينية) ونشاط بركاني كثيف في حوران وجبل العرب والجولان وفتحة حمص .

وهكـذا فان اولى الصبـات الـبركـانيـة العـائدة للميوسين تستقر على الصخـور التجمعيـة . وعلى السفـوح الشـاقـوليـة لوادي التـايم في المجرى الاسفل لوادي الرقاد تظهر مقاطع جيولوجية جميلة تكشف بوضوح السلم الستراتيغرافي .

وتجـدر ملاحظـة كون قيمة سطوح عدم التوافق هي نظرية اكثر مما هي حقيقية ، ولم يشيروا الى وجود عدم توافق يستحق الذكر بين مختلف الطبقات الثانوية التي تظهر كأنها متوافقه عمليا مما يؤدي فضلا عن ذلك الى اثبات كون مناطق الجبال الطافية كانت محدودة . فعدم التوافقات هذه لا تلعب اذا دورا هامـا في اشكـال التضـاريس ، بينـما يبقى دورها مع هذا كبيراً في هدرولوجية هذه المنطقة .

« تجلّت في نهايـة الميـوسـين مفـارقـات التضـريس . فكتـل الجبـال ارتفعت ، بينـما هبطت الحفـر . امـا السـاحل السوري فلم يطرأ عليه تعديل يذكر في البليوسين غير ان البحر دخل من سهل سارونة (اسدرولون) في ممر البحر الميت وتقدم الى مابعد في شرقي الاردن (قصر ازرق) .

ولا نعلم فيـما اذا كان هذا الخليـج يسـير باتجاه معاكس لاخدود الاردن حتى بحـيرة طبر يـة او بحيرة الحولة ؛ كانت البركنة كثيفة دوما غير انها عرفت دورا بلغت فيها ذروة النشاط كما عرفت أيضاً ادوار استراحة . وهكذا نجد ان صبات الحمم توضعت فوق بعضها بتطبق شبيه بتطبق الصخور الرسوبية .

ان هذه الصبـات التي تدفقت خلال اطـوار ذات فعالية بركانية نجدها منفصلة عن بعضهـا بمستويات غضارية ناجمة عن تفسخ الحمم الكيميائي .

وتكشف الآبار التي تحفر في هذه المنطقة في جميع الاماكن تقريبا سطوحاً تماسية بين الصبات ذات الاعمار المختلفة والرقع الرقيقة من الغضار المتبقي التي تؤمن وجود مستويات مائية باطنية مختلفة .

لقد فرشت الصبات البليوسينية فوق صبات الميوسين . ويبدو انه من العسير بل من المستحيل ان نميِّز بعضها عن بعضها الآخر .

اما ما يتعلق بالصبات التي تتبع نهر الحاصباني وتتصل بالغطاءات البازلتية لسهل الحولة ، وكذلك الصبات التي تحتل وادي التيم (، فيبدو انها بليوسينية ، اذ انها تستقر بعدم توافق على البودنغ الميوسيني . لقد نشرت البركنة الرباعية في الجولان مخاريط من الخبث تجمعت تقريبا بالاتجاه جنوب جنوب شرق ـ شمال شمال غرب .

ونتعرف غالبا على مساحات صغيرة من الصبات المتأخرة حول هذه المخارط والتي حافظت تقريبا على وضعيتها . والرماد البركاني توضع حول بعض المخاريط مثل الرماد الذي يوجد الى الجنوب والى الغرب من القنيطرة . ان هذه المخاريط من الخبث وهذه الصبات المتأخرة وهذا الرماد البركاني تستقر جميعها على سطح حتي ميوبليوسيني .

الفصل الثالث

تضريس الارض

١ ـ نشأة التضريس وتطوره خلال التاريخ الجيولوجي .

يتدخل التاريخ الجيولوجي في الواقع كعامل مهم جداً في كل من البنية والتضريس .

لاتتكشف أية طبقة من الحقب الاول اومن التر ياس او اللياس في لبنان والسلسلة الشرقية (ان تكشف اللياس في الحرمون مشكوك فيه دائماً) .

ولذا فقد اصبح من المتعذر استعادة تاريخه . وهذا التاريخ يبدأ فقط من الجوراسي الاوسط الذي تنمّ طبقاته الكثيفة عن ترسب غزير .

ان تاريخ الجولان الجيولوجي مرتبط ارتباطاً وثيقا بتاريخ لبنان والسلسلة الشرقية . ويمكننا تلخيصة بسلسلة من النهضات ادت الى طفو هذه الجبال اعقبهتا ادوار ترسيبية غطتها بكاملها او بجزء منها .

«في غضون الكالوفيان ، حدث طور اوروجيني رفع الاعماق البحرية لمنطقة السلسلة الشرقية الى السطح . اما ضواحي الحرمون فبقيت مغمورة وتوضعت عليها سلسلة بحرية (نيرتية) مارنية غضارية . هذا الطور الاوروجيني اثار ايضاً طفوا كاملا للحرمون كما تعرّت السلسلة الشرقية بجزء منها على الاقل[1] .

ولكن اذا كان الحرمون قد انحسرت عنه المياه مع الضواحي المحيطة به مباشرة فان جنوب الجولان قد بقي على العكس مغموراً بالبحر .

---

(٦) دي فوماس ـ اطروحة .

وكـان من جرّاء حركـات نهايـة الجـوراسي وبـداية الكريتاسي ان شُيد سطح ، يمكن نعته بها قبل الكريتاسي ، على الاراضي التي سبق ان انحسر البحر عنها .

وفي غضون الطغيانات التي توالت على المنطقة ، كان الحرمون يشكل جزيـرة لم تغمـرَ البحّـار الطـاغيـة سوى حافـاتهـا . والجبـل الجـوراسي الذي انسحبت عنـه الميـاه لم تعد تغمره بحار الادوار اللاحقة فكانت توضع رسوباتها في الجولان بشكل هالة تحيط بنواة الحرمون الجوراسية .

ان هذه البحــار التي كان تغمـر حافـات الحـرمـون كانت ضحلة قليلة العمق وكـانت توضعـاتها نيريتية (شاطئية) وكانت اكثر عمقاً نحو الجنوب مما ادى الى وجـود اختـلافـات في سماكـة التـوضعات التي كانت أقل سماكة وأشد انحداراً الى الشمال مما هي عليه في الجنوب ، وسبب ذلك يعود الى كون هذه الـرسـوبـات تستنـد الى الشـمال على جبـل غير مغمـور مازال يرتفـع (الحـرمـون) . ان هذا الـواقع يفسر لنا السهولة التي تمكّن فيها الحت من نزع طبقـات الكـريتـاسي الاعلى في اسفـل السفـح الجنـوبي للحـرمون ليكشف طبقـات الكـريتـاسي الاوسـط والادنى بينـما لم يكن بمقـدور اليرموك اقتطاع السينوني الذي بقي في هذا الموقع كثيفاً للغاية (انظر رسم رقم ٦) .

لقـد كانت الطغيـانات والانسحابات تحصل على التناوب خلال عصر الكـريتـاسي . فالكـريتاسي الادنى (النيكوميات والابسيان) مؤلف بصورة رئيسـة من توضعـات نيريتيـة وتتخلله ثغـرات . ونكـون اذا امام طور ثان من النهضات واقع بين نهاية الكمردجيان وبداية الالبيان .

لقد عاد الغمر منذ الالبيان مدشناً عمله بتوضعات بداية الطغيان .

وبلغت التـوضعـات ذروتهـا في بدايـة السنيـوماني حيث توضعت قشرة كلسيـة تشكـل درع الجـولان . وفي التـوروني حصـل انسحاب اعتبر انطلاقا لتشكل التضاريس الحالية .

وفي نهاية الحقب الثاني اي في اواخر السينوني اصبح لكل من السلسلتين الشرقية والغربية وحدته الخاصة به ولم يعد يغمره البحر اطلاقاً .

والكتلتان الجبليتان اضحتا طافيتين بحيث ان طغيانات الحقب الثالث لم تعد تغمر الاّ القسم الاسفل منها .

يمكننا القول بان اطوار الحقب الثاني الترسيبية الفّت القسم الاضخم من الحمولة التي شيدت بها الجبال المشرقية ، بينما لم تجلب اطوار الحقب الثالث الاّ تتمة بسيطة على حافاتها .

« يلعب تاريخ النمولوتي (الفلسي) دوراً انتقالياً لتاريخ الحقب الثاني والثالث . فالشرق الاوسط حصل فيه نهائياً على هيئته الحالية رغم محافظة الطغيانات والانسحابات التي اصابته على شيء من الاتساع .

تطفو جبال السلسلتين الشرقية والغربية وكذلك جبال العلويين وتساهم مع العتبات تحت البحرية في تقسيم الطبقات المائية الى احواض الامر الذي ادىّ الى انقطاع الانتظام في الترسيب . زد على ذلك ان اسراع الحركات المولدة للجبال ، جعلت شرائط هذا الترسيب غير مستقرة[٢] » .

ان طغيان الايويسين الادنى أحاط بالجبال دون غمرها : فأراضي هذا العصر غير موجودة في الحرمون اللهم الاّ ماكان منها على شكل هالة في اسفل سفوحه الجنوبية والجنوبية الشرقية .

يمكننا ان نستخلص من هذه الملاحظة ان الطغيان البحري العائد للحقب الثالث كان يقف عند القسم السفلي من الحرمون اذ ان هذا الجبل كان مرتفعاً جداً من قبل على شاكلة حاجز يصعب تخطيه .

وقد بلغ الطغيان البحري أشده في الايوسين الاوسط (لوتيسيان) فأراضيه هي توضعات تجاوز الطغيان او طغيان واضحة . ونجد على الكريتاسي الاعلى الذي تستقر عليه هذه التوضعات غالبا ، آثار الحت بوضوح : ان هذا هو السطح الحتي السابق للوتيسيان . لقد حصلت بداية انسحاب للبحر في الايوسين الاعلى . ويبدو انها انحسارية بالنسبة للايوسين الاوسط تمكن الحت خلالهامن اشادة سطح حتي جديد . ان هذا السطح اللاحق باللوتسيان هوالذي يظهر في عدة نقاط بين خان ارنبة ـ جباتا الخشب وطرنجة .

(٢) آ . دي فوماس ـ اطروحة .

ان هذا السطح نفسه هو الذي انتشرت عليه صبات من حمم الميوسين مسببة تحجّره . ومع ذلك فان الصبات لم تغمر السطح بكامله وان «كلس اللوتسيان يتكشف من تحت الغطاء البازلتي على طول طريق خان ارنبة ـ جباتا الخشب ـ طرنجة ـ حضر .[٣]

يسجل الاوليغوسين انحساراً عاماً ولا يترك رسوبات في الجولان .

ونرى من الان وصاعدا ان حدود السلسلتين الشرقية والغربية هي نفس الحدود التي تشغلها الان تقريبا ومنذ عصر البرديغالي طفت البلاد بكليتها . واصبح الحت اكثر نشاطا بسبب التضريس الواضح نحو الشمال ، كما ان الانقاض على غلظها جرفت نحو الجنوب لتتوضع في بحر ضحل للغاية . اما البحر البرديغالي فكان يغمر فقط الاماكن الاقل ارتفاعاً ويحتل المنخفضات .

ان هذه التوضعات شكلت بودنغ الاساس . وفي عصر البونسيان انتشر طور جسيم من النهضات ادى الى ضعضعة الجبل بشكل عنيف وبالتالي الى توضع البوذنغ الى الجنوب من الجولان وفي اسفل الحرمون مثيل ما تغطيه صبة الوعرة الحديثة والتي امتدت حتى الكسوة[٤] .

يتطابق البلزنسيان مع طغيان بقيت آثاره ماثلة الى القرب من الشاطىء الحالي ، فهو لايصل الى المنطقة التي تهمنا . ومن جهة ثانية فانه لم يطل بقاؤه حتى على الساحل .

وحين حصل الطغيان كان الجولان خاضعاً لحت شديد ، شُيِّد الى الشمال على الاقل ، سطحاً حتيا يعود للبليزانسيان ويقتطع كلا من البودينغ البونسياني والسطح القديم اللاحق باللوتيسيان . وعلى هذا السطح متعدد الدورات انتشرت صبة الوعرة .

---

(٣) تقرير رحلة جيولوجية الى القنيطرة (جولان) كلية العلوم بدمشق ١٩٥٥ .

(٤) نفس التقرير السابق

والتـوضعـات البحـريـة التي اعقبت الصخور التجمعية (كونغلوميرا) البـونسيـانية في المناطق الواطئة الداخلية ، تعود على الارجح الى البليوسين ظهـرت الـبركنه منذ الجوراسي وفي غضون الميوسين . غير ان دور اكبر نشاط اعظمي لها حصـل في البليـوسـين (البلزانسيـان) ومـع هذا فان الانـدفاعات امتـدت حتى الحقب الـرابـع . والصبـات البـازلتية ذات الاعمار المختلفة التي تنضدت على غرار الطبقات الرسوبية هي بالواقع صبات مفصولة عن بعضها بتـوضعـات ركـامية . ولوحظ وجود هذه الطبقات اثناء حفر الآبار ، من وجود عصيبـات رقيقـة من الغضـار المتبقي ناجمة عن فساد البازلت تحت تأثير مختلف عوامل الحت .

والستراتيغرافيا لا تقدم لنا الاّ النذر اليسير من البراهين التي تمكننا من استعـادة عرض تاريـخ الـرباعي . وهذا التاريخ يتم بخاصة عن طريق دراسة التطور المورفولوجي وكذلك دراسة باليوجغرافية المنطقة .

II ـ تضريس الهالة الرسوبية : سطح الحرمون الجنوبي والجنوبي الشرقي .

الحـرمـون ، هو جبـل كلسي شامـخ ، يشكـل حدود الجـولان نحـو الشـمال . ويبـدو كأنـه سور حقيقي يدل مظهره على عالم آخر يختلف جداً عن الجـولان بمعنـاه الـدقيق . وبـالواقع ، فان الحرمون يبدي عدة تناقضات مع الجـولان : فالقمم العـاليـة التي تصْطف على طول الحدود السورية ـ اللبناية تبلغ ٢٢٩٦ ، ٢٤٦٥ ، ٢٨١٤ ، و ٢٢٦٩ متراً وتتناقض تماماً مع ارتفاعات اكمـة الجـولان التي لا تتجاوز ارتفاعاتها الالف متر الاّ فيما ندر وعلى المخاريط الـبركـانيـة فقـط . فالصخـور الكلسيـة والحـوارية تتقابل مع صبات الجولان البـازلتيـة السـوداء . ويبـدو ، على الـرغم من وجود بعض الشبه بين البازلت والصخـور الكلسيـة فيـما يتعلق بالنفـوذية ، ان الحرمون أغنى بالموارد المائية : فالينابيع الغزيرة ودائمية التدفق هي بداية نشوء انهار حقيقية : الاردن والاعوج .

ويبدو اخيرا ان مورفولوجية الحرمون ، المتشملة بطية كلسية هائلة تكثر فيها الاشكال الكارستية المجوفة تناقض مورفولوجية الجولان البركانية والمائدية بشكل عام حيث تتواجد فيها بكثرة نتوءات الاجهزة البركانية . ويبقى مع ذلك الحرمون ، رغم تناقضاته مع الجولان ، مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً به . فهو يلعب ، وقد سبق ان أشرنا الى ذلك ، دوراً هاماً في انظمة المناخ والمياه والاقتصاد في الجولان « الحرمون يلقي ظلّه على كل الجولان » .

وليس من قبيل العبث اذاً ان نهتم بالحرمون باعتباره منطقة تؤلف جزءاً من حقل دراستنا .

ان الحرمون في الواقع مؤلف من قبة ضخمة يتجه محورها من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي أوعلى الاصح من غرب جنوب غربي ـ الى شرق شمال شرقي .

وتأثير بنيته على مورفولوجيته كبير جداً . فتضريسه ، كما هوعليه في السلسلة الشرقية ولبنان والبقاع والقلمون ، هوتضريس ذوبنية التوائية متوافقة ، والاستثناءات الوحيدة لهذه القاعدة تقدمها الهضاب البازلتية ذات المساحات المحدودة تقريبا وكذلك شدة تحدّر الفوالق .

وبالواقع فان القسم الرئيسي من التضريس مرتبط بالنموذج الالتوائي : قمم حقيقية بنيوية تتدرج على طول الحدود اللبنانية ـ السورية وتقابل خط تقسيم المياه .

والسفوح الكبيرة وكذلك الجروف التي يقدمها الحرمون هي ايضاً على صلة بالبنية . فالاولى مدينة للبنية . والمنحدرات الشديدة اما تعود لأعراف (قمم صخرية) او جروف الفوالق .

لقد تجوّف مركز الحرمون على شاكلة وهد ظهرت فيه اراضي اللياس واذا وضعنا هذا الامر جانباً ، فان التطور المورفولوجي يبقى على العموم قليل التقدم : الاقسام المرتفعة تقابل بأمانة النقاط المرتفعة من البنية (من ناحية التكتونيك) كما ان الاقسام المنهارة تقابل النقاط المنخفضة من البنية .

لقد لعب التكتونيك ايضاً بواسطة الفوالق دوراً هاماً على الحرمون :

فالـوحـدات البنيـوية الكبر ى غالبا ما تكون متقطعة بفوالق ذات رميات كبيرة (رسم ١٠) .

وبـالـواقع فان مسقط قبة الحرمون الجنوبي والشرقي متصدع وقد استند التـوروني والسنيـوني والايوسين على العديد من طبقات الجوراسي المرئية يعني اللياس والباجوسيان وذلك في المنطقة بين قريتي عرنة وبقعسم (انظر الخريطة رقم ٣) .

وهناك وباتجاه شمال ـ شرق يتصل باجوسيان الحرمون بالبودنغ النيوجيني لحافة الجولان بتأثير فالق رميته (بحدود ٣٠٠٠ م) حسب دوبرتريه[٥] .

ويبدو ان هذه الفوالق تعود الى نهاية الجوراسي على الاقل . وقد لعبت ثانية فيها بعد من خلال الرسوبات التي كانت غمرتها .

ان الاوضـاع الصخـريـة (الليتـولـوجيـة) تسـاهم مع البنيـة في نشـوء التضاريس ، ويكون لتناوب الطبقات القاسية والرخوة اهمية اساسية في هذا المنحى .

واشكال التضاريس التي تنجم عن مثل هذا التناوب لطبقات قاسية ورخوة هي التي نتوقع حصولها مبدئياً .

فهـي تتميـز بمصـاطب افقيـة عريضـة مشيـدة على السفـوح ، وبمنخفضات احادية الميل او بجروف او قمم حسبما تكون الطبقات افقية او منتصبة .

كادت اوضـاع مختلف طبقـات الجـوراسي الاعلى الـواقعـة بين مجدل شمس وجبات الزيت ان توفر جميع شرائط نشوء الكويستا فيها لو كان ميل هذه الطبقات اقل شدة (انظر رسم ٤) .

وعـدا ذلـك فان كل نوع من الاراضي الجيـولـوجيـة له بصـورة دائمـة تقـريبـاً ، موروفولوجيته المميزة . فالمورفولوجية التي تشتق عن الاحجار الرملية التي تعـود لعصـر النيكـومي والتي هي بمجملهـا تشكيلة غير مثبتة تكون رخوة وتتمثل بمنخفضات او بمناطق متقطعة باودية متعرجة نوعاً ما .

(٥) لويس دوبـرتـريــه ـ لمحــة عن الخـريطـة الجيـولـوجيـة مقيـاس ١/٢٠٠٠٠٠ بيروت ص ٧٦

ان هذه الاحجار الرملية التي تتوضع بشكل هالة حول الحرمون ، تأخذ بالـواقـع اوضاعاً منتصبة . فهي ترسم بهذا الوضع حول النواة الجوراسية خطاً من النقاط المنخفضة يجعلها بمثابة منخفض محيطي . يمثل الابسيان مجموعة معقـدة تعـود من الناحية المورفولوجية الى زمرتين من الطبقات رخوتين نسبياً ، يفصل بينهما جدار كلسي بسماكة ٦٠ متراً هو الجدار الابسياني .

يتكشف الالبيـان بشكـل مشـابه تقريباً للابسيان ، فنجد شريطاً قاسياً الى حد ما من الكلس يتـداخـل بين الطبقـات الـرخـوة ليعطي جداراً صغيراً يدعى بالجدار الالبياني .

وتظهـر من جديـد ، اعتباراً من الالبيان ، كتلة هائلة من الكلس ، في السلم الستراتيغرافي للكريتاسي الاوسط .

ان المـلامـح البارزة لكل من البنية والتضريس السابقتين للبركنة مرتبطة كلها بالطبقة الكلسية التي تعود للسينوماني .

ان هذه الطبقة هي التي تشكل هيكل المحدب المصندق الذي يقال له الجولاني .

غير ان السينـومـان لا يتكشّف حاليـاً الاّ على مسـاحـات محدودة . والكـارست فيـه لا يظهر بنفس الشكل الذي يظهر فيه الجوراسي . فاللابيات Lapiez (خـدوش عميقـة تقطع سطح المنطقة الكلسية) غير واضحة المعالم فيـه ، والـدولينـات (هوات عريضـة وغير عميقة) هي اقل عدداً فيه ، وهذا يعود ، دون ادنى ريب ، الى صفات السينومان الاكثر مارنية .

وهناك مع السينوني مستوى صخري (ليتولوجي) جديد قطعاً يظهر في الستراتيغرافيا وله مورفولوجية مختلفة كليا عن مورفولوجية السينوماني . غير انه لا يتشكف على اكمة الجولان الا نادراً ولا يغطي سوى مساحات محدودة للغاية .

ومع هذا فان التعرف عليه يتم على الطبيعة بدون ادنى صعوبة إذ انه ، كما هي الحـال في جميـع الحـوار ، فان السينـوني يبـدي طبوغرافية رخوة وكثيرة التقطع . ويمثل السينون نحو جنوب الجولان العنصر الرئيسي للاودية الكبيرة وبخاصة في اليرموك .

ن السينوني غير قادر على التصرف بحرية في نحت السطوح شديدة الانحدار . ويمكن تفسير ذلك بوجود غشاء بازلتي يفرض على السطوح الحوارية تطورا مشروطاً .

اما الكلسي (النمولوتي) فانه ليس سوى امتداد لزمرة الكريتاسي الاعلى من الناحية المورفولوجية كما ومن الناحية الرسوبية الاّ اذا ظهر فيه صف من الكلس الواضح فوق المارن التحتي .

وتنتهي مع النمولوتي الزمرة الرسوبية للمواد التي تمثل حمولة كافية لاحداث تضريس هام .

وطبقات النيوجين التي تعقبه ، لا تمثل من وجهة النظر هذه ، إلاّ دوراً ثانوياً للغاية .

لقد نوهنا في السابق بان التطور المورفولوجي لا يزال قليل التقدم .

غير انه ليس لنا ان نتوهم او نظن من حداثة هذا التطور ان التضريس بكليته بنيوي .

ولا يكمن تحليل مورفولوجية الحرمون الكاملة بالعوامل البنيوية فحسب ، فمختلف الادوار الحتية التي شُنّت بالاطوار الاوروجينية قد لعبت فيها دورا هاماً وتركت آثاراً يسهل التعرف عليها ايضاً .

وبالفعل فان الجبال المشرقية تنقسم الى منطقتين مورفولوجيتين متميزتين كما يوحي بذلك تطورهما : فالاولى مؤلفة من بقايا سطح التعرية بينما لا تظهر الثانية سوى تضريس بنيوي ناجم عن خرق السطح الذي تعرض لعدة دورات حتية من قبل دورة الحت الاخيرة مما ادّى الى ازالة هذا السطح في الاجزاء المرتفعة من الجبال ، وهكذا نفسر اظهار الجبال الشرقية لتضريس مماثل لتضريس الكتل المحيطة بالالب وذلك في قسمها المركزي اما سطح الحت فهو على العكس تماماً اذ انه قد حُفظ نسبياً على المحيط .

وتجدر ملاحظة ان آثار التمهيد لم تحفظ حتى على المحيط بنفس الشكل . فقد حفظت على السطح الجنوبي ـ الشرقي احسن ممّا حفظت فيه بالجنوب . وتلعب عدة عوامل بالفعل ، للحفاظ على آثار التعرية بشكل متفاوت على

السفحين . ثم ان بعد مستوى الاساس يلعب دورا هاماً . فالسطح الممهد يحفظ جيدا بقدر ما يكون مستوى الاساس بعيداً .

أما ما يتعلق بمجاري المياه التي تنحدر من السفح الجنوبي ، فان مستوى الاساس قريب ، غير ان فارق الارتفاع كبير . فهويتمثل بسهل الحولة . وعلى العكس فان بحيرة الهيجانة ، وتمثل مستوى المجاري المائية الجنوبية الشرقية ، بعيدة نوعاً ما ، مع فارق ارتفاع اقل اهمية .

وغزارة الامطار هي عامل آخر . وهكذا فان من المحتمل جداً إذاً ، والامطار تقل بسرعة فائقة كلما توغلنا في الداخل ، ان يكون للدورة الحالية للحت - التي اصبحت سيطرتها على السفح الجنوبي الشرقي اقل دقة - نصيب ضعيف في تقطع السطح ، الذي تعرض لعدة دورات حتية والمميز للتضريس ، من نصيبها في السفح الجنوبي .

والفوالق العديدة ذات الرميات الكبيرة التي لعبت ثانية خلال مختلف الرسوبات التي غطتها فانها هي ايضا ساهمت في تشويه سطوح الحت والوحدات البنيوية .

آ . دي فوماس يستصغر دور الفوالق ويعتقد ان « الفوالق تلعب دوراً ثانوياً نوعاً ما وانعكاساتها على السطح هي ايضاً طفيفة » .

ومع هذا فان السطوح البنيوية وسطوح الحت ليس بمقدورها لوحدها ان تعطينا فكرة تامة عن تضريس سطحي الحرمون الجنوبي والجنوبي - الشرقي . اذ من الضروري جداً ان تؤخذ اشكال تفصيلية بعين الاعتبار والتي من اهمها واكثرها انتشاراً : هي الاشكال الكارستية .

١ ـ الاشكال الكارستيه .

وتنحصر بخاصة في الكلس الجوراسي والسينوماني والاشكال الاكثر نموذجية موجودة في الاولى بسبب نقاوتها :

اللابييات Lapiez : توجد اينما كان في الصخور الكلسية وبخاصة في صخور الجوراسي . ولا يجدونها دائما بنفس الاشكال اذ انها تكون احياناً على شكل اقنية نحتت بالازميل على سطح الصخر . فهي نادرة في كلس السينومان مما يساعد على تمييزه عن الجوراسي .

الدولينات Dolines : وهي شائعة في طبقات الكلس الافقية او تحت الافقية . . ويلاحظ اختلافات تعود لكون الصخور الكلسية هي جوراسية او سينومانية .

تكون الدولينات عريضة نوعاً ما في الصخور الجوراسية وذات جدر شديدة الانحدار وتكون كلها تقريباً بنفس الحجوم . وفي كلس السينومان تكون اكثر اتساعاً وتتغير مقاييسها اذ انها تكون تارة عريضة وتارة ضيقة للغاية .

البوليية Poljes وتكون بصورة عامة عديدة في الجبال المشرقية وعلى صلة دائمة تقريباً مع العوارض البنيوية : مقعرات او فوالق .

يقع اجملها في شمال الحرمون خارجاً عن حدود حقل دراستنا .

ويبدو ان التضريس الكارستي قد جاوز ، اجمالاً ، المرحلة البدائية دون ان يصل مع هذا الى الطبقات الكتيمة التحتية .

وأخيرا يبدو ان ليس بالامكان تفسير هذه الاشكال الكارستية ، إلتي لم تكن موضوعاً لاية دراسة دقيقة ، دون افتراض وجود مناخ رطب(١) .

---

(١) دريش ورد اسمه من قبل ص /٢٥٠/

٢ ـ الاشكال الجليدية

هذه الاشكال تفرض مشكلة تبقى دائماً بلا حل فيمكننا ان نفترض ان المناخ القديم الرطب كان ايضاً بارداً . يعتقد عدد كبير من المؤلفين انهم تعرّفوا على اشكال تمثل مظاهر «جليدية » في لبنان والسلسلة الشرقية والحرمون . بينما يؤكد غيرهم بشكل قاطع تقريباً ان لبنان والسلسة الشرقية والحرمون لم يعرفوا عهداً جليدياً على الاطلاق . ولكن اذا كان لا يُرى اي شكل لحت جليدي فيمكن ان لم نفترض ان الاشكال الجليدية زالت بسبب كون البنية غير ملائمة لحفظها اوبسبب شدة التصدعات الصخرية الحالية الناجمة عن الاختلاف الشديد بين الحرارة والبرودة ، ان نعتبر على الاقل ان وجود اشكال تضريسية خاصة وينعتونها بالاشكال التي تحيط بالجليديات معقول تماماً .

وبالحقيقة فان الاشكال الوحيدة التي تعزى الى حت جليدي هي حفر دائرية ذات جوانب شديدة الانحدار بامكانها ان تمثل احواضاً ثلجية .

ان المورينات (المجروفات التي ينقلها الجليد معه) فقد ازيلت او انها نقحت بقوة بعمل السيول مما افقدها كل معالمها . ولكن يبدو ان امراً واحداً يبقى مؤكداً وهو ان الكميات الكبيرة من التوضعات البليوسينية والرباعية التي فُرشت على كعب السفح الجنوبي ـ الشرقي للحرمون هي من اصل واعداد ركام حصل بفضل الجليديات تحت مناخ محيط بالجليدي .

واضافة الى ماتقدم فان اشكالاً حالية ناشئة عن ثلج تجمدي في جبال المشرق ، حيث توجد فوارق ملموسة في الحرارة التي تهبط في الشتاء غالباً الى ما تحت الصفر مع استمرار الثلوج عليها من سنة الى اخرى (جبل الشيخ) ، تلعب دورا هاماً في التضاريس ، « عندما يذوب الثلج وفي غضون تهطال المطر الغزير ، فان الحدورات المارنية تتآكل بشدة كلما كانت اكثر جفافاً وغالباً تُثلّم بشقوق ناشئة عن التجفيف وفاقاً للشرائط البتر واغرفية السائدة في فصل الجفاف . كما ان اشكال سيلان التربة Solufluxion والانزلاقات ، والانهار الطينية تبقى مثيرة للغاية »(٧) .

---

(١) دريش ورد اسمه من قبل ص /٢٥١/

٣ ـ انهيالات ومهيلات Eboulements et éboulis

ان الانهيالات في الحرمون اندر بكثير مما كان ينتظر وقوعه حيث تتنضدد غالباً طبقات سميكة وقاسية على ارض رخوة .

ومثلها المهيلات أيضاً فهي محدودة الانتشار وتكاد تكون عديمة الوجود تقريباً في الجوراسي ، ولا تصبح ذات اتساع الا في كعب الجروف الكريتاسية (ابسيانية والبيانية) حيث تكون مع هذا متقطعة . فهي لا تمثل غنصراً بارزاً للمشهد الا نادراً .

وعلى العموم فالطبقات القاسية الكلسية تكون غالباً مجردة من كل التشكيلات السطحية ، فهي تمثل المنطقة الهيكلية او الارض الصخرية بتعبير علماء التربة .

٤ ـ مخاريط التفريغ Cônes de dejection

تؤلف هذه المخاريط الى جانب الاشكال الكارستية ، الاشكال الثانوية الوحيدة التي تكتسب بعض الاهمية . فهي تنحصر بالسفوح المحيطة بالحرمون وبخاصة في سهل الحولة حيث تتوفر شرائط ملائمة جداً لتشكلها : تيارات مائية تنحدر بسرعة من الحرمون والجولان وانقطاع مفاجىء جداً في الانحدار عند كعبه مما يؤدي الى انهاك قوة التيارات ويؤثر على توضع مجروفاتها ، علماً بان الانقاض الغليظة تتوضع اولاً بينما تنقل الاكثر نعوبة الى ابعد نحو المصب .

وكذلك الامر فيما يتعلق في كل من سهل البطيحة الصغير الواقع الى الشمال الشرقي من بحيرة طبريا ، وقاع وادي اليرموك اللذين يكوّنان مستويات اساس لروافدهما السيلية التي تلقي فيهما بحمولتها عند مصباتها على شاكلة مخاريط تفريغ .

مخطط الشبكة المائية وتأثير المياه في التضريس .

الحرمون هو احد الجبال الرطبة في الشرق الادنى . يلعب فيه حت المياه الجارية دوراً هاماً لانتمكن بدونه من اجراء تحليل مورفولوجي كامل له . غير ان جبل الحرمون لايشمل اي مجرى مائي يستحق الذكر .

« تعـرضت المنطقـة الجبلية في لبنان الغربي والشرقي وفي الحرمون لحت منذ نهاية النمولوتي اي منذ ٣٠ مليون سنة .

وكـان الحت اكثـر شدة في المنـاطق التي تسـودهـا تنـاقضـات شديدة في التضريس : في الكسروان ، الى الشمال الشرقي من بيروت وفي الحرمون ودعائمه »[٨] .

لقــد تم الحت بطــرق عدة : نحت الميـاه الجـاريـة ، ميـع الاراضي الغضارية . تفاعل الكلس بالمياه الجوفية وانحلاله .

تفاعل المياه المزودة بـ CO_2 (غاز الفحم) عند اختراقها للكلس يوسع الشقـوق فيصبـح الكلس نفـوذاً للغاية . فيضعف كثيراً لهذا السبب عمل كل من الجريات والبري بالمياه الجارية .

ونجـد ، على العكس ، ان الـبري يظهر مفعوله كاملاً على الاراضي الحوارية والمارنية والغضارية ، ويصبح عمله الحتي تماماً بمَيَع الغضار والمارن الرطبين .

واخـيراً فان الاحجـار الـرمليـة ، رغم كونها نفوذة للماء ، فانها تتفكك بسهولة بتأثير المياه الجارية اذ انها تكاد تكون ملتحمة ببعضها .

وينجم عن هذه التنــاقضـات في تصـرف مختلف الصخـور التي تؤلف الـزمـرة السـتراتيغـرافيـة ان طبقات الكلس السميكة تقاوم الحت بشكل جيد وتسعى بالتـالي للاحتفـاظ بالتضـريس ، بينـما ينجـرف الحجـر الرملي والحوار والمـارن والمـارن الحـواري وتكشفـاتهـا في المسـتوى الادنى تقتصـر على بعض عصيبات ضيقة .

وأثنـاء تآكـل التضـاريس المـرتفعـة ، كانت الانقاض بقسميها الغليظ والنـاعم تنجـرف نحو المنخفضات الداخلية لتردم فيها النقاط الاكثر انخفاضاً محدثـة سهـولاً لحقيـة ردميـة . ان هذا العمـل قد استمـر منـذ بدايـة الميوسين ونُقّحت سهـول لحقية ميوسينية وبليوسينية على التوالي بالحركات مولدة الجبال فانتجت تلالاً .

---

(١) دوبرترية : ملخص الخريطة الجيولوجية بمقياس ١/٢٠٠٠٠٠

تتكشف لحقيات قديمة ميوسينية شاركت بالحركات مولدة الجبال على حافة مرج عيون ، في السفح الغربي للحرمون . فهي الشاهد على دور تشكل اللحقيات في تطور التضريس .

مخطط الشبكة المائية للحرمون اشعاعي : فالأنهار تتجه اعتباراً من منشئها في الحرمون في جميع الاتجاهات . وادي بقروش ووادي عين جديدة يجريان نحو الشمال بينما تجري مياه كفرحور وبيت جن نحو الجنوب الشرقي . والسيلان القديم نحو الجنوب قد انقطع بصبة الوعرة . ووادي العسل ووادي الخشبي يتجهان نحو الجنوب ـ الغربي ووادي شبعة يجري نحو الغرب حتى التقائه بنهر الحاصباني .

ان خط تقسيم المياه يتطابق مع خط الحدود السورية ـ اللبنانية الذي يتبع تماماً خط القمم التي تبلغ ارتفاعاتها من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي ١٧٥٠ ، ١٩٧١ ، ٢٢٦٩ ، ٢٤٦٥ ، ٢٨١٤ متراً .

وفي الحرمون نفسه فان مجاري المياه تكون لاحقة (cataclinaux) وتهبط من الجبل بسرعة حسب ميول الطبقات . يظهر ايضاً التأثير المباشر للبنية (التكتونيك) في الشبكة المائية التي تنشأ بعض اوديتها عن الفوالق والكسورات . واهم هذه الاودية الناشئة عن الكسورات هي : وادي شبعة الذي يهبط نحو وادي التيم ووادي العسل الذي يهبط نحو منخفض الحولة . ان شق شبعة لوحده متبوع بأربعة مجار مائية لاتجري كلها بنفس الاتجاه : فوادي المعابر Maa'ber هو الاول الذي يتبع هذا الشق ليجري فيه من الشمال الى الجنوب منذ راشيا الوادي حتى مرتفع تنورة حيث يغير الاتجاه ليجري نحو الغرب ثم يأتي وادي فيجة àFiga الذي يجري من الجنوب نحو الشمال . فوادي شبعة الذي يجري من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي حتى شبعة حيث ينحرف نحو الغرب ليخلفه وادي العسل الذي يتبع القسم الجنوبي الغربي من الشق حتى منخفض الحولة .

ان الشبكة المائية للحرمون بصورة عامة قليلة التطور . فمحور طية الاعماق لم يُخترق ولا في موضع وتبدي خطوط القاع اجمالاً تكيُّفاً كبيراً مع البنية محتفظة بهذه الخاصة وهي كون العناصر الطولانية هنا افضل انتشاراً مما هي

عليـه في لبنـان . والتكيُّف مع العـوارض البنيـويـة هو أيضـاً نام بالتفصيـل . ومجاري المياه اللاحقة (التي تجري باتجاه ميل الطبقات) هي المسيطرة .

ونجـد على السفـح نفسـه عدة مجار مائية ، تعود الى مستويات اساس مختلفة ؛ لتقارب ذرواتها كثيراً حتى لا يعوذ يفصل بينها سوى نطاق محدود من سيلان تصريف يكتنفه الغموض ويبقى داخلياً (خريطة ٦) .

ان وضعيـة الشبكـة تتيـح لنا التكهن بأسر نهري لصالح المجاري المائية التي تصب في منخفض الحـولـة ، وعلى حسـاب تلك التي تضيـع في الهيجانة والتي هي اسـوأ مصـيراً بسبب بعـد مستوى أساسها ولأن فرق الارتفاع يصبح بالتالي ضعيفاً جداً لاثارة حت تراجعي عنيف .

ان وادي العسل وهو رافد الاردن ، يتمتع بموقع افضل من وادي شبعة ونهر بيت جن . فهو على وشك أسر رافد يساري لوادي شبعة ولكن لذروة نهر بيت جن ايضاً .

وفي الواقع فان تيار وادي العسل سريع جداً بسبب شدة الانحدار نحو خط قاعـه . ان وادي العسـل ينحـدر من ارتفـاع ١٧٦٠ متراً الى نقطـة يبلغ ارتفاعها ٢٥٠ متراً وذلك من الحدود السورية ـ اللبنانية الى سهل الحولة على مسافة ١٢ كم . فيكون متوسط الانحدار بحدود ١٢٫٥٪ .

ان الشبكـة المـائية في الحرمون ليس لها نفس الكثافة في جميع الارجاء . فهي تختلف من موضع لآخر حسب طبيعة الاراضي او بالاحرى حسب درجة نفوذية الصخور (خريطة ٦) .

يتألف الجـوراسي كليـاً في جنـوب الحرمون من صخور كلسية والشبكة المـائيـة فيه قليلة الكثافة بشكل واضح ، غير ان المجاري المائية حفرت خوانق حقيقيـة وهي مميَّـزة للمناطق الكلسية في العالم اجمع : وادي العسل ، نهر عين الحمرا ـ بانياس .

وعلى العكس ، فانـا نجـد في الاراضي الليـاسيـة حيث تتعـاقب فيها الصخـور الكلسيـة مع صخـور المارن الرملية وكذلك في الاراضي الكريتاسية والايوسينية ، ان الشبكة المائية هي أشد كثافة كما ان الخوانق غير موجودة فيها .

تتقطع الشبكة المائية من جراء العوارض البنيوية ، الى احواض مستقلة عن بعضها تماماً . ويتشعب كل مجرى مائي في داخل حوضه الانصبابي ، على شاكلة فرع شجرة .

ونرى في جنوب الحرمون ان تفرع المجاري العليا اقل وضوحاً . فوادي العسل ووادي يعفور لا يمكن مقارنتهما بنهر بيت جن ونهر كفر حور اللذين هما ابعد الى الشمال (خريطة رقم ٦) .

يجفف نهر كفر حور حوضاً قليل الاتساع ؛ والروافد الصغيرة التي تؤلف المجرى الاعلى للنهر تتجه من الشمال الى الجنوب ، ولكن الاتجاه هذا يتغير على ارتفاع ريمه اذ يصبح من الغرب نحو الشرق على طول فالق . ويُدَشّن اتجاه ثالث شمال غرب ـ جنوب شرق على ارتفاع بقعسم ويستمر حتى كفر حور حيث يعود الاتجاه الأولي شمال ـ جنوب من جديد . ويحصل تبديل أخير في الاتجاه على ارتفاع بيت جن ومغر المير حيث يجري النهر نهائياً من الغرب نحو الشرق تحت اسم جديد فهو من الان فصاعداً نهر الاعوج .

وعلى العموم نجد ان الاتجاه الاصلي هو اتجاه شمال ـ جنوب والجريان باتجاه غرب ـ شرق بين عرنة وبقعسم ، مردّه وجود فالق بنفس الاتجاه . اما تبديل الاتجاه الاخير وهو الأهم فإنه ناجم عن تشويش اصاب الشبكة المائية من جراء صبة الوعرة البازلتية الحديثة . ان هذه الصبة الحديثة سدت سيلان المياه التي كانت فيما مضى ترفد اليرموك نحو الجنوب بواسطة وادي الرقّاد الذي كان يصرّف مياه كل السفح الجنوبي ـ الشرقي للحرمون . واصبح مصير المياه التي انحرفت نحو الشرق الضياع في منخفض الهيجانة المغلق .

وفضلاً عن ذلك فان صبة الوعرة قد حرمت الاراضي التي فرشتها ومساحتها ٢٣٠ كم^{٢} من كل تصريف سطحي للمياه . ان هذه الصبة هي التي تفسر قسر الوادي الحالي لنهر الاعوج الذي سير الزامياً نحو الشرق على تماس من الصبة على طول حدوده الشمالية دون ان يتمكن من شق طريق فيها نحو الجنوب حسب الانحدار الطبيعي .

وكذلك فان الصبة الحديثة الصادرة عن تل الأحمر في كعب الحرمون الجنوبي اصابتها نفس النتائج : فقدان كل سيلان سطحي وقسر وادي نهر

الحمرا - بانياس .

والدكتور بردن هدزوجيولوجي انكليزي التبعية ، يطلق على هذه الصبات الرباعية تعبيرا هيدروليكياً (مناطق غير نامية التصريف)| Areas of Underdeve lopped drainage » .

التضريس البركاني للجولان

إذا لم نأخذ بعين الاعتبار سوى السطح الطبوغرافي الحالي ، فان الجولان يصبح منطقة مائدية نوعاً ما ، وذا انحدارين يتجه احداهما نحو الغرب والآخر نحو الشرق . ثم ان هذين السفحين يتقاطعان في داخل الجولان حسب خط ذرى شمال - جنوب يقارب خط تقسيم المياه بين حوض الاردن من جهة وحوض رقّاد من جهة ثانية .

وبالواقع فان الجولان بوضعه الحالي ، عبارة عن هضبة تتعمق فيها الانهار في اودية عميقة تحد المنطقة من الغرب ، والجنوب ، ومن الشرق : وهذه الانهار هي على التوالي : الاردن ، اليرموك والرقاد . وهناك عدة أودية ثانوية وعمودية على الاودية الرئيسة تقطّع أيضاً هذه الهضبة دون ان تتوصل مع هذا الى تشويه السطح المائدي للهضبة تشويهاً عميقاً .

ان هذا السطح ليس من عمل الصبات البازلتية فحسب . اذ ان دور هذه الصبات تمثل في قولبة سطح موجود من قبل ويعود اصله لدورات حتية مختلفة .

يجب ان يكون للجولان اذاً ركيزة مائدية على نحو ملموس . ان صبات الحمم اصابت السطح بحالة كبيرة من الميوعة مكنتها من اجتياح المنخفضات . ومع هذا فقد حافظت على المظهر المائدي السابق . ومخاريط الخبث التي شيدت في المرحلة الاخيرة من البركنة ، وفي مواقع كثيرة من النقاط المصفوفة حسب شقوق اتجاهها : جنوب شرق - شمال شمال غرب لم تتمكن هي أيضاً من ازاله المظاهر المائدية للجولان .

وهكـــذا فان تضـــريس الجــولان مدين يوجــوده للصبـات والاجهـزة البركانية . ولهذا فانه يصبح من المعقول ان نبدأ بدراسة البركنة التي تدين لها منطقتنا بسماتها المميّزة .

آ - البركنة :

يبـدومن المؤكـد ان الـبركنـة السـورية كان لها اصـل تشققي . « ان اختـراق الكسـورات التي ينعتـونهـا بالافريقية ، لسوريا رافقه تدفقات بركانية كبيرة ، قد يكون لها صلة ايضا بنهوض جبال الانصارية ولبنان والسلسلة الشرقية .

لايمكننا في الوقت الراهن ان نجزم بارتباط الفعالية الاندفاعية في البلاد حصـراً على الكسـورات اذ اننـا لا نعلم بالواقع مافيه الكفاية عن بنية ما تحت الارض حتى ولا البركنة » [1] .

وان التـوزع العـام للاندفاعات البركانية في سوريا واضح تماماً . فهي كما يشـير الى ذلـك آ . دي فومـاس « تقـع كلهـا الى الشمال والى الغرب من الـركيـزة السـورية : فهي بالتالي على صلة مع النقاط التي اصاب الركيزة فيها أشد التضعضع ، ومع منظومة الكسورات التي تعرضت لها على طرفها المتوسطي» [9] (نسبة الى البحر المتوسط)

إن مراكـز التـدفق البركاني في الجولان مصفوفة غالباً على طول الشقوق ذات الاتجاه جنوب جنوب شرق - شمال شمال غرب حيث يُفسر كل من المنشأ والاتجاه بضعضعة الركيزة السورية على حافتها وانهيار قطاع هامشها تحتها .

والـدكتـور صفدي يتطرق في اطروحته الى علاقة الاندفاعات البركانية مع انهيار الاردن [10] . فهو يرى مع الاستاذ دوبرتريه ، ان التشققات التي هي

---

(١) دوبرتريه : دراسة المناطق البركانية . ذكر من قبل ص ٢٧٥

(٩) دي فوماس : بنية الشرق الادنى ص ٣١٢

(١٠) د . شفيق الصفـدي : هيـدرولـوجية الأراضي البركانية السورية الجنوبية .

ثانـي ١٩٥٦

في اصل الصبات لها كلها نفس الاتجاه : جنوب جنوب شرق ـ شمال شمال غرب . وتؤلف منظومة مختلفة عن فوالق البحر الميت والاردن ذات الاتجاه شمال ـ جنوب . فتوجد ولاشك مضاهاة بين البركنة وانخفاس البحر الميت .

ومع ذلك فانه يبدو ان فوالق الاتجاه جنوب جنوب شرق ـ شمال شمال غرب هي سابقة للفوالق شمال ـ جنوب ويمكن التساؤل عن سبب كون البركنة هي ايضا قليلة الانتشار على طول فوالق البحر الميت والاردن ذات الاتجاه شمال ـ جنوب .

ويورد الدكتور صفدي ايضاً فقرة مستنبطة من كتاب التكتونية لـ ج . غوغل . « ان فعالية بعض البراكين يمكن ان يكون لها رد فعل يحصل ببعض تشوهات في القشرة تقابل بخاصة انهيار سقف الخزانات المهلية التي انسكبت منها المهل على السطح ».

ويستخلص الدكتور صفدي من هذا العرض : « وترانا هكذا مسوقين ، بسبب عدم وجود معطيات اخرى عن القضية الى القبول بفرضية كون انهيار وادي الاردن والبحر الميت حصل نتيجة اندفاعات حوران البركانية ، فهو اذن لاحق لهذه الاندفاعات » .

وفضلا عن ذلك فانه يبدو ان المؤلف وقع في تناقض مع استخلاصه هذا اذ انه يرى في موضع آخر ان « الصبات التي نوه بها الجيولوجيون والواقعة الى الشمال من بحيرة طبريا ، تعود في اصلها الى انسكابات الجولان ». وبالواقع فان حدور انسكابات الجولان في وادي الاردن يتطلب ، وخلافا لما يراه الدكتور صفدي ، ان يكون هذا الوادي سابقا للبركنة اوعلى الاقل انه انهار بنفس الوقت الذي حصلت فيه انسكابات الحمم : لتتمكن هذه الاخيرة من الوصول اليه قبل تبردها .

ونضيف بان الامر لا يتعلق ابداً بوجود انهيار . فوادي الاردن بين الحولة وطبريا هو واد قسري بسيط سابق التكوّن ، ومحفور في الصبات البازلتية بتأثير تغيرات لمستوى الاساس (البحر الميت) والمسبب عن تحولات مناخية أو بتأثير الحركات الهبوطية . ان مصاطب الحفر وهي صخرية ومتدرجة والتي نراها في هذا القسم من الاردن ، لا تترك اي مجال للريب في اقرار المنشأ القسري لهذا

الوادي وتبعد كل فكرة تتعلق بالانهيار.

لقد ظهرت الفعالية البركانية بادوار ناشطة تفصل بينها ادوار استراحة. وبالواقع فانه يمكن التمييز بين اربعة ادوار للانسكابات البركانية. وقد سماها بردن بالاحرى، B1,B2,B3,B4 وقدمها بمقطع جيولوجي (رسم رقم٥). اما M.V فرولوف فقد ميّز هو ايضاً اثناء حفر آبار في حوران انواع البازلت التي تعود الى ثلاثة اطوار مختلفة من النشاط البركاني. ويفترض ان الطورين الاولين كانا متقاربين نوعاً ما بينما حدث الثالث بعد فترة زمنية كبيرة. ولم يأت على ذكر الطور الرابع لان البركنة الرباعية لم تظهر على الحقل الذي تمت الحفريات فيه.

والصبة الاولى التي يصفها بردن بـ B1 فاننا نتعرف عليها بضواحي الكسوة وجبل المانع. وقد تعرضت لحت متقدم قطّعها لاشكال متبقية. لقد خرجت هذه الصبة من سلسلة شقوق فاعطت زمرة من الجبال تفصل حوض نهر الاعوج عن حوض نهر الهرير رافد اليرموك.

والصبة الثانية B2 غطت مسافات شاسعة. وكانت مائعة للغاية وذات منشأ تشققي.

لقد وصلت نحو الجنوب حتى اليرموك الذي امتلأ سريره باللابات التي تمكنت حتى من اجتيازه لتتوزع محلياً على الضفة الجنوبية (رسم ٦و٧).

اما موضع الشقوق التي اعطت هذه الصبة، فلم يعد بالامكان كشفه.

وفي غضون الادوار الهادئة التي اعقبت النشاطات البركانية الحادة انتشرت مستويات كبيرة من الغضار. غير ان الغطاء الغضاري لم يكن متواصلاً، ولم يكن له في جميع نقاطه نفس السماكة: فهو في الحفر اكبر مما هو عليه في القمم. والصبات اللاحقة استحجرت، في شمال الجولان، الترب التي هي الآن طبقات متداخلة في الصبات على شاكلة عصيبات غضارية ناجمة عن فساد البازلت ومعلّمة لمستوى حتي.

والصبـة الثالثـة B3 انتشـرت في البليـوسـين من مراكـز بث الجـولان الشـمالي . وكـانت اقـل ميوعة من سابقتها ، ولهذا السبب لم تصل الى جنوب الجـولان ، مما يفسـر ، كما سنـرى ، وجود تربة متطورة حتى مرحلة النضج في هذا الجزء المسمى بالزوية . وكان مسعى هذه الصبة قليلة الميوعة هو التصلب بسـرعـة ، مما ادى الى اعـادة سد الشقوق والمداخن التي سلكتها اللابة لتصل الى السطح .

وهكـذا نرى ان بركنـة الجولان اخذت صفة انفجارية برزت من خلالها مخاريط من الخبث الاحمر او الاسود تمثل مقذوفات الطور الاخير من البركنة .

ان هذه المخـاريـط الاضـافيـة التي تعلو الغشاء البازلتي للجولان ترسم خطاً للذرى باتجاه جنوب جنوب شرق ـ شمال شمال غرب وتؤلف بالتالي خط تقسيم المياه الحالي بين حوض الاردن من جهة وحوض رقّاد من جهة ثانية .

كان الاندفاع قبلاً من نموذج تحت هاوائي مما لا يعطي سوى لابة تكون بحـالـة غليـان في الفـوهـة حيث تطفـح منها بهدوء . وفي البليوسين اصبحت البركنة انفجارية فانتقلت الى النموذج السترومبولي والفولكاني .

«تصعـد الـلابـات الى السطـح كما يفور الحليب على فرن مطبخ « دي لابارانت » او كما يتدفق الخمر من زجاجة شمبانيا منساقاً بفقاقيع غاز الكربون .

وحـين وصـول الحمم الى فتحـة الفـوهـة فان الغازات تشق طريقها في اللابة المائعة فتحمل معها انقاضاً مؤلفة من الرماد واللوبيات . وبقدر ماتكون الـلابـة مائعـة تضعف مقـاومتها لخروج الغازات ويكون الانفجار اقل عنفاً . وعلى العكس ، اذا لم تتمكن الـلابـه من الـوصول الى قمة الجبل البركاني ، فان ضغط الغازات على جوانب البركان ينتهي بالتغلب على المقاومة ويحصل تدفق من خلال شق لاتلبث فتحته ان تتحول ، بتأثير الانفجارات المتتالية الى فوهـة ومخـروط اضـافي » . هذا ماحصل في البليوسين في بركنة الجولان . فقد اصبحت الـلابـة اقـل ميـوعـة وشُيِّـدت مخاريـط الانقـاض الـبركـانية نتيجة الانفجـارات المتتـاليـة التي قذفت احجـار خفـان وجـلاميـد وقنـابل ولوبيات بالاضـافـة الى الـرمـاد . « ان طبيعـة المـواد المقـذوفـة تختلف حسب نمـوذج

الانـدفـاع : فهنـاك غلبة للرماد البركاني الناعم والخفان في النموذج الفولكاني وغلبـة للمـواد الغليظـة في النمـوذج الستر ومبولي . وهكذا فان معظم مخاريط الجـولان وجبـالـه الـبركـانيـة تدخل في صف النموذج الستر ومبولي اما تل ابو الندى ، وتل فاذارا وتل الفرس فهي من النموذج الفـولكاني .

والصبة الاخيرة B4 هي رابعية . فهي تملأ المناطق المنخفضة لتختلط مع التـوضـوعات البحيرية والنهرية . يميز دوبرتريه بين بازلت الهضاب الذي غمر مشهداً مخدداً ويعود لعصر النمولوتي وبازلت الاودية كالذي يوجد في وادي الـيرمـوك . بازلت الهضـاب يمكن ان يكـون ميـوسيني اوبليوسيني - وبازلت الاودية هو رباعي .

غير ان الـلابـات الرباعية التي تغطي مساحات واسعة هي التي تدفقت من حدر (الوعرة) وتل احمر .

ان جيمـع هذه الصبـات ذات نضـارة خارقـة لانهـا لم تتأثر بعد بعوامل التجـويـة تأثـيراً كبـيراً . « فتظـاهـراتها تجعلنا نرجع تاريخها الى البارحة نظراً لنضـارة اشكـالهـا ولكن اذا كان من المحتمـل ان تكـون الصبات قد استمرت حتى ماقبل التاريخ فانها لم تحصل في غضون تاريخنا ولا حالياً »[11] .

وعلى العكس ، فان آبل يرى ان « النشاط البركاني الذي ظهر هنا وهناك في غضـون العصـر التـاريخي قد امّحى الآن . ومن المحقق وجود ينابيع معدنية دائـماً على تخوم المنطقـة الـبركـانيـة التي تهمنـا (وآبـل يهتم أيضـاً بمنطقـة الجولان) . كما ان الهزات الزلزالية تحتل مكاناً مرموقاً في تظاهرات القوى الطبيعية » .

وبالواقع فان البركنة في منطقتنا قد اوقفت نشاطاتها الرئيسة ، منذ زمن طويـل ، وظـاهـراتهـا حالياً هي الينابيع الحارة المعدنية الغنية بالغازات وبالمواد المعـدنيـة ، وتضم معهـا حادثـات ديناميكيـة داخليـة تتمـركـز على خطـوط التخلصـات الى القـرب من بحيرة طبريا وفي وادي اليرموك . وتقدم لنا محطة ميـاه الحمـة المعـدنيـة الحـارة الشهـيرة مثـالاً جيـداً على ذلك . فالمياه الحارة والمعدنية تبنبع من عدة ينابيع ذات حرارات متفاوتة بالاضافة الى تمعدن غالباً ما يكون كبريتياً حيث يتوضع الكبريت بحرية حول منابعه الحارة .

II ـ تضريس الجولان البركاني

وهكـذا نرى ان الجـولان يصبـح هضبـة بنيـوية والاجهزة البركانية التي تسيطـر عليـه هي ايضـاً بنيوية وبالواقع ان الاشكال المشتقة نادرة للغاية وحتى عديمـة الـوجـود ، اذ ان التطـور المورفولوجي لا يزال قليل التقدم ودورة الحت الحـاليـة التي تصنـع التضريس لاتزال في مرحلة الشباب . فالأجهزة البركانية التي توجد حول القنيطرة لاتزال تحتفظ ببكارتها . وأغشية المواد الخطامية النارية لاتزال على وضعها البدائي منذ توضعها .

والى الشمال الشرقي من الجولان وخارجاً عن حقل دراستنا فان التطور المـورفـولـوجي هو اكثر تقدماً . اذ يصبح بالامكان التعرف على اجهزة بركانية قديمـة متقطعـة تلاشى منهـا مخروط الخبث ـ وتلال الكسوة شاهدة على ذلك حيث يمكن رؤ ية البازلت على جبل المانع بسماكة ٣٠٠ متر .

وهضبـة الجـولان الـبركـانيـة البـازلتية هي على وتيرة واحدة رائعة فلا تقطعها مخاريط الانقاض الاضافية ولا الأودية التي تقطّع الجولان على اطرافه الى سلسلة موائـد منعـزلـة . وهكـذا فانـه يتوجب التمييز بين اجهزة البراكين وصبـات الحمم حيث تنجم ، الفوارق المورفولوجية الوحيدة التي تبديها ، عن اختلافات في العمر او عن تغيرات مناخية .وبالتالي عن درجات متفاوتة من الفساد

آ ـ موروفولوجية الصبات البازلتية .

للركيزة الرسوبية تأثير أعظمي على مورفولوجية الصبات البازلتية ، غير ان هذا التأثـير يبقى عاجـزاً لوحـده عن تفسـير اوضـاع مختلف الصبات تحت الافقيـة والمنضـدة فوق بعضهـا وكذلك توازيها . وبالواقع فانه يجب اخذ كيفية احتلال الصبات لمواقعها بعين الاعتبار .

لما كان الانـدفـاع البركاني قليل الانفجار ومن النموذج تحت الهاوائي ، كان عطـاء الـبركنـة عبارة عن صبات غزيرة وكثيرة الميوعة . وقد انتشرت هذه الصبـات ، اعتبـاراً من مركـز بثّهـا ، مزودة بسـرعـة كافيـة لغمر المقعرات مع تحاشي التلال ، كما يفعل اي سائل آخر ، وقد اعطى هذا النوع من ا[illegible]ئق ، بسبب تصلب الـلابة ، سطحاً تحت افقي . والصبات اللاحقة انتشرت على هذه المنطقة الممهّدة سابقاً فزادت بالتالي أفقية السطح الاعلى والنهائي .

ان هذه البنيـة المـائـديـة واضحـة للغـايـة على سطوح الاودية العميقة (يرموك ورقّاد) حيث تمكن الحت الخطي من اقتطاع مختلف هذه الصبات .

وتُظهـر دراسـة تكشفـات البازلت على سفوح هذه الاودية ، انه يمكن للصبـة الـواحدة ، ان تبدي ، بوجه عام ، مستويين مختلفين : مستوى اعلى مكون من بازلت فقاقيعي ، ومستوى ادنى مؤلف من البازلت المتماسك .

« وجـود هذين المستـويـين ناجم بخـاصـة عن انطـلاق الغازات المهلية عنـدمـا تكـون الـلابـة على وشـك التبريد ، وبالواقع ، فان التبريديبدأ من القسم العلوي للابـة التي تصبـح تدريجيـاً اكثـر لزوجـة . وفي الـوقت نفسه ، تنطلق الغـازات من الـلابـة : حتى اذا ما اصبـح سطحها صلباً تقريباً ، فانها تترك فيـه فراغـات فقّـاعيـة بعـد انطـلاقهـا . امـا الغازات الموجودة في القسم الادنى ، الـــذي مازل يحتفـــظ ببعض الميــوعـــة ، فانها تسلك طريق القسم العلوي من الـــلابـــة بهدوء وفي النهـايـة فان الصبـة تتصلب بكليتهـا معطيـة المستـويـين المختلفين »[١٢] ويمكن ان نضيف بان المستوى الاعلى يكون غالباً خبثيـاً . ان هذا التمييـز بين بازلت فقّـاعي وبازلت متماسك هام ، اذ ان ذلك يلعب دورا كبـيراً في تفتت الصخـور وتفككهـا وبـالتـالي في مورفـولـوجيتها . وبـالفعـل فان القسم العلوي هو الـذي يجب ان يتفكك بسرعة نسبية . والمياه التي تخترق الثقـوب تلعب دوراً رئيسـا بخاصة اثناء الجمد وهو كثير الشيوع في شمال الجولان .

---

(١٢) الـدكتـور شفيق صفـدي : هيـدرولوجية الأراضي البركانية السورية الجنوبية اطروحة دكتوراة في العلوم . نانسي ١٩٥٦ .

وهكذا فالصخور تتفكك والثقوب السطحية تملأ بقسيمات متبقية ناعمة وتنمو بالتالي الحزازيات على هذه السطوح الصخرية مؤدية الى زيادة الفوارق المورفولوجية بين البازلت الفقاعي والخبثي والبازلت المتماسك .

لما كانت عملية التفتت الميكانيكي والتفكك الكيميائي لبازلت الجولان هي حالياً نفسها في مختلف اجزاء المنطقة ، فان تحول مظهر الصبات المورفولوجي منوط بشكل رئيسي بتأثير العمر من جهة ، والتغيرات المناخية التي حصلت منذ عصر البليوسين من جهة اخرى . وهكذا فاننا نجد على الصبات الميوسينية والبليوسينية والرباعية ثلاثة اطوار مختلفة لتفتت البازلت وتفككه . .

والصبات الرباعية هي الأقل تطوراً (الوعرة) بسبب حداثتها ولكون المناخ الحالي اقل رطوبة مما كان عليه في القديم . فهذه الصبات لاتزال في مرحلة التصدع البنيوي الذي يتمثل بشبكة شقوق (فصمات) تقسم الكتلة الى متعددات الوجوه ومواشير . .

« نلاحظ في الصخور البركانية بصورة دائمة تقريباً ، انفصالاً واضحاً تماماً وغضاً . كما هي الحال في الصخور الصوتية وبخاصة صخور البازلت التي تظهر مجزأة الى مواشير سداسية القاعدة وعمودية على سطح الصبة . ان منشأ هذه البنية الخاصة والحاصلة اثناء التبريد ليست موضحة تماماً . وقدموا لتفسيرها فرضية الشقوق التقلصية ، غير ان البازلت يتمدد في غضون التبريد . ويبدو ان تشكل هذه المواشير يعود الى تيارات الحملان التي توجد بين سطح اللابة ، الذي كان يبرد بسرعة ، وبين الاقسام الداخلية التي تظل محتفظة بحرارة مرتفعة »[١٣] .

وبالواقع ، فان كل ما ورد ذكره اعلاه ، يمكن ان نتبينه بوضوح ، في صبة (الوعرة)الرباعية ، فالصبة التي كانت تبرد تدريجياً اثناء انتشارها نقلت معها قشرة بحالة « نصف صلبة ونصف لزجة » كانت تنسحق وتلتوي وتتكسر

---

(١٣) ش . بوميرول وفورييه : الصخور الاندفاعية .

الى قبب مخلعة يبلغ ارتفاعها بسهولة (٥ ـ ١٠) امتار . ثم ان البازلت قد تقسم ، خلال تبرده ، الى مواشير في الطبقات العليا السطحية والى متعددات الوجوه غير متميزة في الاعماق .

ان مظهر (الوعرة) المشوش واضح تماماً على طريق القنيطرة ـ دمشق والى القرب من سعسع فالسطح معرّى وفيه وعورة من جرّاء تلال صغيرة تفصل بينها احواض تركد فيها مياه الامطار الشتوية حتى بداية الصيف . فالبازلت متشقق بشكل كثيف ، وهذه حقيقة ، ولكن الشقوق قد سدّت في قعر الاحواض ، بغضار متآت من حصيلة تفكك السطح الصخري وقد جلبته المياه مما جعل قيعان هذه المنخفضات كتيمة أي غير نفوذه .

اما البلاطة البازلتية فانها مقسمة الى مواشير صغيرة ومضلعة متماسكة او مفككة حسب درجة التفسخ موضعياً . وتأخذ هذه الاعمدة الموشورية اوضاعاً عمودية على السطح الخارجي . والعوامل الجوية للتفسخ تفصل المواشير عن بعضها . فالجلاميد المنتزعة تصبح مدورة ببطء شديد . والاقسام المعرضة منها للهواء تكتسي غشاء رقيقاً رمادياً بينما يبقى السطح المستقر على الارض سليماً ، مالساً ذا لون قاتم . وباختصار فانه يظهر في هذه الصبات انفصال بنيوي وميكانيكي نام نسبياً بيد ان فسادها الكيميائي بالمقابل بقي بطيئاً للغاية مما ادى الى فقدان كامل للتربة .

اما الصبات البليوسينية وهي اقدم من السابقات فقد وجدت في الماضي تحت مناخ رطب . مما ادى الى نشاط الفساد . فتحررت المواشير وعديدات الاوجه وتقطعت بالاضافة الى تعرضها للفساد وتغطيتها بتربة قاتمة اللون . تغطى هذه الصبات عادة بتربة عميقة نسبياً . هذا وان غنى البازلت بالاسس يجعلها قابلة للتفكك بسهولة . فالاوجيت وهو فلز نموذجي للبيروكسين وفيه نسبة مرتفعة من CaO و MgO يتلاشى كليا في الاراضي المتطورة . والبازلت يعطي التربة المسماة بالليمون وهي غضارية بجوهرها مع قليل من المرو ونسبة عالية من العناصر الحديدية التي تلونها .

(سنجد هذه الصفات في دراستنا للتربة)

وفي الجـولان ، وهي منطقـة تتمتـع برطـوبـة جوّية مرتفعة نسبياً ، فان الصخـور السطحيـة تفسـد خارجياً وعلى عمق بضع ميللمترات . والسطح المعرض للهواء يكون خشناً ذا لون رمادي فاتح ، وتغطيه احياناً الحزازيات والسطح المستقر على الارض يكون على الاغلب مالساً .

امـا الجـلاميـد ، التي كانت بالاصـل موشـوريـة وزاوية الاطراف فانها تصبح مدورة . إذ ان الرطوبة بالواقع تلعب دوراً هاماً في تفتيت البازلت .

والبـازلت هذا هو نفـوذي بمجمله بسبب تشققاته ، والماء يخترق كتلته ليملىء الفصمات والثقوب الفقاقيعية . والجمد الليلي كثير الحدوث في الشتاء في الجولان ، والمياه التي تتسرب في الكتلة البازلتية تكون مزودة بقوة ميكانيكية كبـيرة وتكـون قادرة على تجزئـة الكتل الصخرية لتحولها الى جلاميد ، وقطع تترقق اكثر فاكثر بالعملية ذاتها ، لتعطي بالاشتراك مع التفكلك الكيميائي ، تربة غضارية قاتمة اللون او كستناوية تتوزع عليها جلاميد وحجارة بازلتية .

والقسيـمات الاكثـر نعـومـة في هذه الـترب الغضـاريـة ، تجرفهـا على المنحدرات مياه التصريف . غير انها بقدر ما تستقر في موضعها بقدر ما تتوطد علاقـة ثنـائيـة بين الـتر بـة والاحجـار التي تحتـوي عليها . وهذه الاخيرة اي الاحجـار تحول الى حد ما دون جرف الـتر بـة التي باحتفـاظها للرطوبة تسهل عملية تموّه البازلت مما يؤدي الى تشكل غشاء اصفر على الاغلب وناعم وقابل للنزع ، حول القسم المغموس دائماً في التر بة .

وتمارس المياه الجارية ، بجرفها للانقاض ، نوعاً من الاصطفاء : فهي تهتم بالقسيمات الـدقيقة لتوضعها في الاماكن المنهارة . اما الاحجار المتبقية في مواقعها فانها تؤلف ما ندعوه بـ « حقول الحجارة » المشهورة في الجولان .

وعلى هذا النحـو يتحقق المظهـر المـورفولوجي المألوف في الجولان ، اي تواجـد مواد حطـاميـة ونتـائـج الفسـاد الكيميـائي ، على نفس الحقـول او الساحات . (انظر مصور لوحة III ، ۱ ، ۲ ، ۳) .

ومن هذه الزاوية ، تطرح في هذه المنطقة (شمال الجولان) قضية التر بة الـزراعيـة فالحقـول الـزراعيـة غارقـة بجـلاميد ذات مقاييس متفاوتة مما يجعل الحراثة عسيرة ، اذ ان هذه الحجارة تحول دون عمل سكة المحراث بحرية .

وتبرز ، في بعض الاماكن ، قبب لاتزال على اتصال ببعضها وقد لا يبقى منها احياناً سوى النواة المتماسكة للصبة .

والفلاحون يقومون بحملة عنيفة لمنع « تدفق » الحجارة ، وقد تمكنوا من تحرير مساحات زراعية واسعة . فالحجارة المنتزعة تشكل كومات او جدراً صغيرة . ثم ان هذه الحقول المحررة من الحجارة لا تلبث ان تنتشر فيها الحجارة هنا وهناك من جديد فيما بعد . ان حادث « تدفق » الحجارة هذا بالنسبة للفلاحين يمكن تفسيره بتصفية مستمرة للجزيئات او بانزلاق التربة الذي من شأنه اظهار الاحجار التي كانت تحت التربة .

وهناك مشهد آخر للدور الهام الذي تلعبه الرطوبة في تفكيك اللابات يكمن في واقع « ان الجلاميد تظهر فيها احياناً اعداد كبيرة من الثقوب تتراوح اقطارها من ٢ الى ١٠ سم ويصل عمقها الى ١٠ سم . وقد نميل بادىء ذي بدء الى اسناد هذه الاشكال الى عمل الانسان . غير انها تتأتى بالواقع من تفكك مغازل فقاقيعية موجودة في كتلة اللابة المتماسكة . وهذه المغازل تشكلت من انطلاق غازات موجودة في اللابات اللزجة وتمددت فيما بعد .

وعندما تكسرت اللابات المغزلية الشكل الفقاقيعية بشكل مائل لاتجاه سيلان الكتلة اللزجة ثم انتصبت فيما بعد فان مياه الندى والامطار اصبحت تركد في اقسامها الاسفنجية مثيرة تفكك المغازل السريع الذي يؤدي الى تشكل الثقوب »(١٤)

تكون تغيرات الحرارة بين الليل والنهار كبيرة جداً . فشمس الصيف الحارقة في النهار ، تسخن جلاميد البازلت السود بشدة ، وفي الليل تهبط بالمقابل ، الحرارة بتأثير الرياح البحرية الرطبة التي تجلب الندى . فتغيرات الحرارة تؤثر ، ولو كان هذا التأثير ضعيفاً ، على تفكك الصخور . ويكون تأثير الحرارة مرتفعاً طالما بقي المناخ اكثر رطوبة .

ففي الجولان ، وهي منطقة ذات جو رطب نسبياً ، نجد ان حقول

---

(١٤) دويرتريه : دراسة المناطق البركانية ص ٢٩٩ .

الـلابـة تحتـوي على جلاميـد مدوّرة ، ذات مقاييس متنوعة ، وتكون مدفونة بقسم منهـا احيـانـاً تحت التربة السمراء ، بخلاف ما هو عليه الحال في حرّات المنـاطق البـركـانيـة الجافة حيث نجد الجلاميد موضوعة ببساطة على الارض وبعضها قريب من بعضه الآخر .

ومع هذا فالجلاميد المعراة شائعة في الجولان . وهذا ليس مردّه الى مياه السيـلان او انـزلاق الـتربة فحسب بل الى عمل الرياح ايضاً التي تهب بشده بخاصة في الخريف . فهذه الرياح الاعصارية تجرف التربة المعراة من غطائها النبـاتي ، وتمتص تربـة المنحـدرات المحولة سطحياً الى غبار ناعم حتى تصل الى تعرية تامة للحجارة .

لاتكـون ألـوان الـتُرب ، وهي حصيلة تفكـك الـلابـات ، واحدة في كل الاماكن ؛ فهي سمراء قاتمة اوكستناوية في الشمال الرطب وسمراء او صفراوية في الجنـوب الاقـل رطـوبـة . يؤدي غسـل الاراضي بميـاه السيـلان الى جرّ الغضـار ؛ وهذا الغضار يتوضع في قيعان الاودية والاحواض . والغضار الذي تجمعه الاهالي يستمعل لصنع بعض الفخّاريات . وشراكس المنطقة يصنعون منـه افـرانـاً صغـيرة للخبز وجرّات للمياه . غير ان رقع الغضار قابلة الاستثمار تجارياً معدومة .

ان الصبـات الميـوسينيـة في جنـوب الجـولان (الـزويّـة) ، وهي اقدم الصبات في جميع المنطقة ، تظهر تفككاً متقدماً نوعاً ما . فالتربة عميقة للغاية ولانرى فيها الاحجار الاعتيادية ، وحتى ذات المقاييس الصغيرة .

ان هذه الـترب النـاضجـة «للزويّـة » هي حصيلة تطـور طويل بدأ في الميـوسـين . وقـد نجت هذه التربة من التحجر بتأثير اللابات البليوسينية التي حصلت في شمال الجولان .

ويمكننـا ان نضيف الى تاريخ التطـور الطـويـل تأثـير الادوار المناخية القـديمـة الرطبة ، والملائمة للتفكك . ويجب التنويه ايضاً بعنصر ثالث ، وهو ميل المنحدرات مما يساعد على بقاء التربة في مواقعها دائماً ، وهذا عامل ايضاً ملائم للتطور البيدولوجي .

ان هذه « السهـول » الحقيقيـة ذات الـتر بة العميقة الخالية من الحجارة والملائمة لزارعة الحبوب تقابل نوعاً ما الحقول كثيرة الحصى والوعرة في شمال الجولان .

ب ـ مورفولوجية المواد الحطامية النارية.

ان جميع المواد الحطامية النارية التي تقذفها البراكين الانفجارية كبراكين الجـولان ، تتميـز عن اللابة بكونها فقاقيعية عامة . فهي من ناحية بتر وغرافية اقل تبلوراً ايضاً وتؤلف تقريباً من الزجاج فقط .

ان التعـريف البـتر وغـرافي للخبث يميـل لاجل ذلك من الاقتراب من تعريف الزجاج البركاني . ان الخبث ، بالنسبة لعلماء المورفولوجيا ، يبقى مع هذا ، تسمية تعود لمظهر العناصر التي يتألف منها الصخر ، وتنطبق على جميع المواد الفقاقيعية المقذوفة ، باستثناء الرماد الناعم . وهذا يساعدنا على تسمية المخاريط المؤلفة من مختلف المواد المقذوفة بمخاريط الخبث .

ان تاريـخ مخاريـط الخبث يعـود الى نهايـة البليـوسين ، وهذه المخاريط تحدد ، كما مرّ معنـا ، مرحلة الـبركنة النهائية في الجولان ، . اذا ما تركنا بعض الاندفاعات الرباعية على حدة .

ان هذه المخـاريـط التي احتلت مواقعهـا بالانفجارات البركانية ، تعود من حيث المنشأ الى التشققـات التي تدفقت منهـا صبـات الـلابات وتقع على صف واحد بالاتجاه جنوب جنوب شرق ـ شمال شمال غرب .

اما تضريسها فليس بالشديد ولا يقطع مشهد اللابات الرمادي .

ان اعلى نقطـة لسلسـة جبـل بريغا البركاني ، وبئرعجم التي تقع الى شمال (تل هزيكـة Hazzike) لا تتجـاوز ١١٥٨ متراً . بينـما تبقى الاراضي المحيطـة بها بحـدود ٩٥٠ متراً . فيكـون اذا ارتفاع تل هزيكة بحد ذاته هو في حدود ٢٠٠ م . فالقيـاسـات تتحـوَّل حتى في داخـل زمرة معينة . اما نصف القطر فهو بحدود نصف كليو متر على العموم والارتفاع لا يتجاوز غالباً ٢٠٠ م .

غير ان لهذه المخاريط البركانية ، على الرغم من ارتفعاتها الضعيفة ، شكلاً دقيقاً ومتميزاً عن تجعدات الصبات .

ونضيف بان هذه الاجهزة قد حفظت سالمة ، بسبب عمرها الذي يعود الى نهاية البليسوسين من جهة والى وجود غطاء حراجي كثيف كان يغطيها حتى تاريخ حديث .

لقد تهدم هذا الغطاء بعمل الانسان على الاخص . فالاشجار المقطوعة لاتنبت من جديد بسهولة في الشرائط المناخية الحالية التي هي اقل ملاءمة من التي كانت سائدة خلال ادوار الرباعي الممطرة .

وبالواقع فاننا لا نرى اي اثر للتخديد على المخاريط التي مازالت تحمل اشجاراً ، بينما نرى المخاريط التي فقدت غطاءها النباتي قد خددت ؛ والاخاديد نراها في تل يوسف وتل الخنزير معرّاة تماماً .

ويمكننا ان نجزم ، بناء على المعطيات الحالية ، ان جميع المخاريط البركانية في الجولان ، تحتفظ ايضاً بالاشكال البنيوية الاولية كاملة . فهذه المخاريط تستقر على هضبة بنيوية تدفقت عليها الصبات في دور سابق كان الاندفاع فيه من نوع تحت هاوائي .

ومن زاوية الدراسات البركانية ، يمكننا ان نصنف مخاريط الخبث في زمرتين : « تختلف طبيعة المواد ، حسب نموذج الاندفاع : في النموذج الفولكاني تؤلف غالبية المواد من رماد ناعم وخفان . وفي النموذج الستر ومبولي تؤلف غالبية المواد من مواد غليظة » وبحسب هذا المعيار ، فان معظم المخاريط والكتل البركانية هي من النموذج الستر ومبولي .

وقد لاحظوا على هذه المخاريط وجود مختلف العناصر النارية الحطامية التي تقذفها عادة اندفاعات ستر ومبولية من خبث ، قنابل ، لوبيات ، ودموع . . الخ .

غير انه توجد ايضاً بعض الامثلة على النموذج الفولكاني في الجولان : تل ابو الندى وتل الآرام وتل فاذارا وتل الفرس . فهذه المخاريط مؤلفة بصورة

رئيسة من المواد الناعمة (رماد) ومن خفان . فتل ابو الندى محاط بالرماد البركاني (لوس بركاني) المنضد على شكل طبقات افقية تماما . ان هذا اللوس البركان يعطي طبوغرافية تتجه نحو المائدية اذا كان التوضع غزيراً . وهذا ما نلاحظه في السهل الصغير الذي يحيط بالمخروط موضوع بحثنا .

ان تركيب الجهاز البركاني هو ايضاً معروف . ومن السهل ان نفحصه في تل الفرس بسبب كثرة المغاور التي حفرها الانسان في كعب سطحه الشرقي ، لاستخراج الرماد البركاني منها والمعروف تحت اسم الرمال ، واستعماله في ترميم طرقات المنطقة غير المزفتة .

والرماد الخفيف والهش يتبدل لونه ، فيكون تارة اسمر وطوراً اسود . وتتداخل طبقات من الخبث الاسود بين الرماد بشكل موازٍ لسفوح التل .

يفسد رماد الفوهة ليتحوَّل الى تربة بنفسجية اللون ، باستثناء ما كان منه على الجدار الغربي ، المحمي من الامطار الغربية ، حيث يكون لونه اسمر . تحيط بكتلة رماد تل الفرس بقسمها السفلي حقول من البازلت الفقاقيعي استخرج منها الانسان منذ القدم : انصالاً ذات سطوح حادة استعملها في الزراعة .

ويمكننا ، من الناحية المورفولوجية ، ان نتبيّن عدة فوارق شكلية بين هذه الاجهزة البركانية . فبعضها بدون فوهات « كان ستوبل قد لاخظ ان الفوهة بنموذج البركنة السوري قد توجد وقد لا تزجد ، وعلى كل حال فهي ليست سوى تابع ليس له اهمية بالنسبة للاندفاع الذي نميّز فيه فقط الاطوار الاخيرة .(١٥) » .

وبالواقع ، فان مخاريط الخبث هي غالباً بدون فوهات .

والمخاريط التي لها فوهات هي مخاريط الرماد من النموذج الفولكاني .

وهذه يمكن تقسيمها الى نموذجين فرعيين : نموذج ذي فوهة منتظمة ، ونموذج ذي فوهة شرماء .

---

(١٦) ج . دريش .

وتـل الفـرس هومخروط من الـرمـاد في ذروته فوهة نموذجية يبلغ قطرها ١٥٠ متراً وعمقها ٢٥ متراً . وبحيرة الجولان الوحيدة وهي بحيرة مسعدة او بركة رآن ، ليست بالواقع سوى مغيض (مستودع صغير) اقيم على فوهة قديمة .

ويتمثـل النمـوذج الفـرعي الآخـر ذو الفوهة الشرماء بتل ابو الندى وتل الفاذارا حيث نجد اختلافاً في الاتجاه . ويبدو لنا ان الرياح لعبت دوراً مؤكداً في اشـادة هذه المخـارط من الرماد (فولكانية) وفي اتجاه شرم الفوهة . وتكون المنحـدرات الشـرقيـة في جميـع هذه المخاريط ، ذات ميول اشد من المنحدرات المقـابلة للريـاح المسيطـرة الغـربيـة . وكانت الرياح خلال الاندفاعات واثناء اشـادة المخـاريـط تدفـع الـرماد والانقاض نحو الشرق لتشيد منها سفحاً هاوياً على شاكلة الكثبـان . ان هذه المخـاريـط ذوات الفتحـات الشـرم تشبـه كثيراً برخـانـات آسيـا الـوسطى . (لوحـة مصـورة ١٧ ـ ١) . غير ان الشبه ليس تامـاً ، اذ ان اتجـاه الفوهة الشرماء هو نحو الرياح بسبب غزارة الرماد المقذوف من جهة ومدة الاندفاع القصيرة من جهة ثانية . وتكفي عدة ايام واحياناً يوم واحد لتوضع رماد على ارتفاع مئة متر تقريباً . ويبدو ان الفوهة الشرماء لتل ابو الندى وتل العرام الواقعين الى الشمال الغربي لها علاقة بالرياح الشمالية الغربية المسيطرة التي تهب بعنف على هذه المواقع بعد اجتيازها فتحة مرجعيون . واننا بالاعتماد على نفس الاسباب ، نتبيّن توضع الرماد الى الجنوب الشرقي من تل ابـو النـدى فقـط . ان الـريـاح هي التي نقلت الرماد ووضعته . غير ان وضع الرماد بشكل صفوف افقية متطبقة بانتظام يجعلنا نفكر ان الترسيب حصل في الماء . كما يجعلنا نفترض بالتالي وجود بحيرة في مكان الرماد ذاته وتظهر الصبة البـازلتيـة السليمـة من جديـد تحت هذا الرماد الذي تبلغ سماكته عشرين متراً تقريباً . وكذلك فان اتجاه فوهة تل الفاذارا الشرماء نحو الجنوب الغربي تجعلنا نفكـر ايضـاً بالرياح الجنوبية الغربية التي تسيطر على هذه المنطقة تهب بعنف فيها بعد اجتيازها سهل اسدريلون وسافلة اليرموك .

ان هذه العلاقة بين الرياح والفوهات الشرم لدليل على ان المناخ لم يطرأ عليه اي تغيير وان الرياح لم تغير من اتجاهها منذ ظهور هذه المخاريط من الرماد .

وجـــديـر بنـا ان نسـترعي الانتبـاه الى حادث أخـير وهـو ان الاجهـزة الـبركـانية او مخاريط الخبث التي تكثر في شمال الجولان ، وبخاصة في ضواحي القنيطـرة ، تصبـح نادرة اكثـر فأكثر وتصغر حجومها كلما اتجهنا نحو المنطقة أي نحو الزاويّة .

فالمشهـد المـائـدي هو إذا اكثـر تأثـراً الى الجنـوب من منطقتنـا . اما في الشـمال فان المخـاريط والكتل الجبلية الخبثية يضفيان على المنطقة مشهداً وعراً نوعـاً ما (خريطـة رقم ٣) . وعلى وجـه الاجمـال ، فالشـمال هو اكثر ارتفاعاً واعتباراً من تل عكاشة حتى اليرموك ، لاتوجد اي ذروة على ارتفاع ١٠٠٠ م والارتفاع الوسطي للزاويّة هو بحدود ٥٠٠ م

هذا واذا كان القسم الشـمالي من الجـولان ، يتميّـز بتكـاثـر المخـاريـط الـبركـانية ، فان القسم الجنوبي يتميز بالمقابل بتعدد اوديته العميقة : فالزاويّة هي بلد الاوديـة . وهـذه الاخـيرة بالـواقـع وفـيرة وعميقة وبخاصة تلك التي تتوافد على اليرموك والاردن .

من الضـروري القيـام بدراسـة خاصة للاودية ، وتطوراتها والتضريس الذي نجم عن ذلك .

ج ـ رسم الشكبة المائية ونظام الأودية .

يبـدو وجـود واقـع غريب في الجـولان : وهـو فقـره بمجـاري مياه هامة بالنسبـة الى تهطـال الامطـار السنـوي الـذي يتلقاه من جهة ووجود اودية غير متنـاسبـة من حيث كونها عريضة وعميقة بالنسبة لما تجلبه كميات المياه الضئيلة التي تجري فيهـا من جهـة ثانيـة . غير ان هذا الـواقـع سهـل التفسير : فمياه الامطار بدلاً من ان تجري على السطح تتسرب في الاراضي التي تتمتع بنفوذية على نطـاق كبـير بسبب تشققـات البـازلت ونفـوذيـة المواد النارية الحطامية . والاوديـة الكبـيرة مدينـة بوجودها لمناخ قديم رطب ولتبديل مستواها الاساسي الذي من شأنه ان يعمل على شن حت تراجعي عنيف .

ان جميـع السيـلان والـرشـاحـة في الجولان مآلها في النهاية الوصول الى اطرافه عن طريق مجموعة من الاودية تفرّغ المياه وتلقي بها في البحر الميت عن

طريق نهر الاردن الذي يؤلف المجمّع النهائي للمياه التي تصرّفها الشبكة المائية للمنطقة .

ان مجموعة الاودية هذه التي تقطع الاكمة البازلتية لها اهمية كبيرة .

ومن الناحية المورفولوجية ، فان المنطقة مدينة بتضريسها الى هذه الاودية اكثر من اي عنصر آخر . وشأن هذه الاودية في الهيدروغرافيا هو ايضاً رئيسي : فتجمعات المياه الترشيحية والسيلانية تحصل عن طريق هذه الاودية . ثم ان دورها في النشاط البشري ، وبخاصة في تربية الابقار يجب الانساه . فالاودية العميقة هي الاماكن المختارة لتشتية الماشية . فالحيوانات تجد فيها ملجأ ساخناً في الشتاء بينما يخيم على الاكمة برد قارس . (صورة لوح IV ، ٢)واذا نظرنا الى خط تقسيم المياه لرأيناه يتمثل بخط ذي اتجاه شمال غرب ـ جنوب شرق . فالمياه تتجه على هذا النحو الى الغرب والى الشرق ، لتتوزع وقتياً بين الاردن ورقّاد .

تكون المياه الغربية اغزر من الشرقية واكثر ملاءمة للحت لانها تنحدر في صدع وتجري على السفح الغربي للجولان . وبالواقع ، فان مياه السيلان هذه حفرت اودية عميقة واقتطعت المنحدر الشديد للصدع الى وُجُن متطاولة مشكلة مشط سمك حقيقي .

والمياه الرافدة للرقّاد وهي اقل حظاً من حيث الطبوغرافية والهواطل فقد اقتصرت اعمالها على تخديد ليس بالشديد تماماً لكن لامجال للمقارنة بينه وبين الحلوق والخوانق الحقيقية العمودية على وادي نهر الاردن . وهذه الاودية تفرض ، اينما وجدت ، قضية عامة وهي قضية منشئها ، فهل هي من منشأ تشققي ؟ وهذا الاحتمال وارد ، فيما يتعلق بوادي الاردن ، إذ انه يمكننا ان نعتبرة ، مع الانهيارات ، بمثابة واد منهار .

غير اننا نتساءل : ألم يحصل تخلُّع للركيزة السورية ايضاً في الاتجاه الغربي ـ الشرقي ؟ وهل لم يؤد هذا الأمر الى حدوث تشققات عرضانية امثال وادي اليرموك وغيرها من الاودية العمودية على وادي الاردن ؟ .

فهل هي حصيلة الحت الخاصة ؟ يبدولنا انه طبيعي تماماً . اذ ان مياه السهول التي تصب في الاردن وفي اليرموك اضطرت الى حفر خوانق بالنظر

للتفـاوت الكبـير في الارتفاع بين الهضبة ومستوى الاساس المتمثلين في الاردن واليرموك انفسهما .

فالاوديـة الـرافـدة تمكنت هكـذا من دفـع رؤ وسهـا بحت تراجعي ، فالتعمق المستقيم رافقـه تطـور في السفـوح . وانتشـرت منـافـد لاحقـة عنـد مصبـاتهـا : وادي الهـوى ، وادي الصفـا ، وادي الدالية ، وادي الشيخ علي ووادي السمك (خريطة رقم ٧) .

أليست هذه المجمـوعـة من الاودية الـرئيسـة والـرافـدة من النمـوذج الفرضي ؟ ومما لا شك فيه ان هذه الاودية وجدت منذ الميوسين وصبات الحمم عملت على ملئها .

غير ان المنطقـة التي لم تصـل الى حالـة الاستقـرار بعـد كانت عرضـة لحركات توازنية ادّت الى رفعها بمقابل هبوط البحر الميت الانخفاسي بالوقت نفسه وقد زادت من جراء ذلك فروق الارتفاعات بين رؤ وس الاودية ومستوى الاساس ، فتعمقت الاودية مقتطعة الصبات البازلتية وتوصلت الى حز الركيزة نفسها ، ونكون هنا امام حادث سبق التكون . (Antécedence) . وبمنـاسبـة هذه الاودية ، فاننا نرى ضرورة التنويه بحادث آخر ، وهو ان المياه التي تسيل حالياً ليست متناسبة مع اسرتها .

ففي هذه الاوديـة الكبـيرة ، تجري ماعـدا الشتـاء ، انهار صغيرة ليس بوسعهـا اشـادة مثل هذه الاودية . من المعلوم انه يلحق بهذه الاودية فيضانات كبيرة ، لكنها تبقى بسبب كونها وقتية ، غير قادرة على القيام بعمل حتي على هذا المقياس .

وبـالـواقـع فان هذه الاوديـة تشهـد بوجـود دور ماطر سابق على الاقل ومما لا شك فيـه ان الاردن مازال يحتفـظ بمنـاسيب غزيـرة ومنتظمـة الى حد ما . ويحتفـظ بقـدرة على النقـل والحفـر . لكن الاوديـة الرافدة فقدت هذه القدرة وتحجـرت سفـوحها وكذلك اسرّتها تحت الانقاض المتراكمة التي لم يعد بامكان المياه الحالية جرفها .

ومما يبدو غريباً ايضاً وجود اكبر الاودية في جنوب الجولان ، في الزاويّة ، حيث تقل كمية الامطار . وفيضانات الاودية في الشتاء ، مهما بلغت شدتها ،

تبقى عرضيـة ، والحت الطـولاني يصبـح متقطعاً اويتلاشى برمته . اما الحت الجـانبي ، وهـو ذات ارتبـاط بالحت الطـولاني الذي هوبالتالي ضعيف ، فانه يسيطر مع هذا ، لان الحمولة تسعى للتغلب على شدة التيار على السفح او في أسرّة الأودية ، والردم يصبح ذات اهمية بقدر ما تكون الشبكة في الغالب ، ذات صرف داخلي .

وبصـورة عامـة فان الغطاء البازلتي يحفظ للسطوح انحداراً كبيرا وحتى رأسيـاً كما هي الحـال في وادي التايم (سافلة الرغاد) . ان نحت السفوح يتم بصـورة رئيسـة ، بالانهيالات واستطراداً بالمهيلات والكدرات (صورة لوحة V ٢،١) اننا نرى بالقرب من ذروة الافريز ، تشققات عميْقة وموازية للاودية ، وهـذه التشققـات من شأنها ان تجنب الجلاميد الكبيرة الانهيار (صورة لوحةV ١) والانقاض تحجّر (اوتستحث) اسفل المنحدرات (صورة لوحةV ١) . والانهيالات تكثر نحو السافلة حيث يسهل العمق حدوثها او بالاحرى يحرض على ذلك .

ان ما اوردناه اعلاه يفسر لنا قلة تطور مجموعة الشبكة المائية . فمجاري المياه مؤتلفة كلها مع البنية . فهي تتبع الانحدار الذي تظهره البنية ، وتكون اذا كلها جداول لاحقة ، باستثناء اليرموك الذي يعتبر جدولا تابعاً .

على انه لايمكننا ان نعود بتاريخ تطور الشبكة المائية الى مابعد العصر الميوسـين . فالجـداول كانت في هذا لعصـر ، جداول لاحقـة وكـانت تجري حسب الانحدار الذي كانت عليه البلاد اثناء نهوضها .

فكـل هذه الاوديـة كانت غارقـة في الـلابات البازلتية المائعة التي كانت تقـذفهـا بركنة شديدة . والمياه الغزيرة اقتطعت الغطاء البازلتي ، مستفيدة من فروق الارتفـاع الكبـيرة لمستـوى اسـاسها . وهذا الغطاء يمثل الافريز الحالي الذي يتوج ذروة السفوح .

وصبات الاودية التي ذكرها دوبرتريه ، عادت للظهور مجددا في الرباعي وسـدت ، مرة ثانيـة ، اوديـة الجـولان . وقد اقتُطعت هذه الصبات ، خلال دورتـان للحت ، أثـاره تغـير مستـوى الاسـاس ، نتيجـة انخفـاس اوتبديل المناخ ، مما ادّى الى اقتصار هذه الصبات الرباعية على جدار بازلتي جديد ذي

مستوى اخفض من المستوى الأولي الذي هو افريز القمة .

والجدران البازلتيان المتدرجان يظهران بخاصة في اليرموك وفي الرغّاد الادنى . وان البازلت هو الذي يعطي لهذه الاودية مظهرها المورفولوجي المتميز .

ان الشبكة المائية مشوشة بقسم منها . وان اسلوب المنخفضات المغلقة هو السائد في سوريا . فبعض المنخفضات التي تعود للميوسين الأعلى حصلت بالصرف الخارجي حتى البحر . وبعضها الآخر امكن جمعه مع بعضه كتلك التي يصرفها نهر الاردن حتى البحر الميت بالرغم من وجود حاجز من المخاريط اللحقية الجانبية او صبات من اللابات تسد ايضاً بحيرتي الحولة وطبريا .

اما اسباب التشوش فهي متنوعة وقد سبق لنا ان شرحنا في مكان آخر دور صبات النوعرة وتل احمر التي تعود للحقب الرابع . « لقد تمكنوا من الادعاء ، وان كان واقع الاحتمال ، ان منطقة دمشق جرى صرفها نحو اليرموك والاردن ، وان اماكن التدفقات البركانية المحلية ، تدفقات الجانب الشرقي للحرمون ، وحوران ، وجبل العرب ، كانت في الاصل عبارة عن احواض بحيرة الهيجانة وبحيرة العتيبة حيث تضيع فيهما مياه نهر الاعوج وبردى[١٦] .

غير ان اهم احواض هذه المنخفضات لها علاقة مع التشوهات التكتونية ، مقعرات ، فوالق او حفر كما هي الحال في منخفضات الحولة وطبريا وكذلك في المنخفضين اللذين يجمعهما الرغّاد وهما : حيدور والنقرة . غير ان عدم انتظام الشبكة المائية بسبب اللابات ، وتواتر الاحواض لا يمثلان المشهد الوحيد الكلاسيكي لتضريس الجولان ، فسفوح الاودية شديدة الانحدار لدرجة تكاد تكون رأسية بالاضافة الى السطوح البنيوية الثابتة والمتمثلة بالافاريز تعتبر هي ايضاً مشهداً آخر مميزاً للتضريس وكلاسيكياً .

---

(١٦) ج . دريش .

اما السطوح البنيوية او افاريز الذرى البازلتي فيظهر انها محصنة ضد التفكك الكيميائي وحتى ضد التفكك الميكانيكي ، واما المهيلات الناشطة حالياً فتبدو مع ذلك انها تكون اكثر ندرة بقدر مايكون المناخ اكثر جفافاً . ان ضعف الحت الجانبي يعود الى نفوذية البازلت الكبيرة المسببة عن كثرة تشققاته . (صورة لوح IV ، ٢) . وكذلك الى جفاف المناخ بخاصة في الزاويّة واخيراً الى وجود تربة عميقة متطورة حتى مرحلة النضج والتي تمنع السيلان وتحمي الصخر الام ذا السطح المستوي من عوامل التجوية .

تكون سفوح الرغّاد واليرموك رأسية تقريباً . فهي تتطور ، كما هي الحال في المناطق القاحلة ، دائماً وبالتوازي مع نفسها .

وادي الاردن

يمثل اهم وادٍ في منطقتنا من ناحيتين : المورفولوجية والهدرْولوجية . فهو عنصر رئيسي في مورفولوجية الجولان من حيث سفحه الشرقي وقاعه وروافده . غير انه اذا كان المراد بوادي الاردن ، شكلاً تضريسياً ناجماً عن نحت الارض بالحت النهري ، فان وادي نهر الاردن يجب ان يتقلص بواد عميق وضيق ، ذي طول يبلغ ١٢ كم ويمتد من الحولة حتى بحيرة طبريا .

ان لمنخفضي الحولة وطبرايا منشأ مستقلاً عن النهر والبحيرات التي تحافظ عليها مياهها . ان هذا الجزء من المنخفض الوسطي السوري - الفلسطيني السابق لنهر الاردن بزمن طويل ، مدين بمشهده الى تخلعات وانهيارات او الى التواءات وتجعدات ، والى الترسيب البحري والبحيري والى حت الاودية العرضانية التي وجدت قبل الجدول الرئيسي .

« ان مجرى الاردن لم يشيد الا اعتباراً من نهاية البليوسين واستتباب المناخ الحالي إذ عندهما فقط اخذ النهر بالتعمق .

لقد كان لحركات الارض الحديثة ولتغيرات المناخ خلال البليوسين تأثير على مختلف مناظر الشرق الاوسط ، وهذا التأثير يجب الّا نهمله . وبالواقع فقد سبق لنا ان ألمحنا الى هذه الحركات وهذه التغيرات العائدة للرباعي .

وزيـادة في الـدقـة والايضـاح ، فاننـا نقتبس عن استـاذنـا ج . دريش المقطـع التـالي « ان من السهـل تحديـد دور حركات الارض وتغيرات المناخ في الامتـداد الشـمالي للانهـدام ، في حفـرة وادي عرابـة ، في البحـر الميت وفي الاردن ، بفضـل توضعـات الـردم القـارية ، وجهود عدد كبير من المؤلفين ، مبيّنة على الاخص بـ م . بلانكنهورن ول . بيكار .

ففـي الحفـرة التي كانت تهبـط على مراحـل في الميـوسـين والبليـو فيـلافـرانشيـان امتد بحر داخلي من البحر الميت حتى بيسان نحو الشمال وعلى ٣٠٠ كم خلال البليـوسـين الادنى . وكـان المنـاخ السائد رطباً بما فيه الكفاية وحاراً او على الاقل نصف جاف اذا استندنا الى طبيعة التوضعات الصخرية وعـالَم السهب الحيـواني الـذي وجـد في المنطقـة (نظـام ممطـر A لبيكـار) وفي المنخفض البحيري العذب نجد تراكماً ، من الاحجار التجمعية والرملية ومن صخـور كلسيـة بحـيرية عذبة (مجموعة سمره) مستقراً لا على التوافقق على التوضعات النيوجينية .

فهـذا الـتراكم يؤلف مصطبة الاردن العليا . غير انه اصاب هذه المصطبة العليـا ، اثنـاء عصـر الاكـاليـان وخـلال المـرور من البلستـوسين الادنى الى البلوستـوسـين الاوسـط ، تشـوه واقتطـاع بفـوالق ، بينما تقدمت صبات جبل العرب وحوران البازلتية حتى الحفرة ، عازلة بحيرة الحولة عن بحيرة طبريا . مما يجعل دراسة المصطبة العليا دقيقة ويفسر بالوقت ذاته اختلاف وجهات النظر في التفسير بين بلانكنهورن وبيكار . ثم ان المناخ زاد ايضاً في تجففه ، وقد اثار رجـوع الحت وتجفف المنـاخ هبـوطاً في مستوى البحيرة استمر حتى بدت معالم نظـام ممطـر ثان (الممطـر ، B لبيكـار) وهـذا النظام يتطابق مع البليستوسين الاوسـط من الاكـاليـان الاعلى إلى المـوسـتر يان الادنى . والبحر الميت كان اصغـر مما هو عليـه حاليا والانخفاض قد ردم جزئياً بالاحجار التجمعية لجزيرة ليـزان ، بينـما نجـد اذا صعـدنـا اكثر نحو الشمال ، ان مخاريط من اللحقيات كانت تتعـاقب مع توضعـات من السبخـة . وقـد تمكن بلانكنهورن من تحديد مصطبة وسطية . قد رافق الحركات الارضية من فوالق ضعيفة المدى ونهضات محليـة مرة اخـرى ، تجفف في المنـاخ بلغ ذروته في نهاية الموستريان وفي غضون

البليستوسين الاعلى . ثم حصلت ذبذبة اخيرة رطبة (الممطرج) تفسر توضع التشكيلات الحطامية الحديثة . ولم يتألف مجرى نهر الاردن ويبدأ بالتعمق الا اعتبارا من نهاية البليستوسين وتوطيد المناخ الحالي »[١٧].

وهكذا نرى ان وادي الاردن عاش تاريخاً طويلا معقداً اشتركت خلاله في احداث الحركات الارضية كل من التغييرات المناخية والتدفقات البركانية . ومن هنا تنشأ صعوبة التفسيرات .

وفسرّت المصاطب الثلاث المعترف بها من قبل بلانكنهورن وبيكار على وجه مخالف . فبينما يرى الاول فيها مصاطب ردمية متعلبة بانتظام منذ بداية الرباعي . فان الثاني يرى فيها مصاطب حتية صنعها نهر الاردن الذي حفر واديه ، على مراحل تبعاً لهبوط مستوى اساس البحر الميت اعتبارا من البلوستيسين الاعلى . يبدو لنا ان اختلاف وجهة النظر في التفسير متأت من واقع قيام الباحثين بدراسة مصاطب نهر الاردن في قطاعين مختلفين من الوادي . وبالفعل يمكننا ان نجد في نفس الوادي وبآن واحد مصاطب حتية متدرجة نحو العالية ومصاطب ردمية متعلبة نحو السافلة .

فهل يمكن تحقيق وجهات النظر بين الباحثين بلانكنهورن وبيكار على هذا الاساس .

ونرى في اطار حقل دراستنا ، ان المصاطب المرئية في وادي نهر الاردن بين بحيرة الحولة وبحيرة طبريا ، هي مصاطب حتية من صنع النهر الذي اضطر الى اقتطاع هذه المستويات الحتية بالترابط مع تغيّرات مستوى اساسه .

ان اول منبسط او قطاع من وادي نهر الاردن هو سهل الحولة الذي يبلغ طوله حوالي ١٥ كم وعرضه ٧ كم . انه سهل تراكمي نهري حقيقي ومستنقعي بقسمه الاكبر وقد انتشر فيه البازلت .

هذا ولّما كانت التشكيلات اللحقية غليظة في جزئه الشمالي فان السهل يظهر انحداراً شديداً نسبياً . والارتفاع ينقص تدريجياً من ٢٠٠ الى ٨٠ متر

---

(١٧) دريش . ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨

على مسافة ٦ كم ، فيكون الانحدار الوسطي بحدود ٢٠ / ٠٠ (عشرون درجة بالالف متر) .

واسرة مختلف المجاري النهرية الرافدة للاردن ، تشكل فيه اذرعاً غير ثابتة على شاكلة شبكة معقدة تحصر جزراً صغيرة . « هذا هو نموذج سرير ذي اقنية متشابكة »[١٨] . وعند منفذها في السهل يضعف الانحدار فجأة وتتغلب الحمولة على الاستطاعة يؤدي الى ان توضع المجاري المائية الانقاض ذات الحجوم الكبيرة من حمولتها على شاكلة مخاريط تفريغ .

وفي كعب المنحدر الذي يشرف على هذا السهل من جهة الجولان تلتحم مخاريط التفريغ مع بعضها لتشكل احدوراً لحقياً يحدد منحنى التسوية رقم ٨٠ اتجاهه .

واعتباراً من ملتقى الجداول الثلاثة المؤلفة للاردن ، يصبح سرير هذا النهر على نفس ارتفاع البحيرة ، اي على ٧٠ م مما يساعد على رؤ ية افقية السهل ونعومة القسيمات المؤلفة له .

وهناك منحدران يشرفان على سهل الحولة من الشرق والغرب غير ان تفسير وجودهما يختلف حسب النظريات التي عرضناها بصدد البنية الجيولوجية للمنطقة التي نقوم بدراستها ، وان المنحدر الشرقي فقط هو وحده موضع اهتمامنا هنا .

ليس لهذا الجرف نفس الاتجاه ولا نفس الانحدار في جميع ارجائه . فالصبة الرباعية التي تدفقت من تل الاحمر وغطت الطرف الشمالي قضت على كل سيلان سطحي واضعفت الميل الوسطي الذي اصبح بحدود ٥ر٨٪ وحتى ٥٪ عل ارتفاع زاوره . وبقطع النظر عن الصبة الحديثة واعتباراً من الرشايلة يعود الميل ليشتد تدريجياً بينما تقوم الاودية باقتطاع المنحدر .

وعلى ارتفاع القسم الجنوبي من بحيرة الحولة ، يصبح الميل بحدود ١٩٪ ، ونلاحظ في هذا المكان بالذات ظهور عدة سطيحات على السفح شديد الانحدار . واذا تتبعنا منحني التسوية الذي يحمل رقم ٤٠٠ م على

---

(١٨) ج . تريكار و م . روشفورت

اعتبـار انـه يشكـل اطـارا لذروة السطح ، امكننا التمييز بين ثلاث سطيحات تظهر بوضوح الى الغرب من دبورة ويقال عنها انها عبارة عن درجات فالقية . وبالواقع فهي درجات كاذبة تتأتى من تجزئة الغطاء البازلتي اللزج عند سقوطه على جانب المحدب المصندق .

وبعـد خروج نهر الاردن من وهـدة الحولة فان اول مستوى ذرى لسفحه الشـرقي وهـو منحني التسـويـة ٤٠٠ م ، يبتعد نحو المشرق ويصبح الانحدار اضعف من ذي قبل اذ يكون بحدود ١ر٥٪ على ارتفاع قرية العامودية . لكننا نجد بالمقابل ، ان السرير الصغير للنهر قد تعمّق وضاق الوادي مما لا يبقى مجال لمقـارنتـه بانخفـاض الحـولة الذي يبلغ عرضها ٧ كم تقريباً . . ان المنبسطات موجودة حالياً ، ولكن المقصود بها هذه المرة هو السطوح الحتية التي المحنا اليها اعـلاه . فاعـلاهـا اكثرها اتساعاً ، واوسطها ضيق . واما السفلى فهي حالياً منـاطق زراعـة الـرز . وقـد اضطروا ، نظراً لضعف ارتفاعها ، لجلب قناة لها مشتقـة عن نهر الاردن الى الشـمال من علمـين ، ولا نلاحـظ هذه المصطبـة الاخيرة على السطح الفلسطيني . اما خط قاع نهر الاردن فهو مخمر تقريباً تحت رواق من اشجـار الغـابة . وقد نتأثر الّا يكون هذا الوادي الكبير من صنع نهر الاردن في الشرائط الحالية للهيدرولوجيا والمناخ .

وخط القاع يصل ارتفاعه عن سطح البحر الى الصفر على بعد (٥)كم نحـو سافلة بحـيرة الحـولـة ، وذا تقـدمنـا (١٢) كم تقريباً الى الجنوب ، فان مستوى بحيرة طبريا يصبح اقل من ٢١٢ متراً .

وفـرق الارتفـاع هذا يكفي وحـده لتفسـير تعميق وادي الاردن في هذا القطاع . فالوادي يبدي ،عدم تناظر واضح ، والسفح الغربي اعلى مع ميل لطيف ، بينما يظهر السفح الشرقي على شاكلة سفح شديد الانحدار .

وسرير النهر يزداد اتساعاً كلما تقدمنا نحو الجنوب . وعلى ارتفاع كراعنة ينفتـح الـوادي عل سهـل لحقي ، هو سهـل البطيحة . وهذا يمثل سهلاً اخر لتراكـم نهري يتفـرع عنـده الاردن الى عدة اذرع غير ثابتـة تعـزل بينهـا جزيرات : وهنا نكون ايضاً امام سرير ذي اقنية متشابكة .

ومع ذلك فان لهذا السهل اللحقي ميلاً كبيراً اذا ما قيس بميل السهول اللحقية الواقعة على سفح الجبل او بمستوى الاساس ، وهذا الميل يصل الى ٣٢ بالالف .

والسهول الصغيرة التي تمتد على اطراف البحيرات التي شكلها الاردن ، باستثناء سهل ليزان الجاف ، هي ذوات خصوبة غزيرة ولا ينقصها الّا ان يصار الى استثمارها ضمن خطة معينة : وهذه هي حال سهول ارض الحولة والسهل النهري لبحيرة طبريا .

ان هذا السهل الأخير الذي تثير تسميته فكرة المستنقع ، يتسع الى الشرق من مصب الاردن في بحيرة طبريا على طول ٦ كم وعرض ٢ - ٥ كم . ان المياه الناشطة لعدة اودية (وادي الهوا ، وادي الصفا ، وادي الدالية ، وادي الشيخ علي) قد وضعّت فيها لحقيات غنية يقوم البدو بزراعتها (تلّاوية) كمزارعين (مرابعين) لكبار الملّاكين المقيمين في دمشق .

يروى السهل بقناة « الافريتية » مشتقة من الاردن ، والاراضي السود المبللة واللزجة ، والمزروعة بالبازلت ، تصبح بالقرب من البحرة ، مستنقعات خصبة بالحميات المؤذية .

الى الجنوب من البطيحة ، واعتباراً من وادي السماك الكبير ، تقوم هضبة الجولان البازلتية بحصر بحيرة طبريا عن قرب ، ويكون ارتفاع الهضبة في هذه المنطقة ضعيفاً بحدود ٢٠٠ م الى الجنوب من وادي السماك و ٣٠٠م في ضواحي كفر حارب . ومع ذلك فان الانحدار يصبح شديداً للغاية بسبب هبوط البحيرة بمقدار ٢١٢ م تحت مستوى سطح البحر مما يجعل فرق الارتفاع ٥٧٢ م الى القرب من عمرة عزالدين . واعتباراً من وادي السماك وباتجاه الجنوب يصبح الانحدار على اشده واكثر من اي نقطة اخرى . ويكون له ، من وادي السماك حتى اليرموك ، خطاً مستقيماً تقريباً لا يخترق الّا في موضع واحد حيث تنعزل فيه اكمة الحصن الشهيرة بمشاركة مياه الواديين : عنجف والجاموسية .

غير ان المقطع الجانبي للحدور ليس مستقيماً ، اذ انه يقتطع بمنبسطات هي بالتأكيد تقريباً درجات الفالق : ويلزمنا ان ننزل اربع درجات لنذهب من

سكوفية الى بحيرة طبريا علماً بان قرية بئر الشغوم الصغيرة تقع على الدرجة الثالثة منها . ان الدرجات الاربع مغطاة بالبازلت الذي تظهر تحته صخور تجمعية تعود للثلاثي والكريتاسي الأعلى . ونجد ، تحت الكونغلوميرا اي الصخور التجمعية التي تحمل البازلت مشكلة معه افريزياً ، نجد التشكيلات الرخوة من المارن والحوار التي تظهر انحداراً لطيفاً تتكشف عند اسفله صفوف اكثر قساوة ، تؤلف على الاغلب من الكلس كما انها تشكل جروفاً صغيرة متدرجة .

والى القرب من شاطىء بحيرة طبريا وفي مكان ليس ببعيد عن الدرجة الدنيا ، ترتفع تلة فوق اللحقيات : تتألف هذه التلة من تشكيلات رخوة في الاعلى وصخور كلسية في الاسفل . ويكون ميل هذه الطبقات ظاهرياً نحو الغرب . فهي تلة شاهدة بقيت في موقعها بعد نراجع جرف الفالق نحو الشرق . وتلة قلعة الحصن محاطة بارض حوارية بيضاء حُفر فيها الواديان اللذان يقطعانها ويعزلانها عن المنحدر . ولا تزال التلة تحتفظ بتاجها البازلتي الذي يضفي عليها مظهراً مائدياً .

فالبازلت يشكل درعاً واقياً يحول دون انهيار الحوار وتصبح السفوح بالتالي منتصبة .

يصل ارتفاع هذه التلة الى ١٣٢ متراً بينما تبلغ قمة الحدور الرئيسي ٣٠٠ م تقريباً . . وهذه الوضعية تثبت ان تلة قلعة الحصن لم تكن تؤلف جزءاً من الحدور الرئيسي بل درجة من الفالق . وهناك تلال اخرى فقدت غطاءها البازلتي فتعرضت بالتالي لمهاجمة الحت العميق لها وهذا هو الحت الذي اقتطعها باخاديد تفصل بينها اعراف حادة ، وهذه اشكال مألوفة في الاراضي الحوارية والمارنية .

والى الجنوب من قلعة الحصن ، يصبح الخط الطولي للحدور مستقيماً وباتجاه شمال ـ جنوب دون ان تقتطعه الاودية لان تهطال الامطار يتناقص في هذه الاماكن قليلة الارتفاع وسيئة التعرض للرياح البحرية الماطرة الجنوبية الغربية .

وتقع كفر حارب على قمة انحدار الانهدام تماماً ، وفي منطقة نكشف منها حفرة طبريا بكاملها (صورة لوحة 1, VII) . والى الاسفل بـ ٢٠ متراً تقريباً وعلى منبسط وبالاحرى على درجة من فالق انتشرت عليها جلاميد بازلتية ، تتفجّر الينابيع التي تُحمل مياهها الى القرية على ظهر الحمير .

وتقوم النساء ، اقتصاراً للجهد والوقت ، بحمل غسيلهم لغسله الى جانب النبع وعلى البلاطات الصخرية البازلتية . (انظر لوحة 2, VII)

ونجد الى الاسفل ، درجة ثانية زرع سطحها البازلتي بأشجار الكرمة والتين ، كما ان الحدور الحواري الذي يأتي تحتها قد تغطى بغطاء نباتي وطوعي .

ومن الممكن رؤية التلال المنعزلة في اسفل الحدور وعلى مقربة من البحيرة .

ثم ان هذه المشاهد نفسها تتكرر مع نفس المنظور في عمرة عزالدين . واعتباراً من هذه المزرعة ، تبتعد البحيرة نحو الغرب مع ازدياد تقليصها لتشكل رأسها الجنوبي ، مما يسهل انتشار سهل ثالث لحقي تستغله المستعمرات الصهيونية استغلالاً كثيفاً . كما انتشرت في السهل هنا وهناك احواض اصطناعية خصصت لتربية الأسماك .

وادي اليرموك

هذا هو الوادي الذي يحد حقل دراستنا الى الجنوب . انه يتشكل في اواسط

حوران ، وعلى هذا الاعتبار فانه لايهمنا بجميع قطاعاته ، ومع ذلك فاننا سنتناول باختصار مكونات عايته وباسهاب سافلته اعتباراً من محطة المكارين حيث يبدأ الوادي باكتساب الطابع الجولاني .

من حيث التضريس ، فان بداية الوادي الذي يجري في قاعه نهر اليرموك ليس سوى واد ميوسيني كان يتعمق في زمرة الطبقات الحوارية الثلاثية ـ الثنائية (Main Chalk series de Burdon) التي كان يتعرض

سطحها لعمل الحت (eroded and weathered) .

ونقول بالاضافة الى ذلك ، « لدينا براهين كثيرة تثبت ان نهر اليرموك لم يغير مطلقاً واديه ، غير انه لم يكن له العمق الذي وصل اليه حالياً ولانفس العرض » . وباختصار فان اليرموك كان قد رسم ، قبل يقظة البركنة الميوسينية ، مخطط واديه ، وان تعميقه كان مرتبطاً بحركات انخفاس البحر الميت المتتالية الذي كان يمثل مستوى اساس اليرموك المباشر ، حتى قبيل نشوء نهر الاردن ، واننا نتساءل ؟ اليس من المعقول ان نغير ، من حيث التركيب الزمني على الاقل ، التصنيف الحالي فنجعل من نهر الاردن رافداً لليرموك ؟ فالبركنة قد لعبت بالواقع ، دوراً هاماً في تطور وادي اليرموك المورفولوجي وان اقدم الصبات البركانية للمنطقة (B2) وعمرها يعود للميوسين ، صادفت ، لدى انتشارها نحو الغرب والجنوب ، وادي اليرموك القديم ، وانسكبت فيه اللابة شديدة الميوعة دون ان تتخطاه الا محلياً نحو السفح الجنوبي الذي كان يقع في الاعلى . وهذا ما يفسر عدم التناظر الحالي للوادي .

ان استمرار وجود الدرع البازلتي الواقع في اعلى السفح الشمالي ، يفرض على الحوار الذي يستقر تحته تطوراً مشروطاً ومرتبطاً بتطوره الخاص والذي هو بطيء جداً بسبب تراص ونفوذية البازلت .

وان التربة التي لها بعض العمق تحفظ البازلت ايضاً من التفكك والتفسخ ، مما يجعل الغطاء البازلتي ثابتاً على السفح الشمالي .

ان وادي عزالدين ، الذي ينحدر من جبل العرب ، يمر الى الشمال من بصرى الشام فيخترق درعا ويتابع امتداده مثل وادي الميدان حتى تل شهاب حيث يلتقي بوادي أويرد .

ويصبح وادي اليرموك ، اعتباراً من تل شهاب ، واديا حقيقياً معمقاً ويزداد عمقه كلما تقدمنا نحو سافلة النهر وعند سافلة تل شهاب يأخذ الوادي اسم زيزون ويتلقى هذا الاخير ، الى القرب من مكارين ، رافدين هما :

وادي الهرير ووادي العلان اللذين ينحدران من الشمال بالاضافة الى رافد شرقي الاردن ايضاً وادي شيلالة الذي يتأتى من الجنوب . واعتبارا من ملتقى الرافدين (المكارين) يغير الوادي اسمه « زيزون » ليأخذ نهائيا اسم اليرموك ، ويبلغ عرض وادي اليرموك في هذا المكان نفسه ، ١٧٥٠ متراً بعمق ٢٨٠ متراً .

ويتوج ضفتي اليرموك اليمنى واليسرى غطاء بازلتي يشكل افريزاً يعلو الاراضي الرسوبية التي تعود بجوهرها للحقب الثاني .

ويزول الغطاء البازلتي بسرعة من السفح الجنوبي ، غير انه يستمر دائماً على السفح الشمالي مضفياً على هضبة الجولان مظهراً مائديا ، ومتيحاً التعرف ، عند خط التماس بين البازلت والحوار ، على الاخاديد والتلال العائدة للتضاريس القديمة التي اغرقتها اللابات وجعلتها بحكم مستحاثات وإذا تقدمنا دائما نحو السافلة نجد ان الوادي يزداد تعميقه بين جنبين حوارين وغير متناظرين بسبب زوال غطاء السفح الجنوبي البازلتي الواقي الذي يصل تدريجياً حتى ٥٠٠ م عمقاً .

ولما كان نهر اليرموك عبارة عن رافد للاردن فان تطوره مرتبط بتطور هذا الاخير الذي يعتبر المستوى الاساسي له .

لقد وجد وادي اليرموك الاولي قبل الاندفاعات البركانية .

وعلى العكس فان حوار السطح الجنوبي غير المحمي بغطاء واق ، قد تطور بحرية . فهو مخدد ومتقطع بالسيول والاودية الرافدة . ونرى هكذا ان السفح الجنوبي قد تراجع تاركاً الى الامام تلالا صغيرة وروابي مع مظهر داونز (Downs) الذي يميز غالباً تضاريس الاراضي الرخوة من حوارية ومارنية (صورة لوحةVIII—1,2) .

امـا الصبات البليوسينية (B3) فهي غير معروفة في ضواحي وادي اليرموك . غير ان الصبات الرباعية (صبات اودية لـ دوبرتريه) بالمقابل جاءت لوادي اليرموك من الشمال بواسطة رافدين هما : رقّاد وعلان .

وهذه الصبات الاخيرة التي ملأت قاع الوادي قد اقتطعت من جراء

هبوط مستوى اساسها الذي اثار دورة حتية ثانية مما يفسر لنا وجود جرفين بازلتيين متدرجين : ادناهما هو الاحدث .

وتوجد هناك تلال بازلتية لها نفس مستوى الجرف الادنى ومتقطعة به ، على شاكلة جزر في وسط سرير اليرموك الواسع . (صورة لوحة 2,VI) .

وبالواقع فان للجرف الادنى مظهراً فتياً للغاية : فالمواشير لاتزال متماسكة ولكنها تبدو واضحة تماماً . أما بعض الجلاميد التي تنفصل فانها تقع الى الاسفل نحو سرير النهر (صورة لوحة 1,VI) ومجمل السفح الشمالي لوادي اليرموك يبدو الى القرب من جسر الحمة على الشكل التالي : افريز بازلتي قليل السماكة في الذروة وهو جزء من هضبة الزاوية التي يقدر ارتفاعها عن سطح البحر بحدود ٣٠٠ م .

- ثم يأتي بعده حدور ذو ميل لطيف في الاراضي الحوارية التي تعود للايوسين - الحقب الثاني .

- ثم افريز ثان ملتصق على السفح ويقابل الصبات المتأخرة التي اكتسحت الوادي في الرباعي .

- ثم نجد الى الاسفل ، الاراضي الحوارية التي تظهر من جديد مع ميل معاكس بشكل واضح للكورنيش البازلتي .

وتنتهي هذه الاراضي الحوارية في الاسفل بشريط من الكلس معطياً جرفاً صغيراً اظهرته مياه نهر اليرموك (صورة ، لوحة1,II) .

وبصورة عامة نجد ان اللون الابيض للتشكيلات الحوارية ، يسيطر هنا ، اذ ان سماكة الصبات تضعف تدريجياً من الشرق الى الغرب ومن الشمال نحو الجنوب ، اما الافريز الاعلى فان سماكته ليست بذي اهمية .

اما العمل الجبار الذي قام به الحت فانه يفسر ، بقسمه الاكبر ، بغلبة طبقات سميكة حوارية ، رخوة وضعيفة المقاومة .

فالوادي بالواقع ، يزداد عرضه وعمقه كلما اتجهنا نحو السافلة . فالحمة وتمثل قاع الوادي ، يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ١٤٠ متراً ، كما ان عرض سرير الاكواع هو بحدود ٧٠٠ م . فالنهر هنا قريب من مستوى اساسه والنهر يخرج من مسيله راسماً عدة اكواع . (صورة لوحة IX ، ٢) هذه الاكواع تعمل

على تقويض الضفة المقعرة ، لتعطي جرفاً صغيراً حتى ولو كان ذلك في التشكيلات الرخوة للكريتاسي) (لوحة ، صورة IX ، ١) .

وفي سافلة ملتقى الرغّاد واليرموك نجد ان قاع وادي هذا الاخير يأخذ مظهر سهل تراكمي نهري حقيقي ، فميل مقطعه الطولاني يصبحج بحدود ١/١٥٠ اي حوالي ٦ بالالف ، مما يؤدي الى تعدد الاكواع ويصبح السرير من نموذج الاقنية المتشابكة مع جزيرات غير مستقرة وبخاصة في الشتاء فصل الفيضانات .

وقد نجم عن عدم استقرار مستوى أساس اليرموك وانخفاساته المتتالية . تشكل مصاطب نهرية متدرجة ومرتبطة بالسفوح . وهذه هي المصاطب الردمية . والمقطع الجيولوجي (شكل ٨) الذي نجم عن الدراسة التي قام بها د . ج . بردن بمناسبة مشروع سد المقارن ، يحدّد وضعية هذه المصاطب الردمية الثلاث . فأقدمهاتقع على ارتفاع ٨٠ متراً عن السرير الذي يتمثل هنا بمستوى البحر . والثانية تقع على ارتفاع ٤٠ متراً . وهاتان المصطبتان تتألفان من تشكيلات متماسكة على شاكلة الاحجار التجمعية (بودنغ) . اما الثالثة فتقع على ارتفاع ٢٠ مترا وهي مؤلفة من لحقيات غير مثبتة وغير متماسكة ، كما ان عناصر هذه اللحقيات الرئيسة هي : غضار وصوان وحصى ورمل . ثم ان تشكيلة المصطبتين الوسطى والعليا ، تتألف من جلاميد بازلتية مدوّرة ملتحمة ببعضها بملاط من كربونات الكلس

بالاضافة الى رماد بركاني احياناً . والنهر باقتطاعه لتوضعاته القديمة ، قد غير سريره محلياً . والمصاطب القديمة لاتزال تعين اتجاه هذه الاماكن المهجورة والتي يمكن الافادة منها في اعادة تخطيط مجرى النهر القديم . (صورة ٧). قد نتساءل فيما اذا كان يوجد بعض التوافق بين هذه المصاطب ومصاطب نهر الاردن . في الواقع ، ان النهرين مرتبطان ، اعتباراً من الرباعي ، بنفس مستوى الاساس . ولو حدثت تغيرات في هذا المستوى لكانت ادّت الى نفس النتائج في الواديين أي الى نشوء مصاطب نهرية . غير ان طبيعة هذة المصاطب تكون مختلفة بين نهر الاردن واليرموك . فالاول لا يزال حديثاً (يعود للبليوسين فقط) وانه يعمل على شق طريقه واعطى بالتالي مصاطب حتية .

بينما نرى اليرموك وهو متقدم عنه في السن واكثر تطوراً فانه بالتالي ينقح توضعاته القديمة ويقتطعها ليعطي مصاطب ردمية .

وهكذا نرى ان الافريزين البازلتيين مختلفي الاعمار يرويان لنا بالاضافة الى المصاطب اللحقية المتعلبة في اسفل سفحي وادي الرموك ، التاريخ الطويل لتطور هذا الوادي من الناحية المورفولوجية مما يسمح لنا بالتأكد من انه من صنع تطور متعدد الدورات الحتية

وادي الرقّاد -

انه عبارة عن حفرة عريضة قليلة العمق ومن اصل تكتوني . فهو يدين بوجوده لِلية تصل بين الجولان وحوران الذي هو اقل ارتفاعاً ، او لفالق طولاني باتجاه شمال جنوب .

انه المجمّع الحقيقي للمياه المنحدرة من الحرمون ومن شرقي الجولان ، تسيل هذه المياه بغزارة في الشتاء ، فصل الامطار - وفي الربيع عندما تبدأ ثلوج جبل الشيخ بالذوبان . تصل هذه المياه الى الرقّاد على شاكلة سيول برّية تحمل معها كميات كبيرة من الانقاض التي توضعها في قاع وادي الرغاد العريض . ان المياه التي تجري فيه حالياً اقل غزارة من تلك التي كانت تجري فيه قبل تدفق صبات الوعرة الرباعية . فهذه الصبات بالواقع ، قد اقتطعت الينابيع الدائمة والغزيرة التي كانت تغذي القطاع الأعلى للرقّاد .

فحتى تاريخ حديث نسبياً كان الرقّاد هو الذي يصرف مياه حوض نهر الاعوج الحالي التي تضيع في منخفض الهيجانة المغلق . فحوض الرغاد مفصول على هذه الحال عن جوض الاعوج ، بمنطقة بركانية حديثة لم ينتشر بعد فيها اي صرف سطحي للمياه Areas of undeveloped drainage) .

فوادي الرقّاد ليس بالواقع سوى حفرة طولانية جافة في الصيف وتحتجز فيها المياه الوحشية في الشتاء . وفي الحفرة نفسها واعتباراً من عين الباشا نرى

نهر العلان الذي يجري بالتوازي مع الرهاد . ونهر العلان هذا يغير اسمه ليأخذ الى الغرب من تسيل وهي قرية حورانية اسم نهر العلان الذي يصب في اليرموك الى الشرق من محطة المكارين . ويتمتع نهر العلّان ، بسبب عدم ضياعه لينابيعه العالية كالرقّاد ، بسيلان دائمي محتفظا دوما باتجاه واضح هو اتجاه شمال ـ جنوب .

اما ما يتعلق بنهر الرغّاد فهو جاف في فصل الصيف باستثناء سافلته ويأخذ اعتباراً من غدير البستان الاتجاه شمال شرق ـ جنوب غرب . ومنذ الجسر المصري القديم[١٩] اي جسر رغّاد القديم يتغير وادي الرغّاد فيقلّ اتساعه ولا يعود قليل العمق كما كان عليه في العالية ، اذ يصبح حلقاً حقيقياً برياً ، ويضم سفوحاً شبه افقية كما يأخذ اسم وادي التميم . (صورة ، لوحة ١، ٢)

لقد كان وادي التميم ، في الاصل ، عبارة عن رافد لليرموك ومستقلاً عن الرغّاد . وفي غضون الدورة الثانية الحتية التي انطلقت اثر انخفاض مستوى الاساس ، دفع وادي التايم بعنف رأسه ، بالحت التراجعي ، نحو الشمال الشرقي مما مكنه من أسر سافلة الرقّاد . وبالواقع ، فان هذا الاخير اي الرغّاد ، بعد ان خسر ينابيعه الدائمة والغزيرة الواقعة على سفح الحرمون . اصبح اقل حظاً من التايم . اما الاسر النهري الذي نحن بصدده فقد حصل بعد تدفق الصبات البازلتية الرباعية . والدورة الحتية نفسها اقتطعت الصبات الرباعية لوادي التايم وأسرت نهر الرقّاد .

وبالواقع فان وادي الرغّاد ، في عالية جسر الرغّاد القديم ، يختلف مورفولوجيا وهيدرولوجيا عن سافلة الجسر اي عن وادي التيم .

ففي عالية الجسر ، وعلى ارتفاع كسيبة ، لايعود بالامكان التمييز بين سرير الرغّاد وسرير نهر العلان ، فكلاهما يتبع نفس المنخفض الذي يبلغ عرضه ٦ كم تقريباً ويجريان فيه بالتوازي .

---

(١٩) بناه ابراهيم باشا أثناء غزو سوريا

وفي فصل الصيف ينقطع مجرى ماء الرغّاد ويجف الوادي باستثناء الحفر الكبيرة العميقة حيث يركد فيها الماء لاستعماله كمسقاة للحيوانات المتعددة التي تؤمّ منطقة الرعي هذه بالدرجة الاولى .

وقد وضّعت المياه السيلية والوحشية فيها ، وبخاصة اثناء الفيضانات ، جلاميد كبيرة من البازلت مستديرة الاطراف نوعاً ما . (صورة ولوحة X ، ١) ووضعت معها ايضاً لحقيات ناعمة بلون اسمر وسميكة بالاضافة الى انها خصبة وتتشقق على شاكلة مضلعات في فصل الجفاف . اما اللحقيات الناعمة فانها تفرش السرير الاكبر بينما تفرش الجلاميد الكبيرة السرير الاصغر .

والمياه السيلية تظهر ، بعد خروجها من قناطر الجسر ، على شاكلة دوامة ذات محور رأسي ناجمة عن مقاومة دعامة الجسر للتيار المائي .

وهذه الحركة الدورانية تمكنت من حفر قدر كبير بنزعها المواشير البازلتية السطحية مما ادى الى ظهور ارضية صخرية سليمة وغير موشورية (صورة لوحة III ، ٣) .

والى الجنوب من الجسر القديم وعلى مسافة تقدر بـ ٧٠٠ م ، يتعمق فجأة وادي الرقّاد بحدوث انقطاع في ميله قدر بـ ١٠٠ م ليعطي شلالا حقيقيا في الشتاء . ومن هنا يبدأ وادي التايم ، وهو عبارة عن حلق حقيقي يبلغ اتساعه ١٥٠ م ويتجاوز عمقعه مئة متر ويزداد كل من الاتساع والعمق كلما اقترب نحو سافلة النهر .

ويصبح السفحان (شاقوليين) راسبيين في الافريز المؤلف من تطبق الصبات الصادرة عن مختلف التدفقات البركانية التي انسكبت فوق الصخور التجمعية (الكونغلوميرا) وحتى ان القسم الادنى من السفح ، وهو مؤلف من صخور رخوة ، يفي ميله شديداً الى حدٍ ما . (صورة ، لوحة 1,2,I) .

فالمقطع الطولاني اذا يشمل فرعين مفصولين بشلال : والميل في القطاعين شديد الى حدٍّ ما . ولا يوجد هنا اي تأثير تكتوني : كما ان تطور هذا المقطع تركّز على اعادة هذا الشلال تدريجياً نحو عالية النهر بالحت التراجعي . ويبلغ الانحدار في القسم الاعلى من الشلال بحدود ١/٨٣ ويصبح القسم

الادنى ١٧/١ ولا يعتدل الانحدار الا بعد التقائه باليرموك حيث يصبح ١٥٠/١ ولا يزال يعتبر شديداً نوعاً ما (انظر شكل ٩) .

ان هذا الحلق او الخانق الهائل ليس ولا شك من عمل خيط الماء الذي يجري حالياً باستمرار وعند البحث عن التفسير يجب ان نأخذ بعين الاعتبار الامطار في الرباعي ، اذ ان الفيضانات ، مهما كانت على غاية من الغزارة ، فانها تبقى مع ذلك غير قادرة على اشادة مثل هذا الوادي . ونجد انفسنا مضطرين للبحث عن سبب وجود هذه الاودية الضخمة في منطقة شبه جافة بالرجوع الى المناخ القديم من جهة والى الحركات الحديثة او الحالية للتربة من جهة ثانية .

هذا وبما ان منطقة البحر الميت هي منطقة انخفاس ، كان من الطبيعي ان يرتفع الجولان ليحقق التوازنية مع تجديد الدورة الحتية (تصابي الحت) وعلى هذا الاساس فان هذا الوادي قد حُفر بحادث سبق التكوّن (antecedence) ..

لقد بقي تطور السفوح بطيئاً للغاية بسبب الجفاف ، والنفوذية ، وتماسك الافريز البازلتي واخيراً بسبب ضعف الحت المستقيم . غير اننا مع ذلك نعلم بوجود انهيالات ومهيلات ، لكن الانقاض نظراً لعدم وجود تيار قدير ، تمكنت من جعل اسفل المنحدر بمثابة كتلة مستحاثة تنتظر الفيضانات الشتوية التي هي القادرة لوحدها على جرفها وتحرير السفح . والسفح يتراجع متوازياً مع نفسه كما يحصل في المناطق الجافة تماماً . ونفوذية البازلت تحرم الترب من جريان المياه الذي بامكانه ان يساهم في صنع السفوح .

ويبدو ان الافريز البازلتي المستقيم والشاقولي قد بقي على حاله دون ان يُمس ، إذ أن نفوذية هذه الصخور تحول دون أي جريان سطحي ، ولكن الوادي ، بالمقابل ، يقوم بصرف قسم من المياه الباطنية لمنطقة واسعة ، وتعود المياه المترشحة للظهور في الوادي على طول اشرطة رقيقة من الغضاريات المتبقية التي تفصل الصبات المتطبقة على غرار الصخور الرسوبية ، او انها تعود على طول خط التماس بين الافريز والحدور الرسوبي التحتاني اي الواقع تحته .

وقد اعطت التربة الغضارية المتداخلة بين الصبات والمياه التي تبللها

مجالاً لنمو النباتات الشوكية التي تتثبت على طول خطوط رشاحة المياه .
(صورة ، لوحة I—1,2) .

اما قاع الوادي فيبدو ، على العكس ، صحراوياً : فالنباتات لا تستطيع ان تجعل منه موطىء قدم لها بسبب الفيضانات السيلية التي تكشط القسيمات الناعمة الملائمة للنباتات ولا تبقي الا التشكيلات الغليظة غير المثبتة وقابلة للنقل . واذا نظرنا الى المناطق الواقعة في نهاية الجنوب ، نجد ان التطور متقدم عما هو عليه في بدايته وان المظهر المورفولوجي يتغير اكثر فاكثر كلما تقدمنا نحو الجنوب .

فيصبح اكثر اتساعاً ويزداد عمقه وبالتالي فانه يصبح اكثر رطوبة . فالمياه ترشح على طول السفح الغربي معطية ينابيع حقيقية يسمع لها خرير (خرّارة) ويحتل قاع الوادي حالياً خيط ماء دائمي يغذي محلياً نباتات الاقصاب وانواع الفصيلة الدفلية عل حافتي الوادي . غير ان عمق الماء ضعيف وبخاصة في فصل الشح ، اذ لا يعود بمقدورها غمر حتى الجلاميد الهابطة من السفوح اوالتي جلبتها مياه الفيضانات . (صورة ، لوحة . . 3,X) .

ويبلغ عرض الوادي بين الجاملة وكفر الما ٣ كم كما يَصل عمقه الى ٢٨٠ م ، وقد تراجع الافريز البازلتي مع الكونغلوميرا التحتانية بكثرة نحو الشرق وتكشفت الاراضي الحوارية العائدة الى الكريتاسي مع المقطع التقليدي المحدب (صورة ، لوحة . . 3,X) ويحصل التراجع بانهيار جلاميد كبيرة سهلتها تشققات كبيرة متوازية مع الوادي نفسه . وهناك عامل آخر مساعد وهو ضعف سماكة البازلت مما سهّل تراجع الافريز وبالتالي ادى الى زواله تدريجياً . وتحت الافريز البازلتي المتراجع يظهر شريط من الكونغلوميرا ، اوبالاحرى من البودنغ ذي الجلاميد الكبيرة المدوّرة التي يلحم بينها اسمنت ابيض وقاس للغاية (مؤلف على الاغلب من كربونات الكلس) . ان البودنغ يتراجع بالتضامن مع البازلت .

في اسفل الوادي تختلط جلاميد ضخمة من البازلت مدورة الاطراف نوعاً ما مع بعضها بعضاً . وهذه الجلاميد جرفت حتماً من اماكن بعيدة مع جلاميد اخرى انهارت من الافريز الاعلى والبودنغ الموجود تحته .

ويظهر هناك الى الاسفل مستوى آخر من البازلت الحديث يقع بين القريتين السابقتين : الجاملة وكفر الما . فالافريز الاسفل نجم ، كما حصل في وادي اليرموك ، عن صبات الاودية التي تعود للرباعي والتي كانت قد ملأت وادي التايم وتقطعت بتصابي الحت .

وقعر الوادي يقع على مستوى البحر الى القرب من معاريا وهي قرية تقع على قمة السفح الشرقي .

ويصبح قعر الوادي هذا فيما بعد ، فوق مستوى سطح البحر : وعند التقائه باليرموك يكون ارتفاعه عن سطح البحر (- ٢٠) متراً .

أودية ثانوية ، روافد للأودية الرئيسة

ان الجولان ، وهو المجاور للاخدود الأوسط ، مدين بتضريسه الوعر لا الى المخاريط الخبثية البارزة على ارتفاع ١٥٠ الى ٢٠٠ م فوق الهضبة لا الى وجود المائلة فحسب بل الى حت السيول ايضاً التي تنحدر نحو الاردن وبحيرتي الحولة وطبريا .

وهناك سيول أخرى تنحدر نحو الرقاد على حوض السفح الشرقي (مستجمع الامطار الشرقي Eastern watershed) وانا مضطرون ، لدراسة مجموعة هذه الاودية الثانوية ، الى توضيح وضعية خط تقسيم المياه .

فهذا الخط ليس بالواقع سوى خط القمم الذي يمثله توالي الاجهزة البركانية الممتدة بالاتجاه الى الشمال غرب - جنوب شرق واهمها تل عمورية (١١٩٨ م) جنوب بحيرة مسعدة . تل الشيخة (١١٢١ م) . تل العمران (١١٧١ م) تل ابو الندى (١٢١١ م) تل خريقة (/١١٥٨ م) وبريجة وبير العجم وغلاري . تل عكاشة (١٠٢٩ م) وأخيراً تل الفرس (٩٢٩ م) .

هذا الخط يوزع المياه بين الغرب والشرق . وهكذا نرى مياه الجولان تتجه في نهاية المطاف ، اما نحو الاردن اونحو الرقّاد . ولكن الى الجنوب من تل الفرس ، يتلاشى خط الارتفاعات ، والسيلان لا يعد يتم نحو الغرب والشرق بل اصبح يتم نحو الجنوب فقط حسب انحدار عام نحو اليرموك ، وهذا الانحدار مردّه انحدارات المحدب (المدعو الجولاني) القببية .

والاودية عديدة ومميّزة على الحافة الغربية للجولان ، اذ ان هذه الحافة شديدة الانحدار مع تباين كبير في الارتفاع بالاضافة الى الاودية العديدة التي تقتطع الحافة الشرقية للانهدام على شكل جرف حاد .

غير ان الحافة الشرقية للجولان ليس لها ايضاً انحدار شديد . ولم تحفر السيول ، رغم كثرتها وشدتها ، الّا اخاديد لا مجال لمقارنتها بالاودية التي تلتقي عمودياً مع وادي الاردن .

واننا نكتفي هنا بالاشارة الى الاودية الرئيسة التي تهبط على المنحدر الشرقي لانهدام الحرمون حتى بحيرة طبريا .

وتتجه هذه الاودية كلها من الشرق نحو الجنوب او من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ، وبعضها يشكل روافد الاردن كما ان بعضاً منها يشكل روافد لبحيرة الحولة واخيراً فان بعضاً منها أيضاً يشكل روافد لبحيرة طبريا ، وهذه الاخيرة هي أهم هذه الروافد .

اما وادي عين كينيا ، ويقع على الحدود الشمالية للابات فهو عبارة عن وادٍ متعمق وتؤلف مياه هذا الوادي بالاضافة الى نهر بانياس احدى مكوّنات الاردن الثلاثة .

ونشاهد الى الجنوب من الصبة الرباعية ، المنحدرة من تل احمر ، والممتدة حتى منخفض الحولة روافد الاردن نفسه :

وادي غراب ـ وادي دفيلة ـ وادي الدبوس ـ وادي الهندل .

اما الاودية التي تصب في الحولة فهي : وادي الغجر وادي دبورة ووادي دير سراس .

واكبر اودية الجولان هي : وادي الهوى ، وادي الصفا ، ووادي الدالية ، وادي الشيخ علي ، وادي المتاع ، وادي السمك . وكل هذه الاودية تهبط عن الهضبة باتجاه شمال شرقي ـ جنوب غربي وتنتهي في سهل البطيحة اللحقي الصغير الى الشمال الشرقي من بحيرة طبريا .

وهذه الاودية تعمقت في الصخور البازلتية واظهرت سفوحها الهاوية بوضوح ، تطبق الصبات المشققه على اشكال موشورية ، (صورة ، لوحة

. . 2,IV وخريطة رقم ٧) .

ويـزداد عرض هذه الاوديـة عند مصباتها كما تصبحقصورهادون مستوى سطـح البحـر بحوالي مئة متر . والاراضي الرسوبية التي تتكشف على سفوح هذه الاودية هي ايوسينية فقط .

وتشكـل هذه الاوديـة فيـما بينها ، عند اقترابها كثيراً من بعضها ، وُجُناً ضيقـة وتـلالاً يطلقـون عليهـا اسم سنام (سنام الجمل) بالعربي (صورة ، لوحة 3,II) ويطلق على اماكن تجمعها اسم «مشبك الوديان » .

ويعـود اصـل هذه الاوديـة المحفـورة بدقـة حتـماً ، كما هو حال كل من الـيرمـوك والـرغّـاد ، الى ادوار المناخ القديم الماطرة ، والى القوى الحتية التي اطلقها انخفاض مستوى الاساس العام ، وهو البحر الميت .

وبالواقع ، فانه ليس باستطاعة المياه الحالية لهذه الاودية ، حتى في حالة فيضـانهـا ، تحريـك الجـلاميد البازلتية الضخمة ، المبعثرة في سرير السيول . فهذه الجلاميد مدوّرة الاطراف الى حدّ ما وهي تشهد بالتالي على وجود قوى قديمة هائلة للنقل في الماضي .

امـــا الجـداول الصغـيرة والـدائمـة التي تجري فيهـا فوق التـوضعـات القـديمـة ، فانها تكتفي باجراء عملية فرز بسيطة . فهي تجرف منها القسيمات الاكثـر نعـومـة لتـوضعهـا في سهـل البطيحـة الذي هو بالحقيقة من عمل هذه الاودية الردمي .

ان هذا النقـل الانتقـائي يضفي على الاوديـة مظهـراً مشوشاً للغاية .

والوادي الأخير الهام هو وادي السماك الذي يبلغ عمقه حوالي ٤٥٠ م وقعره (-١٥٠م)

ان لهذه الاوديـة ولسـواقي الميـاه الصغيرة التي تجري فيها اهمية كبيرة في الحيـاة الاقتصـاديـة للجولان الى جانب اهميتها المورفولوجية . فهي تؤلف في الشتاء اماكن تشتية للمواشي ، ويحصل انتجاع بين اعالي الجولان واوديته .

ومنـذ الحـرب العالمية الثانية ، بوشر باستعمال مياه الاودية في زراعة الرز الذي كان مردوده كبيراً ونوعيته ممتازة وفوق كل ذلك ، فان هذه الاودية تؤلف منطقة جغرافية حيوية متميزة نوعاً عن مرتفعات البلاد .

الفصل الرابع

مناخ الجولان

أولاً الوضع الحالي لمعرفتنا عن مناخ سوريا ومصادرها

لقد تجلّى الاحساس الحاد بالحاجة المتزايدة والضرورية لمعرفة المعطيات المناخية الدقيقة خلال فترة الانتداب الفرنسي .

فبعد أن تأسس مرصد كسارا في عام ١٩٠٧ ، على أيدي المبشرين من الرهبان اليسوعيين ، والملحق بجامعة القديس يوسف في بيروت ، أصبح المؤسسة الاولى الوحيدة التي تهتم بالدراسات المناخية .

ولكن هذا المرصد ، الذي كان هدف مؤسسيه الانصراف لدراسات فيزيائية الارض ، لم يهتم بالأرصاد الجوية الاّ بصورة ثانوية . ومن جهة أخرى فقد توقف العمل في المرصد خلال الحرب العالمية الاولى بين ١٩١٤ و ١٩١٧ ، ولكنه استأنف عمله فوراً في ١٩٢١ حيث راح يمارس نشاطه بصورة طبيعية .

وعندما عزم المفوض السامي ، الجنرال غورو على تأسيس دائرة الارصاد الجوية في سورية ولبنان ناشد المشرفين على المرصد ان يأخذوا على عاتقهم أمر ادارتها ، وكان ذلك عبارة عن اتجاه جديد لمرصد كسارا ، والذي اخذ منذ ايلول ١٩٢٨ بأصدار نشرة شهرية تلّخص الملاحظات الرئيسية .

وكان مرصد كسارا يستقبل المعلومات النوئية من سبعة عشر محطة رئيسية ومن ثلاث وثلاثين محطة ثانوية لقياس الامطار وقدّمت الحرب العالمية الثانية فرصة موائمة لتقدم المعرفة النوئية المتعلقة بالحوض الشرقي من البحر الابيض المتوسط وبالتالي عن سورية . وفي الحقيقة استدعت شدة حركة الملاحة الجوية خلال هذه الحرب وجود مراكز عديدة في البحر الابيض المتوسط مما ادّى الى تجدد المعلومات النوئية عن هذه المنطقة واستقرت فوق اساس متين .

واستنادا الى كتابات د . ب . فيش الراصد النوئي للقوات المسلحة بين ١٩٤٢ و ١٩٤٥ فقد ظهر ان للارصاد الجوية في سورية ولبنان ذاتية جديدة ، مختلفة عن معطيات الارصاد الجوية الفلسطينية التي كانت مرتبطة بها بصورة ضمنيّة .

ومنذ عهد قريب جداً اخذت « دائرة الارصاد الجوية » تعمل في سورية والذي يتعهد القسم المناخي فيها بإصدار نشرة شهرية تلخّص الملاحظات الرئيسة[١] .

ولكن يكون نصيب الجولان ، مع الاسف ، من هذه الملاحظات ضئيلا . وتؤلف بلدة « فيق » لوحدها جزءاً من هذه الشبكة النوئية السورية التي تضم ٦٨ محطة مراقبة . بيد أن فيق ليست بالمحطة الرئيسية بل هي ، بكل بساطة ، عبارة عن مركز لقياس الامطار . اما وزارة الزراعة السورية فتملك ، من جانبها ، معلومات مناخية تسجّل في مراكز زراعية ، ونجد في عدادها محطتين جولانيتين هما فيق والقنيطرة ، ومراكز أخرى في المناطق المجاورة ، وهي قطنا وازرع ودرعا والسويداء[٢] .

وسنحاول من خلال المعلومات المتعددة والمختلفة ان نستخلص اكثر الملامح تميزاً لمناخ المنطقة التي نحن بصدد الكلام عنها .

ثانياً ـ أصالة مناخ الجولان

يتميز حوض البحر الابيض المتوسط بمناخ يدعى المناخ المتوسطي (الرومي)، تكون ملامحه العامة ، هي ذاتها ، في سائر انحاء الحوض المذكور .

ومع هذا لا يمكن الكلام عن مناخ متوسطي وحيد ، بل على خلاف ذلك ، نكون تجاه مناخات متوسطية ، أو بالاحرى اصناف مناخية متوسطية (رومية)[٣] .

---

(١) نشرة تصدر بالعربية والانكليزية تدعى « النشرة المناخية » . قسم الرصد الجوي بسورية .

(٢) لايكون التنسيق وثيقاً دائما بين مختلف الاحصائيات المناخية .

(٣) نسبة الى بحر الروم وهو البحر الاربيض المتوسط لدى الجغرافيين العرب في العصر الوسيط .

ففي سورية وفي اسيا الصغرى يمكن ملاحظة تقهقر المناخ الرومي تدريجياً نحو مناخ صحراوي .

« غير ان التأثير الثلاثي لدرجة العرض والتضريس والبحر يعمل على تنوع المناخ لدرجة تسمح بالعثور على ما لا يقل عن خمسة انواع مناخية تتراوح بين المناخ المتوسطي الرطب الى المناخ الصحراوي مروراً بمناخ متوسطي قاري ومناخ سوري والذي يجب ان نضيف اليه نمطاً من مناخ جبلي »[4]

ترى ما هو أحد هذه الاصناف المناخية المتوسطية الخمسة الذي يتحقق اذن في الجولان ؟

وفي الواقع لا يبدو انه في المستطاع إلحاق مناخ الجولان بأيّ مناخ من هذه الاصناف المذكورة آنفاً .

وفي الحقيقة يبدو ان بإمكاننا النظر الى مناخنا على انه صنف جديد يتراءى لنا انه يستحق اسم هذه المنطقة وبالتالي يمكن ان نطلق عليه اسم « المناخ الجولاني » .

بيد ان هذا المناخ الذي اشرنا اليه على هذه الصورة ليس إلا شكلاً من تضافر بين مميزات نمطين هما : المناخ الرومي والمناخ الجبلي .

وفي الحقيقة يقترب النمط الجولاني من النمط الجبلي عن طريق صفاته الحرارية :

١ ـ لا تكون المتوسطات الحرارية الحقيقية المسجّلة في القنيطرة ، وهي مركز المنطقة ، اقل من مثيلاتها على الساحل بل اخفض من متوسطات الحرارة في داخل البلاد :

القنيطرة ١٥,٢٥ درجة

بيروت اكثر من ٢٠ درجة

اللاذقية ١٩ درجة

دمشق ١٧,٢٢

دير الزور ١٩,٠٥ درجة

---

(٤) اتيان دوفوماي E. de Vaumues اطروحة مطبوحة ص ٢٢٨

ويفسّر هذا الانخفاض في الحرارة الوسطى السنوية في القنيطرة بتأثير الارتفاع(٥) وبتأثير الرياح البحرية .

٢ ـ وتكون متوسطات الحرارة لشهر آب في القنيطرة كذلك دون مثيلاتها على الساحل وفي الداخل .

القنيطرة ٢٢,٦٤ درجة

بيروت ٢٧ درجة

اللاذقية ٢٦ درجة

دير الزور ٣٣ درجة

دمشق ٢٥,٢٧ درجة(٦)

وهكذا نرى بكل وضوح ان القنيطرة تكون أقل حراً في شهر آب ، وهو أكثر شهور السنة حراً ، من المنطقة الساحلية ومن المنطقة الداخلية .

وتكون الرياح الشمالية الغربية التي تهب من خلال فتحة مرجعيون ذات برودة ملحوظة مما يؤدي لتخفيض الحرارة .

٣ ـ هذا كما تكون فصول الشتاء في الجولان على قدر لابأس به من البرد ، وليس ذلك بالموازنة مع المنطقة الساحلية فحسب ، بل ولكن ايضاً بالمقارنة مع الداخل حيث يكون المناخ قارياً .

ويسود في الواقع مناخ بارد على الجولان يستمر عادة اربعة شهور هي كانون الاول وكانون الثاني وشباط وآذار حيث تكون المتوسطات الشهرية دون ١٠ درجات ، والثلج ظاهرة مألوفة وقد يتساقط بضع مرات في كل عام .

وتكون موازنة معدل شهر كانون الثاني في القنيطرة مع معدل الشهر ذاته في مدن اخرى ذات مدلول :

---

(٥) تقع القنيطرة على ارتفاع ٩٣٥ م فوق سطح البحر

(٦) احصائيات من مصادر مختلفة : اولاً ـ ويلرس : بلاد العلويين ، ثانياً ـ النشرة الاحصائية السورية ، ثالثاً ـ احصائيات وزارة الزراعة السورية .

القنيطرة ٥,٦٣ درجة

بير وت اكثر من ١٣ درجة

اللاذقية ١٢ درجة

دمشق ٧,٥٨ درجة

دير الزور ٦,٥٨ درجة

مرسيليا ٦,٣ درجة

وهنا نرى ان القنيطرة اكثر برودة شتاء من دير الزور الواقعة في قلب المناخ الصحراوي ، وليس اقل استغراباً من ذلك ان يكون للقنيطرة متوسط شهري يقل عن معدل مرسيليا الحراري التي تقع على درجة عرض أكثر تقدماً نحو الشمال بكثير (٤٣,٧ درجة شمالاً) اي اكثر بعشر درجات عرض .

وسنقدم فيما تفسير هذه الملحوظة الاستثنائية .

٤ ـ وهكذا تكون السعة الحرارية السنوية للمحطات ذاتها على الشكل التالي :

القنيطرة ١٥,٩٨ درجة

اللاذقية وبير وت ١٤ درجة

دير الزور ٢٦,٢٤ درجة

دمشق ١٧,٤٢ (١٨,٢٣) حسب ش . الصفدي [٧]

هذا وتكون القنيطرة أقل تأثراً بدور البحر التنظيمي من بير وت واللاذقية ، ولكنها تكون بالمقابل أقل قارّية من دمشق ودير الزور ويمكن تفسير السعة الحرارية العالية نسبياً ، في القنيطرة ، بتأثير الرياح البحرية التي تخفّض الحرارة الى حد كبير ولا سيّما في الشتاء . ويجب ان نضيف الى ذلك تأثير الارتفاع ، اذ يتعرض الجولان ككل منطقة مرتفعة أخرى ، الى تسخّن صيفي والى تبرد شتوي بسبب تخلخل الهواء . وتؤثر السعات الحرارية للأرض على درجات الحرارة المسجّلة بعيداً عن سطح الأرض .

---

(٧) سعات محسوبة استناداً لدرجات الحرارة في خمسة اعوام (١٩٥٠ ـ ١٩٥٥)

واذا اخذنـا الآن بين الاعتبـار متـوسطـات التهطالات السنوية ، فإننا سنجد أن الجولان سيكون أيضاً اكثر مطراً من الساحل ذاته :

القنيطرة ٩٣٥ مم (متوسط ١٢ سنة) [٩]

بيروت ٨٥٠ مم (عن ويلرس)

اللاذقية ٩٠٤ مم [١٠]

هذا ويكـون المتـوسط السنوي للتهطالات في القنيطرة أيضاً اكثر ارتفاعاً مما هو عليه الحال في المدن التالية :

الجزائر ٧٦٥ مم

لشبونة ٧٢٦ مم

مرسيليا ٥٤٨ مم

أثينا ٧٢٦ مم [١١]

واذا كانت التهطـالات متمـركـزة حقـاً في الفصـل البـارد فإن الرطوبة النسبية الجوية تظل مع ذلك عالية حتى في الفصل الحار .

وفي الـواقـع اذا كان الانخفـاض الضـروري في الحرارة من اجل اشباع الهواء كبيراً جداً في داخل البلاد فإنه يظل عند حافة البحر أو في الجولان على المستوى نفسه خلال الشتاء .

وهكذا يظل الهواء في أكثر الاحيان قريباً من الاشباع ، كما يكفي التبرد الليـلي الطفيف لكي ينسـاح المـاء من فوق السقوف في الصباح كما يحدث تماماً بعـد أمطـار من مستوى الطل . ولكن على خلاف ذلك يظل الندى اكثر ندرة واقل غزارة في داخل البلاد .

وفي الـواقـع يحتـل النـدى اهميـة عظيمـة في الجـولان وذلـك بالنسبـة للحصّادين والحيوانات والينابيع لانه يحدث في فصل حار عديم الامطار .

---

(٩) من ١٩٣٧ ـ الى ١٩٤٧ ـ ٤٨ احصاءات المحطة المطرية في القنيطرة .

(١٠) النشرة الاحصائية السنوية لعام ١٩٥٥

(١١) جاك ديلرس : بلاد العلويين .

وسنقدم فيما يلي صورة موجزة عن المميزات الرئيسية للمناخ المسمى « المناخ الجولاني »

١ ـ يكون المعدل السنوي للحرارة (١٥,٢٥)[١٢] قليلي الارتفاع بالموازنة مع وضعه الجنوبي الواقع على درجة العرض ٣٦,٨٠ غراد شمالاً[١٣]

ويبدو هذا المتوسط السنوي للحرارة بالواقع متناقضاً مع درجة العرض الجغرافي وبالتالي مع حدّة الاشعاع الشمسي حتى في الشتاء عندما تكون الأشعة الشمسية اكثر ميلاً . ويخشى السكان المحليون شمس شهر كانون الثاني وذلك حسب مثلهم الشعبي القائل : « شمس كانون الثاني مثل الطاعون »

٢ ـ يسود فصل بارد حقيقي في هذه المنطقة خلال اربعة شهور يكون متوسطها دون ١٠ درجات .

هذا وقد كانت المعدلات الشهرية المسجلة خلال شتاء عام ١٩٤٥ بالقنيطرة هي التالية :

كانون الاول ٦,٦٩ درجة

كانون الثاني ٥,٩ درجة

شباط ٤,٩١ درجة

آذار ٥,٣١ درجة

ويتساقط الثلج هنا عدة مرات خلال العام .

٣ ـ هذا ويكون المتوسط السنوي للامطار على درجة من الارتفاع تجعله قابلاً للموازنة مع معدل بيروت واللاذقية أو تتمركز الامطار في الفصل البارد كي تنحبس في الصيف حيث يكون النبات في أمسّ الحاجة للماء . ويستمر الجفاف المطلق خلال ثلاثة اشهر هي : حزيران ، تموز ، آب . هذا ويمكن اهمال كمية الامطار التي تسقط في ايلول وتشرين الاول وأيار لقلة مقاديرها .

---

(١٢) المتوسط السنوي لمحطة القنيطرة

(١٣) على اعتبار ان بين خط الاستواء والقطب الشمالي ١٠٠ درجة .

وهكـذا تدوم فترة الجفـاف عملياً مدة ستة أشهر . والمأخذ الكبير على المناخ الرومي هو تصادف الحر والجفاف في فصل واحد .

٤ ـ غير ان انقطـاع الامطـار صيفـاً لا يستبعـد وجـود الرطوبة الجوية المرتفعة نسبياً .

فالتـبرد الليـلي يكفي للتسبّب في تكـاثف بخار الجو على شكل ندى ، ويلعب هذا التكـاثف الـذي يسمى « التكاثف الخفي » دوراً شديد الاهمية في الجولان كما سنرى ذلك فيما بعد .

وهكـذا نرى أن هذه المنطقـة تخضـع ، رغم بعـدها عن البحر ، لتأثير عظيم قادم من البحر الابيض المتوسط .

٥ ـ ويصـل هذا التأثـير البحـري الى الجـولان بتأثير الرياح الغربية ، والشمالية الغربية ، ولا سيما الرياح القادمة من الجنوب الغربي ، اذ تصل هذه الـريـاح الى منطقتنـا عبر ممرّين : الأول هو ممر جعيـون ، وممـر سهل مرج ابن عامر . فالرياح الشمالية الغربية والجنوبية الغربية تنتشر على الجولان عند مخرج هاتـين الفتحتـين اللتـين تؤلفـان قناتين لجريانهما . وهناك قريتان ، الاولى في جنـوب غرب المنطقـة ، والاخـرى في جنـوبها الشرقي ، تقعان عند مخرج هذه الرياح ، ويطلق عليها السكان الاسم ذاته وهو باب الهواء اي « باب الريح » وتكون هذه الرياح البحرية على العموم نشطة ومفيدة في الوقت ذاته . فرياح الشمال والشرق والجنوب الشرقي تجلب لمنطقتنا مؤثرات قارية فتكون باردة في الشتاء ، ومحرقة في الصيف ، وتتسبّب في الجفاف في سائر الفصول .

وقـد ميـز السكان المحليون مختلف مؤثرات هذه الرياح المختلفة ولديهم امثال شعبية شديدة التعبير في هذا الخصوص .

٦ ـ وتتقهقـر الصفـات الاصليـة للمنـاخ الجولاني ، اكثر فأكثر ، باتجاه الشرق . وهكذا تصبح قارّية حوران شديدة الافراط فيما وراء جبل الدروز . وهكـذا يكـون السفـح الشـرقي لجبـل الدروز ذا مناخ صحراوي بكل ما في الكلمة من معنى .

ويكـون هذا التقهقـر الـذي يتجلّى في اتجـاه غربي شرقي في الـواقـع ملحوظاً بظواهر بيدولوجية وفي الانظمة الهيدروغرافية .

وتعود أصالة مناخ الجولان الى عدد من العوامل التي تتضافر سوية لتحديد المميزات الرئيسية .

ولن يكون لأي تفسير عقلاني للظاهرات المناخية حظ من الواقعية دون ان نأخذ عوامل المناخ بعين الاعتبار .

ثالثاً ـ عوامل المناخ الجولاني

١ ـ الطاقة الشمسية ، العامل الفلكي في المناخ

لقد استطعنا بأنفسنا ، ان نلاحظ ، رغم نواقص الاحصائيات ، وجود دورة في كل احدى عشرة سنة في مقادير الامطار في الجولان . وقد كان العامان المطريان ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ و ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ جافّان بصورة تلفت الانظار بالموازنة مع المعدل السنوي الذي يبلغ وسطياً ٩٣٥ مم . فقد كان الفارق بالنسبة للعام الاول ـ ٢٤٠ مم وبالنسبة للعام الثاني ـ ٥٠٩ . وقد سمحت طرائق الحسابات المختلفة للمهندس صبحي مظلوم ان يستنبط قانوناً لتعاقب السنوات الجافة والسنوات المطيرة . فقد تمكن من العثور على مركبات تتألف من سنتين ، ومن ٣ سنوات ، ومن ٤ سنوات ، ومن ٦ سنوات ، ومن ١١ سنة ، ومن ٢٢ سنة ، وأن يستشف فترات اخرى اكثر طولاً (٦٠ سنة تقريباً) . ويشير تطور المركبة العشرية وتوافقاتها الى وجود موازاة صارخة مع تطور الكلف الشمسية[١٤] .

ومن ناحية اخرى أشار عمانوئيل ديمارتون الى إمكانية حدوث تبدلات .ة اكبر بكثير في الاشعاع الشمسي الواصل الى الأرض بسبب تبدلات في حركات الأرض ذاتها حول الشمس : وهذه ملاحظات تتعلق بدورة تمتد على آلاف السنين ولا تتعلق بالمناخات الحالية .

٢ ـ تأثير درجة العرض : عامل فلكي آخر

ينتج توزع السخونة الشمسية على سطح الأرض عن استدراره الكرة

---

(١٤) صبحي مظلوم . حول « تبدل الامطار في الحوش الشرقي للبحر الابيض المتوسط » منشورات مدرسة الهندسة الفرنسية . بيروت ١٩٤٤

الأرضية . ومن المعروف جيداً أن درجة حرارة منطقة ما تتعلق أساساً بدرجة عرضها .

وعندما نحسب القيم الوسطى لعوامل المناخ الرئيسية حسب مختلف درجات العرض ، فيكون باستطاعتنا ان نوضح علاقتها بالملامح الكبرى لتوزع السخونة الشمسية . وهذا يكفي لتبيان اهمية تأثير درجة العرض .

فالجولان الواقع بين درجتي العرض ٣٢ و ٣٣ شمالاً يكون محصورا كليا ضمن النطاق شبه المداري ، والواقع ايضاً على الحافة الشرقية للبحر الابيض المتوسط ، اي ضمن وضع جنوبي ، ويتمتع بكل مميزات المناخ المتوسطي (الرومي) الجنوبي .

وهكذا تكون درجة العرض هي المسئولة بالطبع عن المتوسط السنوي للحرارة وعن توزعها . غير ان درجات الحرارة المعدّلة بالنسبة لسطح البحر هي التي تكشف عن تأثير درجة العرض ، وهكذا تكون خطوط الحرارة الوسطى السنوية المعدلة حسب مستوى البحر ، متوازية مع خطوط العرض .

٣ ـ تأثير تضريس الأرض

لا يكون من المستطاع اطلاقاً مناقشة أي مظهر من مظاهر علم الأنواء العلمي دون الاستناد على الاطار الطبغرافي . ويلعب هذا الاطار في سورية ولبنان دوراً واضحاً بشكل فريد .

والطابع البارز في تضريس سورية ولبنان هو تضافر حاجز جبلي ضخم ممتد من الشمال للجنوب ، محاذياً ساحل البحر الابيض المتوسط مع هضبة داخلية لطيفة التموج(١٥)

هذا ويمارس المركّب الجبلي المحاذي لحافة البحر الابيض المتوسط تأثيراً مضاعفاً على المناخ ، فمن ناحية عن طريق تأثير درجة العرض لوحدها ، ومن ناحية أخرى ، فإنه يسارع في الانتقال من بيئة متوسطية (رومية) الى الداخل الاسيوي(١٦)

---

(15) W. B. Fish. premiéres notes sur la météorologie du la syrie et du Liban — Notes et mémoires T. IV. P.93 —110.

(16) ibid precitee P. p.93

ويؤلف الجولان في الحقيقة ، جزءاً من الهضبة الداخلية ولكن المركّب الجبلي لا يمارس هنا مفعولاً انتقالياً فجائياً . فمنطقة الجليل ، وهي كتلة جبلية تواجه الجولان من الغرب ، والتي لا يزيد ارتفاعها عن ١٠٠٠ م الاّ فيما ندر ، لا تستطيع ان تحجز أي تأثير بحري ملطّف . ومن ناحية أخرى فإن المركّب الجبلي يكون مجزءاً بصورة عرضانية بفتحات عريضة وممرات اكثر ضيقاً ، تمر منها الرياح البحرية باتجاه الداخل .

« نجد في سورية ، من خلال العلاقات بين الرياح والتضريس ، نوعاً من مماثلة مع يوغوسلافيا او ايطاليا الشمالية ، حيث يعترض حاجز جبلي كذلك بين البحر وبين السهول الداخلية . فالرياح تكون هنا موجهة ضمن قنوات باتجاه الفتحات او الممرات التي تخلق الاتصال بين البحر وبين الداخل . . . ويكون انحصار تيارات الهواء ، لدى اجتيازها هذه الممرات مصحوباً بانضغاط ، والذي يؤدي ولا سيما عند الدخول وعند الخروج ، الى نشوء رياح عنيفة وغير منتظمة ، قادرة على ان تثور بصورة فجائية للغاية »[١٧]

ويبدو الجولان في الواقع مفتوحاً على البحر من الشمال بواسطة ممر مرجعيون الذي يقع على ارتفاع ٧٥٠ م . كما يكون كذلك مفتوحاً من الجنوب على البحر الابيض المتوسط ، ذلك لان سهل مرج ابن عامر الواقع بين الجليل وجبال القدس يسهّل نفوذ رياح بحرية باتجاه الداخل . وتمر هذه الرياح الشمالية الغربية عبر سهل مرج ابن عامر الى وادي نهر الجالود وسهل بيسان . وعند بلوغها جرف شرق الاردن ، تتجه نحو الشمال سالكة شمال الغور ، ومع انحراف قوة كوريوليس[١٨]، تبلغ اقليم الجولان على شكل رياح جنوبية غربية ، عنيفة ورطبة . ويفسّر عنف هذه الرياح التي تهب من خلال الممرات بتجربة فنتوري أومفارقته ، في كل قطاع متضايق تمركز العرق (هنا

— W.B.Fish. précité. P.109 — 110

(١٨) وهي القوة التي تحرف كل متحرك في نصف الكرة الشمالي نحو اليمين وفي نصف الكرة الجنوبي نحو اليسار (المعرب) .

الهواء) ، فيحدث تناقص في الضغط على الجوانب وتزايد في السرعة »[١٩]

فجبل الحرمون الجنوبي الغربي ، حيث ينمو الزيتون والصنوبر المثمر على الخصوص ، يكون غزير التهطال ، لأنه يتعرض بشكل مباشر للرياح البحرية الرطبة التي تهب من خلال فتحة مرجعيون .

ويتدخل التضريس ايضاً ، بسبب الارتفاع وحده ، بصورة حاسمة في توزع الحرارة ، ولكن له تأثيراً ملحوظاً ايضاً على توزع التهطالات . وبينما يكون جبل الحرمون وضواحي القنيطرة مغطاة بالثلوج ، تكون الاودية الجنوبية بمنجى من انخفاض مفرط في الحرارة وتكون بالتالي بقاع اشتاء ممتازة للحيوانات الضامرة والتي تتمتع خلال الفصل البارد بحرارة معتدلة تماماً .

وهكذا يؤدي جبل الحرمون وصفوف المخاريط البركانية مثل بريقة ومرتفعات بير عجم الى ظاهرة الفوهن . وظاهرة الفوهن هذه هي التي تفسّر اختلافات مقادير الامطار بين الجولان المرتفع وبين حوران الاقل ارتفاعاً . وتكون الرياح الرطبة القادمة من الجنوب الغربي ومن الشمال الشرقي ، والتي تهب على الجولان ، من أصل سيكلوني ، مما يفسّر غزارة الامطار التي تنتج عنها ، والتي يجب أخذ التأثير الطبغرافي فيها بعين الاعتبار . وتهبط هذه الرياح بعد ان تكون قد خسرت شطراً من رطوبتها نحو حوض حوران . فعند هبوطها تتسخّن وتنضغط بتأثير ظاهرة الانكباس مما يشرح لنا قحولة حوران النسبية . ويعود التأثير الاوروغرافي (الجبلي) للظهور مرة ثانية في جبل الدروز الذي تكون تهطالاته اوروغرافية بحتة .

٤ ـ تأثير البحر الابيض المتوسط

ان تأثير البحر على المناخ هو واقع معروف ومسلّم به ، ويعبّر عنه بتسمية المناخ البحري ، والذي يشير حسب مفهوم كل الناس ، الى المناخ المعتدل الذي يتنافر مع مناخ متطرف آخر يطلق عليه اسم المناخ القاري .

---

(19) J. Bourcart la mécanismé de l'érosin. 1e parti C.D.U. 1925 Paris P: 28

ويحدد وضع سورية في قلب الكتلة القارية شأن وضعها في نهاية البحر الابيض المتوسط ، الذي يمد حوضه بين اوروبا وافريقيا ، أقول يحدد كل نظامه المناخي بصورة اساسية .

وتتمتع كل مناطق هذا البحر الهامشية بمناخ يشتهر بصفة « الرومي » أي المتوسطي والذي تكون مميزاته معروفة لدى الجميع . أما بالنسبة للجولان فإن البحر الابيض المتوسط هو المصدر الوحيد لكل انواع الرطوبة ، من امطار ومن تكاثفات خفية ، او الندى . وتشهد المتوسطات السنوية المرتفعة للتهطالات ، شأن تشكل الندى الصيفي ، الذي يكاد يكون يومياً في اعقاب هبوب الرياح الغربية ، تشهد على التأثير الكبير لهذا البحر .

هذا وتستقبل الرياح البحرية ، الغربية والشمالية الغربية والجنوبية الغربية ، من قبل السكان بسرور خلال كل العام لأنها تجلب الامطار في الشتاء والندى والبرودة في الفصل القائظ . ويظهر تأثير البحر الابيض المتوسط بصورة جلية في توزع درجات الحرارة الحقيقية . ويؤدي وجود هذا البحر ه الأكثر برودة من الأرض خلال القسم الاعظم من السنة ، الى تخفيض درجات الحرارة الوسطى كلما كان البحر اكثر اقتراباً . وينتج عن ذلك كون خطوط الحرارة المتساوية مائلة على بعضها أو تنخفض من جانب البحر عوضاً عن أن تكون متوازية مع دائرة خط العرض[٢٠] فالسعات الحرارية التي نجدها تتزايد ، في كل مكان من الغرب نحو الشرق تشير الى تناقص مفعول البحر التنظيمي .

واخيراً فإن البحر هو الذي يجعل أكثر الشهور حراً واكثرها برداً على الساحل ليسا تموز وكانون الثاني كما يحصل عادة بل هما على الغالب آب وشباط .

ولا يكون الجولان كما هو الحال على الساحل خاضعاً لتأثير البحر المباشر ولتأثيره التنظيمي . وهكذا نجد في القنيطرة أن أكثر الشهور حراً لا يكون تموز بل آب ، ولكن كانون الثاني يظل دوماً هو أكثر الشهور برودة .

20 — Charles Combieir. Climatologie de syrie et du Liban. Rev. Góg. Phy. et geoı.et géol.dyn T.6. Fasc. 4. 1933.

٥ ـ تأثي الوضع الجغرافي

ان اهمية وضع سورية ، على الجغرافية الطبيعية والبشرية ، عند تلاحم ثلاث قارات العالم القديم هي أمر معروف منذ زمن بعيد . ومن العجيب ان نلاحظ ان هذا الوضع يلعب في مجال علم الانواء دوراً لا يقل اهمية . ولهذا لا يكون من المستطاع ان نعرّف في سورية نظاماً مناخياً بسيطاً ، إذ تتجلى فيها وتسود مؤثرات آسيوية وافريقية واوروبية .

ففي خلال شهر حزيران وتموز وآب تكون سورية ، بصورة شبه كاملة ، تحت تأثير رقعة الضغط المنخفض لموسميات الهند ، وفي حوالي نهاية الشتاء وفي الربيع ، يكون العنصر المسيطر هو تيار هواء بارد قادم من السهوب الروسية ، وبين فترة وأخرى يمر اضطراب من نمط فريد ، شديد وقصير الامد ، قادم من شمال شرق افريقية . ويلعب تعقيد أصل هذه الكتل الهوائية وتحديد مميزاتها دوراً هاماً في علم الانواء السوري **هذا وتلعب الطرائق** القائمة على تحليل كتل الهواء ذاتها ، والبحث عن مصدرها ، هنا دوراً اكثر اهمية مما هو عليه الحال في شمال غرب اوروبا[٢١] .

ونستطيع في الحقيقة ، ان نميز في الجولان كتلاً هوائية من أصول وصفات مختلفة . ويمكن القول بصورة تقريبية ، أن كتل الهواء المتوسطية من **أصل قطبي أو شبه مداري ، والتي تبلغ سورية ، تتنافر مع كتلٍ هواء من** أو آسيوي بحت . وهذه الكتل الآسيوية الأخيرة هي التي توجّه نحو الجولان رياحاً شرقية ، تكون جافة وباردة شتاء وتسبب طقساً صحواً مستقراً نسبياً مما يشهد على أصلها الآنتسيكلوني .

وتكون هذه الرياح شديدة الجفاف وشديدة الحرارة صيفاً . ويؤدي مرورها عبر العراق الأدنى وبادية الشام الى استفحال صفاتها المتطرفة ، وتكون هذه الرياح المذكورة ضارة في سائر الفصول ويستقبلها السكان بشعور مشوب بالقلق .

---

21 W. B. Fish Précité P.96

٦ ـ تأثير طبيعة التربة والنبات على المناخ

« تتحكّم طبيعـة التربـة وبـاطن الأرض بصـورة عاليـة على المشهـد الطبيعي والنبـات ، وبـذلـك تمارس على المنـاخ مفعـولاً غير مبـاشـر بواسطة المحـاصيـل الـزراعيـة ، من كرمـة ، وحبـوب ، ومـروج وأصنـاف غابيـة . فالغـابـات تصـد الـرياح وتخفف من التبدلات الحرارية ، كما تنشر جّواً منعشاً رطوبة أكبر »[٢٢].

ولا يعـود التأثـير الحـراري للغـابـة الى انهـا تحمي التربة من التشمس والاشعاع فحسب بل لأنها تطلق قدراً لابأس به من الرطوبة ، فتؤدي بالتالي الى تقليص التبدلات الحرارية .

وعلى هذا نجـد ان لمدينتي القنيطـرة وفيق سعـات حراريـة متعـادلـة تقـريبـاً ، فتكـون السعـة في الاولى ١٦٫٩٨ درجة مقابل ١٦٫٢٠ في الثانية ، وذلك رغم اختلاف العرض والارتفاع . فتكون الاولى في شمال الجولان على ارتفاع ٩٣٥ متراً في حين تقع الثانية في جنوبه ولا يزيد ارتفاعها عن ٣٣٠ متراً .

ويجب ان يكـون للقنيطـرة سعـة حراريـة أكثـر اتسـاعاً ، وذلك بصورة نظرية على الاقل . ذلك هو المفعول المعدل الذي تمارسه الحراج المجاورة التي تعمـل على تقليص التبـدلات الحرارية . وهذه الاحراش هي التي تزيد كمية المياه التي تتلقـاها الأرض بتأثير الضباب والتي تتكاثف على الأوراق ، وذلك هو ما يدعى بالتكـاثفـات الخفيـة . ولكن من العسير تبيان ما اذا كانت الغابة هي السبب ام النتيجة .

وفي الـواقـع لقـد قضى الانسان ، في الجولان ، على مساحات واسعة من هذه الغابات وساهم بالتالي في جفاف مناخ الجولان . ولم تتمكن الاشجار المقطـوعـة من النمـو من جديد أو تعود للنمو مع كثير من الصعوبة ، غير ان مما يجدر ذكره ان دور الانسان في اختلال توازن المناخ يبدو هزيلاً جداً .

رابعا – العناصر الرئيسية في المناخ

١- الحرارة

تتم ملاحظة الحرارة في كل سورية الجنوبية ضمن عدد محدود من المحطات التي تؤلف جزأ من دائرة المراكز الزراعية السورية. ولحسن الحظ يكون اختيار هذه المحطات جيدا بحيث يمكننا أن ندرك من خلالها بسهولة شرائط توزع الحرارة في هذه المنطقة. وتظهر اللوحة التالية درجات الحرارة الوسطى الحقيقية السنوية في سبع محطات :

لوحة رقم ١- توزع المتوسطات السنوية للحرارة الحقيقية والمصححة على مستوى سطح البحر

الرقم	المحطات	الارتفاع بالامتار	الحرارة الوسطى السنوية الحقيقية	الحرارة الوسطى السنوية المصححة
١	القنيطرة	٩٣٥	١٥ر٢٥ درجة	٢٠ر٢٦
٢	فيق	٣٣٠	١٨ر٨٨=	٢٠ر٨٦
٣	أزرع	٥٨٠	١٧ر٦٩	٢١ر١٧
٤	السويداء	١٠٠٠	١٦ر٦٥	٢٢ر٥٠
٥	درعا	٥٠٠	١٨ر٥٣	٢١ر٥٣
٦	قطنا	٨٨٠	١٧ر٥٧	٢٢ر٨٥
٧	دمشق	٧١٠	١٧ر٢١	٢١ر٢٧

ويظهر من هذه اللوحة أيضا توزع المتوسطات السنوية المصححة للحرارة بعد حذف مفعول الارتفاع بإعادتها الى مستوى سطح البحر(٢٣). وهكذا نرى بصورة جلية أن المتوسطات السنوية تكون متقاربة بصورة محسوسة. غير أن الفحص الدقيق لهذه اللوحة يسمح لنا باستخلاص الملامح المميزة للتوزع العام لدرجات الحرارة :

---

(٢٣) على اساس تناقص الحراة بمقدار ٦ر٠ من الدرجة لكل ١٠٠ م من الارتفاع

- تتناقص درجات الحرارة الصحيحة بصورة واضحة من الجنوب نحو الشمال مما يبين تأثير العرض والارتفاع في الوقت ذاته .

- تتكشف المتوسطات السنوية للحرارة الحقيقية في كل من القنيطرة والسويداء عن التأثير الواضح للارتفاع .

- أما توزع المتوسطات السنوية لدرجات الحرارة المصححة حسب مستوى سطح البحر فيظهر تأثير البحر الأبيض المتوسط . وهكذا نرى أن المتوسط السنوي للحرارة يتزايد من الغرب نحو الشرق أي من البحر نحو الداخل ، لأن وجود البحر الأبيض المتوسط الأكثر برودة من الأرض خلال الشطر الأعظم من العام يجنح إلى تخفيض درجات الحرارة العظمى كلما ازددنا اقترابا منه .

وتكون اللوحة التالية ، التي تضم زمرتين من المحطات معبّرة للغاية في هذا الخصوص . فالمجموعة الأولى تقع في أقصى الجنوب من المنطقة في حين تقع الزمرة الثانية في أقصى الشمال .

لوحة رقم ـ ٢ ـ تأثير البحر الأبيض المتوسط على التوزع الوسطي لدرجات الحرارة المصححة .

الزمرتان	المحطات	درجات العرض شرق غرينتش	متوسطات الحرارة السنوية المصححة
	فيق	٣٥ر٤	٢٠ر٨٦
الاولى	درعا	٣٦ر٠٦	٢١ر٥٣
	السويداء	٣٦ر٣٤	٢٢ر٥٠
	القنيطرة	٣٥ر٤٩	٢٠ر٨٦
الثانية	أزرع	٣٦ر١٥	٢١ر١٧
	دمشق	٣٦ر١٧	٢١ر٤٧

ويظهر من اللوحة الثانية أيضا أن المتوسطات المصححة تكون على قدر لابأس به من الارتفاع ، ويفسر هذا بالطبع بموقع المنطقة شبه المداري .

أمـا توزع السعـات الحـراريـة السنـويـة فيـدل بدوره أيضا على التأثير البحري . فتتزايد قِيَمُهامن الغرب نحو الشرق أي بصورة مطابقة لتناقص تأثير البحر الأبيض المتوسط باتجاه داخل البلاد .

وهكذا نجد أن السعة السنوية في فيق تكون ١٦ر٢ درجة في حين تكون السعـة في درعـا ١٧ر٠٥ وتـؤكد محطتا القنيطرة ودمشق الملاحظة ذاتها : فتبلغ سعة الأولى ١٦ر٦٨ في حين تكون سعة الثانية١٧ر٤٢ .

وفي الـواقـع تكـون السعـات الحـرارية في الجولان مشابهة لمثيلاتها على الساحل أكثر من مثيلاتها في المنطقة الداخلية . وتكون اللوحة رقم ـ ٣ ـ معبِّرة جدا في هذا المجال :

اللوحة الثالثة: توزع السعات الحرارية من الساحل باتجاه الشرق

الساحل		الجولان		الداخل السوري	
بيروت	١٤	القنيطرة	١٦ر٦٨	درعا	١٧ر٠٥
اللاذقية	١٦ر٣	فيق	١٦ر٢٠	دمشق	١٧ر٤٢
				حماة	٢١ر٧٩
				دير الزور	٢٦ر٢٤

وتتـزايـد السعـات كما هو الحـال بالنسبة لكل سورية ، من الجنوب إلى الشمال . وهكذا نجد أن للقنيطرة سعة أكبر من السعة في فيق ، كما أن السعة في دمشق أكبر من السعة في درعا .

ويبدو توزع السعات الحرارية إذن كظاهرة شديدة الانتظام مما يستبعد أن تكون من مفعول الصدفة : « إذ لا يمكن تفسيرها بسهولة إذا تدكرنا بأننا كلما انتقلنا نحو الشرق فإننا نبتعد عن البحر وعن تأثيره المنظّم ، في حين كلما صعدنا نحو الشمال ، فإننا نقترب من الكتل الجبلية في تركيا ، المغطّاة بالثلوج شتاء ، فتؤدي بذلك إلى تبرّد كبير » (٢٤)

وتكون منحنيات توزع الحرارة بين أشهر السنة بسيطة نوعا ما وتشهد كلها على وجود حد أدنى شتوي وحد أقصى صيفي . وينطبق الأول والثاني بالطبع على الانقلابين .

ويكون شهر كانون الثاني على العموم أكثر الشهور بردا

المحطة	كانون اول	كانون ثاني	شباط
القنيطرة	١٠ر٦	٦ر٣	٧ر٠٧
درعا	١٠ر٨٦	٩ر٦١	٩ر٧٠
دمشق	٩ر٦٣	٧ر٥٨	٨ر٩١
فيق	١٠ر٩	١١ر١	١٣ر٣

ولكن قد يحدث أن يتعادل شباط في برده مع كانون الثاني أو قد يتفوق عليه دون أن تكون هذه الظاهرة عامة في كل المحطات في العام ذاته . وهكذا فقد سجلت القنيطرة في عام ١٩٤٥ المتوسطات الشهرية التالية :

	كانون الثاني	شباط
القنيطرة	٥ر٩	٤ر٩١

وقد سجلت درعا الظاهرة ذاتها ولكن في عام ١٩٥٣ : ١٠ر٧ في كانون الثاني و٩ر٧ في شباط . وعلى عكس كل المحطات في سورية الجنوبية فإن

24 — CH. Combier. précité P. 326

آذار يكون أحيانا أكثر بردا من شباط في القنيطرة وفي فيق . ويكون هذا الشهر أقرب للشتاء منه إلى الصيف .

ويأخذ الحر بالتزايد بصورة فجائية نوعا ما منذ بداية شباط وفي خلال شهر أيار

وكان هناك في القنيطرة ، اختلاف مقداره ٨ر٣ درجات بين متوسط اذار ومتوسط شباط ، وفي فيق كان مقدار الاختلاف ١ر٥ درجات في ١٩٥٦[٢٥] . ولشهر حزيران دوماً متوسط يفوق ٢٠ درجة . وتظهر أعلى درجات الحرارة الوسطى في تموز وفي آب في كل المنطقة نظراً لاستمرارية واستقرار الحر خلال هذين الشهرين . ويعتبر شهر آب أكثر الشهور حرا ، ولكن تموز يتفوق عادة في دمشق ، وفي بعض الأحيان في المراكز الأخرى .

وتكون الحرارة في الخريف أعلى من حرارة الربيع ، فيكون أيلول احيانا أكثر حراً من تموز ، مثلما يكون أيار أقل حراً من تشرين الاول . ويلاحظ الفلاحون استمرار الحر الخريفي أيداً بقولهم « بين تشرين وتشرين صيف ثان » حسب المثل المحلي :

وابتداء من كانون الاول تأخذ الحرارة بالانخفاض والمطر بالتساقط بصورة متفاوتةفي غزارتها . ويكون المتوسط الشهري للحرارة ١٠ درجات . وهكذا تنذر الحرارة المنخفضة بقدوم الفصل البارد والرطب في في الشتاء .

وأخيراً فان الاختلاف بين أشهر الشتاء وأشهر الصيف انما ينجم عن شدة البرد الشتوي أكثر مما هو عن القيظ الصيفي وعلى الرغم من ان البرد والانجماد يظهران بضع مرات فإن السنة تنقسم الى شطرين أقل تمايزاً حسب السعات الحرارية منه حسب الرطوبة والجفاف .

٢ ـ الضغوط والرياح

تساهم الحركات الجوية ، من جهتها ، في مجمل الملامح المميزة

---

(٢٥) تكون الملاحظات التي تغطي الفترة ذاتها ناقصة ، وهكذا لانستطيع تقديم الارقام المقابلة للعام نفسه وكذلك بالنسبة للمحطات الاخرى في سورية الجنوبية .

للمناخ . فسورية الواقعة بين نطاق الاليزه في الجنوب وبين نطاق الرياح المضطربة غير المنتظمة في الشمال ، تكون خاضعة لرياح يبدو عليها انها تشترك تارة في انتظام النطاق الجنوبي وتارة في عدم انتظام النطاق الشمالي .

وتكون دراسة نظام الريح هامة جداً ، ولكن يكون الريح ، من بين كل العناصر النوئية في سورية ، هو اقلها اهلية لعرض معقول . فهناك شذوذات ظاهرية على الأقل ، تجعلنا نميل للاعتقاد بأن التعقيد هو الطابع المهيمن ، وهو ما يفسّر بكونه متعلقاً بعوامل مختلفة .

ويجب ان تعتمد دراسة الرياح على دراسة الضغط الجوي ، فالضغط ، أو بالاحرى ، غراديان الضغط ، هو الذي يفسّر تكوين الرياح ، فمراكز العمل التي تتحكم في نظام الرياح في سورية تقع في معظمها في خارج هذه البلاد .

وهناك نوع من تماثل قائم مع المناطق المدارية ، فقد تتسبّب منخفضات قليلة العمق وذات رقعة ضئيلة الاتساع في انطلاق رياح على درجة لا بأس بها من القوة ، تبلغ ٥٠ ـ ٦٠ كم /ساعة وأكثر من ذلك . وقد تثور عواصف رعدية فيها خلال بضع ساعات ومن هذا تأتي صعوبات التنبؤات .

فقد يضطرب طقس كان يغلب عليه الهدوء نتيجة تطور مفاجىء لمركز صغير من ضغط منخفض بين قبرص وسورية لم يتكشف في البداية على الخرائط الاجمالية . ويؤدي في كل مكان خلال ثلاث أو ست ساعات الى اثارة ريح تصل سرعتها الى ٥٠ كم / ساعة . غير ان هذه المنخفضات القليلة المدى والتي تؤدي الى تبدلات فجائية لا تؤلف أكثر من عنصر ثانوي في المناخ السوري .

أما مراكز العمل وكتل الهواء التي تطلقها فتكون بالفعل واسعة ومستقرة نسبياً . وعلى خلاف ما يجري في بقية حوض البحر الابيض المتوسط ، فإن الشرق الاوسط العربي يكون مشغولاً بصورة وسطية بضغوط عالية في الشتاء وبضغوط منخفضة في الصيف ، وتكون واضحة فعلاً وبصورة متفاوتة خلال كل العام في بلاد ما بين النهرين .

« فآنيسكلون آسـور ، المؤلف من هواء مداري بحـري ، لا يلعب هنا أي دور . ولكن في الخريف وفي بداية الشتاء على الخصوص ، تنشأ ظهرة من ضغـوط عاليـة مصـدرهـا الصحراء الكبرى وتتمدد ، بعد تقلّصها فوق البحر الاحمـر ، حتى شبـه جزيـرة العـرب حيث قد تتـلاحم مع الضغـوط العليـا الآسيـويـة . وقد يتمكن ما نسميه عادة بالآنتيسيكلون الاوراسي او السيبري بالفعل ان ينشر ، من خلال الاناضول أو ايران ، كتلاً من هواء قطبي قاري . . . .

ولكن قد تنـدسّ ، بين هذين المـركـزين من الضغـوط العـاليـة ، بين الخـريف والـربيـع ، منخفضـات جويـة قادمة من الغرب ، على طول البحر الابيض المتوسط »[٢٦]

غير ان المنخفضات القادمة مباشرة من الاطلنطي تكون نادرة وتتولد في الغـالب في شرقي مالطـة . وتستطيـع هذه المنخفضـات ان تعطي ، وذلـك حسب القطـاع المعـين من الهـواء السيكلوني ، وحسب النقطـة المحـددة من البلاد ، رياحاً غربية ، وشمالية غربية ، أو جنوبية غربية .

هذا ويتغـير الـوضـع البارومتري من فصل لآخر ، والاوضاع الفصلية هي التي تفسّر لنا طبيعة واتجاه الرياح .

وفضـلاً عن ذلـك يكـون الـوضع البارومتري خلال الصيف ، في كل الشـرق الاوسـط العـربي ، أكثـر بساطة واستقراراً مما هو في الشتاء . فلا نجد ابداً مراكز ضغط عالٍ وتبدو المنطقة هذه ، بقضّها وقضيضها ، وكأنها مندمجة في نطـاق الضغـوط المنخفضـة الصيفية المدارية . ويكون الطقس الناجم عن هذا الوضع هادئاً بشكل يثير العجب من نهاية آيار حتى بداية أيلول .

وهكـذا تسـود في الصيف ريـاح منتظمـة اشتهـرت باسم الـريـاح الصيفيـة . وتأتي هذه التسميـات الصيفيـة ، دون أمطار طبعاً ، من الغرب أو

---

26 — J. Dresch. peécité. P.257 —258

من القطاع الشمالي الغربي .

إذن تكون الرياح الغربية والشمالية الغربية شبه مستمرة لأنها تهب صيفاً مثلما تهب شتاءً . وعلى كل حال فان طبيعتها ونتائجها مختلفة من فصل لاخر .

وفي الصيف نظراً لوجود حدّ ادنى من الضغط الجوي السمتقر فوق داخل القارة ، أي في الصحاري الشديدة التسخن في شرقي البلاد ، يكون الريح مجذوباً من الغرب ، أي من البحر المتوسط ، الذي يكون مقر ضغوط عالية نسبياً ، ويصل هذا الريح الى سورية قادماً من الشمال الغربي . ويجلب هذا الريح المشحون بالتأثير البحري هواءً ندياً منعشاً يقي البلاد من موجات الحر المفرطة ويجعل شهري تموز وآب لطيفين الى حدّ ما .

ويستقبل الاهلون الريح الغربي في الجولان ببشر فهو يوحي للسكان بشعور الاستحسان الذي يعبر عنه المثل الشعبي القائل : « الغربي فرّح لي قلبي » .

وعلى كل ، ونظرا الى ان الريح الغربي الصيفي لايرتبط بأية حركة سيكلونية ، فهو لايجلب المطر مطلقاً[٢٧] .

هذا ويكون جوار البحر في كل عالم البحر الابيض المتوسط غير موائم لتشكل الامطار الحملانية ، ذلك ان وجود البحر البارد نسبياً يتسببّ في تطبقّ حراري معادٍ لتشكل الأمطار .

أما توزع الضغط الجوي المخالف ، في الشتاء ، فيؤدي لنظام آخر بكل معنى الكلمة . فبين مركزي الضغط العالي ، أي آنتيسيكلون آسور ، والآنتيسكلون الاوراسي ، تنساب ابتداءً من الخريف وحتى الربيع ، وعلى الخصوص في الشتاء ، منخفضات قادمة من الغرب وتعتري كل الحافة الشرقية للبحر الابيض المتوسط . و« تنشأ معظم المنخفضات في شرقي مالطة وليس الى الغرب منها » .[٢٨] .

---

(٢٧) وقد اطلق جاك ويلسن على هذا الريح الغربي الجاف « الموسميات الجافة (المعرب)

28) W.B. Fisch. Précité. P:97

وتقـع اقصى سرعـة للريـاح في الشتـاء تحت هيمنـة غراديان الضغط ، وتكـون العـواصف الشتـويـة على العموم قصيرة المدة ، وتنفصل عن بعضها بالعديد من الايام الهادئة الطقس .

وتصـدر الـريـاح الشتـويـة في أغلب الاحيان من الغرب أومن الجنوب الغربي . وتكون عادة هي التي تحمل معها الامطار .

ويعرف سكان الجولان بصورة جيدة مميزات مختلف الرياح التي تهب على منطقتهم . ويقولون عن الغربي « كم من الأنهار سالت بفعلها » وذلك تعبيراً عن انهـا رطبـة ومطـيرة . ويتصف ريـح الجنـوب الغربي ، او القبلي ، بعنفه وبمطـره فيقـولـون : « كم خربت من بيـوت (لعنفها) ولكن كم املأت من أكياس (وبالتالي هو الذي يجلب امطار المواسم الطيبة) ، ويهب من حين لآخر ريـح قادم من الشـرق ، يكـون جافـاً وبـارداً في الشتاء ، يساعد على جفاف الهـواء ، وعلى وجـود طقس صحـو صافٍ للغـايـة ، ومستقـر ، ينجم عنه ، بالتـــالي ، تبرّد ليـــلي مصحـــوب بانجـماد . وهـو أكثـر انـواع الطقس ايـذاءاً للحيـوانـات الضـامـرة وللنباتات الصغيرة التي بدأت بالأنتاش ، وبالتالي فإن الـريـح الشـرقي يشقق البشرة ويسبب الأوجاع ، ويهب الريح الشرقي في كثير من الاحيـان في الفـترات الانتقـاليـة بين الفصل الجاف والفصل الرطب ، في الخـريف وفي الـربيـع ، ويكثـر ترداده ويكون عنيفاً جداً خلال « الأربعينية » ويحـول ، نظـراً لشـدةجفـافـه وقساوةبرده ، دون نموالنباتات العشبيةفي المروج الطبيعية ويعرض تربيه الماشية لمخاطر شديدة .

ولقـد سبق لنـا ان اشرنا في موضع آخر الى أن فترة القيظ الصيفي تظل شديـدة حتى تشـرين الثـاني ، وهكـذا ، وبعـد اوائـل الامطار الخريفية تنمو الاعشـاب والنباتات المزروعة بسرعة تحت تأثير الحر والامطار . ولكن الشرقي يأتي على الغـالب مبكـراً ويجفف النبـات النـاشيء الذي عليه ان ينتظر حتى نهايـة « الاربعينيـة[٢٩] كي يستأنف نمـوه وهكـذا تكـون المحـاصيـل والمـروج الطبيعية طيبة أو رديئة حسب استمرارية وشدة الشرقي .

---

(٢٩) ويقصد بها الايام الاربعين الاولى من فصل الشتاء ، وهي ايام الشتاء برداً .

واستنـــاداً الى المثـــل الشعبي ، الشـــديـدالتعبـير بالفعـل ، والقـائـل « الشرقي حطبة » ، فإن جفافه يعمل على برم الأغصان عن طريق تيبيسها ، وهو بارد ، لأنه يتطلب الحطب للحرق أي للاستدفاء .

ويكون الشرقي ، الجاف على الدوام ، حاراً جداً في الربيع ، فيلهب الهواء ، ويعمل على نضج الثمار والسنابل ، ويضع حداً لخضرة الربيع بسرعة قصـــوى . ويهب عادة من الصبـاح حتى ما بعـد الظهـيرة ، كي يحل مكـانـه الغربي بعد الظهيرة ، مع برودته المنعشة التقليدية ، ولكن مع تبرد ليلي ينتج عنه الندى .

. ويقوم الفلاحون بالحصاد في وقت مبكر حتى الفترة حتى تقوم الشمس فيها ، بعد شروقها ، بتبخير قطرات الندى التي تبلّل سيقان السنابل . وما أن تتجفف سيقـان الحصيـد حتى تأخذ بالتهشم تحت الأيدي والمناجل ، وعندها يتوقف الحصادون كيلا تتبعثر السنابل . ويباشر الفلاحون بعد عودتهم للقرى بممارسـة عمـل آخر ، وهو الدراس الذي يصبح ميسوراً بفعل التجفف الذي اعترى الغِمار المكدّسة فوق البيادر .

غير أن الـريـح الشـرقيـة لا تكون مناسبة لعملية التذرية ، ولهذا ينتظر الفـلاحـون استئنـاف الـريـح المنتظم لفـترة ما بعـد الظهـيرة والذي يهب من الغربي ، وقد تستمر التذرية احياناً حتى منتصف الليل .

ولمـا كانت الـريـح الشـرقيـة غير موائمـة دائـماً للمـزروعات وللأشغال الـزراعيـة فإن الفـلاحـين يعبر ون عن استيائهم منها بقولهم : « انه لا يملىء سوى الجيوب في حين ان الغربي يملىء العدول » .

ورغم اختـلاف صفـات ونتائج الريح الغربي والريح الشرقي فأنهما أكثر الرياح هبوباً فوق الجولان .

ويذكر حكماء اليهود أن ريح الشمال « هو الذي يطرد الغيوم ويجلو السماء بعـد ليـل مطـير » ، فصفـاء الجو الذي ينجم عنه أصبح مضرب الأمثال[٣٠] . وهـذه ملاحظـة صحيحـة جداً على الغـالـب بالنسبـة للجولان ايضاً ، ولكن

---

30 — Abel. Précit

الـريـح القـادم من الشـمال أي الشمالي ، يتسبّب ، قبل طرد الغيوم ، بسقوط الثلوج كنتيجة لهبوط الحرارة الفجائي الذي ينجم عنه مسبقاً .
ويخشى الفلاحون الريح الشمالية شتاءء لانها تقشع الغيوم وتحول دون هطول المطر .

ومن ناحية أخرى فإن ريح الشمال الشتوية تهب بعنف محسوس جداً . فهي تهب على الجـولان عبر جبـل الحـرمون المغطى بالثلج ، فتتبرد فوق قمم جبــل الشيـخ ، ثم تنهمـر بصـورة عنيفـة فوق منطقتنـا . ذاك هو الفـوهن أو بالأحرى ، هو ريح مسترال الجولان . أما بالنسبة لعرب المنطقة « فالشمالي هو غضب من الله لأنـه يُبكي الـرجـال (البرد) ويطيّر الابناء (لعنفه) » بيد أن هذا الـريـح اللطيف والنـدي غالبـاً ما يعرف بإسم الشمالي من قبل السكان ، والذي لا يكون بالواقع ، سوى ريح الشمال الشرقي ، أو الريح الصيفي التقليدي .

أمـا ريـاح الجنـوب والجنوب الشرقي فهي أكثر الرياح ندرةً(31) ، فتكون مشحـونـة أحياناً بالغبار وبالرمال لأنها من أصل صحراوي . فهي تعمل على تعتيم السـماء بنــوع من لون حليبي كثيف(32) وتؤدي الى ارتفـاع فجـائي في الحرارة ، مما يعمل على رفع متوسطات الحدود القصوى ولا سيما قيمها المطلقة .

نسيم البحر

اذا كان الحد الاقصى للريح يقع في الشتاء بتأثير غراديان الضغط ، فإن الصيف يكـون ، على خلاف ذلـك ، أكثـر الفصـول ريـاحـاً ، فهناك نسق منتظم من رياح نشيطة يستمر خلاله كما أن الأيام الهادئة تصبح نادرة بكل جلاء .

---

(31) القبلي في الجولان هو الذي يهب غالباً من القطاع الجنوبي الغربي .

(32) يرى شيوخ الشراكسة في الجولان أن رياح الرمل والغبار هي نذير شؤم او إشارة حرب .

« وتكون المركّبة الرئيسية لهذه الرياح الصيفية هو نسيم البحر . . . ففي البلاد المعتدلة ، يتقدم النسيم المذكور حتى مسافة خمسين كيلومتراً في داخل الأراضي ، أما في سورية ، كما هو الحال في الأقطار شبه المدارية ، فإنه يتوغل لعمق أكبر في اتجاه الداخل »[٣٣]

ويحّس الناس في الجولان بقدومه ، فيما بعد الظهيرة ، على أثر برودة محببة جداً في الصيف ، ويجلب نسيم البحر خلال الليل سحباً وضباباً تتكاثف رطوبتها بتأثير التبرد الليلي ، ولدى تماس السطوح الباردة ، كي تعطي كمية وفيرة نوعاً ما من الندى .

ويتوغل نسيم البحر خلال الصيف باتجاه الداخل حسب سرعة عظيمة (٤٠–٥٠ كم / ساعة حسب فيش) . وتفسّر هذه الشدة الفريدة ، لما يبدو أنه نسيم ، بتراكب تأثيري الوضع البارومتري والوضع الحراري لظاهرة النسيم الصرفة . وذلك أن غراديان الضغط يكاد ينطبق تماماً على اتجاه النسيم بحيث يتضافر التأثيران ، « لما كان الريح يجنح في حده الاقصى الى أن يهب حسب اتجاه من الجنوب الغربي تقريباً كما تقضي الاوضاع النظرية للنسيم ، فإنه يشهد على تراكب التيارين . أما أوقات الهدوء الليلي فتفسر ، على العكس ، بتداخل ريح الغراديان مع نسيم البر الخفيف ، وكذلك بجنوح معروف جيداً نحو الهدوء خلال الليل . ويجنح نسيم البحر الى الاستمرار في الشتاء رغم كونه مخففاً جداً»[٣٤]

ويكون نسيم البر الليلي ظاهرة متممة لنسيم البحر . ويكون هذا النسيم أقل وضوحاً وأقل تردداً من نسيم البحر ويتعقد بتداخلات بارومترية ورياح كاتاباتية . وتكون رياح البر شديدة في الشتاء .

ولما كانت هذه الرياح مستقلة عن التضريس فإنها تكون شديدة التغير من حيث الاتجاه والشدة من مكان لآخر ، وتبدو حالة قريتي الجويزة والبريقة

W. B. Fisch. prećitep .107

34.. W.B. Fisch prećiteP .108

شديدة الدلالة في هذا المعنى . وتقع هاتان القريتان على جانبي الكتلة البركانية ، وقريتي بريقة وبير عجم داغلري ، فالاولى تقع على السفح الغربي في حين تقع الثانية على السفح الشرقي .

ويهب الريح الشرقي على بريقة بلطف ولا يخشى السكان اطلاقاً توجيه ابواب بيوتهم نحو الشرق فهذا الريح بعد ان يجتاز قمم الكتل البركانية ينهمر بعنف على قرية الجويزة التي لا يوجه اهلها بيوتهم اطلاقاً نحو الشرق .

أما فيما يتعلق بالعلاقات بين التضريس والريح ، فقد سبق لنا أن أشرنا الى وجود حاجز جبلي وهو قليل الارتفاع ، على كل حال ، والذي يحجز بين البحر الابيض المتوسط والجولان ، كما أشرنا سابقاً ، في هذا المجال ، الى الدور الهام الذي تلعبه الفتحات أو الممرات التي تقطع الحاجز بصورة عرضانية مما يمنح بالتالي ، منفذاً لتوغل رياح البحر باتجاه الداخل .

هذا ويجدر بنا التنويه الى ان سرعة الرياح التي تخترق الممرات تزيد بالتالي الانضغاط الذي تتعرض له (مفارقة فانتوري) .

٣ ـ الماء في الجو

يلعب المطر بالفعل ، دورا من الطراز الاول في كل اقطار الشرق الاوسط حيث يسود جفاف مطلق خلال شطر كبير من العام . وهذا المطر هو الذي ينظم ، في خاتمة المطاف ، حياة الناس شأن حياة الحيوانات والنباتات .

فحيثما كان هناك ماء ، كان هناك رخاء ووفرة ، وحيثما انعدم فهناك ، حالا ، الصحراء .

الرطوبة والتغيم

تقدم رطوبة الهواء النسبية ، دون ادنى ريب ، اكبر التغيرات خلال المكان والزمان ، بالموازنة مع بقية كل العناصر المناخية . وقد تمّ تسجيل الرطوبة النسبية في كل سورية الجنوبية ، في محافظة دمشق لوحدها اعتباراً من عام ١٩٥١ ، أما بلدة فيق فقد ادمجت لوحدها ضمن شبكة الملاحظات النوئية الجديدة ابتداء من عام ١٩٥٦[٣٥] .

(٣٥) وهي شبكة دخلت حيز العمل بواسطة قسم الارصاد الجوية . وزارة الدفاع السورية .

فإلى جانب معارفنا العامة عن الرطوبة النسبية في سورية فإن بعض الاحصائيات المتوفرة تساعدنا في اعطاء صفات هذه الرطوبة في الجولان .

ويمكن ابراز تأثير البحر الابيض المتوسط من ناحية ، والاوضاع الجغرافية من ناحية أخرى ، على توزعات الرطوبة النسبية وذلك بمقارنة المتوسطات الشهرية لأربع محطات مختلفة في درجة تعرّضها للرياح البحرية الرطبة .

	فيق	دمشق	دير الزور	حمص
كانون ثاني	٧٤ر٧	٧٢	٧٩ر١	٨٠
شباط	٦٤	٦٢	٥٣	٦٧
آذار	٦٦ر٣	٥٧	٥٧	٧٢
نيسان	٥٧	٣٨ر٣	٣٨ر٧	٦٥
أيار	٤٦ر٣	٣٢ر٣	٣٠ر٣	٥٥ر٣
حزيران	٤٥	٢٧	٢٢ر٦	٤٨ر٧
تموز	٥٤ر٧	٢٥ر٣	١٤ر٣	٤٨ر٣
آب	٥٤ر٣	٣٢ر٧	٢٠ر٣	٥٣
أيلول	٤٦ر٧	٢٤ر٣	٢٧	٥٨ر٣
تشرين اول	٤٤	٤٢ر٣	٣٥	٥٢ر٣
تشرين ثاني	٤٣ر٧	٤٥ر٣	٤٤ر٦	٦٧ر٣
كانون أول	٤٦ر٧	٦٩	٧٩	٧٠
المتوسطات	٥٥ر١	٤٣ر٨ ٪	٤١ر٢ ٪	٦٢ر٢ ٪

اللوحة الرابعة عن توزع الرطوبة النسبية على أشهر عام ١٩٥٦ في اربع محطات متباعدة وفي أوضاع متباينة بالنسبة للبحر الابيض المتوسط .

وتحسب المتوسطات الشهرية استنادا الى ملاحظات يومية ، تجري في كل يوم ، في الساعة ٨ و ١٤ و ٢٠ حسب التوقيت المحلي . وتوضح اللوحة الرابعة النقاط التالية :

لقد سجلت حمص في ١٩٥٦ رطوبة نسبية اكثر ارتفاعا من مثيلاتها في فيق ودمشق ودير الزور . وهذا يفسّر بوضع حمص الاكثر تقدما نحو الشمال ، وكذلك ايضا لوجود فتحة طرابلس حمص التي تعرّض هذه المدينة لرياح بحرية رطبة .

وتدل الخطوط البيانية على تشابه ملحوظ بين فيق وحمص (فيق = ١٢)مثلما تدل ايضا على وجود فترتي انخفاض في الرطوبة تنطبقان على الربيع والخريف . ويفسّر هذا الانخفاض بتواتر رياح جافة شرقية خلال الفصلين الانتقاليين .

وللقنيطرة وضع مماثل لوضع حمص ، فهي معرضة لرياح بحرية تهب من خلال ممر مرجعيون . واذا كنا نفتقر الى ملاحظات عن الرطوبة النسبية للقنيطرة على التحديد ، فإن النظر الى المتوسطات السنوية للتهطالات (قنيطرة ٩١٩ مم وحمص ٦١٢ مم) يجعل من الممكن التخمين بأن الرطوبة النسبية في القنيطرة اكثر ارتفاعاً من مثيلتها في حمص .

هذا وتتعرض فيق ايضا للرياح البحرية القادمة من الجنوب الغربي ، فتكون رطوبتها النسبية اكثر ارتفاعاً مما هي في دمشق على الرغم من ان هذه المدينة تحاط بحزام نباتي ، هو الغوطة ، ورغم وفرة مياهها .

ولا يظهر تأثير البحر الابيض المتوسط على درجة الرطوبة النسبية في حمص وفي فيق بمتوسط سنوي عال فحسب بل يظهر ايضاً ، وعلى الخصوص ، بدرجة عالية من الرطوبة خلال أشهر الصيف . وعلى خلاف ذلك تكون الرطوبة النسبية في دمشق وفي دير الزور ضعيفة الى حدّما .

ويكون الاختلاف في درجة الرطوبة لأكثر الشهور جفافا ذا دلالة كافية في هذه الحالة :

المحطات	اكثر الشهور رطوبة		اكثرها جفافاً		السعة
حمص	كانون اول	٨٠ر٧ ٪	تموز	٤٨ر٣	٣٢ر٤
فيق	كانون ثاني	٧٤ر٧ ٪	تشرين ثاني	٤٣ر٧	٣١
دمشق	=	٧٢ ٪	أيلول	٢٤ر٣	٤٧ر٧
دير الزور	=	٧٩ر١ ٪	تموز	١٤ر٣	٦٤ر٨

وهكذا نلاحظ ان لفيق ولحمص سعتين متقاربتين الى حدّ ما ومتباعدتين كثيرا عن مثيلتهما في دمشق ودير الزور من ناحية اخرى .

وتكون رطوبة الجو النسبية في الجولان مرتفعة نوعا ما خلال اشهر الصيف بحيث كثيراً ما يكون الهواء قريباً من درجة الاشباع وان التبرّد الليلي الخفيف يكفي لجعل السقوف تقطر ماء في الصباح كما لو كانت قد تعرضت الى طلّ خفيف . ذاك هو التكاثف الخفي والندى والذي سبق ان اشرنا الى اهميته اكثر من مرة .

وعلى كل فإن تكرر حدوث الندى ووفرته في الجولان هما من المميزات التي تتصف بها منطقتنا والاطراف المباشرة . ويمكن اعتبار التغيّم ، وذلك بالمماثلة مع رطوبة الهواء ، على أنه العنصر المناخي في الهواء الذي يكون له اكبر انطباع على الانسان : ذلك ان ضعف مقداره وشدة الانارة التي تكون نتيجته جزئياً ، هما ابرز مميزات اقطار البحر الابيض المتوسط ، مثلما يكونان اكثر حدة كلما ابتعدنا اكثر باتجاه الشرق »[٣٦]

ومن المتفق عليه ان يشار الى التغيم برقم يمثل الاجزاء العشرية من السماء المغطّاة بالغيوم ، فرقم ١٠ ينطبق على سماء محجوبة تماماً والرقم صفر يدل على صفاء السماء تماما .

بيد ان مصلحة الانواء الجوية والمناخية تشير الى التغيم برقم يمثل مقدار « اثمان اي ثمن » السماء المغطى بالغيوم . وسنلاحظ في اللوحة الخامسة

36.. Ch. Combier. precite: p.334

الملاحظات المتعلقة بالتغيم في عام ١٩٥٦ في المحطات الأربعة وهي : فيق ودمشق وحمص ودير الزور . وقد تمت الملاحظات يوميا في الساعة ٨ و١٤ و٢٠ حسب التوقيت المحلي .

وتشير اللوحة الى ان التغيّم الوسطي السنوي يكون عموما ضعيفا في سورية ، وسنرى اجمالا ووسطيا ان ربع السماء فقط يكون محجوبا بالسحب . هذا ومن ناحية اخرى فإن اللوحة المذكورة تشير بجلاء لوجود تطابق بارز فيما يتعلق بتوزع حالات الرطوبة الجوية الثلاث وهي التغيّم والرطوبة والامطار (قارن شكل ١٢ وشكل ١٣) . وتتضاءل هذه العناصر الثلاثة في الزمان ، اي من الشتاء الى الصيف ، وفي المكان اي من الغرب باتجاه الشرق .

٥ ـ التغيم في ١٩٥٦ في المحطات الاربع وهي : فيق ، دمشق ، حمص ، دير الزور

وفي الواقع فإننا نجد في المحطات الاربع ، المأخوذة بعين الاعتبار ، أن فيق هي التي تقدم اكبر قدر من التغيم و[illegible] ثم حمص ٤،٤٥/٨ ثم دمشق ٤،١٦/٨ واخيراً دير الزور مع ٤،١٤/٨. وعلى كل فإن درجة التغيم تبدو مستغربة ظاهريا وذلك على الاقل بين فيق وحمص مع ان هذه المدينة المذكورة كانت عامئذ ذات امطار اكثر من امطار فيق . ويفسر الاختلاف الكمي للأمطار باختلاف الارتفاع بين المدينتين لأن حمص تقع على ارتفاع ٥٠٠ م بينما لا يزيد ارتفاع فيق عن ٣٠٠ م ، ذلك ان ارتفاع حمص يسهّل تكاثف بخار الجو الذي تحتويه الغيوم . بيد ان السحب تتفوق فوق فيق دون أن تخسر كل رطوبتها وتتجه نحو الشمال الشرقي كي تسكب امطارها الوفيرة : فتنال القنيطرة الواقعة على ارتفاع ٩٤٥ م مقداراً وسطياً سنوياً يبلغ ٩٣٥ مم .

وهكذا لا يكون صفاء السماء في الشرق عبارة عن اسطورة ، بل يصبح اكثر وضوحا اذا قمنا ، بدلاً من اخذ السنة بجملها ، بدراسة القيم الشهرية للتغيّم في المحطات الاربع (شكل ١٣) . فالشرق حقاً هو بلد النور ، وسيكون اكثر من ذلك ايضا ، ولا سيما باستمرار اكبر ، اذا لم تكن السماء مظلمة ، من وقت لآخر ، بصورة متفاوتة ، بضباب اصفر حليبي ناجم عن الرياح الرملية .

عدد الايام العديمة الغيوم

	الموتسطات اليومية للملاحظات عند الساعة ٨				المتوسطات اليومية للملاحظات عند الساعة ١٤				التوسطات اليومية للملاحظات عند الساعة ٢٠				المتوسطات الشهرية				عدد الايام العديمة الغيوم			
	فيق	دمشق	حمص	دير الزور	فيق	دمشق	حمص	دير الزور	فيق	دمشق	حمص	دير الزور	فيق	دمشق	حمص	دير الزور	فيق	دمشق	حمص	دير الزور
انون الثاني	٣ر٨	٤ر٤	٤ر٤	٤ر٣	٤ر٣	٤ر٤	٤ر٧	٥ر٤	١ر٣	٣ر٥	٤ر٤	٢ر٤	٣ر٣٦	٤ر٠٩	٤ر٥	٣ر٧٣	١	٢	٠	٢
شباط	٤ر٧	٤ر١	٤ر٣	٤ر٣	٤ر٨	٥ر٢	٥ر٣	٤ر٥	٣ر٨	٣ر٣	٠	٢ر٥	٤ر٣	٤ر٢	٤ر٨	٣ر٧٦	٠	٠	٠	١
آذار	٤ر٨	٤ر٢	٤ر١	٣ر٨	٤ر٣	٤ر٢	٤ر٧	٤ر٦	٣ر١	٢ر٦	٣ر١	٣ر٤	٤ر٠٦	٣ر٦٦	٣ر٩٦	٣ر٩٣	١	١	٠	٠
نيسان	٥	٣ر٧	٣ر٤	٣ر٧	٣ر٧	٣ر٧	٤ر٢	٤ر٨	٣	٢ر٩	٢ر٧	٢ر٩	٣ر٩	٣ر٤٣	٣ر٤٦	٣ر٨	٠	٠	٠	١
أيار	٢ر٣	١	١ر٥	٠ر٨	١ر٥	٢	٢ر٢	٢ر٦	١ر٣	١ر٥	١ر٩	١ر٧	١ر٧	١ر٥	١ر٨٦	١ر٧	٣	٥	٥	٧
حزيران	٢ر٥	٠ر١	٠ر٦	٠ر٣	٠ر٦	٠ر٤	٠ر٧	٠ر٤	٠ر٩	٠	٠ر٦	٠ر١	١ر٣٣	٠ر١٦	٠ر٦٣	٠ر٦	٦	١٣	٩	٢٢
تموز	٢ر٩	٠ر١	٠ر٤	٠	٠ر٧	٠ر٥	٠ر٥	٠	٠ر٨	٠	٠ر٥	٠	١ر٤٥	٠ر٢	٠٥	٠	؟	٢٠	؟	٣١
آب	٣ر٢	٠ر٤	١	٠ر٢	٠ر٨	٠ر٦	٠ر٦	٠ر٢	٠ر٩	٠ر٤	٠ر٨	٠ر٢	١ر٦٣	٠ر٦	٠ر٤٦	٠ر٢	؟	١١	؟	٢١
أيلول	١ر٦	٠ر١	٠ر٣	٠ر٢	١	٠ر٧	٠ر٧	٠ر٣	٠ر٢	٠ر٢	٠ر٦	٠ر٣	٠ر٩٣	٠ر٣٦	٠ر٥٣	٠ر٣	؟	١٢	؟	٢٢
تشرين اول	١ر٨	:٠	١	٠ر٤	١ر٣	١	١	٠ر٨	٠ر٣	٠	٠ر٩	٠ر٥	١ر٠٣	٠	١	٠ر٦	؟	٢٣	؟	٢٢
تشرين ثاني	٤ر٤	٣ر٨	٤ر٧	٣ر٦	٣ر٧	٤ر٥	٤ر٥	٣ر٦	٢ر٤	٠ر٦	٣ر٤	٢ر٩	٣ر٥	٣ر٤٣	٤ر٢	٣ر٤	٣	٤	٢	٤
كانون الاول	١ر٥	٤ر٤	٥ر٣	٤ر٤	٥	٦ر٢	٦ر٢	٤ر٣	٣ر٢	٤ر١	٥ر٧	٣ر٣	٤ر٤٣	٤ر٣٦	٥ر٩٣	٤	؟	٠	؟	٠
توسط القيم لعام ١٩٥٦													٢ر٦٤	٢ر١٦	٢ر٤٥	٢ر١٤				

الأمطار

ان القاء نظرة بسيطة على خارطة الامطار (خارطة رقم ٩) يبدو كافيا لتبيان العلاقة الوثيقة القائمة بين التهطالات وبين التضريس ، فخطوط الامطار المتساوية تشكل انعطافا ، ويدل النتوء باتجاه الجنوب على تناقص التهطالات من الغرب نحو الشرق ومن الشمال باتجه الجنوب .

ويفسّر هذا التناقص من الشمال نحو الجنوب بتناقص الارتفاع في الاتجاه نفسه . وهكذا تنال بلدة بيت جن ، والقنيطرة ، والخشنية وفيق شطائر من المطر السنوي تتناسب بشكل واضح مع ارتفاعاتها :

المحطات	الارتفاعات	الامطار السنوية بالميليمتر
بيت جن	١١٥٠ م	١٠٠٠
القنيطرة	٩٣٥ =	٨٠٠ - ١٠٠٠
الخشنيّة	٧٠٠ =	٦٠٠ - ٨٠٠
فيق	٣٣٠ =	٣٣٠ - ٤٥٠

ويفسر هذا التناقص الامطار من الغرب الى الشرق ، والذي تشهد عليه خطوط الامطار المتساوية ، والتأثير المزدوج : أي بانخفاض الارتفاع وبالابتعاد عن التأثير البحري . وهكذا فإن الصنمين ، وهي قرية حورانية تقع الى الشرق من القنيطرة بحوالي ٤٠ كم لا تنال سوى شريحة مطرية تتراوح بين ٢٥٠ - ٣٠٠ مم . ويظهر من مسار خطوط الامطار المتساوية ان مقادير الامطار تتناقص اكثر فاكثر من الغرب نحو الشرق ، مما يؤكد ويثبت تقهقر المناخ في هذا الاتجاه . ويكون هذا الانحطاط على العموم منتظما اللهم إلّا في منطقتي جبل الدروز وجبل المانع بسبب التضريس الذي يكون مرتفعا نسبيا . كما ان التضريس المرتفع هو الذي يفسر أيضا كيف ان خطوط الامطار المتساوية تكون متراصّة في الجولان.وبالتالي تكون ذات قيم عالية .

ويظهر من اللوحة التالية توزع التهطالات السنوية في كل المناطق البركانية في سورية الجنوبية

لوحة رقم ٦ : توزع الامطار السنوية في سورية الجنوبية البركانية

	التهطالات السنوية الوسطى بالمليمتر	المساحة كيلومتر مربع	النسبة المئوية بالنسبة للمساحة الكلية
فوق	١٠٠٠	١١٠	٥٤ر٠
من	٨٠٠ ـ ١٠٠٠	٥٦٠	٢ر٧٣
من	٦٠٠ ـ ٨٠٠	٤٤٦	٢ر٢٤
من	٥٠٠ ـ ٦٠٠	٢٨٠	١ر٥٣
=	٤٠٠ ـ ٥٠٠	٢٩٠	١ر٧١
=	٣٥٠ ـ ٤٠٠	٧٥٠	٣ر٦٦
=	٣٠٠ ـ ٣٥٠	١٩٤٠	٩ر٤٦
=	٢٥٠ ـ ٣٠٠	١٩٧٠	٩ر٦٢
=	٢٠٠ ـ ٢٥٠	٢٠١٠	٩ر٨٠
=	١٥٠ ـ ٢٠٠	١٥٣٠	٧ر٤٦
=	١٠٠ ـ ١٥٠	١٩٥٠	٩ر٥١
دون	١٠٠	٨٦٥٠	٤٢ر٢٠
	المجموع	٢٠٥٠٠	١٠٠٪

وتدل اللوحة ٦ إذن على ان ٨٪ فقط من المناطق البركانية في سورية الجنوبية تنال متوسطا سنويا يفوق ٤٠٠ مم من المطر وأن ٨٠٪ ينال اقل من ٤٠٠ مم . وتكون كل النقاط التي تتلقى متوسطا يفوق ٤٠٠ مم واقعة في الجولان حصراً .

فصل الامطار

تكـون امطـار الجولان محصورة ، شأن كل مناطق البحر الابيض المتوسط ، في زمرة مستمرة من أشهر محدودة بصورة تقريبية بين شهر تشرين الاول وأيار

وعلى كل فإن بعض الامطـار النـادرة تسقط احياناً منذ نهاية شهر ايلول

ويشير المثل الشعبي الى ذلك الواقع بالقول : « ايلول ذيله مبلول » ، وتكون هذه عبـارة عن امطـار عاصفيـة مصحـوبة ببر ق وصواعق . ويقول الفلاحون ايضاً « مع صواعق بانياس (شمال غرب المنطقة) يسقط المطر في الصباح او في المساء » . ولكن قد تأتي هذه العواصف المطريه من الجنوب الغربي مثلما تأتي من الشمال الغربي .

وقـد تسقـط امطار ضئيلة ايضاً في تشرين الاول ، بيد ان شهري أيلول وتـشـرين الاول قد يكـونـا جافـين تمامـاً كما حدث في ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠ و ١٩٥٠ ـ ٥١ وفي ١٩٥٣ ـ ٥٤ . وبـما ان الحـرارة تظل مرتفعة ايضاً في تشرين الاول ، فإن الشعـور السـائـد هو ان الطقس لا يزال صيفـاً ، ولا سيما عندما تنعـدم الامطـار ، وهكذا يعتبر الفلاحون شهري تشرين الاول وتشرين الثاني صيفاً ثانياً .

هذا ولا تنخفض الحـرارة بصورة محسوسة ، ولا يتجلى الفصل الرطب الّا ابتداء من تشرين الثاني . وتكون شهور كانون الاول وكانون الثاني وشباط وآذار اكثـر شهـور السنـة امطاراً . وابتداء من نيسان تصبح الامطار نادرة جداً حتى لقـد تنحبس تمامـا . وينظـر الفـلاحون نظرة تقدير خاصة لامطار نيسان بالنسبـة للمـزروعـات الصيفيـة فيقـول مثلهم « أمطـار نيسان تساوي السكة والفـدان » ، واذا ما انقطعت الامطـار ابتداء من هذا الشهر فإن القلق يسيطر على الفلاحين ويبادرون الى صلاة الاستسقاء[٣٧]

---

(٣٧) لقد اشتركت في طفولتي شخصياً عدة مرات في صلاة الاستسقاء هذه ، وذلك بجمـع عدد كبـير من الحصيّـات ومن ثم يقـرأ عليهـا واحد بعد واحد ، آية من القرآن هي

وابتداء من أيار يستقر الجفاف رغم هطول بعض الميليمترات احياناً .

ويكون شهر حزيران وتموز وآب عبارة عن اشهر جفاف مطلق ويظهر أثر الجفاف لأن الحرارة تسجل قيمتها القصوى خلال هذه الشهور الثلاثة .

وتتوزع الحرارة والمطر على اشهر السنة بصورة معاكسة ، وتكون الخطوط البيانية قوية الدلالة في هذا المعنى (انظر الشكل ١٥ ، ١٦ ٢٢

نظام الامطار

لقد سبق وأشرنا فيما سبق ان السنة تنقسم الى فصلين متميزين تماماً عن بعضهما ؛ الاول رطب وبارد والآخر حار وجاف . ولهذا النظام محذور كبير ، وهي ان الامطار تنحبس في الصيف عندما تكون الحرارة مرتفعة والنبات في اشد الحاجة للماء لمواجهة التبخر النتحي .

والواقع تكون الامطار شديدة التمركز . فقد نالت القنيطرة في شهر واحد ، هو كانون الاول ١٩٥٠ ، مقدار ٤٤٠ مم من المطر ، أي كمية تفوق المتوسطات السنوية للمحطات التالية :

المراكز	المعدل السنوي	متوسط عام ١٩٥٠
درعا	٢٨٣ مم	٢٦٧ مم
دمشق	٢٣٠ =	٣٦٥ =
حماة	٣٧١ =	٢٩٤ =
حلب	٣٩٩ =	٣٤٦ =
دير الزور	١٤٥ = (٣٨)	١٤٦ =

« اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين » (والصحيح دعاء وليس آية) . وبعد ذلك تلقى هذه الحصيّات في الماء بانتظار قدوم المطر . ويتم كل ذلك في خارج القرى ولا يعود الناس من شيوخ ونساء واطفال الى بيوتهم الا بعد سقوط المطر وتبلّل ثيابهم .

ولأبناء الشراكسة طريقتهم في طلب المطر من الله . فهم يصنعون دمية كبيرة ويطوفون بها من بيت لآخر وهم يرتلون متأهيم الى الله كي يسقط عليهم المطر وتقوم النسوة بسكب الماء على الدمية الى جانب رش الماء على الاطفال . وفي مقابل ذلك يقدمن لهم البيض واقراص الجبن واحياناً الدراهم . وللتركمان من جانبهم طريقتهم الخاصة في الدعاء لاستدرار المطر .

(٣٨) النشرة الاحصائية السنوية لعام ١٩٥٤ دمشق

لوحة اشهر وايام المطر

المحطات	السنوات المطرية	أيلول	تشرين الاول	تشرين الثاني	كانون أول	كانون ثاني	شباط	آذار	نيسان	أيار	المجموع
		أشهر العام									
القنيطرة	١٩٤٩ـ٥٠	—	—	٢	١١	٩	٧	٨	٣	٥	٤٧
	١٩٥٠ـ٥١	—	—	٦	٥	٥	٣	٣	٦	—	٢٨
	١٩٥١ـ٥٢	—	١	٦	١٤	١٠	١٢	٩	٣	—	٤٥
	١٩٥٢ـ٥٣	—	١	٧	٨	٧	١٣	٢٠	٤	—	٦٠
	١٩٥٣ـ٥٤	—	—	٩	٩	١٦	١٣	٨	٩	٣	٦٧
	١٩٥٤ـ٥٥	٢	١	١٠	١٠	٥	٨	١١	٥	٣	٥٥
فيق	١٩٥١ـ٥٢	—	٣	٥	١٢	٨	١٠	٥	—	—	٤٣
	١٩٥٢ـ٥٣	—	١	٣	٤	٧	٧	١١	—	—	٣٣
	١٩٥٣ـ٥٤	—	١	٤	٩	١٠	١٤	٣	٦	—	٤٦
أزرع	١٩٥١ـ٥٢	—	٢	٥	١٣	٩	٨	٧	١	—	٤٥
	١٩٥٢ـ٥٣	—	١	٤	٣	٧	١٠	١٨	٤	—	٤٧
	١٩٥٣ـ٥٤	—	—	٧	٩	١٠	١٢	٦	٥	١	٥٠
	١٩٥٤ـ٥٥	—	—	٥	٦	١	٣	٨	٥	٣	٣١

تابع الجدول

درعا	٥١ ـ ١٩٥٠	—	٤	٣	٢	٥	١٠	٤	٢	٢	٣٢
	٥٢ ـ ١٩٥١	—	٢	٣	١٢	١٠	١٠	٩	١	—	٤٨
	٥٣ ـ ١٩٥٢	—	١	٥	٣	٩	١١	١٨	٣	—	٥٠
	٥٤ ـ ١٩٥٣	—	—	٦	٩	١٣	١٢	٣	٨	—	٥١
	٥٥ ـ ١٩٥٤	١	—	٣	٧	٢	٦	٨	٥	٣	٣٥
قطنا	٥٠ ـ ١٩٤٩	—	—	١	١٥	١٠	٧	٦	٧	٥	٥١
	٥١ ـ ١٩٥٠	—	٣	٣	٥	٥	٨	٢	٤	١	٣١
	٥٢ ـ ١٩٥١	—	٢	٥	٩	٤	٩	٥	١	—	٣٥
	٥٣ ـ ١٩٥٢	—	١	١	٦	٦	٧	١٢	٢	—	٣٥
	٥٤ ـ ١٩٥٣	—	—	٢	٦	٧	٧	٤	٧	١	٣٤
	٥٥ ـ ١٩٥٤	—	—	٧	٧	٣	٥	٧	٢	٣	٣٤
السويداء	٥٣ ـ ١٩٥٢	—	١	٤	٤	٤	٩	١٩	١	—	٤٥
	٥٤ ـ ١٩٥٣	—	—	٨	٨	٨	٩	٦	٦	—	٤٧
	٥٥ ـ ١٩٥٤	—	١	٧	٧	٧	٨	٣١	٤	١	٣٩

هذا وان مقـدار ٤٤٠ مم في الشهـر المـذكـور آنفا قد سقطت خلال ١٣ يومـاً فقـط ، اي بمتـوسـط يومي مقداره ٣١٫٧ مم . ويسقط المطر عادة على شكـل زخـات قويـة جداً احيـانـاً ، وفي مقابل ذلك فإن عدد ايام المطر يكون ضئيلاً . وتبين اللوحة رقم ٧ عدد الايام الماطرة خلال اشهر السنة ، وذلك في بعض المحطـات . وتظهـر هذه اللوحـة ذاتهـا ان مجمـوع ايـام المطـر في العـام لا يتجـاوز في أيـة محطة ٦٠ يوماً . ولكن هذا لا يمنع من ان تكون المتوسطات السنوية المطرية مرتفعة نوعاً ما .

ولكي نفهم بصـورة أفضـل نظـام التهطـال يجب علينـا أن نأخـذ بعين الاعتبار توزع الامطار من حيث الكمية بين أشهر العام أو بالاحرى بين أشهر الفصل الرطب .

لوحة ٧ أشهر وأيام المطر

أيلول : ويكون المطر فيه عبارة عن استثناء ويهطل غالبا في آخر الشهر . تلك هي عواصف الشمال الغربي أو الجنوب الغربي التي تحملها . وعلى كل فان شطائر المطر تكون هزيلة . ففي عام ١٩٥٤ ـ ٥٥ نالت القنيطرة ٥ ميليمترات في يومين .

تشـرين الأول : وكـما هو الحال في الشهر السابق تظهر اوائل المطر على شكل وابل عاصنفي ، سيلي ، محدود جداً ، ولا يغطي أكثر من قسم الجولان ، ويكـون غالبـا متبـوعاً بأيام طويلة من الصحو . وعلى كل فان شطيرة الامطار الهاطلة لاتتجاوز ٤ ـ ٥ مم .

تشـرين الثـاني : ويرتفع عدد أيام المطر في هذا الشهر الى ٩ أو ١٠ أيام مثلما تزداد كمية المطر الهاطلة تبعاً لذلك . وقد تلقّت القنيطرة في تشرين الثاني ١٩٥٣ شطـيرة من المطـر بلغت ١٦٧ مم في ٩ أيـام . ولكن أمطار هذا الشهر تتميز بذبذبات مخلوطة واليكم الذبذبات الكمية التي حدثت خلال أربعة اعوام في القنيطرة بالنسبة للشهر المذكور :

السنة المطرية	الامطار بالميليمتر في تشرين ثاني	الايام المطرية
١٩٥١ - ٥٢	٣٤	٦
١٩٥٢ - ٥٣	٥٢,٥	٧
١٩٥٣ - ٥٤	١٦٧	٩
١٩٥٤ - ٥٥	٩٠	١٠

ويطلق على امطار ايلول وتشرين الاول وتشرين الثاني تسمية « الامطار الباكورية » وتلعب دوراً عظيماً على مصير المحاصيل الشتوية (شتوي) ويكون استمرارها احيانا اكثر اهمية من كميتها .

كانون الاول . ونكون هنا في قلب الشتاء ، فتحصل زوابع حقيقية بين زمر من ايام الصحو التي تتطابق مع سيطرة هواء قاري آسيوي والريح الشرقي وفي هذا الشهر يبلغ المطر أحيانا مداه الاقصى أي الاوج . وقد نالت القنيطرة في شهر كانون الاول **١٩٥١** مقدار **٤٤٤** مم في **١٤** يوماً مثلما تلقّت فيق في الفترة ذاتها **١٩٥** مم (شكل **١٥** و**١٨**) ولكن المفارقات بين عام وآخر تكون عظيمة (شكل **١١**) .

كانون الثاني : على الرغم من التبدلات الكبرى فان هذا الشهر ينال وسطياًكمية كبيرة من الامطار السنوية . وقد يتساقط الثلج خلاله اكثر من مرة

واليكم توزع الامطار في شهر كانون الثاني **١٩٥٣** بين بعض المحطات :

المحطة	الامطار بالميليمتر	عد الايام الممطرة
القنيطرة	٢٩٥	٧
فيق	١٧٣	٧
أزرع	٨٥,٥	٧
درعا	٨١	٩
قطنا	١٣٨,٥	٦
السويداء	٧٨,٥	٧

وقد كان شهر كـانون الثاني من العام ١٩٥٣ غزير الامطار وكان يمثل متوسطه الشهري الحد الاقصى لذلك العام في اكثرية المحطات .

وفي ١٩٥٥ كان الشهر ذاته اقل امطارا بكثير في الشهر ذاته :

القنيطرة	٨٠	٥
أزرع	١ر٢	١
درعا	٨ر٨	٢
قطنا	٧	٣
السويداء	٧ر٥	١

انظر الشكل ١٤ -ج ، و٢٤ آ ، و٢٠ آ ، و١٩- آو١٧ آ)

وتكون الفوارق من حيث كمية التهطال ، ومن حيث عدد أيام المطر ، بارزة جداً بين ١٩٥٢و١٩٥٣ بالنسبة لشهر كانون الثاني .

واليكم الفوارق التي يقدمها كانون الثاني بين عامي ١٩٥٣ و ١٩٥٥

المحطة	الفوارق في كمية المطر بالميليمتر	الفوارق بين عدد أيام المطر
القنيطرة	١٨٥	٢
فيق	١٧٣	٧
أزرع	٣٧ر٣	٦
درعا	٧٨ر٢	٧
قطنا	١٣ر٦	٣
السويداء	٧١	٦

ولكن ما يبـدو مستغـربـاً حقـاً هو الجفـاف المطلق في شهـر كانون الثاني **١٩٥٥ في فيق إذ لم يسقط على هذه المحطة أية قطرة ماء (شكل ١٩ آ)** .

شبـاط : وهـو اكثـر الشهـور شهـرة بشدّة تقلبه ، إذ يتبدل الطقس فيه بصورة مشـوّشـة للغـاية فيتعاقب الصحو والطقس الماطر على فترة قصيرة ، وبصورة متسـارعـة جداً . وتكـون الامثـال الشعبية معبّرة جداً « شباط ماعليه رباط » ويرمون هذا الشهر بافتقاره للنظام . وقد يكون احياناً اكثر امطاراً من شهر كانون الثاني. آذار : وقـد تصبـح فيـه الحـرارة متقلبـة ، ويتقهقر البرد بعد أيام هادئة دافئـة . وتكـون أمطـاره غزيـرة حتى لتمثل احياناًالحد الاقصى السنوي كما في **١٩٣٣ (شكل ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٢ ب)** كما يكون عدد الأيام الماطرة فيه مرتفعاً .

وتعتبر أمطار كانون الاول وكانون الثاني وشباط وآذار أمطاراً « في أوانها » أما أمطار نيسان وأيار فهي امطار مؤخرة الفصل « خير ية » أي أخيرة .

نيسـان : وفيـه تصبـح الايـام البـاردة اكثر فأكثر ، ولكن عاصفة مطرية واحـدة او اثنتـين تبـدو قادرة على تقـديم كميـة كبـيرة من المطـر خلال بضـع ساعـات . وتتقـارب امطار نيسان في اكثر الاحيان مع أمطار تشرين من شحّها وعدم دفئها . وتقع خاتمة الامطار في هذا الشهر .

أيار : من العسير حسبان هذا الشهر من عداد الشهور المطيرة ، ولا يرد للدكتور شفيق صفدي في الامطار الاخيرة فيه أي مدلول هيدرولوجي ، لأن الشريحة المتسربة في الأرض تكون عديمة الأهمية .

بيد أن لهذه الامطار ، ان تساقطت ، أهمية عظمى للنباتات والفلاحين لأنهـا . « تسـاوي السكـة والفدان » فتأخرها أو انعدامها يدفع الفلاحين الى القلق والقنوط وبالتالي الى أداء صلاة الاستسقاء المعتادة .

وفي الـواقـع فان هذه الامطار المتأخرة توائم أوتؤ ذي المحاصيل الشتوية بشكل خطير ، كما ان المحاصيل الربيعية (الصيفي) تتعلق بها بصورة وثيقة .

هذا ولا تكـترث دراسـة النظـام المطري بالزخات النادرة العابرة التي قد تحدث من عام لآخـر خلال الفصـل الجـاف فهـذه الزخات المحدودة الفعل ،

تكون عبارة عن شذوذات تتخذ احيانا أبعاد حدث تاريخي .

ونستشف من خلال توزع الامطار بين شهور عام ١٩٥٤ صفات النظام المطري العام وصفات المطر الذي يسقط عرضياً في شهر أيار (انظر اللوحة ٨) .

أما من وجهة النظر الزراعية فان للتوزّع المنتظم على الشهور اهمية تفوق كمية المطر السنوية . فقد يتعرض الموسم الزراعي الى اضرار خطيرة إذا كانت الأمطار الأخيرة ، أو أمطار نهاية الفصل ، معدومة ، حتى لو كان ذلك بعد شتاء كثير الامطار ، كما ان شح مطر كانون الاول يؤدي الى تأخير البذار أو يقضي على البذار المنثور على الارض ، ذلك لان الحشرات والطيور المهاجرة التي تأتي بأعداد كبيرة تنقر حبّات البذار .

وعلى خلاف ذلك قد تؤدي وفرة الامطار المبكرة الى إغراق الحبوب المنثورة على الارض المحروثة قبل المطر « بذار العفير » ، ذلك ان كثرتها تعيق عملية الحراثة التي يجب ان تتم بسرعة بعد تشبّع التربة بالرطوبة . هذا ولاتكون تأثيرات الامطار على الصعيد الزراعي متماثلة في الجولان وحوران . ففي حوران حيث تكون التربة سميكة جداً فان كمية المنطر هي التي تكتسب هذه الاهمية الاولى ، ذلك ان تمركز الوابل الغزير في فترة قصيرة لايؤدي الى أي أضرار ، كما لايؤدي انعدام انحدار الارض لتخريب التربة أي انجرافها ، كما أن انقطاع الامطار خلال فترة طويلة جداً لايشكل أي خطورة اطلاقاً . لان التربة السميكة تستطيع الاحتفاظ بالرطوبة ، بعد تشبّعها ، بصورة طيبة حتى استئناف تساقط المطر من جديد .

اما في الجولان حيث تكون الترب رقيقة وفوق انحدار شديد احياناً فإن الزخات الطويلة قد تؤدي لتخريب التربة الزراعية فوق المنحدرات والى تغريق المنحدرات في القيعان ، وفضلاً عن ذلك فان هذه الطبقة الرقيقة من التربة تتجفّف بسرعة ويجب ان تتعاقب الامطار على فترات متقاربة والاّ فان على النبات ان يتعرض الى مصاعب جمة .

وينسب الفلاحون الحصيفون ، من ذوي الخبرة في المؤثرات المناخية ، ينسبون لتوزع الامطار في الزمان ولمقدارها ، جودة العام الجاري في الجولان او

في حوران ، فيقـولـون : ان هذه السنـة جولانيـة ، أي ستقـدم موسـماً طيبـاً ومحاصيل وفيرة في الجولان أوعكس ذلك .

جدول ٨ النظام المطري لعام ١٩٥٤

الشهر	قنيطرة	فيق	ازرع	درعا	قطنا	دمشق	السويداء
كانون ثاني	٢٧٦	١٧٣	٥٥	٦٦	٦٨	٧١	٧٤
شباط	٢٩١	٧٣ر٥	١٦٩ر٥	١٥٤ر٥	٨٥	٥٥	١٢٥
آذار	٧١	١٤٣	٢٤	١٥ر٥	٨	١٧	٤٣
نيسان	٩٨ر٥	—	٣٢ر٥	٥٦ر٥	٤٩ر٥	٢٧	٤٦ر٥
أيار	٥ر٥	—	٣	—	٢	٢	—
حزيران							
تموز							
آب							
أيلول	٥	—	—	٨ر٥	—	٦	—
تشرين اول	٢	—	—	—	—	—	—
تشرين ثاني	٩٠	٦٣ر٥	٣١	١٣ر٥	٦٢ر٥	٦٦	٧٥ر٥
كانون اول	٣٠٤ر٥	١١٥ر٥	٤٧ر١	٣٦ر٢	٩٣	٥٤	٤٩ر٥
المجموع	١١٤٣ر٥	٥٦٨ر٥	٢٦٢	٣٥١	٣٦٨	٢٦٩	٤٣١ر٥
عدد شهور المطر	٩	٥	٧	٧	٧	٨	٦
المتوسط الشهري	٩٣ر٣	٤٥ر٧	٣٠	٢٩ر٢٥	٣٠ر٧	٢٥	٣٦ر٩
متوسط الاشهر المطيرة	١٢٧	١١٣ر٧	٥١ر٧	٥٠	٥٢ر٧	٣٧ر٣	٧٢

المتوسطات السنوية للامطار :

لاتختلف الامطار في سورية بصورة عظيمة بين محطة واخرى فحسب ، بل أيضاً من عام لآخر في المحطة ذاتها وتدل أرقام الأمطار المسجلة في مختلف محطات سورية الجنوبية بصورة واضحة على التوزع المتفاوت للأمطار خلال هذا العام الزراعي عام ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ .

القنيطرة	١٠٨٩	أزرع	٤٤٣
نيق	٦٢٩	قطنا	٣٤٩
درعا	٤١٧ر٥	السويداء	٤٣١ر٥

وتستطيع الخارطة المطرية رقم ٩ ان تعطينا فكرة عامة عن التوزع العادي للأمطار ، ذلك ان شكل خطوط المطر المتساوية يذكرنا لأول وهلة بخطوط الحرارة المتساوية . ولكن تظهر قيم خطوط الامطار المتساوية أن توزع الأمطار يكون على عكس توزع درجات الحرارة . فالمطر يتناقص من الغرب الى الشرق ومن الشمال للجنوب ، أما الحرارة فتوداد في كلا الاتجاهين العكسيين . وتحجب المتوسطات السنوية بالطبع الفروق الكبرى التي تكون شديدة الاهمية كلما كانت التهطالات غويرة (انظر الخطوط البيانية) .

هذا ولاتمثل المتوسطات الشهرية اكثر من قيم مجردة ، كما تكون خدّاعة اكثر من ذلك ، شأنها في المناطق الاخرى شبه القاحلة في مجال البحر الأبيض المتوسط ، إذ تخفي توزعاً متفاوتاً بين أشهر السنة ذاتها وبين عام وآخر . وفي الحقيقة تختلف القيمة الوسطى من مكان لآخر بالنسبة للعام ذاته وحسب العوامل التالية .

ـ التضاريس .
ـ البعد عن البحر .
ـ الاضطرابات الجبهية المحلية .

وتظهر من المنحني البياني الدال على تبدلات نظام المطر السنوي في المحطات الاربع أي : القنيطرة ، درعا ، قطنا ، دمشق خلال فترة ١٩٣١ - ٥٤ ، أقول يظهر ان الفوارق تتبع بصورة تقريبية ، الاتجاه نفسه في كل مكان . ولكن القنيطرة تقدم اشد التذبذبات حدة كما لو كانت على علاقة نسبية بالمتوسطات السنوية المرتفعة لهذه المحطة (شكل ١١) .

وتكشف اللوحة التالية عن الفوارق القصوى لكل من هذه المحطات الاربع وهي : دمشق ، قطنا ، درعا ، والقنيطرة .

المحطة	المتوسط السنوي العام	المتوسط الاقصى	المتوسط الادنى	الوزن المئوي للزيادة	الفروق المئوية بالنقص	العلاقات بين الحدود القصوى
دمشق	٢٣٠	٤٠١	١٣٠	٥٣	٤٣	٣
قطنا	٢٨٢	٤١٨	١٣٩	٤٨	٥٠	٣
درعا	٣٠٠	٤١٤	١٦١	٣٨	٤٦	٢٫٦
قنيطرة	٩١٩	١٣١١	٤٢٦	٤٢	٣٥	٣٫٠٧

وقد حسبت هذه الفروق بالنسبة للمتوسط العام لكل محطة خلال فترة معينة[٣٩] . فكانت بالتالي إيجابية بالنسبة للحدود القصوى وسلبية بالنسبة للحدود الدنيا . كما يلاحظ ان الفوارق في السنوات ذات الامطار القصوى تتراوح بين + ٣٨٪ و + ٥٣٪ وان دمشق تستحوذ على الفارق الكبير الايجابي ، أما سنوات الامطار الدنيا فتتراوح بين - ٤٣٪ الى -٥٣٪ وتقدم القنيطرة اكبر فارق سلبي

ويختلف مدى الذبذبات بين ٢٫٦ الى ٣٫٠٧ ، وتختص درعا بأول رقم في حين يخص الثاني محطة القنيطرة ، فهذه المدينة هي التي تتعرف إذن على اكبر الذبذبات في كل سورية الجنوبية .

---

(٣٩) ـ وهي الفترة الواقعة بين ١٩٣٦ و١٩٤٨ ومن ثم حدث انقطاع في الملاحظة استمر بضعة اعوام .

وهكـذا تقـدم لوحـة الفروف إذن ذبذبات مطرية كبيرة المدى . ويكون لهذه الـذبـذبـات بالفعل مدلول هام في المجال الهيدرولوجي ، لأنها تؤثر على مستـويـات الأغشيـة المـائيـة الباطنية وكذلك على نظام الينابيع وبالتالي على مسـارات الشبكـة النهـريـة ، مثلما تؤثـر أيضاً على المحاصيل ، وتتعلق جودة المحاصيل ، او المواسم ، أو رداءتها بهذه الذبذبات بصورة متفاوتة .

وعليه هل من الحذر في شيء محاولة العثور على قانون لتعاقب السنوات المطـيرة والسنـوات الجـافـة ؟ فلقـد حاول المهنـدس صبحي مظلوم في بحثـه الـرائـع « حول تحوّلية الامطار في الحوض الشرقي من البحر الابيض المتوسط » ان يستنبـط قانـونـاً لتعـاقب السنوات الجافة والرطبة . ولقد سمحت له طرائق الحساب المختلفة ان يتوصل الى مركّبات من ٢ ، أو٣ ، و٤ ٠٠ و٦ ، و١١ ، و٢٢ سنـة ، وان يستشف مركّبـات اخرى تمتد على فترة أكثر طولاً (٦٠ سنة تقـريبـاً) . غير ان المـلاحظـات المنـاخيـة لا تغطي سوى فترة قصيرة نوعاً ما (١٩٣٤ ـ ١٩٥٤) ، كما ان الـزمـر العـديدة الملحوظة في حوران وفي الجولان لاتسمـح أبـداً بصيـاغـة دورات ذات ديمـومات طويلة (دورات عظمى) . وتسمح هذه الزمر لنا بأن نلاحظ وجود فترات كانت الامطار خلالها اكثر ارتفاعاً منْ الاخـرى ، وقـد يحدث ان تقـع سنـة شديدة الجفاف في قلب زمرة رطبة او العكس من ذلـك . ولكن تظهـر هذه الـدورات المـزعومة ، بالفعل ، الطابع العشـوائي للمنـاخ الـذي نحن في معـرض الكلام عنه ، اكثر من نظام دوري يسمح بالتنبؤ عن الطقس لفترة طويلة المدى .

وقـد حاول شفيق الصفـدي ان يقـارب السعات المبتعدة عن المعدل في زمر محطتين هما دمشق ودرعا الواقعتين على بُعد يبلغ مسافة ١٠٠ كم الواحدة عن الاخرى شمالاً وجنوباً .

وقـد استنتـج الكـاتب من المقـارنـة تداخـل دورات متفـاوتـة في مقادير أمطـارهـا ، والتي كان ديمـومتهـا غير منتظمـة ، ولكنـه استنتـج أيضـاً تشابه الانظمـة المطـريـة السنـويـة في المحطتين ولاسيما خلال السنوات المطيرة وهي ١٩٣٩ ـ ٤٠ و١٩٤٢ ـ ٤٣ و١٩٤٣ ـ ٤٤ ، و١٩٤٧ ـ ٤٨ .

ولمـا كان الاستـاذ شفيق الصفـدي مهندساً هيدروليكياً يهتم قبل كل شيء

بهيدرلوجية المناطق البركانية في سورية الجنوبية ، ورغبة منه في تحقيق الانسجام ضمن النظام المطري في كل المنطقة ، فقد أهمل بصورة اعتباطية التهطالات العاصفية في نيسان باعتبار أن هذه الأمطار تكون محلية وغير ذات جدوى من وجهة النظر الهيدرولوجية . أما بالنسبة لنا فإن هذه التهطالات لا يجوز اهمالها إذ سبق أن أشرنا اكثر من مرة الى اهميتها من وجهة النظر الى المحاصيل الزراعية ولاسيما بالنسبة للمزروعات الربيعية .

والواقع تقدم الامطار المذكورة كمية مياه منتظمة فقد نالت مختلف محطاتنا في نيسان ١٩٥٤ المقادير التالية :

القنيطرة	٩٨٫٥ مم	درعا	٥٦٫٥ مم
فيق	٤٩٫٥ مم	قطنا	٤٩٫٥ مم
أزرع	٣٢٫٦ مم	السويداء	٦٤٫٥ مم

وبعد أن صحّح الاستاذ الصفدي المتوسطات السنوية قدم حصيلة الدورات المطرية التالية :

الدورات	عدد السنين	السعات الوسطى المئوية في المتوسط السنوي +	السعات الوسطى المئوية في المتوسط السنوي −	نوعية المطر
١٩٣٠ - ٣٤	٤	−	٣٥	رديئة
١٩٤٣ - ٣٥	١	١٧	−	جيدة
٣٥ - ٣٦	١	-	٣٠	رديئة
٣٦ - ٣٩	٣	٣٠	-	جيدة
١٩٣٩ - ٤٤	٥	−	١١	هزيلة
١٩٤٤ - ٣٥	١	٥٠	−	جيدة جداً
١٩٤٥ - ٤٧	٢	−	٣١	رديئة
١٩٤٧ - ٥٠	٣	٢٥	−	جيدة
١٩٥٠ - ٥١	١	−	٣٥	رديئة
١٩٥١ - ٥٤	٣	٣٣	−	جيدة

ويظهر من هذه الحصيلة تعاقب عشر دورات مطرية جيدة ورديئة خلال مدة ٢٤ سنة ، وان مدة الدورة تراوحت بين سنة واحدة وخمسة أعوام ، وكانت تتوزع بصورة غير منتظمة . وسنحاول استخلاص دورات المطر للمعدلات السنوية الحقيقية للأمطار أي دون حذف أواخر الفصل الماطر ، والتي تغطي فترة عشرين سنة بالنسبة للمحطات الأربع وهي : القنيطرة ، قطنا ، درعا ، دمشق . ويمكن ان نستنتج من اللوحة رقم ٩ النتائج التالية :

١ ـ وجود دورات مطرية جيدة ورديئة تتناوب بصورة غير منتظمة في المحطات الاربع المأخوذة بعين الاعتبار .

٢ ـ لايكون عد الدورات متماثلاً بالنسبة للمحطات ذاتها خلال الفترة المدروسة ، فهناك ١١ دورة لدمشق وقطنا و٩دورات تخصّ كلاً من القنيطرة ودرعا .

بيد أن تطابق الدورات عددياً في محطتين لايجوز أن يخدعنا لأن مدة الدورة تختلف من محطة لأخرى . ففي عام ١٩٤٠ ـ ٤١ بدأت دورة جافة في درعا وفي القنيطرة ، ولم تستمر اكثر من عام في القنيطرة في حين استمرت ٤ سنوات في درعا .

ترى ألا يمكننا ان نعزو نسق تعاقب الدورات في دمشق وقطنا الى مناخهما القاري ؟

٣ ـ تختلف مدة الدورات من عام واحد الى ستة ، وأطولها تخص درعا ولاسيما القنيطرة . ترى ألا يعكس ذلك نوعاً من نظام قابل لأن ننسبه الى مؤثرات بحرية ؟

٤ ـ وأمام عدم الانتظام في الدورات الملحوظة وعدم كفاية فترة الملاحظة فإننا نرى مع الاستاذ الصفدي بأن من المستحيل علينا تقديم قانون واضح عن تعاقب الدورات المطيرة والجافة في سورية الجنوبية .

لوحة رقم IX ـ دورات السنين ذات نوعية الامطار الجيدة والرديئة

الدورات	عدد السنين				سعات + أو ـ				نوعية الامطار			
	دمشق	قطنا	درعا	القنيطرة	دمشق	قطنا	درعا	قنيطرة	دمشق	قطنا	درعا	قنيطرة
١٩٣٤ ـ ٣٥	١	١	١	١	+	+	+	+	هزيلة	هزيلة	جيدة	جيدة
١٩٣٥ ـ ٣٦	١	١	١	١	ـ	ـ	ـ	ـ	رديئة	رديئة	رديئة	رديئة
	١	٢	٤	٤	+	+	+	+	هزيلة	هزيلة	جيدة	جيدة
	٣	٤	٤	١	ـ	ـ	ـ	ـ	رديئة	رديئة	رديئة	رديئة
	١	١	١	٢	+	+	+	+	جيدة	جيدة	جيدة	جيدة
	١	١	٣	١	ـ	ـ	ـ	ـ	رديئة	رديئة	رديئة	رديئة جداً
	١	١	٢	١	+	+	+	+	جيدة جداً	جيدةجداً	جيدة	هزيلة
	٢	٢	١	٦	ـ	ـ	ـ	ـ	رديئة	رديئة	رديئة	رديئة
	٢	٣	٣	٣	+	+	+	+	حيدة	جيدة	جيدةجداً	جيدة جداً
	٢	١			ـ	ـ			رديئة	رديئةجدا		
١٩٥٣ ـ ٥٤	٣	٣			+	+			جيدة	جيدة جدا		

التهطالات الثلجية :

نفتقـر للمـلاحظـات الـرسميـة تماماً بالنسبـة للثلج في الجـولان . غير أن هذه المنطقة معروفة بشتائها القارس وبثلوجها الغزيرة نسبياً . ويتراوح مستـوى تسـاقـط الثلج وسطيا بين مرتين وثلاث مرات حسب نظام عشوائي . وفي الـواقـع يتسـاقط الثلج عادة في كانون الثاني ، ولكن يسقط أيضاً في شباط وحتى آذار . ففي الشتـاء تخضـع البـلاد أحياناً لريح قادمة من الشمال ، ناتجة عن آنتيسيكلون مستقر فوق جنوب شرق أوروبا أو فوق الأناضول ، وفي مثل هذا الطقس ذي الـريـاح الشمالية تحدث أهم تساقطات الثلوج . وتحدث مثل هذه التساقطات الثلجية في الجولان ، وتكون بالطبع أكثر تواتراً في أكثر المناطق ارتفاعاً ولاتستقر اطلاقاً فوق المناطق التي يقل ارتفاعها عن ٤٥٠ أو ٢٠٠ م .

ومن الممكن ان نعثـر على اختـلاف بين شمال الجـولان وبـين جنوبه في صدد التحـدث عن الثلج فيـه . فالشـمال هو الذي يتعرض لتساقطات ثلجية تتكرر عدة مرات خلال العام . فالى الجنوب من القرية الشركسية « الخشنية » يكـون الثلج نادراً وقليـل الغزارة . ولكن جبل الشيخ هو الذي ينال اكبر كمية تتراكم على شكل ثلج مرصوص في الحوضات الواقعة في القمة ، وتستقر هذه الكتل الثلجية مدة طويلة جداً ويغذي ذوبانها الصيفي ينابيع السفوح ولاسيما الأنهـار والأودية السيلية التي تنشأ في جبل الشيخ . وتحتفظ بعض هذه الأقماع بالثلج على مدى العـام كما في جبـل الشيـخ الـذي تظل ثلوجه ماثلة للعيان في الصيف من مسافة بعيدة جداً من جنوب القنيطرة وتوصف أحياناً بأنها ثلوج خالدة .

هذا ويحمي الغطـاء الثلجي التـربـة من الانجـماد ويوائم بالتالي النبات العشبي ، كما أن تطـاول أمـد التثلّج يقضي على فئـران الحقـل والـيرقـات والحشـرات الضـارة بالمـزروعـات . وعلى خلاف ذلـك قد يؤدي تطاول أمد التثلّج الى إلحـاق الأذى الشـديـد بتربيـة الماشية البدائية في المنطقة ، ذلك أن الغطـاء النبـاتي العشبي ، هومصـدرالغـذاء الوحيد ، يظل مقنّعاً تحت الثلج لعدة أيام ، مما يؤدي إلى هلاك الحيوانات التي أضناها البرد وفقدان الأعلاف .

ويعتبر عدد أيام الثلج وعدد الأيام التي يغطي خلالها الأرض عناصر جوهرية في دراسة المناخ ، ولكن لاتكون هذه الأمور ملحوظة ، في الجولان ، لسوء الحظ ، بصورة رسمية .

هذا وعلى الرغم من البراهين المتعددة عن الفائدة الجغرافية المتعلقة بدراسة التهطالات الثلجية ، ومدة بقاء الثلج ، على الأقل فإنها تكون مجهولة لدينا ، في خطوطها العامة ، في الجولان .

« ويكون البَرَد ، الذي يتلف في كل عام نواح عديدة في فرنسا ، يكون نادراً في سورية ، إذ لانجد سوى البَرَد الناعم والذي يكون أحياناً على قدر لابأس به من الكبر ، ويتساقط غالباً ، وليس حصراً ، في عواصف شباط ، لأن آذار سيكون شحيحاً بها»[٤٠] . ولايكون الانجماد نادراً في الجولان ، ولاسيما في الشمال ، وقد اعتاد السكان على ان يجدوا في صبيحة ليلة قارسة البرد لوحاً من الجليد فوق المياه الراكدة على الخصوص[٤١] . وتتجمد قطرات الندى التي تنساب من فوق الاسطحة على شكل نوازل حقيقية ويجد الاطفال متعة كبيرة في اقتلاعها وقضمها بأسنانهم أحياناً .

ويكون الجمد ، وعلى الاخص تعاقب الجمد والاغلال ، ضاراً بالنباتات . فهو يمنع الحيوانات من الرعي ، وذلك على الاقل في الصباح قبل ان يتم انحلال الجمد .

الندى أو التكاثفات الخفية

لقد أشرنا في معرض كلامنا عن الرطوبة النسبية الى ان لهواء الجولان درجة رطوبة نسبية مرتفعة نوعاً ما بتأثير الرياح البحرية التي تتعرض لها المنطقة . وقد لاحظنا أيضاً كفاية التبرد الليلي لتكثيف بخار الماء الموجود في الهواء مما يوفّر للتربة اكثر من ليتر واحد من الماء لكل متر مربع . ويكون الندى وفيراً مما يكفي لانسياحه من فوق اسطحة المنازل ولتشكيل خيط من الماء عند فتحة الميازيب .

40.. Ch. Combier. precite: P.326

(٤١) ـ لاتوجد احصاءات تتعلق بعدد أيام الانجماد في الجولان .

وينظر النـاس الى النـدى على أنه خير وبركة على خلاف الجمد ، إذ لولاه لكانت ترب الجولان اكثر قحولة كما ستكون المزروعات الصيفية ، وعلى الخصوص الكرمة ، مزروعات أقل انتاجاً نوعاً وكماً . ويكون الندى غزيراً كلما كان الاشعـاع الليـلي أكثـر حدةً ، ذلك ان هواء البحر الرطب يطلق شطراً من بخار مائه عند التماس مع السطوح المتبردة .

ويـصطـدم الضبـاب ، بل وحتى السحب الليليـة ، بالمخـاريـط الـبركـانيـة ، رغم ضآلـة ارتفاعها ، وتحجب قممها حتى بزوغ الشمس التي تعمـل على تبـديـدها . ومن هذا جاءت شهرة تل ابو الندى والندى هو الذي منحه اسمه .

وتكـون قطـرات الندى شديدة التبدّد اذ تتبخر بمجرد بزوغ الشمس . ويسـارع الفـلاحـون في الصبـاح للقيـام بالحصـاد قبـل تجفف القش المبلّل بالنـدى . ويعتقـد الفلاحون ان الندى يسهّل تكاثر بعض انواع الحشرات من آكـلات الاعشـاب والضـارة بالمحـاصيـل كما ينسبون اليها اسوداد التبن وقش اسطحة الاكواخ والخضار[٤٢]

ويقول آبل أن الاحبار يعرفون الندى المؤذي الذي يسوّد التبن وسقوف اكواخ القش ، بيد أن زعمهم يستند في هذا الموضوع على وقائع اسطورية[٤٣]

الجفاف وقرينة القحولة

ترى كيف يعتبر الجولان بلداً جافاً مع متوسط سنوي يبلغ ٩١٩ مم من المطر في القنيطرة و ٤٤٤ مم في فيق ؟

١ ـ نظـراً الى كون المنـاخ هو من نمـط متوسطي (رومي) فهذا يفسر الجفاف المطلق لعدة شهور من السنة .

٢ ـ ان الحر الذي لا يهادن خلال ٦ شهور متعاقبة يسهّل تبخر المياه مباشرة ، أو بصورة غير مباشرة ، وذلك بتنشيط التبخر النتحي لدى النباتات .

---

(٤٢) ـ وهي ملاحظة صحيحة في قرى فتحة حمص طرابلس (المعرّب)

43.. Abel. prećite P.134

٣ ـ ان عدم انتظام التهطال يوائم على التبخر(*)، فهطول مطر شديد وعاصفي متبوع بريح شرقية يكون أقل مواءمة للارض بكثير من مطر هادىء مصحوب بطقس معتدل البرودة وغائم .

٤ ـ وأخيراً فإن نفاذية الصخور البركانية تسمح بتسرّب سريع وبذلك يقتنص المياه السطحية . وهكذا تكون الارض عرضة للقحولة . ولكن ما هي درجة القحولة في الجولان ؟

ويحدد عمانوئيل ديمارتون قرينة قحولة المناخات بصيغة مستندة على العمل المتضافر لعاملين مرطّبين ومجفّفين ، وهذه الصيغة كما نتذكر هي التالية

ق = $\frac{ت}{ح + ١٠}$ وفيها

ق = قرينة القحولة . ت = متوسط الامطار السنوية بالميلمتر . ح = الحرارة الوسطى بالدرجات .

واستناداً الى هذه الصيغة استطاع شفيق الصفدي ان يحسب قرينة القحولة في ست محطات لفترة ١٩٤٣ ـ ٥٤ :

دمشق ٨٫٦ ، قطنا ١٠٫٢ ، درعا ١٠٫٥ ، أزرع ١١٫٥ ، قنيطرة ٣٥ .

وقد اعطت حساباتنا الخاصة قرينة قحولة مقدارها ٣٧ بالنسبة للقنيطرة . ويعود هذا الاختلاف الى عدم تطابق المصادر الاحصائية . وهكذا نلاحظ ، اذا اتفقنا مع ديمارتون في أن حدّ الجفاف هو قرينة ٢٠ ، ان المناخ هو قاحل في كل المناطق البركانية في سورية الجنوبية ، باستثناء الجولان الذي يعتبر رطيباً نسبياً .

خامساً : تبدلات المناخ

تعتبر تبدلات المناخ مؤكدة خلال البليئوستوسين في الشرق الاوسط العربي . ولا يمكن نكران تأثيرها في مختلف مشاهد هذه المنطقة . « أن القول بأن المناخ كان احيانا اكثر رطوبة ، وربما اقل حرارة ، فهذا ما لا يمكن نكرانه ، ولكنه لا زال من العسير اقتراح استنتاجات عامة »(درش) .

---

(٤٤) لقد تم قياس شدة التبخر فقط على ضفة بحيرة مسعدة . وقد انيطت مهمة قياس ذلك الى معلم مدرسة القرية وكانت النتائج مغلوطة . .

وفي الحقيقـة يسلّم الجميـع بأن الأوضـاع المنـاخيـة قد تغيرت ، ولكن ن . شالم ينكـر حتى وجـود « عصـور مطـيرة » ويـذهب في القـول الى ان التحـولات الملحوظةخلال البليئوستوسين لاتفسّرالا بحركات الارض ، وتطور التضريس والهيدرولوجيا ، وتأثير الانسان ، ويمكننا ان نفهم من حججه بأن الاوضـاع النـوئية العامة لم تتعرض لتحولات عميقة ، ولكن ليس بمقدورنا أن نستخلص منها بأن المناخ ظل ثابتا دونها تغيير .

زقـد امكن التعـرف ، في سائر الامكنة ، على « مطيرين » على الاقل مهـا كانت الاسبـاب ، تناوبا مع فترتي جفاف ، وتناوبات في الحرارة ايضاً ، كانت على العموم اكثر حراً ، ولكنها احيانا اكثر برودة .(٤٥)

وتكـون الحجـج التي تدعم نظرية التبدلات المناخية عديدة ، ونستطيع ان نقدم عنها الحجج التالية :

١ ـ لا يمكن تفسـير التحـزيـزات العملاقة في الاودية الرافدة لنهر الاردن مثل وادي السمك ، ووادي المشبك ، نهر اليرموك ، وادي الرقّاد ، ووادي العلان بانخفـاض مستـوى الاسـاس فحسب ، إذ يقتضي الامر وجود ماء اكثر للقيام بحفر مثل هذه الاودية .

ومن ناحيـة اخـرى فإن الجلاميد الكبرى المستديرة التي تظهر في السرير الاصغـر في سافلة وادي التيم والأوديـة الاخـرى لا يمكن اعتبـارهـا على انها منقـولـة بالميـاه التي تجري فيهـا حاليـا حتى في فترات الفيضـانـات ، ذلك ان شكلها يشهد ايضا على انها منقولة من مسافات بعيدة .

٢ ـ ان الاشكال الكارستية الموجودة في جـبل الحرمون ، رغم بساطتها ، والتي لم تحظ حتى الان بدراسة دقيقة ، لا يمكن تفسيرها دون اقتراض وجود مناخ قديم اكثر رطوبة .

٣ ـ كما تبـدو الفـرضيـة ذاتهـا ضرورية لتفسير تفسخ صخور البازلت الميوسينية والبليوسينية في حين لا زال البازلت الرباعي سليماً مثل لابات « الوعرة » كما ان الـتربـة الكستناوية العميقة في منطقة الزوّية ، وهي مستحاثة بلا ريب ، هي

45.. J.Dresch. precite: P.247

من جملة الشواهد على فترة رطبة من المناخ القديم .
٤ ـ هناك عدة باحثين يعتقدون بأنهم عثروا على اشكال من حت جمودي في جبل لبنان وحتى في جبل الشيخ وهذا لا يفترض وجود فترة مطيرة ، بل وجود فترة مطيرة كانت باردة .
٥ ـ في المناطق ذات التضريس الجسيم كان من الضروري ان يكون للأودية حتى القليلة الأهمية ، قدرة على النقل وكذلك حمولة اكبر بكثير ، وذلك عندما نتأمل مخاريط الانقاض المتراكمة .

وهكذا تبدو بعض السفوح وكأنها مستحاثة جزئيا عند قاعدتها ، وهذا ليس بالنسبة لوادي الاردن وحده بل كذلك في الاودية الرافدة .
٦ ـ ولقد كان الجولان حتى عهد قريب منا مستورا بغابة لا بأس بكثافتها والتي تسمح بقاياها باستعادة تصور الغابة البدائية . ولا تعود الاشجار المقطوعة للإنبات من جديد ابداً تحت المناخ الحالي ، أو تعود أصغر حجماً من سابقاتها . ولقد نمت الغابة الاصلية تحت مناخ مختلف ، وبالتأكيد أكثر رطوبة .
٧ ـ دلت الأبحاث التي تمت في منطقة الازرق ووادي السرحان على ان مستوى الاغشية المائية الباطنية قد هبطت بنحو ستة اقدام منذ العصر الروماني[٤٦]

ويعود هذا الانخفاض الى جنوح المناخ نحو الجفاف
٨ ـ وقد افترض بعض العلماء ايضا ان المناخات « المطيرة » قد امتدت حتى فجر الأزمنة التاريخية . فوجود اطلال المدن والقرى ومشاريع الري والآبار الجافة مثل : نعران ، كفرنفاخ ، قنيطرة الخراب ، في أمكنة مهجورة ساعد على دعم بعض الحجج .

ويعتقد الاستاذ ج . ابراهيم مع كويتانيcuetani ان الانسان بتخريبه الغابة عمل على استفحال بجفاف المناخ .

---

(٤٦) م . ح . ابراهيم . «مناخ البلاد العربية بين الماضي والحاضر» مجلة المعلم العربي . دمشق .

٩ ـ ويفسر المؤرخون تعدد هجرات القبائل العربية الجنوبية في حقبة ما قبل الاسلام باتجاه الشمال بجنوح المناخ نحو القحولة ولا سيما في جنوب شبه جزيرة العرب .

ومع ذلك فإن م . شالم قد برهن بأن المناخ لم يتبدل في فلسطين ، على الخصوص ، منذ الالف الثالث . وهذا يمكن تعميمه على المناطق المجاورة لفلسطين بما في ذلك الجولان .

ولقد أشرنا في معرض كلامنا عن المخاريط البركانية ذات الرماد في آخر مرحلة بركنة ان الرياح التي وضّعتاكداس الرماد هذه وحدّدت اتجاه انشداق البراكين لا تزال تهب على منطقتنا دون تغيير في اتجاهها :

الفصل الخامس
هيدرولوجية الجولان

١ ـ اهمية الماء في الجولان

من السهل فهم الاهمية القصوى التي يتبوأها الماء في البلدان الحارة والجافة في الشرق الاوسط العربي ، كالجولان ، الذي تشويه الشمس ، وذلك على الاقل ، خلال الفترة الجافة والحارة من العام .

بيد انه رغم اهمية الماء الحاسمة والمصاعب الخطيرة التي تنجم عن عدم كفايته في العديد من الامكنة المأهولة في سورية ، ولاسيما في حوران ، فان الدراسات الهيدرولوجية لم تبدأ الا في تاريخ متأخر جداً

ولكن في عام ١٩٣١ فقط أخذ ف . فرولو Frolow بزمام المبادرة للبحث عن المياه الباطنية في حوران فاجرى ثلاث واربعين عملية سبر ولاحظ معظمها بنفسه ، من اجل تحديد السطح المعصاري (البيزومتري) ، وبرهن على وجود علاقة وثيقة بين الشبكة الهيدروغرافية وبين السطح المعصاري ولا سيما في النطاق الواقع الى الغرب من نهر الهرير[1] والممتد حتى قدم جبل الشيخ .

وقد اهتم لويس دوبرتريه من خلال دراسته للمناطق البركانية في حوران وجبل الدروز وديرة التلول بهيدرولوجية هذه المناطق البركانية . وفي[2] عام ١٩٣٣ قدم اثناء معالجته « هيدرولوجية وهيدرغرافية سورية ولبنان في علاقاتها بالجيولوجيا » وصفاً موجزاً عن نمط استقرار المياه الباطنية في حوران وابتداء من عام ١٩٥٢ بدأت الدراسة الهيدرولوجية المفصلة والمنهاجية في حوران بجهود د . ج . بوردون ومعاونه شفيق الصفدي . ولما كان الاول

) L. Dubertret. Rev. de geó. Phys et de geól. dyn. vol.. Fasc.4.Dec 1929

2) ibid. vol :. fasc.4.1933

جيولوجياً في المياه الباطنية من منظمة التغذية الدولية (فاو) فقد نشرت دراسته بواسطة المنظمة ذاتها التي يقع مقرها في[3] روما . أما الثاني فقد توّج دراسته وتجاربه الميدانية بأطروحة رائعة قدمها لكلية العلوم في باريس عام ١٩٥٦ بقصد الحصول على دبلوم مهندس دكتور .

٢ ـ الموارد الهيدروليكية ودرورة الماء

تبدو الموارد الهيدروليكة في سورية متعددة وذات ثراء لا محدود ويتمثل اهمها بالمياه الجوية التي تهطل على شكل مطر وثلج وندى . غير ان تقدير هذه الثروة ذات الاصل الجوي قد جرى بصورة مختلفة فيقدّرها صبحي مظلوم بمقدار ٥٠ مليار متر مكعب في عام ذي امطار متوسطة في حين يقدرها محمد السيد أيوب بحوالي ٤٣ مليار متر مكعب في عام متوسط .

غير ان ايوب[4] يرفع الرقم الذي يمثل الثروة الهيدروليكية العامة بعد حساب الموارد الهيدروليكية الاخرى في سورية الى ٥٥ مليار متر مكعب في العام . ترى ماهي حصة الجولان من هذه الثروة ؟

ويجب ان نشير ، منذ البداية ، الى ان المورد الوحيد تقريباً يكون هنا ، هو الماء الجوي ، اذا لم يمكن بعد قياس الماء الذي تقدمه ينابيع الجولان المختلفة سنوياً . وقد سمحت لنا حساباتنا بتقدير الماء الجوي الذي تتلقاه منطقتنا في خلال عام ذي امطار متوسطة بمقدار ١ر٢ مليار متر مكعب . وهكذا تكون حصة الجولان هامة اذن ، لانه يتلّقى فوق مساحة تعادل واحد ن تسعين من مساحة البلاد مقداراً من الماء يعادل واحداً من ٤٢ من تهطالات هذا القطر . غير انه لم نأخذ بعين الاعتبار سوى الماء المتوفر لاستعمال السكان فان منطقتنا تبدو شديدة الافتقار للماء .

---

٣ ـ شفيق الصفدي . سبق ذكره

٤ ـ محمد السيد ايوب « المياه الباطنية في سورية » ٨ ـ ١١ أيلول المؤتمر الثالث للمهندسين العرب .

ولتفسير هذه المفارقة يجب ان نعرف ماهو مصير الماء الجوي عند بلوغه سطح الارض ، وهذا يعني ان علينا ان ندرس دورة الماء .

دورة الماء في الارض :

ان كل الماء الذي يصل الى الارض لا يخضع للنتائج ذاتها فهناك قسم يتبخر ويعود للجو ، وقسم ثان يتسرب في الصخور المنفذة ، وقسم ثالث ينجو من الظاهرتين السابقتين كي يأخذ طريق السيلان السطحي . وهكذا يكون علينا ان ندرس هذه الظواهر الثلاث ، كلاً على حدة وتوزع الماء فيما بينها .

١ ـ التبخر :

تستأثر هذه الظاهرة ، بتأثير عديد من العوامل وبتأثير أشكال مختلفة ، بنسبة عالية جداً من التهطال . وتكون الحرارة هي العنصر الرئيسي في هذه الظاهرة . ولن مهما كانت اهمية التبخر الكموني فان كل الماء لايتبخر لأن نشاط هذه العملية يظل مكبوحاً لآن التهطالات تكون مركّزة شديدة وتحدث في فصل بارد نسبياً ، والواقع يتم التبخر حسب طرائق ثلاث :

آ) التبخر المباشر :

وهنا تلعب الحرارة الدور الرئيسي ومن ناحية اخرى فان هناك ثلاثة عوامل تكون ايضاً موائمة لذلك :

ـ التغيم : قيم ضعيفة ، كما قد تكون معدومة خلال بضعة اشهر من السنة .

ـ الريح : أو بالاحرى ، سرعته ، وتكون هذه مرتفعة لدرجة كبيرة خلال الفصل الماطر .

ـ تعمق المجاري المائية في سافلة بعض الاودية : مثل الرقّاد والعلّان واليرموك . فالتعمق يحول عموماً دون التبخر ولكن المياه تكون عرضة للتبخر في عالية هذه الاودية ذاتها وكذلك في الاودية الثانوية الاخرى .

ب) التبخر المباشر :

ونقصد بها المياه التي تصعد نحو السطح بتأثير الحرارة والخاصة. الشعرية . وفي الواقع تجد هذه الظاهرة في مناطقنا شبه المدارية شروطاً طيبة .

ـ فالمتوسط السنوي مرتفع .

ـ كما تكون بنية وطبيعة الترب موائمة لتصاعد المياه الباطنية بالخاصة الشعرية .

ـ تنتشر الاغشية البشرية Phraefique على مساحة كبيرة وعلى عمق قريب نوعاً ما .

جـ) التبخر النتحي النباتي :

يلعب النبات دورين متناقضين ، فمن ناحية يمنع بواسطة ظله التسخين النهاري للتربة ، ومن ناحية اخرى يسبب خسائر كبيرة بتعرقه ذاته . وتكون حصيلة هاتين الظاهرتين المتنافستين عسيرة التقدير للغاية .

ويوضح د . ج بوردون أهمية التبخر النتحي باعطاء قيم عددية . فتبلغ النسبة لعامة في حوض اليرموك قرابة ٨١٪ من التهطالات ، . وتختلف هذه النسبة من مكان لآخر ، ففي مساحات مغطاة بلابة فوضوية رباعية وعديمة الصرف « مساحات ذات صرف ناقص النمو » يهبط الى ٨٠٪ وفي المناطق ذات الصرف المحجوز bloque الى ٧٧٪ وفي مقابل ذلك تصعد النسبة الى ٨٢٪ في مناطق الصرف الحر في حوض اليرموك او Open drainage . ويجدر بنا ذكر الاختلاف الكبير بين نسب التبخر لدى كل من بوردون ومظلوم حيث تكون ٨١٪ و٨٠٪ من ناحية وبين النسبة لدى ايوب ٢٥٪ من ناحية اخرى .(٥) .

٢ ـ الجريان :

ان شطر الماء الذي يبقى بمنجى من التبخر ومن التسرب لباطن الارض هو الذي يجري . وتكون العوامل التي توائم السيلان عديدة وسنذكر البعض منها :

ـ نظام الامطار : يكون المطر احياناً شديد التمركز في الزمان ويسقط على شكل زخات عنيفة تأتي بكمية كبيرة من المياه التي يبدأ قسم منها في الجريان

---

(٥) لايعطي أيوب معلومات كي يمكن التثبت من حسابه .

(المترجم) لايمكن بحال من الاحوال قبول رقم ٢٥٪ ربما يعود هذا الخطأ ' مطبعي كتاب يزخر بالكثير من أمثال هذه الغلطة .

فوراً ، فتنهمر خيوط الماء ومسيلاته الصغيرة من المرتفعات باتجاه النقاط الواقعة في الاسفل .

ـ الحرارة : يكون المتوسط العام على العموم مرتفعاً نوعاً ما ، لكنها تنخفض بشدة في الشتاء ، فصل الامطار ، ويستفيد الجريان من ذلك على حساب التبخر .

ـ نفاذية الصخور : وتتألف هذه في معظمها من صخور البازلت ، وتكون صخور الحرمون منفذة لدرجة كبيرة بسبب التشقق الذي يعتري هذه الصخور الكلسية . وهذا ما يساعد التسرب على حساب الجريان .

ـ الطبغرافية : وتكون هذه عاملاً مساعداً على الجريان وتتجه المياه بسرعة سالكة المنحدرات الشديدة الى حدٍّ ما باتجاه الغرب وشرق وجنوب الجولان .

النبات : تكون الاجزاء الحراجية محدودة بالموازنة مع مساحة الجولان ، كما يكون الغطاء العشبي ميتاً او قليل النمو خلال القسم الاعظم من فصل المطير . وفي مثل هذه الحالة لا يعترض النبات عملية الجريات بصورة تستحق الذكر .

ومما يجدر ذكره ان هذه العوامل تكون موائمة للجريان في الوقت الذي تكون فيه غير موائمة للتبخر والتسرب والعكس بالعكس .

ويكون معدل الجريان لكل حوض اليرموك في حدود ٩٪ من التهطالات استناداً الى تقدير بوردون ، بيد أن النسبة العامة تختلف من منطقة لأخرى حسب طبيعة الصخور وحسب طبيعة الصرف . وهكذا سنحصل على النسب التالية :

ـ ١٧٪ من الامطار في المساحات المؤلفة من صخور رسوبية والتي يكون صرفها متجهاً نحو الخارج .

ـ ٨٪ من الامطار في المساحات المؤلفة من البازلت والتي يكون الجريان فيها مغلقاً او محجوراً .

وتهبط النسبة الى الصفر في المساحات الفوضوية فوق اللابات الرباعية حيث لم يتشكل بعد أي جريان منتظم كما في منطقة « الوعرة » .

وينعدم الجريان لأن برودة السطح الفوضوي لا تساعد على تجمع الماء واتجاهه في الاتجاه ذاته . ونرىء في هذه المنطقة مع ذلك خيوط الماء وهي تسير بصورة انفرادية دون ان تتمكن اطلاقاً من التجمع . وهكذا يرقد قسم كبير من الماء في حوضات صغيرة تكون قيعانها كتيمة نسبياً لوجود جزيئات تسد الشقوق . وتكون هذه المياه الراكدة معرضة للتسرب بنسبة ٢٠٪ وللتبخر بنسبة ٨٠٪ . وتبقى هذه البحيرات الصغيرة احياناً حتى نهاية الربيع وتكون عديدة ومرئية في الوعرة قرب سعسع ، وعلى طريق القنيطرة ـ دمشق .

٣ ـ التسرب :

لقد ذكرنا في معرض الجريان معظم العوامل التي تؤثر على التسرب ، ونعني بذلك الحرارة ونظام الامطار ونفاذية الصخور والطبغرافية والنبات . غير اننا سنعالج هنا عاملين :

ـ سقوط وذوبان الثلوج : يتساقط الثلج في منطقتنا سنوياً عدة مرات ولا سيما في القسم الشمالي وبجوار جبل الحرمون . ويكون استمرار الثلج على درجة من الاهمية لا تقل عن الكمية الساقطة ، فالمياه التي تصدر عن ذوبها البطيء تتسرب بصورة اكثر نفعاً . وتغذي الذوبان السريع اساساً المسيلات الصغيرة وسيول الاودية .

ويعرف الفلاحون ذاتهم ، بشكل جيد ، ان الينابيع ستتغذى بصورة افضل اذا تطاول امد الثلج .

ـ نفاذية الصخور ، « تناسب الترب التي تغطي الهضاب البازلتية ظاهرة تسرب المياه ، لان هذه الترب ، رغم كونها غضارية ، تفتقر للتآخذ ، فهي تتبلل كأنها اسفنجة وتمسك بالماء فوق الشقوق مما يسمح بتسرب بطيء . وتتداخل مخاريط الخبث في الاتجاه ذاته . ويقود البحث عن مناطق التسرب ، التي تغذي ينابيع كتلة جبل الدروز ، يقود دائماً الى هضاب مغطاة بالترب او الى مخاريط الخبث »[٦]

---

6. L.Dubertret. Etude des reģions volcaniqwes. precite: P:305

بيـد ان جريـان الماء باطنياً يصبح بطيئاً لان المياه ذاتها تجلب غضاريات وعنـاصـر اخـرى دقيقـة « فتسطم » بالتـالي ، شقـوق البازلت . وتبلغ النسبة العـامـة للتسرب في حوض اليرموك ١٠٪ من التهطالات ، وهذا حسب تقدير بوردون وتهبـط الى ١٪ في منـاطق الصخور الرسوبية وذات الجريان او الصرف المفتـوح ، ولكنهـا تصعد الى ١٥٪ في المناطق البركانية ذات الصرف المحجوز والى ٢٠٪ في المساحات الفوضوية المؤلفة من مسكوبات حديثة رباعية .

٤ ـ الحصيلة الهيدروليكية :

إن هدف إقـامـة هذه الحصيلة هو تحديـد مقادير ماء التسرب في الارض للالتحـاق بالاحتيـاطـات المخـزونـة في الاغشيـة البشـرية Phraétiques . وهو حسـاب يستنـد مبـدئيـا ، على المتـوسـط السنـوي من ناحيـة ، وعلى ثلاث ظاهـرات رئيسيـة وهي : التبخـر والجريان والتسرب من ناحية أخرى . ويرى صديقنـا شفيق الصفـدي : ان إقـامـة حصيلة كهـذه هي مسأله حرجة للغاية بالنسبة لحوران ويجب توقع هامش سلامة اكبر للتوصل الى نتائج مقبولة .

بيـد أننـا سنعمـد الى إقامة هذه الحصيلة الهيدروليكية وذلك بالاستناد على حسـاباتنا الخاصة وبواسطة معدلات مختلفة قدّمها الدكتور بوردون . وقد قدّمنـا في مكـان آخـر قيمة الثروة الرئيسية للجولان من الماء الجوي في عام ذي امطـار متـوسطـة أو ٢ر١ مليـار متر مكعب ، يفقد منها مقدار ٩٧٢ مليون متر مكعب بالتبخـر . وإذا لم نأخـذ بعـين الاعتبـار سوى ميـاه الجـريان والتسرب القـابلة للاستعـمال من قبل الانسان مباشرة او بصورة غير مباشرة ، فان الثروة السنـويـة من المياه المتوفرة تكون بحدود ٢٨٨ مليون متر مكعب من الماء . ولما كان التمـوين الفـردي بالمـاء بمعـدل ١٠٠ لتر يوميـاً[٧] ولمـا كان عدد السكـان ١٠٠٠٠٠ نسمـة ، فان تموينهم يتطلب ٣٦٦ر٣ مليـون متر مكعب من المـاء سنوياً او ٣ بالالف فقط من الثروة العامة أو ١٪ من الماء المتوفر .

ويتطلب ري هكتـار واحـد من الارض وسطياً ١٢٠٠٠ متر مكعب من المـاء في العـام (عن مظلوم) . ولـو كان حجم المـاء المتوفر disponible مخصصا

---

(٧) تقدير مدير القوى المائية والري بدمشق

للزراعــة فان ذلـك سيسمـح بري مسـاحـة تبلغ ١٨٦٦٦ هكتـاراً . غير ان المساحة المروية في الوقت الحاضر لاتتجاوز اطلاقاً ١١٥٠٠ هكتاراً في كل الجولان .

وهناك واقع يجب ان نتذكره وهو ان المناطق البركانية في سورية الجنوبية تبدو ، ضمن الوضع الحالي للأمور ، فقيرة بالمياه القابل للاستغلال ، وهكذا تجري محاولة لاستغلال الموارد المائية المتوفرة على الشكل الافضل .

وهكذا يكون من الضروري ان نعرف بادىء ذي بدء الاوضاع المناخية والجيولوجية المتحكمة في تخزين مياه التهطالات .

ثالثاً ـ العلاقات بين المناخ والجيولوجيا والهيدرولوجيا

١ ـ الشروط المناخية :

هنـاك ميـزة جوهـريـة للمنـاخ الـرومي وهي انقسام السنة الى فصلين متفّـردين كثـيراً ، الاول حار وجـاف ، والآخـر بارد نسبياً ورطب . وهكذا لا ترتكـز الحيـاة كليـاً خلال نصف العـام ، واحيـانـاً خلال ربعي اوثلاثة ارباع السنة ، على المياه الجوية ، بل على احتياطي باطن الارض بالمياه .

والـواقـع يكـون الصيف فصـلاً غير موائم اطـلاقـاً للمياه الجارية والينابيع وللآبـار ، وذلـك نتيجـة الحـرارة المرتفعـة والتبخر الشديد . وقد قاس لويس دوبرتريه في ٢٥ آب ١٩٢٨ في حوض مفتوح ، واقع على ارتفاع ١٣٠٠ م ، على السفـح الجنـوبي لجبـل الـدروز ، قاس مقـدار التبخـر اليـومي البـالـغ ٨ مليمترات . ويشير هذا الرقم المنعزل لشدة التبخر في هذه البقاع والجفاف الـذي ينجم عنـه . وهكـذا تنقطـع مجاري الماء ذات الصبيب الضعيف . اما تلك التي لها صبيب اكثر قوة فتكـون في حالـة الشـح ، وتكون عالية نهر الرقاد جافة تماماً ، ويحتفظ القطاع الاوسط ببعض الحوضات المنفصلة المليئة بالمياه ، ولكن يجري خيط من الماء ضئيل الاهمية في السافلة فقط .

وعلى العمـوم ينخفض صبيب الينـابيع وينضب معين العيون الضعيفة وتطرح مشكلة مياه الشرب بالنسبة لعديد من القرى التي يقصد سكانها القرى

المجـاورة طلبـاً للماء . وينخفض مستـوى الميـاه في الآبار ويعمد الناس احياناً لتعميق آبـارهم اكثـر . ولكن هذا التعميق لايقود دوماً الى الماء . وتقع الفترة الحرجة بالنسبة للهيدرولوجيا في نهاية الصيف وفي بداية الخريف .

وابتدءاً من ايلول تصبح رطوبة الجو مرتفعة نوعاً ما وتتجلى على شكل ندى سخي يبلل سطـح الـتر بـة والاعشـاب اليـابسـة . ويأتي الندى بالواقع لنجـدة الحيـوانـات الجائعة والظمأى والتي تستغني عن الماء بقضمها الاعشاب والقش النـديـين وفي الـوقت ذاته يزداد صبيب الينابيع الدائمة نسبياً . ولكن لنتـذكـر المثـل الشعبي الـذي يقول : «بين تشرين وتشرين صيف ثان » الذي ينطبق على أزمة هيدرولوجية ثانية . ولحسن الحظ لا تدوم هذه الفترة الحرجة الثانيةمدة طويلة هذه المرة لان الامطار تأتي من نهاية تشرين الثاني لوضع حد لهذه الفـترة . وابتـداءً من بدايـة كانون الأول ، حيث تكون في قلب الفصل المطـير ، يتسـاقـط الثلج بضـع مرات ويغطي مساحات هامة . ويغذي ذوب الثلج الينابيع على نطاق واسع .

والـواقـع تصبـح مجاري المـاء من الآن فصاعداً مليئة بالمياه . فنهر الرقاد مثـلاً لا يعـود ابـداً شبيهـاً بواد جاف في الصيف . ويفيض في الشتاء ويسكب كتلاً ضخمة من الماء التي يجمعها من السفوح الجنوبية والجنوبية الشرقية لجبل حرمون ومن الخاصرة الشرقية للجولان . وينقل بفضل موجاته القافزة جلاميد صخـريـة كبـيرة جداً ويحملهـا حتى مجراه الاوسـط . بيـد ان الينابيع لا تعود لصبيباتها الاّ في وقت متأخر لأن خزانات المياه المتفرغة خلال الصيف لا تمتلىء بعد اوائل الزخات ، كما يحتاج تسرب المياه البطيىء ، لبعض الوقت كي يدرك نقاط تدفقه من جديد .

ويحصـل الصبيب الاقصى في الحقيقـة ، في بداية الربيع ، ويرشح الماء من كل مكان على هيئة ينابيع وقتية . وتنحبس الامطار في نيسان ولك يستمر النـــدى مع ذلـــك . وابتـداءً من أيـار يصبـح الصحـو سائـداً ، ويستفحـل الجفاف ، وبذلك نكون في قلب الصيف . ونستطيع ان نستنتج مما تقدم وجود علاقـة وثيقـة بين نظـام الميـاه وبـين نظام الامطار ويستدعي كل منهما الآخر . فيتطابق الصبيب الاقصى مع الفصل الماطر وفترة الفيضان الوحيدة ، باستثناء

الرفاد الذي يشهد فترة زود ثانية تنطبق على ذوب ثلوج جبل الشيخ . ولكن الصيف ، على العكس ، هو الذي يتعرض للصبيب الادنى ، وبالتالي ، لفترة الشح ، الوحيدة طبعاً[٨] . هذا ولا تكون العلاقة بين نظام الامطار وبين مستوى الاغشية البئرية أقل وضوحاً . وتكون الذبذبات الفصلية لهذا المستوى ملحوظة بشكل جيد ، وذلك حتى من جانب الفلاحين ، لان منسوب آبارهم العامة والخاصة ينخفض بشكل كبير في فصل الصيف .

هذا وتخضع الاغشية المائية الباطنية فضلاً عن تلك الذبذبات الفصلية ، الى ذبذبات أخرى ، سنوية أو بين فترة زمنية طويلة واخرى ، والتي لا تكون في الواقع اكثر من انعكاسات لذبذبات تتصف بها تهطالات منطقتنا .

ويصعد مستوى المياه الباطنية باتجاه السطح خلال سنة واحدة او او عدة سنوات ذات امطار طيبة ، ويمكن ادراك مستواها بسهولة من جانب الذين يحفرون آبارهم في تلك الفترة ، واذا تدخلت فترة امطار شحيحة تنضب الآبار ذاتها . واذا عمد البعض الى تعميق آبارهم بقصد اللحاق بمستوى الماء المنخفض ، واذا لم يكن لدى الآخرين الوقت والوسائل لحفر المزيد في آبارهم ، فان هؤلاء الاخيرين يجدون آبارهم مليئة خلال الفترة التالية ذات الامطار السخية . ويجدر بنا اتمام هذه اللمحة الموجزة عن العلاقة بين المناخ والهيدرولوجيا ببعض الاشارات الى الطبيعة الليتولوجية للسطوح المروية ، وبشكل ادق ، الى درجة نفاذيتها .

وباستطاعتنا ان نميز ، في هذا المجال ، مناطق الصخور البركانية عن مناطق الصخور الرسوبية لأن الميزات الهيدرولوجية لهذه ولتلك ، وكذلك سلوكها تجاه المياه ذات المنشأ الجوي لا تكون هي نفسها اطلاقاً .

---

(٨) الشح ويقابل كلمة efiag بالفرنسية او التحاريق في مصر والصيهود في العرق ، اي المنسوب الادنى للنهر .

٢ ـ الشروط الهيدرولوجية في مناطق الصخور الرسوبية

ينحصر ميدان دراستنا من الشمال ، كما سنبق وعرفنا ، بسفحي حرمون الجنوبي والجنوبي الشرقي ، ذلك الجبل المؤلف أساساً من كتلة هائلة من صخور رسوبية ، وتتكشّف هذه أيضاً في بقاع مختلفة في شمال وفي شمال غرب الجولان ، وكذلك في الأودية ولا سيما في وادي اليرموك . وتلعب هذه الصخور الرسوبية المختلفة دوراً محدوداً في هيدرولوجية الجولان ، وكذلك الدور الذي لا يجوز التغاضي عن اهميته ، وقد سبق ان اشرنا الى جبل الحرمون كمستودع خزان لمياه كل المناطق المحاذية .

وتلعب القاعدة الرسوبية الكريتاسية الايوسينية ، حتى في الجولان البركاني أساساً ، تلعب دوراً هاماً جداً فيما يتعلق بالتسرب وبالاغشية البئرية وبالينابيع .

وهكذا نضطر للتعرف على هذه الصخور لمختلفة وتصرفاتها تجاه المياه :

ـ التشكلات الرباعية والبليوسينية وتتألف من ترب ومن غضاريات متبقّية ومن لحقيات . . ولكنها لا تحتل سوى مساحات ضامرة .

ـ وتتصرف الترب بقدرتها على تشرّب الماء وكأنها منظّمات للسيلان وللتسرب .

ـ دور الغضار المتبقّي محدود اكثر .

ـ وتستطيع الترب المنفذة كثيراً ان تكون كتيمة مختلطة بغضار .

ـ تكون صخور المشبك البليوسينية أحياناً منفذة ولكنها تكتسب نوعاً من كتامة عندما تكون ذات ملاط يحولها الى تجمع متماسك .

ـ تكون التوضعات البحرية على العموم منفذة ، عندما تكون كلسية ورملية ، كتيمة وعندما تكون مارنية .

ـ الميوسين : ويكون بيئة لظاهرات هيدرولوجية متباينة ، ولكن يكون على العموم مؤلفاً من تشكلات منفذة

ـ الايوسين ، ويتمثل بصخر كلسي متشقق وبصخور بريش كلسية متشققة أيضاً وتمتص مقادير هامة من المياه تردها على شكل ينابيع انبجاسية تظهر في انكشافات الطبقات السفلى .

ـ السينوني : وهو تشكل حواري وماري اساساً ، ويكون كتيماً في حالته البدائية . ولا يتكشّف الاّ على مساحات ضئيلة جداً في الجولان ، ولكنه يؤلف الاساس الذي ترقد فوقه اللابات البركانية . ويلعب دوراً هاماً في الهيدرولوجيا الباطنية للمنطقة . وتكون الصخور السينونية « كتيمة تماماً من النمط الحاوي على الماء (الصفدي) » وتختلف سماكتها من مكان لآخر اذ قد تصل الى ٧٠٠ م .

بيد ان السطح يكون فاسداً احياناً ، ويتجلّى هذا الفساد بمنظومة من تشققات صغيرة متفاغمة قادرة على اختزان مقادير محدودة من المياه فوق المستوى السليم . وتكون سافات الصوّان المتطبقة ضمنها ، والتي تكثر في هذا التشكل ، متشققة احياناً . غير ان التسرّب لايستطيع ان يكون عميقاً لأن المارنيات السينونيةتعتبر حاوية على الماء aquifuges بصورة كاملة .

بيد ان السينوماني يعتبر ، على العكس ، احد خزانات الماء الرئيسية في كل سورية . فتكون هذه الكتلة السميكة من الكلس المتشقق منفذة على نطاق كبير . وهكذا يمتص السينوماني حجوماً كبيرة من الماء يعيدها عن طريق ينابيع عديدة انبجاسية résurgences ذات صبيبات عالية نوعاً ما . وتقع هذه الينابيع بجوار خط التماس بين السينوني والألبياني وأهم هذه اليانبيع هي :

ـ عين مسعدة التي تنبثق من انكشاف في قاع بحيرة مسعدة ، وهي بحيرة بركانية (كراتر) .

ـ عين سَعر وتقع في ضواحي مجدل شمس .

ـ المركّب الالبياني ـ الآبثي ـ النيوكومي ، او الكريتاسي الاسفل ، ويضم تعاقباً معقداً من مستويات خرسانية ، مارنية ، ومن سافات كلسية . ويكون دوره الجوهري في تشكيل حاجز كتيم بين الصخور الكلسية المتشققة السينومانية والجوراسية ، من ناحية ، فيوقف مياه التسرب القادمة ويؤدي لظهور الانبجاس ، من ناحية اخرى ، ذلك انه يغلّف الجوراسي بغطاء سميك يحتبس المياه ويحول دون عودتها للظهور في الحضيض .

ـ ويشكل الجوراسي خزاناً سميكاً يكون دوره جوهرياً ، وتكون انكشافاته الرئيسية في المناطق المرتفعة ، الكثيرة التهطال حيث تتسلل المياه ضمن

الصخور الكلسية المتشققة .

وهكـذا يبـدو انـه يشكـل في الجـوراسي تخزين مائي ضخم يحول الغطاء الكريتاسي الحجوز ، اي الكتيم ، احياناً دون انبثاقه على السطح ، عنـد خواصـر الجبـل وفي الحضيض . والـواقـع لا يطلق هذا الخزان ، الذي تقتصـر تغـذيتـه حصـراً على القمم ، لا يطلق المـاء الا بواسطـة اكثر التقاوير انخفـاضـاً في غلافه الكريتاسي ، وكأنها ينابيع طفحية ، اوبفضل كسور تجتاز هذا الغلاف .

٣ ـ الاوضاع الهيدرولوجية في الصخور البركانية :

يتألف الجولان البحث اساساً من صخور ذات أصل باطني انقذفت من الـبراكـين فوق السطـح . وتشتمـل هذه المـواد الـداخليـة المنشأ على عناصر مختلفـة ، متبـاينـة الصفـات ، بازلت متكتـل ، بازلت فقـاعي ، خبث ، حصـويـات ، رماد ، وتكون مندمجة احياماً مع مواد مختلفة المنشأ من تشكلات موضعية éluviaux لحقية .

ترى ماهـو إذن سلوك العنـاصـر المختلفـة ؟ أو بالاحـرى ماهـو سلوك هذا المركّب من المواد تجاه المياه الجوفيه ؟

١ ـ المواد النارية المنشأ الفَرطة :

« وتكـون على العمـوم منفـذة فيـما عدا بعض الاستثناءات . ويشكل الخبث والحصـويـات والـرماد ، من بين هذه التشكلات ، اكداساً من طبقات ذات امتـداد على قدر لا بأس من الاهميـة . أمـا القنـابـل والنصال والجلاميد فتكون متناثرة بصورة عشوائية ضمن هذه المواد فلا تلعب ، بالتالي ، اي دور هيدرولوجي جوهري »[٩] .

وتصبـح اكـداس الخبث ، وهي منفذة بسبب التجاويف المتواصلة التي لا تحصى ، وبسبب شقوق التراجع ، أقول تصبح بعد فسادها منفذة بصورة متناقصة تدريجياً . وتكون نفاذيتها متعلقة بعمرها .

---

(٩) شفيق الصفدي . سبق ذكره .

وتكـون الحصـويات Lappili ، من بين هذه المواد النارية المنشأ الفَرِطة ، هي التي تتصف بأكبر نفـاذيـة . بيـد ان ميـاه التسـرب تستطيـع ان تربطهـا بمـلاط ، بواسطـة ظاهرة تحول الصخر diagenése او نشوؤه Lithogenése التي تساهم في جعل هذه العناصر متصفة بكتامة نسبية .

وللرماد قدرة احتباس مائي ملحوظة بسبب دقة عناصره . وتختلف هذه القـوة باتجـاه معـاكس لحجم الجزيئات وتستطيع بذلك ان تتفوق تماما على قوة التسرب . وفي هذه الحالة يصبح الصخر حاوياً على الماء تماماً »[١٠] .

ويحـوي سهـل القنيطـرة ، المؤلف من رمـاد ومن حصويات ، متوضعة على شكل طبقات رخوة متناوبة ، وجيدة التطبق ، يحوي كل حدود التنوعات الحجميـة لهذه العنـاصر . ويساهم وجود طبقات ذات قدرة احتباسية كبيرة ، لاسيما في قاعدة الزمرة ، يساهم اساساً في تشكل غشاء جيد حاوٍ على الماء .

واخـيراً علينـا ان نشـير الى تأثـير موروفـولـوجيـة الصخـور على الهيـدرولـوجيـا . وتستطيـع منتجـات الفسـاد ان تبقى محليـاً او تنجرف بمياه السيـلان حسب قيمـة درجـة الميـول . ولكن مادور هذه المنتجات المذكورة في نفـاذيـة الصخور ؟ استناداً الى رأي شفيق الصفدي يكون بقاء هذه المنتجات في مكـان ما غير موائم للتسـرب « ففي التكـوينـات المنبسطـة تتراكم هذه المنتجـات الى ما لا نهايـة فتعمـل على تقليص حجم الفـراغـات » . ويـرى دوبـرتـريـه غير ذلـك فيقـول : « يكون تسرب الماء ناشطاً بفضل الترب التي تغطي الهضـاب البـازلتيـة ، فهـذه الهضـاب على الرغم من كونها غضارية ، تفتقـر الى التـماسـك وتتبلل كاسفنجة ، وتحتفظ بالماء فوق الشقوق ، وبذلك تسـمـح بالتسـرب . ويضيف المؤلف « ان البحث عن منـاطق التسـرب التي تغـذي ينـابيـع كتلة جبـل الـدروز تقـود دومـاً الى هضـاب مغطـاة بالتربة أو بمخاريط الخبث . »[١١] .

---

(١٠) شفيق الصفدي . سبق ذكره .

L. Dubertret .precite. Etud des regions volcaniques du Hauran.etc.

ثانياً ـ البازلت :

لاتكـون هذه الصخـور منفـذة لولا التشقق الاقصى الـذي يعتري البـازلت بسبب تراجعهـا في فترة التبرد بعيْـد تدفقهـا . والواقع هناك منظومة كثيفـة من شقـوق تجعـل صخور البازلت منفذة على مقياس كبير . وهناك جزء من صخـور بازلت منطقتنـا فقاعي بشكل كبير يلفت الانظار الى عامل اضافي للنفاذية . وتكون هذه الفقاعات في الواقع منعزلة ودون اي اتصال فيما بينها . وهكـذا يدين البـازلت بنفـاذيته للتشقق حصراً . ومما تجدر الاشارة اليه أن هذه الشقوق تظل مستقرة وسليمة بصور متفاوتة ، لأنها لا تخضـع لمفعول التحلل بمياه التسرب . فالبازلت هو صخر متكتل وقاس ، وفضلا عن ذلك فإن المياه البـاطنيـة لا تكـون في هذه المنـاطق ، استناداً الى فحص فيزيائي كيمياوي ، عدوانية على العموم .

بيد أن شفيق الصفدي لاحظ على اسطوانات « جزرات » بعض اعمال السبر الظواهر التالية :

ـ وجود قشرة رقيقة من الكلس في بعض الامكنة فوق جدران الشقوق .

ـ امتـلاء مستمـر للشقوق الكائنة فوق المستويات الترابية الموضعية الواقعة بين مسكوبات البازلت ، بتوضعات الغضار الاحمر والتي جلبتها مياه التسرب على ما يعتقد . وتلعب ظاهرة كهذه بالتأكيد ، دوراً رئيسياً في الهيدرولوجيا ، لأنها تجـعل الجريان الباطني بطيئاً اكثر فأكثر . بيد أنه ليس لكل صخور البازلت في المنطقـة ذات الصفـات الفيـزيـائيـة في مقطـع عمـودي ، لأن الصخـور في الأعماق ، والتي تبرّدت بهدوء ، لا تكون بمثل تشقق صخور السطح ، فتكون بالتالي أقل نفاذية من اللابات السطحية .

وهكـذا نجـد ان الـدايـك dykes المائلة والمتقاطعة ، ضمن التكوينات النـاريـة المنفذة ، تكون قليلة التشقق وتلعب دوراً كبيراً في الجريان الباطني . فهي تعترض مسيرة مياه التسرب وتخلق بالتالي تعقيدات مختلفة والتي يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار في معرض دراسة المياه الباطنية .

ثالثاً ـ التشكلات الموضعية éluviaux المتطبقة بتناوب بين مسكوبات بازلتية من اعمار مختلفة :

لايكفي تحديد الصفات الفيزيائية في البازلت للسماح بالتنبؤ عن مصير المياه التي تتسرب من خلال المسكوبات البركانية . وفي الحقيقة لا يكون غطاء اللابات ، الذي انساح فوق ارضية رسوبية ، من عمر واحد . فقد أمكن التثبّت ، في الجولان ، من وجود ثلاثة مراحل للنشاط البركاني منفصلة عن بعضها بفترات راحة . وهكذا يكون من الميسور تصّور ان كل مسكوبة كانت تحت تأثير التجوية خلال الفترة اللاحقة من الراحة . وقد تغطت منتجات فساد هذه الفترة بمسكوبة مرحلة النشاط البركاني التالي ، وهكذا دواليك . وهكذا تقوم هذه التناوبات من الموضعيات المستحاثة إذن بعرقلة تجانس واستمرار المسكوبات وتلعب دوراً جوهرياً في هيدرولوجية المياه الباطنية لمنطقتنا .

ترى ماهي طبيعة وعدد ومفعول التناوبات اذن في الاصل ؟

انها ترب غضارية يعود نشوؤ ها الى مختلف فترات الراحة التي فصلت بين فترات احتداد النشاط البركاني . ولما كانت هذه الترب المبكرة هي نتائج تكوين تربة حقيقي قد تغطت من جديد بمسكوبات بازلتية اصبحت التالي مستحاثة ومشوّية بسخونة اللابة الشديدة . بيد أن هذا « الطبخ » لم ..رب بنيتها البدائية تماماً .

وقد تكشفت دراسة عيّنات منها عن وجود العديد من العروق الصغيرة بعثرة في هذا الغضار . ويختلف قطر هذه العُريقات . فقد يكون شعرياً كما يبلغ بضعة مليمترات . ترى هل تشهد هذه العُريقات على وجود جريان .. وبالتالي على النفاذية ؟ ومهما كان عليه الأمر فإن هذا التراب الغضاري ..ون على العموم متآخذاً ويتخذ مظهر صخور غضارية argilite كتيمة . ولهذا يكون من المقبول بأن هذه التشكلات كتيمة من نمط ضئيل النفاذية aquelude ان الماء يتسلّل من خلاله ببطء شديد . وتلعب هذه التناوبات الغضارية .. المسكوبات البازلتية دوراً عظيماً في هيدرولوجية المياه الباطنية في الجولان . ..ي تعترض طريق مياه التسرب وتتشرّب بها . تلك هي « طبقات حاملة ..ماء » حسب قول لويس دوبرتريه . ويطلق الفلاحون الشراكسة في المنطقة ، من الذين يمتهنون حفر الآبار ، تسمية « جلاتين الآبار » على هذا التراب

الحامل للماء ، والذي يعتبر في نظرهم اشارة منذرة عن وجود الماء . بيد انه لايكون لهذه الطبقات الترابية الحاملة للماء السماكة ذاتها في كل الامكنة ، اذ قد تنعدم تماماً في بعض الأمكنة . وينتاب الفلاحين من هذه الفقدان القلق لان هذا يعني ان عليهم ان يحفروا المزيد في آبارهم كي يبلغوا الطبقة الثانية الترابية الحاملة للماء والتي تكون اكثر عمقاً . والواقع يمكن العثور في الجولان على ثلاث طبقات من هذا النوع وقد اشار الى ذلك ف . فرولوبالفعل خلال عمليات السبر في حوران في عام ١٩٣٠ .

وأعمق هذه الطبقات هي اكثرها أهمية بالطبع لأنها ترتكز على السطح الحتي الذي يكشف طبقات القاعدة الرسوبية . وهذه الطبقة الترابية المتشكلة سابقاً عند قدوم اللابة هي غضارية أيضاً لأنها نتجت عن تأكلس délalcification صخور الكلس الايوسينية وعن فساد صخور الحوار السينونية .

وهناك تناوب غضاري ثان بين مسكوبة بازلتية B2 وبين المسكوبة الثالثة B3 . اما الطبقة الغضارية الثالثةفتقع بين البازلت الثالث B3 وبين آخر مسكوبة رباعية B4 وتكون الطبقة الثالثة الحاملة للماء اقلها انتشاراً واهمية ، اذ تقع فقط تحت المسكوبة الرباعية التي لا تغطّي اكثر من مساحات محدودة .

رابعاً ـ التشكلات اللحقية المتنضّدة فوق المسكوبات البازلتية والترب

هناك لحقيات من اصول سيلية ونهرية يمكن التعرف عليها بين الكتل البركانية في الجولان وجبل الدروز . وتكون على العموم مشرّبة بالماء وتنتج عنها ينابيع ذات صبيبات محدودة . وتكون هذه اللحقيات ، وهي تشكلات جديدة احياناً ، منفذة عملياً . ولكن يحدث ان منتجات متبقّية غضارية ناتجة عن فساد صخور البازلت ، تقوم بسطم هذه الفراغات القائمة بين عناصر هذه اللحقيات .

ولا يؤدي هذا « التكتيم impermeabilisation » شبه كامل بل الى تعويق ملحوظ في التسرب ، ولهذا يمكن تقريب هذه اللحقيات من النمط شبه المانع للتسرب المائي subaqualude حيث يتسرب الماء ببطء شديد

وتكـون ترب الجـولان ، شأن ترب حوران وجبـل الـدروز ، غضـارية اساسية . وتكون بنيتها حبيبية ، وتكون مساميتها بالتالي غير مرتفعة . وعلى هذا الاساس يمكن اعتبار هذه الترب ايضاً من النمط شبه المانع لتسرب الماء .

خامساً ـ المياه الباطنية في الجولان

١ ـ أهمية الثروة المائية الباطنية :

لايستفيـد الجـولان كثـيراً من ثروتـه الهيـدروليكية الكامنة . ولقد رأينا سابقـاً ان ٨١٪ من التهطـالات تضيـع على شكـل تبخـر نتحي ، واكثـر من النصف البــاقي ، اي ١٠٪ تتســرب بالعمق كي تلحق بالميـاه المخـزونـة في الاغشية البئرية phraétique و٩٪ فقط هو الذي يجري على السطح .

ويمتـد الفصـل الحـار والقـاحل على اكثر من نصف العام ، ويجب ان نعتمـد اسـاسـاً على مخزونات باطن الارض من المياه والتي تتلقى سنوياً مقدار ١٢٠ مليـون متر مكعب من المـاء الجـوي . بيـد ان ميـاه الخزانات الباطنية لا تستغل لعدة اسباب .

ـ يكلف حفــر آبـار عميقـة تخترق الصخـور الشـديـة القسـاوة ، اي البـازلت ، نفقـات يعجـز الفـلاحـون الفقراء عن تقديمها . وتكون الاغشية المائية القديرة على تأمين صبيب هام ومنتظم ، على الغالب ، عميقة مما يزيد نفقات عمليات الحفر .

ـ لايكون نظام المشاع الذي لا يزال قائماً في اكثر القرى موائماً لاستغلال المياه العميقة .

ويتم حفـر بئـر عالي الكلفـة ، في ارض لا تخص الفـلاح نهائيـاً ، يبدو عمليـة يستحيـل تصـورهـا ، وتطـرح المشكلة بالصـورة ذاتهـا امام الفلاحين المؤاجــرين (الشــركــاء) الـذين يعملون في مجال الملكيـات (الحيـازات) الكبرى ، الكثيرة فعلاً في الجولان .

ولمـا كان الشـريك لا يستفيد من نظام الملكية الفردية فهو لا يهتم بالقيام بتحسينـات مفيـدة في سبيـل الـري . هذا كما يجهل الفلاحون كيفية استغلال ميـاه الينـابيع ، اذ يقوم الاستغلال المثالي لمياه الينابيع على حفر خنادق تتقاطع

مع الطبقـة الـترابيـة الحـاملة للماء وذلـك بصورة محسوسة حسب خط التسوية وتتفرغ في ساقية حسب الميل الاعظم (لويس دبرتريه) .

ـ ويكـون الجـولان اكثـر المنـاطق البركانية في سورية الجنوبية امطاراً ، ولكن اقتصـاده يستنـد دائـماً على تربيـة المـاشية ، ولكنها تربية واسعة وبدائية تعتمـد حصـراً على عشب المروج الطبيعية التي تزهر بصورة عفوية بُعد سقوط أوائل الامطا بكمية كافية . وتتوفر الموارد طبعاً من المياه الراكدة في البرك او في احواض (حاووظ) أو من الينابيع .

ولا يمنـح السكـان اهمية كبيرة للمزروعات ، ولاسيما المروية منها ، كما لا يهتمـون باستنبـاط الميـاه التي ترقد فوق خزانات عميقة في باطن الارض عن طريق عمليات حفر عالية الكلفة .

١ ـ الصفات العامة للأغشية المائية الباطنية

تسمح الكميات الكبيرة من المياه الجوفية التي تهطل سنوياً فوق اراضي الجـولان من ناحيـة ، ونفاذية ترب وصخور البازلت ، ووجود طبقات غضارية ضغيفـة النفـاذيـة فيـما بين مسكوبات البازلت ، من ناحية اخرى ، تسمح لنا بالتنبؤ ، دفعة واحدة ، عن وجود طبقات مائية باطنية

وبـالـواقـع لا يكـون ذلك عبارة عن مصادفات عرضية . فأعمال السبر التي اشرف عليها ف . فرولو في ١٩٣١ والدراسات التي تقدمت ، فيما بعد في شمال اللجـاة وعلى الخـاصـرة الشـرقيـة للجـولان ، قادت الى تحديد صفات الاغشية البئرية لهذه المناطق .

وقـد اضـافت الـدراسـات التـالية التي نشطت من عام ١٩٥٢ على يد الدكتور بوردون والدكتور شفيق الصفدي ومهندسي الري السوريين الآخرين تفـاصيـل تكميليـة الى الـدراسة التمهيدية التي قام بها ف . فرولو . وفي مثل هذه الحالة سنتمكّن من اعطاء الصفات الهامة للاغشية المائية الباطنية في منطقتنا :

١ ـ تنسـاب ميـاه الامطار فوراً في سرر المسيلات الصغيرة التي تتجفف في وقت مبكر جداً كي تظل جافة خلال القسم الاعظم من العام مما يدل على عدم وجود أي غشاء مائي قريب جداً من سطح الارض في الجولان .

امــا بعض بروزات اليـنـابيـع الـدائمـة في مختلف نقـاط الجـولان فهي شحيحـة جداً مما لا يسمـح لها باكتسـاب أية أهمية في الري . بيد أن آبار سهل القنيطرة الصغير قد برهنت على وجود مياه وفيرة غير بعيدة عن سطح الارض بين طبقـة بازلت قليلة التشقق كانت شقـوقهـا مسطـومة ، وبين طبقات جيدة التطبق من السينير يت المتوضّعة في وقت متأخر . ويمكن التنبؤ عن وجود مياه غزيرة في باطن الارض . ويبدو انها صادرة عن « خزانات ماء » جبل الحرمون وتتجه نحو منخفض الحولة ونهر الرقّاد .

٢ ـ ولقـد اشـرنـا مسبقاً لظهور ماء على مستويين مختلفين ينطبقان على طبقتــين ترابيتن حاويتــين على المـاء بين المسكـوبـات البـازلتيـة . وتنسجم ملاحظتنـا هذه مع المـلاحظـات التي أجـراها ف . فرولو الذي يؤكد ، فضلاً عن ذلك ، ان اول دفعة مائية تكون شحيحة . ويبدو ان هذه هي أول شريحة متسربة من الامطار السنوية التي تنضم للطبقة السفلى المخزونة من خلال وقت متفاوت في طوله .

٣ ـ ولما كانت الترب منفذة وكذلك حال البازلت المصاب بتشقق كثيف فان تغذية أغشية الماء تتم في كل مكان بصورة شبه منسجمة .

٤ ـ ويكـون جريـان الميـاه الباطنية بطيئاً نوعاً ما ، وهذا نتيجة حصانة شقـوق صخـر قاسٍ جداً ، وهـو البازلت ، تجاه مياه متسربة ليس لها أية صفة عدوانية « وينتج عن ذلك ان حركة الماء في البازلت تكون مختلفة عن حركة المياه في الصخـور الكلسيـة وتقترب الى حدٍّ ما من حركتها في الصخور المنفذة على مقياس صغير ، مثل الصخرالرملي واللحقيات الخ .

وهكذا تكون هيدرولوجية صخور البازلت الحورانية من نمط فريد ، وسيط بين هيدرولوجية الطبقات المنفذة على نطاق واسع وبين هيدرولية الصخور المنفذة على مقياس ضيق »(١) .

---

(١) دكتـور شفيق الصفـدي . اطروحة : ويطلق المؤلف اسم حوران على كل الجزء البركاني من سورية الجنوبية .

٥ ـ هنـاك عدم انتظـام واضـح في منحى هذه الاغشيـة . فقيـاسـات غراديـان الأغشيـة التي قام بها الصفـدي تأتي لتدعم هذه الفكرة ، ويعود هذا الانتظـام بالاسـاس الى القـاعدة الرسوبية المبتورة بسطح حتي متموج عملت الاغشيـة الـبركانية على قَوْلبته . ويستطيع عامل آخر ان يدخل في الحسبان ، ذلك ان التناوبات الترابية الموضعية يمكنها ان تبدل في الاتجاه النظري للغشاء المـذكـور تماماً . وفي الـواقـع سبق لنـا وأشرنا الى عدم انتظام هذه التناوبات ذاتهـا : فثخـانتهـا تختلف من نقطـة لأخـرى واحيـاناً قد تختفي تماماً مما يؤدي لانقطاع المستويات الحاملة للماء وعدم استمرارها .

هذا ويمكن ايضـاً أن نشـير الى الـدور المشـوِّش المحتمـل للدايـك ، كالأسـوار البـازلتيـة القليلة التشقق ، وذات الـوضعيـات المختلفة من عمودية ومـائلة ومتصـالبـة ة الـخ ، مثلما تلعب الدايك دوراً لا بأس به في عدم انتظام المياه الباطنية في المنطقة التي نحن بصددها .

وتقـدم لنـا هيـدرولـوجيـة جبل بريقة وبير عجم مثالاً طيباً عن ذلك . فهنـاك قريتـان شركسيتـان هما الجـويـزة وبـريقـة يحتـلان السفح الغربي لهذه الكتلة . فتكون القرية الاولى غنية بالعيون التي تنبع عفوياً والتي يكفي ماؤها لسدّ حاجات القرية وحتى تأمين حاجات القرى المجاورة .

امـا بريقـة ، فعلى العكس ، فتعيش دومـاً في حالـة من القلق بسبب ضعف صبيب بئـرهـا العـام الـوحيـد الـذي ينضب ، رغم عمقـه . خلال السنـوات ذات التهطالات الضعيفة . فيضطر سكانها ومواشيهم الى البحث عن المياه عن قرية الجويزة . نرى كيف يمكن تفسير هذا الوضع ؟ .

تتألف هذه الكتلة الـبركـانية اساساً من مواد بركانية مختلفة ، فهي اذن منفـذة . وهكـذا سرعـان ما تتشـرّب مواد هذه الكتلة الصخرية بمياه الامطار الهـاطلة عليهـا ، غير ان الميـاه المتسـربة لا تتوزع بصورة متعادلة بين القريتين اللتـين تحتـلان نقطتـين متنـاظـرتين نوعاً ما بالموازنة مع قمة الكتلة اي بالنسبة لنطاق التسرب .

والـواقـع تصادف المياه المتسرّبة داخل المواد الصخرية المنفذة في مستوى غير بعيـد عن السطـح « دايـك » مائل باتجاه الغرب . وتمر النهاية الغربية لهذا

الدايك من تحت موقع الجويزة قرب السطح الطبغرافي مباشرة . وعلى العكس فإن نهايتـه الشـرقيـة تتكشّـف على السطح لشرقي لهذه الكتلة مما يؤدي لإيجاد درجة تحتل قرية بريقة قاعدتها السفلى .

وتكـون بريقـة محرومـة من الينـابيـع لأن السطـح العلوي من الـدايك يستقطب المـاء المتسـرّب في هذه الكتلة الـبركـانيـة على حسـاب هذه القـرية ولمصلحـة الجـويزة التي تكون ينابيعها عديدة وذات صبيب قوي وتظهر كينابيع انكشـاف . وتأتي السهـولـة التي يمكن الـوصـول الى المـاء من فوق الـدرجة المؤلفة مكن الدايك فوق البريقة لدعم ماقلناه .

٦ ـ ولقـد لمحنـا فيما سبق الى الـذبذبات التي تنتاب بين فترة واخرى أو بين فصل وآخر ، مستوى الاغشية ، وهي ذبذبات مرتبطة بكل دقة بالتقلبات المماثلة التي تميز نظام امطار الشرق الاوسط الرومي ، وبوسعنا هنا ايضاً الكلام عن ذبـذبـات يوميـة . فابتداءً من شهر آب تقريباً تصبح كل الينابيع شحيحة على العموم بسبب نضوب المخزونات وبالتالي لانخفاض مستواها .

وتعبّر التبدلات اليومية خلال هذه الفترة الحرّجة من العام عن تبدلات مستـوى الاغشيـة المغـذيـة . ففي خلال يوم تسـود فيـه الرياح الشرقية الجافة والحـارقـة ، تنضب الينـابيـع المصـابـة سلفـاً بالهزال ، بصورة تامة ، كنتيجة لاستفحـال التبخـر . وبعـد حلول الظـلام وتـوقف الريح الشرقية تحل الريح الغـربيـة مكـانهـا وهي ريـاح ندية وباردة تقريباً ما ، ونظراً لتوقف التبخر طيلة الليـل فان مستـوى الاغشيـة يرتفـع قليـلاً ونجـد في الصبـاح ان الينابيع وقد استأنفت جريانها .

٧ ـ هذا وقـد امكن تحديـد السطـح المعصـاري piézométrique للميـاه البـاطنيـة في حوران بتسـويـة اعمال الحفر التي تمت في هذه المنطقة بجهود ادارة الجمهورية السورية وتحت اشراف ف . فرولو .

واستنـاداً الى رأي البـاحث هذا تشـير خطـوط المستـوى المعصـاري ، وذلك في المنطقة الواقعة الى الغرب من نهر الهرير بما في ذلك الجولان الى نوع من موازاة أكيدة مع السطح . وتفسّر هذه الموازاة بأسباب عديدة .

ـ طبيعة الصخور التي تتشكل منها المواد البركانية الهشة الفرطة .

ـ وجود غشاء القنيطرة المائي الباطني الواسع والذي يستطيع تغذية جريانات باطنية باتجاه الشرق او باتجاه الغرب .

ـ ضعف نمو الشكبة الهيدروغرافية على سطح الارض .

٣ ـ طرائق استقرار المياه الباطنية

يمكننا ان نفكر ، بعد ان رأينا ، فيما سبق ، الصفات العامة للاغشية المائية ، بأن هناك طرائق لاستقرار المياه الباطنية وليس طريقة واحدة . أما فيما يتعلق بالهيدرولوجيا الباطنية لكل المناطق البركانية في سورية الجنوبية فيجب ان نميز بين اغشية الهضاب وأغشية الجبال التي تكون لوحدها هي الهامة بالسبة للقسم الشمالي من الجولان ، أي المنطقة التي تطلق عليها الادارة الحكومية اسم قضاء « القنيطرة » وبين الاغشية التي تميز الجزء الجنوبي التي يشار اليها ادارياً تحت اسم « قضاء الزويّة » .

أغشية الجبال : وتنقسم هذه الاغشية أيضاً الى زمرتين فرعيتين :

١ ـ أغشية معلّقة : وتكون مخزونة في اكداس المواد البركانية الهّشة ، ولا سيما اللحقية وذلك ضمن اكداس مختلطة . ولهذا تكون هذه الاغشية بالتالي عدسية وعديمة الانتظام للغاية . وتكون هذه الاغشية مخزونة في الصخور البازلتية التي اصبحت كتيمة بامتلاء الشقوق . ويعطي الغشاء الذي يرقد تحت السهل الصغير الذي يحيط بالقنيطرة مثلاً طيباً على ذلك . وسنعطي الآن بعض التفصيلات عن هذا الغشاء الذي يكون بلا ريب اكثرها اهمية في منطقتنا .

فقبل آخر مرحلة من مرحلة من النشاط البركاني ، الذي تولدت عنه مخاريط الخبث التي تحيط حالياً بهذا السهل ، مثل تل ابو الندا ، تل العرم ، تل المخفي ، والتلال الاخرى الصغيرة دون اسماء ، كان يوجد في موقع

السهـل ذاتـه ، حوضـة كبـيرة كانت تتجمـع فيها مياه السيلان . وكان القاع البازلتي لهذه الحوضة قد سبق له واصبح كتيماً لان المياه الي سطمت كل شقوق القـاع بجـزيئات صغيرة سبق لها ان جرفتها ، اذن كان عبارة عن بحيرة كبيرة كانت تشغل مكان سهل القنيطرة الحالي .

ولقـد تميـزت الفـترة النهـائية من الفعالية البركانية ، كما نعرف ، بكثرة الانفجـارات ، وبـالتالي انقذاف مواد ثورانية مفتتة ، وبتشييد مخاريط انقاض من نمط سترومبولي ، ومن نمط فولكاني ، ولا سيما في المنطقة ذاتها ، مثل تل ابـو النـدا ، وتـل العـرام ، وكلاهما من نمط فولكاني ، اما الرماد والحصويات التي انقذفت من مركزي الانطلاق ، أي من موقعي ابو الندا ، وتل العرام ، والتي نقلتهـا الـريـاح الغربية والشمالية الغربية . فقد تساقطت في البحيرة التي كانت تمتـد الى الشـرق من هذين البركانين . وقد عملت هذه المواد على ردم البحـيرة تمامـاً وفي فترة كان المنـاخ خلالهـا أكثر جفـافـاً والتهطـالات أقـل غزارة . ويمكن اليـوم التعـرف بسهـولـة على هذه التوضعات البركانية . فقد توضعت الحصـويـات في البـدايـة واحتلت القـاع دون تطبق واضـح ، بيد ان المستـوى العلوي يظـل افقيـاً بكـل دقـة ، وتـوضعت فوق هذا المستـوى ذاته اكـداس الـرمـاد . ويـرتصف الـرمـاد بالفعـل على شكل سافات ، افقية ، رقيقـة ، ذات الـوان مختلفـة ودقيقة التطبق ، مما يدل على تأثير اكيد للمياه في ترسيب هذه المواد . وتعتبر هذه السافات العصيبات البحيرية Varves الحقيقية بيد انها لا تسمح بتأريخ رمني بسبب قصر فترة ترسّبها .

وقد تمخضت البحيرة بعد انطماس معالمها كلياً عن نشوء سهل القنيطرة الصغـير الحـالي والـذي يكون سطحه الطبغرافي افقيا بشكل كامل . ولا يزال هذا السهل حتى اليوم حوض استقبال للمياه السيلية الشتوية التي تنساب من مختلف الارتفـاعـات المحيطـة (انظـر خارطـة ١٠) . وعنـد وصول المياه الى السهل تختفي بسرعة مدهشة إذ تتسرب في اللحقيات البركانية وتغذّي الغشاء البئري تحت السهل المذكور . ولا يقدم هذا الغشاء اي نبع لضواحي القنيطرة المبـاشـرة . ولبلوغ الماء يجب حفر آبار متفاوتة في عمقها . ولكنها على العكس تنخفض عن ينابيع غزيرة ومعلّقة في شرقي المدينة ، وتغذي هذه الينابيع وادي الرقّاد الاعلى .

ويستغـل هذا الغشـاء حاليـا بوسـاطـة الآبـار والضـخ لتموين القنيطرة والمنصـورة ، وهي قريـة شركسيـة غرب القنيطرة ، بمياه الشرب وبعض فرق الجيش . غير ان التـزايـد السـريـع المستمر في عدد سكان المدينة من ناحية ، وشـح الغشـاء المـائي خلال الفصـل الجاف وفي السنوات العجاف ، ويسبب قرط الاستغـلال من ناحيـة اخـرى ، قد جعلت المسؤولين يفكرون بمشاريع مختلفـة لتأمـين ماء الشـرب بطـريقـة كافية . ويقوم آخر مشروع على جر مياه ينابيع بيت جن وهو مشروع قيد التنفيذ .

٢ ـ أغشيـة الشبكـة : وتظهـر على سفـوح الكتـل الجبليـة ، وحيث تتكشف شقـوق البـازلت . ولا تقوم اية علاقة مع أكداس الانقاض البركانية وتكون غزيرة نسبياً وتذكرنا ، الى حدّ ما ، بمياه الكتل الجبلية الكلسية (انظر شكل ٢٥) . وفي الواقع لقد تعرضت الكتل البركانية لتصدعات نتيجة اواخر الثورانات الانفجارية ، وهكذا نشأت شبكات من شقوق فاغرة بصورة متفاوتة وعميقة . وهكذا تستطيع المياه المتسربة في المقذوفات البركانية الهشة السطحية ان تظـل محفـوظـة لوقت ما ولأسبـاب مختلفـة . ولكن تستطيـع هذه الميـاه ، بالواقع ، ان تتسرّب من جديد من خلال تصدعات الكتل البازلتية كي تظهر من حديد فوق المنحدرات على مستويات مختلفة جداً ، على شكل ينابيع متدفقة .

أغشية الهضاب : وتكون هذه محدودة مكانياً في جنوب الجولان ، اي في قضـاء الـزويـة ، حيث يكـون السطح الطبغرافي وكذلك النبية المائدية توحيان بمفهـوم الهضبـة . ويجـدر بنـا هنـا ايضـا ان نوجـد تمايـزاً بين نمـوذجـين من الاغشية : أغشية الاساس والاغشية المعلقة .

١ ـ غشـاء الاسـاس : ويقـع فوق أسـاس مجمـوع المسكـوبات وفوق السطـح العلوي للقـاعـدة الـرسـوبيـة الكتيمـة . ولمـا كان السطح الحتي يبتر الاسـاس المتمـوج فان اهميـة كميـة الميـاه المخزونة تختلف من نقطة لاخرى . فتكـون كبـيرة في الامكنـة المحفـورة بعمق بفعـل الحق والتي تتجه نحوها مياه التسرب . وتعود مياه هذه الاغشية للظهور بصورة واضحة وعلى شكل ينابيع معلقة ، في كل الأودية التي قطع حفرها الحَطّي الطبقات الترابية الحاملة وعند بلوغها القاعدة الرسوبية .

وهكـذا نرى استنـاداً الى القائمة أعلاه ان المساحة المرواة قد تضاعفت خلال سبعـة اعـوام . ولكن القسم الجنـوبي من الجولان هوالذي سجّل اكبر تقـدم ، ولكن مع انعـدام في الانتظـام صارخ ، وتـراجـع عظيم في ١٩٥٦ . ويكمن مستقبـل الجـولان في توسيـع مجال زراعة الاشجار المرواة لان الاشجار المثمرة تزدهر بصورة مدهشة في المجالات المرواة .

وقـد جرا تجارب زراعـة التفاح من النوعيات الامريكية في مجدل شمس وفي القـرى الـدرزية الاخرى في الشمال وكان النجاح كاملاً ومجزياً وكان لذلك اتجـاه عام نحـو زراعـة الاشجار حيثما امكن التوصل للماء بطريقة اوبأخرى . والواقع لقد اصبحت العوائق الاجتماعية والمالية ، التي كانت تقف حتى الآن في وجـه استغـلال كثيف وعقـلاني للمياه الباطنية مذلّلة بعد ان امكن التغلب عليها من الآن فصاعداً .

١ ـ يظـل الافتقـار الى المـال لدى الفـلاحـين دومـاً هو العـائق الاكثـر صعوبة . وتستطيع المعونة الحكومية والاسلوب التعاوني ان تحّل هذه المشكلة

٢ ـ ويقــع على عاتق الحكــومــة ايضــاً وجـوب تقـديم ادوات الحفر والتعليمات التقنية عن جر مياه الينابيع .

٣ ـ كما اصبح نظام ملكية المشاع ، المعادية لاي استغلال نشيط للمياه البـاطيـة ، أصبح يسير الآن في طريق التراجع والتفتت . ويلجأ الفلاحون ، بالاتفاق ، الى اقامة نظام ملكية فردية .

امـا فيـما يتعلق بامـلاك الـدولـة والملكيـة الكـبر ى فهي ايضاً في طريق التفكـك الى ملكيـات فردية . ومن ناحية اخرى أخذ كبار الملاكين يهتمون ، منـذ عهـد قريب ، من جانبهم ، باستغـلال اكثر عقلانية للماء الباطني بسبب المضاربة بالطبع .

ـ المياه السطحية أو الهيدروغرافيا

خامساً

لاتتجاوز دراسة هيدروغرافية سورية ولبنان ، والتي انتظمت منهاجياً من وقت قريب ، لا تتجاوز مرحلة الوصف . ولكن اذا كانت صفات الانهار لم تحدد بعد نهائياً ، فإنها أخذت بالوضوح مع ذلك ، وبصورة تدريجية . والاسباب الرئيسية التي تحدد مميزات الهيدروغرافيا السورية هي : التضريس وتفاوت توزع الامطار في الزمان وفي المكان ، وأخيراً بالطبيعة الليتولوجية وبنية باطن الارض . وتلعب الزمرة الجبلية الساحلية العالية دور حاجز حقيقي في وجه الرياح البحرية المحمّلة بالرطوبة ، وهكذا تتكدّس هذه الرطوبة ويحتفظ بها الجبل على حساب حرمان الهضاب الداخلية التي تكون قليلة الامطار .

وهكذا تتعاقب ، ابتداء من الساحل ، باتجاه الداخل ، نطاقات مناخية تتزايد قحولتها وهي الجبال الساحلية ، والهضاب المزروعة في الداخل والسهب الصحرواي والبادية ، وفي مقابل ذلك يقدم كل من هذه النطاقات المناخية نطاقاً هيدروغرافياً خاصاً نوعاً ما .

أما فيما يتعلق بمنطقتنا ، اي الجولان . فان المركب الجبلي لا يلعب ، كما رأينا في الفصل المخصص للمناخ ، دور حاجز . فالتهطالات فيه تكون مماثلة ، مع بعض النواحي ، لأمطار الساحل ذاته . .

وهكذا نرى ان تفاوت توزع الامطار في المكان ليس له هنا دور حاسم . بيد ان تفاوت التوزع في الزمان يلعب دوراً رئيسياً ، وهو الذي يحدد الذبذبات الفصلية والسنوية لصبيب الينابيع وبالتالي نظام المجاري المائية . غير ان الوضح الحالي للهيدرولوجيا الجولانية يبدو مستغرباً بالنسبة للتهطالات الغزيرة في المنطقة هذا اذا لم ندخل في الحسبان العوامل الاخرى ، أي الطبيعة الليتولوجية للأرض ومنظومة السفوح والتبخر الشديد .

والواقع يفسّر طابع الهيدرولوجيا الخاسر ، وتفاوت توزيع الينابيع بين المناطق الرسوبية والبركانية ، يفسّر فى معظمه بتفاوت النفاذية ، وتسهل شدة نفاذية الصخور عموماً تسرب الماء بسرعة كما تسهل منظومة الميول الشديدة مع الاودية الكبرى الهامشية ايضاً التصريف السطحي والباطني للمياه . والواقع يكون

الجـريـان نشيطـاً جداً بسبب القيمـة المـرتفعـة للانحـدارات وسرعان ما تجفـ السيـول بعـد ان تكـون قد سكبت صبيبـاتهـا في الاوديـة الرئيسية وهي الرقاد والـيرمـوك والاردن . وهكـذا يتضـافر التبخر والتسرب والجريان فوق السفوح الشـديـدة كي يميـز الهيـدروغـرافيـة بعدم الانتظام وبالعجز . والعنصر الذي يعمل في اتجاه معاكس هو الينبوع .

١ ـ اليـنـابيـع : وهي تلعب دوراً جوهـريـاً وذلك فقط كعنصر وحيد في استمـرار الجـريـان بل ايضـاً كمصـدر للماء الذي لا غنى عنه في الحياة اليومية للناس والحيوانات ولبعض البناتات .

شروط تدفق الينابيع في الصخور الرسوبية

ان المنطقـة التي تهمنـا هي الحـرمـون ، اوعلى وجـه الـدقـة ، سفحاه الجنـوبي والجنـوبي الشرقي . ونلفت الاذهان مرة اخرى الى الاهمية العظمى لهذه الكتلة الخـازنـة . وتفسّر شدة انتشار الصخور الكلسية في منطقة الحرمون وشـدة تشققّهـا سهـولـة تسـرب المـاء الجـوي الـذي يسقط بغزارة فوق القمم والسفـوح المعـاكسـة للريـاح البحـريـة . ويستـدعي كل هذا وجـود جريـان ومخزونات من المياه الباطنية . غير ان شروط تدفق الماء تكون متنوعة :

١ ـ تتـدفق اكثـر ينابيع الصخور الكلسية على مستوى معين ، في الزمر الكلسيـة ، في سريـر المسيلات أوعلى طول تماس الطبقة الكلسية مع طبقات أقل نفاذية عند حضيضها .

« ليست القـاعـدة الكتيمة هي التي تقود الماء نحو السطح لأن الصخور المتشققـة تستمـر في الأعـماق تحت مستوى الينابيع . فالتدفق ينجم عن اشباع الكتلة الكلسيـة في الاعـماق ، أوعندماترفض امتصـاص المزيد من الماء ، وقد دعيت هذه الينابيع عيون الطفح »(١١) وباستطاعنا اعطاء بعض الامثلة في هذا المجال .

---

11) L.Dubertret Notice de la certe gefolgique an 1/200.000. Feuille de Beyrouth. P.89.

١ ـ الينابيع المتغذية من الصخور الكلسية الجوراسية .

في جبل حرمون : ينابيع شبعا التي تتدفق في قاع وادي شبعا ، ونبع بانياس . وتتدفق عين تل القاضي من حضيض قبة الحرمون على حافة سهل الحولة .

٢ ـ الينابيع التي تتلقى تغذيتها من الصخور الكلسية السينومانية .

وتظهر في سرير الحاصباني عند حافة سهل الحولة وقرب الحدود السورية اللبناية .

٣ ـ ينابيع تتغذى من الصخر الكلسي الايوسيني : ينابيع دربل وبيت جن .

ب ـ وترد الطبقات السينومانية التي فقدت قاعدتها المارنية الألبيانية الماء من اطرافها عند قاعدة الصخر الكلسي ويكون التدفق هنا مشروطاً بوجود تناوب من طبقة منفذة سيونومانية مع طبقة أخرى كتيمة عند القاعدة وهي الآلبياني .

جـ ينابيع على علاقة بكسر : وتكون العيون الرئيسية هذه مصحوبة بدفقات كبيرة من المياه : وهذا ما نجده في شبعا في الحرمون ، وكذلك الحال في العديد منْ نقاط الكسر اللبناني السوري ، والصدع هو السبب الأصيل لتدفق الماء من عين كفر حارب . واجمالاً تكون كل هذه الينابيع على علاقة بكبر أو صغر مساحة الطبقات المنفذة المكشوفة بفعل الحت والتي تستطيع التهطالات الجوية ان تتسرب فيها .

هذا كما تكون على علاقة بثخانة هذه الطبقات المنفذة أي بمقدرتها على احتباس الماء . اما بالنسبة لمجموعة الصخور البركانية فإن الينابيع ، تكون على الخصوص ، على علاقة بدرجة تقدم الحت الذي يجب ان يكون قد توصل الى كشف المستوى الكتيم الاسفل .

شروط تدفق الينابيع في الصخور البركانية :

على الرغم من اختلاف طبيعة الصخور الكلسية والمارنيات فان صخور البازلت والطبقات الترابية فيما بين مسكوبات البازلت تحوى وضعاً وشروطاً لتدفق الينابيع مماثلة الى حدّ ما . والواقع فإن البازلت المنفذ بفعل التشقق

يماثل الصخر الكلسي كما ان الطبقات الحاوية على الماء والمتناوبة تلعب دوراً مماثلاً لدور المارنيات والتشكلات الكتيمة في الكريتاسي الأدنى . وهكذا نجد ان شروط تدفق الينابيع تستطيع ان تكشف عن بعض المماثلة مع شروط الصخور الرسوبية .

ـ ففي كتلة بازلتية تمتلىء فيها شقوق التراجع ، والشقوق الناتجة عن الانفجارات التالية ، بالماء المتسرب . ويتدفق هذا الماء على طول سرير السيل على شكل ينابيع الطفحان . وينجم التدفق ، كما هو الحال في الصخور الكلسية ، عن اشباع الكتلة البازلتية وبالتالي ترفض امتصاص المزيد من الماء (أغشية شبكية)

ـ ويؤدي اختلاف النفاذية بين مسكوبتين بازلتيين متعاقبين الى وجود نوع ثان من الينابيع . فالمسكوبات الرباعية التي يحول سطحها الفوضوي دون اي جريان سطحي تمتص ٢٠٪ من الامطار . بيد أنه لم يأت أي ذكر لتدفق مائي فوق السطح الفوضوي ذاته . فالينابيع تظهر على اطراف التماس بين مسكوبتين حديثتين وبين مسكوبات ناتجة عن فترات سابقة .

ـ وتلعب الطبقات الترابية الحاملة للماء دور مستوى كتيم يمسك بالمياه ، وحيثما تكشّفت فإن الماء يصاحبها . وقد ينجم انكشاف هذه الطبقات عن الحت ، كما في سرير السيول وأودية الأنهار أو بواسطة الانسان باللجوء الى الحفر .

ـ ويكون ظهور الاساس الرسوبي مصحوباً بانبثاق ينابيع تنطبق على أغشية الاساس (انظر شكل ٢٥) .

وفي الواقع فان وادياً محزوزاً بعمق من خلال مسكوبات بازلتية والى مادون خط التماس مع الاساس ، كما في وادي التيم نلاحظ نزيز الماء على ثلاثة مستويات مختلفة ، فالمستوى السفلي ينطبق على انكشاف الاساس اما الآخران فعلى الغضاريات الواقعة بين المسكوبات البازلتية ، ولما كان سفحا هذا الوادي عموديان فان المياه الراشحة تتساقط نحو القاع على هيئة شلالات حقيقية ولكن على مقياس ضامر .

التوزع الجغرافي للمياه التي تقدمها الينابيع .

يجب ان يقوم هذا التوزع على تحديد حصة كل دائرة قروية من الماء الذي تقدمه العيون . ولكن المصاعب عديدة في هذه المجال :

ـ لاتكون الخرائط المتوفرة ، وهي خرائط تشير الى تقدم أشغال المساحة العقارية والخرائط التي صنعتها القوات الفرنسية الحرة على مقياس ١/٥٠٠٠٠ لاتكون متطابقة دوماً ، فهناك قرى ولاسيما المزارع غير واردة في هذه او تلك من الخرائط . كما لاتكون ينابيع القرى غير الواردة على الخارطة المذكورة ، وبالتالي لانجدها على بطاقات المساحة العقارية (الكادسترو) .

ـ وهناك صعوبة اخرى لا تزال قائمة حتى بالنسبة للقرى المسجلة على الخرائط والتي تكون ينابيعها مسجلة على بطاقات المساحة العقارية ، إذا لم يتم تعيير الصبيب الاّ بالنسبة لعدد محدود من الينابيع .

ومن مجموع مقداره ١٧٠ قرية[١٢] فان ينابيع ثلاثين قرية قرية فقط كانت هدفاً لدراسة من طرف مهندس ري[١٣] . وهكذا وتجاه الافتقار الى المعايرة فإننا سنكتفي بالاشارة الى عدد الينابيع فوق الخارطة أوبئر كل قرية في المنطقة (انظر خريطة ١١و١١ مكرر) . ويسمح لنا التدقيق في الخارطتين المتعلقتين بالتوزع الجغرافي للينابيع باستخلاص الملامح العامة لهذا التوزع .

١ ـ يلاحظ تكرار الاسماء ذاتها في شمال المنطقة وفي جنوبها مثل رزانية ، كفر نفاخ الخ .

٢ ـ ويشار ايضاً الى تفاوت توزع الينابيع ، فلا تتغذى كل القرى من الماء بنفس الوفرة ، فبعض القرى يكون محظوظاً في حين يشكو البعض الآخر دوماً من شح الماء .

ـ هذا ويبرز غنى قرى القسم الشمالي الغربي من الجولان بالينابيع بجوار حرمون ، وهو خزان مائي ضخم . وبالواقع تكون قرية عنجر ،

---

(١٢) استناداً الى خرائط اشكال الكادسترو في قضاء القنيطرة وفيق وقطنا .

(١٣) م . ج . روماني : تقرير عن المياه المتوفرة في قرى جنوب سورية . مديرية الري والقوى المائية ١/٨/١٩٥٤

بانيـاس ، مجدل شمس هي الاحسن حظـاً في كل منطقتنا . كما يكون السفح الجنوبي الشرقي للحرمون أيضاً محظوظاً من وجهة النظر الهيدرولوجية . فتجد فيـه العـديـد من اليـنـابيـع الكبـيرة الصبيب وكـذلك بمجارٍ مائية دائمة مثل نهر سيـبراني ، نهر بيت جن ، واخـيراً النهـر الاعـوج ، الذي يجمع كل مياه هذا السفح تقريباً . غير ان المعلوم ان هناك قرى فقيرة بالمياه بل وفقيرة جداً به :

ـ حينة : فقيرة نسبياً لوقوعها فوق صخور بازلتية ثلاثية .

ـ حرفـا وطـرنجـة : وهما قريتـان فقـيرتـان جداً بالمياه لانهما تقعان فوق المسكوبة الفوضوية اي الوعرة ، مما يفسر فقرهما .

ـ ويفسّر فقر بعض القرى الاخرى في شمال الجولان ، مثل عين فيت ، زعورة ، جب الميس ، يفسّر ايضاً بموقعها فوق لابات رباعية انطلقت من تل احمر .

ـ ويفسّـر الفقـر النسبي في مجمـوعـة اخـرى من القـرى مثـل كفـر لما ، حجلة ، بيت عرّة ، كوية بموقعها في قمم سفوح الواديين الكبيرين وهما الرقّاد والـيرمـوك . ويقوم هذان النهران بتصريف مياه التسرب باطنياً وتعود هذه المياه لتظهـر من جديـد في الـوادي ، في قاع او فوق السفـوح على شكـل ينـابيـع معلقة . ومن هذا يكون تشكل الينابيع السطحية عسيراً .

ـ هنـاك قرى واقعـة عنـد حضيض كتـل بركـانيـة تجد نفسهـا في حالـة فريـدة ، اذ يمكن تفسـير فقـرهـا احيـانـاً بتأثـير الـدايك ، كحالة العدنانية وبريقة ، وقد فسّرنا في مكان آخر ، مع بعض التفاصيل ، الحالة الفريدة لهذه القرية .

ـ ولكن يكـون عدد العيـون هوالـذي يحظى بالاهمية بل أهميـة صبيبها واستمـراريتـه ، لان للعـديـد من القـرى ينـابيع عديدة ولكنها ذات صبيبات ضعيفة جداً ولا تجري خلال كل العام .

٣ ـ ولكن هنـاك واقـع يجب التوقف عنده مع ذلك وهو فقر قرية ما بالماء في الجولان لا يكون له أكثر من مدلول نسبي . ففي بعض القرى يكون مجهود الانسـان لاستغـلال المـاء منعـدمـاً ، ويكتفي السكـان باستخدام الماء الذي ينسكب عفوياً . تلك هي حالة القرى التي يسكنها اشباه المستقرين العرب او

التركمان القدامى اواسكي تركمان ، مثل كنعابة ، كراحطة ، الكوم ، القادرية ، مغاير ، رزانية الخ . . .

٤ ـ أما القرى المحرومة من ماء صالح للشرب والتي تتموّن بالانابيب فتكون قليلة : المنصورة ، جباتا الزيت ، مجدل شمس ، الخشنية ، بقعاتا ، حينة .

٥ ـ واخيرا سيكون من المفيد إعطاء الأرقام المتعلقة بالصبيبات السنوية لعدد من مجموعات الينابيع :

٩ عيون بين وادي العلّان ووادي الرقّاد	١٠ر٧٦ مليون متر مكعب
٩ عيون بين وادي الرقاد وخط تقسيم المياه	٢ر٨٠ = = =
٦ عيون في منطقة الحمة في اليرموك	٦٣ر٠٧ = = =
١٧ عين في رقعة الصرف المغلق	١١ر١٨ = = =
١٣ عين في رقعة الصرف المفتوح في شمالي حوران	٢ر٦٧ = = =
المجموع	٩١ر٤٨ = = =

وهكذا نلاحظ في هذه المناطق البركانية ، المغلقة على العموم ، ان الماء لا يكون موجوداً في كل مكان ولا تحت تصرف الجميع . واذا كانت بعض القرى محظوظة من وجه النظر الهيدرولوجية ، فان معظمها اقل سعادة وقد تتعرض للمشقة ، وذلك على الاقل بصورة وقتية مما يسبب ازمات كارثية على تربية الماشية وعلى الزراعة ، ونظراً للافتقار الى الادوات والتقنية فان حفر الآبار وجر مياه الينابيع يكلف نفقات مرتفعة بسبب قساوة البازلت وعمق الاغشية المائية .

. **ينابيع الحمة الحارة**

قبل ان نفرغ من دراسة الينابيع علينا ان نقوم بدراسة خاصة للينابيع الحارة التي تتدفق في وادي اليرموك . فعلى الضفة اليمنى لهذا النهر ، وعلى مستوى ١٢٠ م تحت سطح البحر ، وقبل خروج النهر من الوادي المتعمق ، وفوق اراضي قرية الحمة الصغيرة ، تتدفق بعض عيون حارة مع رائحة الكبريت و SH2 . وتظهر للعيان توضّعات صغيرة كبريتية بجوار العيون . وتثير ينابيع الحمة اهتمامنا لسببين :

- يكون اصلها ، المتعدد التفاسير ، مرتبطاً بالتاريخ الجيولوجي والتكويني للمنطقة .
- تعتبر الحمة محطة مائية حرارية للاستشفاء وللعلاج والتي يقصدها عدد كبير من المرضى لمعالجة امراض مختلفة .

أصل الينابيع :

بعد ان قام ل . لارتيه L. lartet برحلة استكشافية الى البحر الميت ، والى البتراء ، وعلى الضفة اليسرى لنهر الاردن كتب في عام ١٨٧٧ مستنتجاً ما يلي : « لقد نتجت اللابات التي تواكب قاع اودية في ضواحي بحيرة طبرية والبحر الميت عن ظاهرات بركانية ، ربما كان الانسان شاهداً عليها » .

ولقد استأنف دوبرتريه منذ وقت قريب دراسة هذه المناطق البركانية ذاتها ودعم رأي لارتيه . واستناداً الى هذين المؤلفين فإن أصل هذه الينابيع يكون مرتبطاً بالبركنة وهي تشهد على مرحلتها النهائية .

وانطلاقاً من فكرة اساسية مشكوك فيها ينسب الدكتور شفيق الصفدي اصلها الى الزلازل وليس الى البركنة volcanisme وتكون نقطة انطلاقه هي ان انهيار «الحفرة السورية » كان ناتجاً عن البركنة وبالتالي يكون الانهيار المذكور تالياً لجريان مسكوبات اللابة .

وهكذا لاتبدو الجروف البازلتية المتباينة ، التي تؤلف جزءاً من المستوى السفلي للشرفتين المتدرجيتن في اليرموك والرقاد ، في نظر الصفدي ، سوى رزم « انزلاق » في هذه المنطقة التي تعرضت للزعزعة وتكون حجته هي انه كانً

في عام ١٩٥٢ شاهداً على مثل هذا الانزلاق في وادي الرقّاد . ويقول ان مسكوبات الوادي غير مقبولة لانه لا يوجد اي رماد انبعاثي في وادي اليرموك . ويتساءل ايضاً لماذا « هذه المصاطب البازلتية تكون كثيرة وممتدة بشكل خاص في قطاع الحمة » . والواقع ترتبط هذه الينابيع الحارة بالنشاط البركاني ودون ادنى ريب وهي تشهد على المرحلة النهائية كما هو الحال في المناطق البركانية الاخرى في العالم وتبدو حجج الصفدي بالواقع عرضة للدحض :

- « فالانزلاق » الذي كان شاهداً عليه في عام ١٩٥٢ لم يكن ناتجاً عن أي زلزال ، بل كان انهيالا وتحدث الانهيالات في هذه الأودية المتعمقة بين فينة واخرى حسب الطرائق البسيطة لتطور سفوح الاودية .

- تنتسب القطاعات المتباينة من الكورنيش جميعاً عل مستوى واحد ، وان نظام ارتصاف كهذا لا يمكن ان ينتج عن « انزلاقات » . ويكون سمك الجرف السفلي اكبر من سماكة الجرف العلوي .

- كما ان غياب بؤر انبثاق بركانية على طول اليرموك لا يكون ايضاً حجة كافية لنكران مسكوبات الوادي . فقد نفذت هذه المسكوبات في اليرموك ، قادمة من الشمال وسلكت وادي الرقّاد وهذا ما يفسّر مظهر الشباب الواضح جداً على هذا الجرف ولاسيما في قطاع الحمة . وقد تعرضت مسكوبات اللابات الحديثة هذه ، بعد أن احتلت قاع وادي اليرموك القديم ، الى التقطع بفعل نهر اليرموك ذاته ، وذلك حسب آلية ولأسباب سبق تفسيرها في معرض كلامنا عن مورفولوجية هذا الوادي . وتعود شدة ارتفاع حرارة ماء هذه الينابيع الى الغراديان الحراري الارضي . « ويعتبر اليوم ان الينابيع الحارة تتغذّى في معظمها من مياه قادمة من تكاثف بخار الماء المنطلق من الماغما (ماء بكر) والذي تسللّ كي يصل الى السطح ، في كسور وفي شقوق الطبقات العليا من القشرة ، وشحن بالمواد المعدنية » .[١٤] .

14.. J.Rothe: Seismes et v ' ans. Qur sai$ je ? No 217

والـواقـع فان هذه الميـاه الساخنة ، القادمة من الاعماق ، تلعب ، بعد مرورهـا من خلال الاسـاس الحواري الكلسي ، دور مرجع على الأنهدريت SO_4Ca المتناوبة في تطبقها وتشحن بالتالي بكبريت وبـ SH_2 .

وهكـذا اظهـرت التحـاليـل ان مياه هذه الينابيع كبريتية ، وكلورية ، صوديّـة ، ومفـرطـة الحـرارة اومشعّـة على مقيـاس اصغـر . ويمثل ماء النبع السـاخن والصغـير والمنعـزل على الضفـة الشرقية لبحيرة طبرية ، بين نقيب العرب (عين كيف) صفات مماثلة لينابيع الحمة .

وقـد جذبت هذه الينـابيع الساخنة انتباه الناس منذ القدم ، ويقصدها العديد من الناس الذين يشكون من امراض مختلفة ، ابتداء من نيسان لقضاء بعض الـوقت في الحمـة ، وفي معظم الحـالات يأتي هؤلاء المـرضى دون ايـة استشارة طبية مسبقة .

كما قد يقصدها اناس سليمون للمتعة ، وهناك قطار يدعى « قطار النزهات » يقوم برحلة بين دمشق والحمة مرتين في الاسبوع حسب الفصل .

وصفات استشفائية لهذه الينابيع الحارة :

لهذه الميـاه خاصـة شافيـة تجاه بعض الاوجـاع والامراض حسب دراسة الدكتور آ . بريزيز نسكي :

الـرومـاتيـزم . لقـد اشـير الى نجـاعـة هذه الميـاه تجاه الآلام الروماتيزية منذ القـدم . وتعـود هذه النجـاعـة الى ثلاث خصـائص استحـمامية هامة هي : الكبريت ، تركز الاملاح ، حرارة مرتفعة بصورة طبيعية .

امراض نسائية : وتكون هذه المياه فعّالة تماماً في المجال النسائي بفضل طبيعتها المزدوجة الملحية والكربيتية .

أمـراض جلْديـة : لقـد عولجت امراض الجلد في كل الازمنة بنجاح : الاكزيما ، داء الدمامل ، حب الشباب الخ . .

الزهري : يستطيع ماء الحمة ، شأن معظم انواع المياه الكبريتية ، ان يكون مساعداً فعّالا في المعالجة الزئبقية لمرض الزهري .

امـــراض الجملة العصبيـة : يبـدو ان الامـراض العضـويـة في الجملة العصبيـة المـركزية والهامشية تؤلف فرعاً هاماً من وصفات مياه الحمة الكبريتية

واذا كانت الصفـات الفيـزيـائيـة الكيـماويـة والشـروط المناخية موائمة بصورة طبيعيـة ، فإن تقنيـات المعـالجـة ، ورقابة هيئة طبية مختصة ، والرفاه والمتعة ، تعتبر جميعاً بحكم المعدومة تماماً .

٢ ـ الشبكة الهيدروغرافية

يصـاب المعتـاد على رؤيـة اوقراءة النهـر التقليـدي كما هو معـرّف لدى جغرافيي الاقطار الرطبة والمعتدلة ، يصاب بالدهشة امام انهار أو بالاحرى أمام الشبكـة الهيـدروغرافية في سورية . فلا يكون في هذا القطر المتوسطي القاحل تجاه جريـان منتظم ودائم كل العـام وينتهي به المطـاف الى البحـر . فاتحـاد مجمـوعـة كثيفـة وكثّـة ، من مجاري ميـاه ، ضمن شبكة متسلسلة ، هو امر لا يتحقق في هذه المناطق . والواقع يعمل تقطع التهطالات وقحولة المناخ ونفاذية السطـوح المرواة بالامطـار على تلاشي مفهـوم الصبيب المتنـاسب مع رقعة الحوض الذي يصرّف ماؤه وتساهم في تكبير دور الينابيع . وهكذا نجد انفسنا هنا في منطقة يجب ان نستعيض فيها عن مفهوم « الحوض السفحي » . بمفهوم « الكتـل الخـازنـة » فالكتل الخازنة والينابيع التي تتغذى منها هي التي تحقق ، خلال الفصـل الحـرج ، وجـود صبيب شح ، وبـالتالي استمرار الجريان على مدى العام .

والحقيقـة فان ضعف النسبـة المئـويـة من الميـاه التي تجري بعـد سقـوط الامطـار ـ ٩٪ فقـط ـ لم تكن لتقـوى على تأمـين جريان حقيقي اكثر من فترة قصـيرة جداً لو لم تتقـدم الينـابيـع لنجـدتها في الوقت المناسب . ويتم الجريان على طرفي خط تقسيم مياه واضح جداً ، يتمثل بالارتصاف الرئيسي لمخاريط الـبراكـين وحسب اتجـاه تقليـدي من الجنـوب الشرقي نحو الشمال الغربي . وهكذا يتجه قسم من الماء نحو وادي الرقّاد وشطر آخر نحو نهر الادرن .

ويظـل خط تقسيم الميـاه الـذي يبـدأ من تل عمـوريـة ، عنـد قدم الحـرمـون ، يظـل واضحاً وصحيحاً حتى تل الفرس حيث يصبح خط تقسيم المياه من بعده غامضاً ، ويتم الجريان من هذه المنطقة في ثلاثة اتجاهات : نحو الشرق ، نحو الغرب ، ونحو الجنوب . وتصب المياه التي يجمعها الرقاد في نهر الـيرمـوك الذي ينقلها بدوره لنهر الاردن . وهكذا يصرف هذا الاخير مياه كل

الجولان مباشرة بواسطة اودية تنحدر من السفح الغربي للجولان وبصورة غير مباشرة بواسطة الرقّاد واليرموك .

وهكذا يكون دور كتلة الحرمون الخازنة هاماً ، فهو الذي يتمخض عن ينابيع تغذي الانهار مثل : نهر بانياس ، واللدان والحاصباني ، وهي الانهار الثلاثة التي يتشكل منها الاردن . وبعد ان كان تأثير الحرمون على نهر الرقّاد في الماضي جوهرياً اصبح ضئيلاً نوعاً ما بفعل المسكوبة الرباعية التي تؤلف الوعرة التي حولت مياه سفح الحرمون الجنوبي الشرقي نحو الشرق ، اي نحو الهيجانة ، على حساب نهر الرقّاد .

والواقع كانت مياه الاعوج الحالي تابعة لنهر الرقّاد ، وبالتالي لنهر الاردن . ويفسّر جفاف عالية نهر الرقّاد في الصيف اذن باقتطاع ينابيعه الرأسية بمسكوبات الوعرة البازلتية الرباعية التي غطت مساحة ٢٣٠ كيلومتر مربع محرومة من اي جريان سطحي ، او الرقع ذات الصرف الضامر .

ولا يكون نظام انهار الجولان ، كما هو الحال في كل سورية ، موائماً لتطور متقدم . ولما كان هذا النظام مرتبطاً بنظام الامطار كما نعرف ، فهو لا يوائم الحت الا في خلال فترة قصيرة من العام وخلال القسم الاكبر الجاف من العام تصاب المجاري المائية « بفقر دم » او « آنيميا » ولا تمارس تقريباً اي حت خطّي .

والحقيقة يشهد الشتاء فيضانات عنيفة مع مقادير عظيمة من المياه القادمة من الاحواض السفحية وناتجة عن الزخات ، وعلى العكس ينقطع الجريان نهائياً خلال الفصل الجاف .

فوادي الرقّاد ، المعروف بفيضاناته الكارثية في الشتاء ، ولاسيما في الربيع ، على اثر ذوبان ثلوج الحرمون ، ينكمش صيفاً ليتحول الى بعض مستنقعات منعزلة في مجراه الاوسط والى خيط من الماء ذي صبيب ضعيف في السافلة . وتشتمل الشبكة الهيدرغرافية في الجولان ، والتي أشرنا الى صفاتها العامة فيما تقدم ، على ثلاثة انهار رئيسية تستخدم كحدود طبيعية للمنطقة . وهذه الانهار هي الاردن واليرموك والرقّاد .

فالاول هو الشريان الرئيسي أما الآخران فليسا اكثر من رافدين مباشرين

للأول . وهكذا تجمع هذه الانهار الثلاثة وتصرّف كل مياه سطح المناطق البركانية في سورية الجنوبية .

الاردن :

انه احد انهار الاخدود الاوسط السوري الفلسطيني ، وذلك حسب التعريف التقليدي . واذا تركنا جانباً الاعتبارات السياسية والحدود الطبيعية فان الاردن عبارة عن نهر جولاني من حيث المنشأ . فجبل الحرمون هو الذي يغذي بينابيعه الغزيرة الانهار الثلاثة الرئيسية التي تشكل الاردن وهي : نهر بانياس ، نهر اللدان ، نهر الحاصباني .

وقد كانت كل هذه الينابيع في الجولان حتى عام ١٩٢٨ عندما قامت السلطات المنتدبة الفرنسية بتعديل الحدود كي تمنح دولة لبنان الكبير ينابيع الاردن الرئيسية . ومن ناحية اخرى فان الروافد الرئيسية القادمة من الجولان وحتى حوران ، لا سيما اليرموك ، تجلب اليه ايضاً كمية عظيمة من المياه ، فاليرموك يقذف لوحده كمية من المياه تعادل صبيب الاردن ذاته . وهناك ينابيع لا تحصى ومجموعات من عيون ترتصف عند حضيض النشز الشرقي « الشفا » لمنخفض الحولة وتساهم في تغذية شبكة كثيفة جداً تؤلف نهيرات صغيرة متفاغمة تكون تابعة للاردن .

واذا كان نهر الاردن يستمد ينابيعه عملياً من بحيرة الحولة ، فذلك لان كل مياهه القادمة من عالية البحيرة تتجمّع فيها . ولا تتحد هذه المصادر المائية عملياً في تيار واحد الا بعد خروجها من بحيرة الحولة .

ويتجه نهر بانياس ، بعد ان يجمع مياه وادي كانيا ومياه ينابيع بانياس ، يتجه الى الجنوب الغربي كي يصب في منخفض الحولة مع صبيب يبلغ ٢٠ متر مكعب ثانية[١٥] . وبعد ان يقطع مسافة ١٠ كيلومترات يلتقي بنهر اللدان « الافضل تغذية »[١٦] من بين الفروع الاربعة التي تشكل الاردن . ويصادف هذا المجرى الموحّد ، على مسافة ليست بعيدة عن المقرن ، رافداً ،

15.. Abel. prećite:tome 1.P.162

16..J. Dresch prećité P:273

آخر أيمن ، هو نهر الكاروني . ويأتي نهر الحاصباني وهو الاكثر طولاً من الانهار الاخرى ، ليلتقي بالاردن جنوب المقرن السابق بحوالي ٦٠٠ م .

بيد ان اجتماع هذه الانهار لا يستمر لمدة طويلة ، اذ ينشطر المجرى الموحّد الى فرعين قرب قرية الصالحية ويتخذ الفرع الغربي ، لأول مرة ، اسم الاردن ، بينما يشار الى الفرع الشرقي بإسم نهر التورة . ويلتقي الفرعان الآخران ببحيرة الحولة ، بصورة منفصلة ، بعد ان اجتاز منطقة مستنقعية واسعة . ويأتي وادي البراغيث من غرب نهر الاردن ووادي الكالي من شرقه ويسيران موازيين له كي تضيع مياههما في المنطقة المستنفعية ويعجز عن الوصول الى بحيرة الحولة (انظر خارطة رقم ١٢) .

ومما يجدر ذكره انه تم تجفيف معظم هذه المنطقة المستنقعية مؤخراً واصبحت افضل جرياناً في قنوات محدودة ، بفعل الصهاينة ، ذلك من اجل استغلال الارض اللحقية الخصبة ، اي ارض الحولة ، وللتخلص من البرداء الضارة بالسكان . ويقع هذا الغشاء من الماء العذب ، اي بحيرة الحولة ، على ارتفاع ٧٠ م وقد حجزتها لابات الجولان ، وتتخذ شكل مثلث يقع رأسه في الجنوب حيث ينطلق منها نهر الاردن . وتكون ابعاد هذه البحيرة صغيرة فلا يزيد عرضها عن ٥ كيلومترات مقابل ٦ كيلومتر طولاً تقريباً ، ولا يزيد عمقها عن ثلاثة الى خمسة امتار عند قدم السد البازلتي . ولا تلعب الحولة بالتالي دوراً تنظيمياً ذا بال . ويكون نظامها كنظام روافدها ، متصفاً بحد اقصى في شباط (٥٠ م^{3}/ثا) والذي يحدّده ذوب ثلوج الحرمون ، وبحدّ ادنى يدوم مدة اطول في حدود خمسة امتار مكعبة في الثانية فقط . وبعد ان يخرج الاردن من الحولة بمسافة ٣ كيلومترات يبدل مظهره الهادىء كي يتعمق ابتداءً من جسر بنات يعقوب ، وينهمر في خانق حقيقي محزوز في اللابات البازلتية حيث تحتجب مياهه تارة بفعل التعمق وتارة اخرى لوجود رواق من اقصاب او من صفصاف ودفلة .

وهنا يأخذ نهر الاردن عملياً اسمه الاصلي : « ياردن »[١٧] الذي يعني

17.. abel. citeP :474

بالعبرية « الذي ينزل » أو اسمه العربي « الاردن »[18] ومعناه الذي ينهمر . ويطلق العرب على الاردن اسماً آخر في هذه القطاع ذاته وهو الشريعة .

وقد استطاع نهر الاردن ان يحفر ، بين الحولة وبين بحيرة طبرية ، التي تبعد ١٧ كم جنوب الاولى والتي تقع على ارتفاع ٢٠٨ أو ٢١٢ م[19] تحت مستوى البحر ، اقول استطاع ان يحفر ، بسبب هذا الفارق العظيم في المستوى ، خانقاً ضيقاً في صخور البازلت حيث يكون انحدار خط قاعه بحدود ١٢ بالالف . وعلى مسافة كيلومتر واحد فقط جنوب علمين ، يصبح سرير الاردن على مستوى سطح البحر . ويتعمق اكثر فاكثر باتجاه الجنوب كي يبلغ ارتفاعاً مساويا لارتفاع بحيرة طبرية ، اي - ٢٠٨ م . وعلى مسافة كيلومتر واحد من مصبه في بحيرة طبرية يغير الاردن ملامحه ، فلم يعد نهراً سيلياً متوحشاً ذا ضفاف قائمة كما كان بعد خروجه من بحيرة الحولة . ولسهل البطيحة الصغير (خارطة رقم ٧) الواقع على ضفة البحيرة مظهر سهل مستوى اساس حقيقي حيث يترنح النهر على شكل اكواع ويؤلف شبكة متفاغمة من قنوات صغيرة وجداول .

ولبحيرة طبرية شكل بحيرة الحولة ذاته ، ولكن على مقياس اكبر فيبلغ طولها ٢١ كم من الشمال و١٢ كم في اكبر عرض لها . وتبلغ مساحتها ١٤٤ كيلومتر مربع ويختلف مستواها حسب الفصول والسنوات بين ٢٠٨ و ٢١٢ م دون مستوى المحيطات ويتراوح عمقها بين ٤٢ و٤٨ م نحو الوسط ونحو الشرق . وتكون مياه البحيرة عذبة مع ملوحة خفيفة على المذاق .

وتنظم بحيرة طبرية الصبيب الذي يرتفع بفجائية نوعاً مابين كانون الاول وآذار حيث يبلغ ٦٠ مترا مكعب ثانية كي يهبط بعدئذ بهدوء الى ٢٠ متر مكعب/ثا . ومنذ ١٩٣٢ حتى ١٩٤٨ كان تنظيم صبيب الاردن بواسطة

---

(١٨) شاكر مصطفى . جغرافية البلاد العربية . دمشق ١٩٥١

(١٩) وهو المستوى المتوسط لمياه بحيرة طبرية في كانون الاول ١٩٣٧ استناداً الى خارطة روشبينا مقياس ١/٠٠٠٠ .

البحيرة يرتبط بالواقع بالخزان الذي كان يشكل جزءاً من المركز الكهربائي لشركة كهرباء فلسطين . وكان للخزان سدّ أقيم عند نقطة مقرن اليرموك مع الاردن « ولكن خلال النزاع العربي ـ الاسرائيلي في عام ١٩٤٨ تخربت هذه المؤسسات »[٢٠]

ولايدخل الاردن في مجال اهتمامنا بعد خروجه من بحيرة طبرية . وسنذكر باختصار فيما يلي روافد الضفة اليسرى لنهر الاردن :

وادي العسل : وينشأ في الحرمون قرب الحدود اللبنانية السورية ، الى الجنوب من شبعا (خارطة ٦) ويسلك هذا المجرى في صدع شبعا مما يمنحه مساراً مستقيماً نوعاً ما ومتعمقاً في بعض الامكنة . ويمر الى الغرب من بانياس ويلتقي بنهر بانياس في سهل الحولة .

ـ وادي الخشبي : ويهبط من حرمون ويلتقي بنهر بانياس في هذه القرية ذاتها .

ـ وادي السعر : وينشأ في جنوب شرق مجدل شمس ويهبط نحو الجنوب حتى مسعدة . وحيث يتغير اسمه واتجاهه ، ويتخذ اسم وادي كانيا ، ويتجه نحو الجنوب الغربي ثم تقسره مسكوبات تل احمر الحديثة على ان يتجه نحو الشمال الغربي في وادٍ عميق ويلتقي بنهر بانياس بالقرب من القرية والى الغرب منها قليلاً .

وبين بانياس شمالاً وحتى جوار سكيك وخان السمان تكون الضفة اليسرى للاردن شبه محرومة من اي جريان قد يرفد الاردن بسبب المسكوبات البازلتية الحديثة التي توجد في هذه المنطقة « رقعة صرف ضامر » . ولكن مقابل ذلك تعود المياه التي تتسرب بنسبة كبيرة في السطح الفوضوي للظهور عند قدم الجرف على شكل ينابيع عديدة .

والى الجنوب من هذه المنطقة المحرومة تظهر الاودية من جديد ، متوازية فيما بينها ، ومتعامدة مع نهر الاردن :

---

(٢٠)صبحي مظلوم « حول مشروع جونسون » مجلة الجندي . دمشق حزيران ١٩٥٦

ـ وادي الـدفيلة : ويستمـد منبعـه من قرب السمّاقة ، ويمر من جنوب زعرتة ويهبط في منخفض الحولة قرب برجيّات .

ـ وادي غرابة : وهو شبه موازٍ للسابق ، ولكنه اكثر طولا وأفضل تغذية بالينابيع . وينشأ الى الشرق من واسط ويتعمق في صخور البازلت من الجرف الشرقي للريفت Rift .

ـ امـا وادي الـدبّـوس ، ووادي الهنـدال ، ووادي الناشف فهي اصغر ابعاداً من الاودية السابقة وتصب في مستنقعات شمالي الحولة .

ـ لكن وادي الحسينيـة ، ووادي دبـورة ، وادي جليبينية الكبير ، ترفد بحـيرة الحـولـة مبـاشرة (انظر خارطة ١٢) واكبر اودية الجولان هي التي ترفد بحـيرة طبريـة : وهي وادي الهـوا ، وادي الصفـا ، وادي الـديلية ، ووادي شيش علي التي تصب في بحيرة البطيحة وتنتهي في بحيرة طبرية (انظر خارطة رقم ٧) . ويعتبر وادي السمك احد اكثر اودية الجولان أهمية ، وهو آخر رافد لبحيرة طبرية .

والى الجنوب من وادي السمك يصبح جرف الريفت مستقيماً الى حدّ ما حتى وادي نهر اليرموك وهـو اكـبر رافد لنهر الاردن . وفي الواقع تلعب هذه الاودية رغم ضعف صبيبها دوراً هاماً في نشاط السكان الانتاجي . فلا تضيع قطـرة ماء عبثـاً ، اذ تستخـدم هذه المياه بعناية في ري المزروعات ، ولا سيما في زراعة الرز التي توسعت في منطقتنا منذ خمسة عشر عاماً فقط .

اليرموك :

وهـو الـذي يصـرف ميـاه اكـبر جزء من المنـاطق الـبركـانيـة في سورية الجنوبية . ويمتد حوضه على ٧٥٨٤ كيلومتر مربع . ويجمع اليرموك بالفعل ميـاه المسـاحـة الكبرى بواسطة بضعة روافد سورية واردنية . ولن نهتم في هذا المجـال بغـير روافـد الضفـة اليمنى واهمهـا هي : الهـرير ونهر الرقّاد . ويجلب الاول لنهـر الـيرموك مياه حوران ومياه السفح الغربي لكتلة جبل الدروز ، اما الثـاني فيأخـذ على عاتقـه تصـريف مياه سفح الجولان الشرقي ، ونهر العلاّن الـذي يدعى وادي العـلاّك في الشمـال وهـو الرافد الثالث لنهر اليرموك ويجري موازياً لوادي الرقّاد في المنخفض ذاته .

وفعلاً يبدأ نهر اليرموك بمسيل مزيريب الذي يشكل رأس اليرموك . ويكون هذاالنهر ، اوبالاحرى الشبكة الهيدروغرافية التي تتعلق به ، يكون في حالة ركود شبه كامل . ففي الرواقد التي يجري فيها الماء باستمرار يكون الصبيب هزيلاً للغاية ، لان صبيب وادي الهرير يبلغ ٣٠٦ ليترات/ثانية عند طاحون الديللي . وابتداء من غرب المقارن ، المؤلف من تلاقي ثلاثة جداول وادي الميدان ، وادي الهرير ، وادي علان ، يصبح اليرموك نهراً جولانياً ، وعلى الرغم من ضعف صبيبه فانه يتصف بانتظام الجريان خلال الفصل الحار .

ويعبر الخط البياني لصبيب اليرموك في وادي خالد(٢١) ، عن طريق انتظام صبيبات الشح ، عن اتساع الشبكة الباطنية التي تغذي ينابيعه . ومن ناحية اخرى فان فجائية واهمية الفيضانات الصيفية تدل على ان المنطقة البازلتية لاتكون منفذة للغاية وان الحوض السفحي لليرموك واسع جداً(٢٢) .

وهذا يفسر ان لليرموك صبيباً مماثلاً تقريباً لصبيب الاردن حتى في سافلة بحيرة طبرية « اذ يجلب اليرموك للاردن حوالي ٤٨٠ مليون متر مكعب فى العام ، اي لا اقل من الاردن ذات عند خروجه من بحيرة طبرية ، أي ٤٥٠ مليون كتر مكعب »(٢٣) .

ويعكس نظام اليرموك السنوي ، مع دلك ، نظام الامطار ، ويكون الاختلاف بين صبيبات الشتاء وبين مثيلاتها في الصيف ضخما . ويكون صبيبه الشتوي اكثر بكثير من ١٠٠ متر مكعب/ثا اوعشرة اضعاف الصبيب المتوسط(٢٤) او ٢٠ ضعف الصبيب .

---

٢١) وادى خالد : محطة قطار الى الغرب من افتراق اليرموك بنهر الرقّاد .

22.. L.Dubertret: L'hydrlogie et apergu sur l'hydrologie de syrie et du Liban dans leur relation avec la geologie. P:443. Rev de geóg.phys et geól dyn.

23..J.Dresch. precite P:275

(٢٤) نظيم الموصلي : مسألة المياه في سورية . بالفرنسية ص ٦١

الرقّاد

بعد انقطاع ينابيع الرقّاد العليا بفعل انسياحات البازلت عند حضر وتشوّه مساحة كبيرة محرومة من الجريان « الوعرة » لم تعد عالية الرقّاد سوى منخفض واسع ، قليل العمق ، يستخدم بتفريغ مياه الامطار الشتوية ومياه ذوب الثلوج القادمة من الحرمون في بداية الربيع نحو الجنوب .

أما في الوضع الحالي للأمور فإن المجرى الاعلى للرقّاد ليس أكثر من سيل حقيقي يكون حوض استقباله واقعاً بين خان أرينبة ، عوفانية ، جباتا الخشب ، مسعدة ، وبقعاتا .

وتتوحّد المياه التي تتجمع في هذا الحوض في سرير متفاوت في وضوحه الى الغرب من الاحمدية . ويتم الجريان باتجاه شمالي جنوبي . وعند اقترابه من قريةُ الرقادية يسترد السرير مظهر منخفض واسع يصل عرضه الى ٣ ـ ٤ كيلومترات . غير انه من الممكن ان نميز في هذا المنخفض ذاته مسيلات منفصلة حيث يجري الماء دون ان يتمركز في سرير واحد . غير انه خلال الفيضانات ، ولا سيما الربيعية مها ، يستطيع الماء ان يوحّد عدداً من هذه المسيلات في سرير أعظم .

وقد رسبت مياه السيول الوحشية في هذا المنخفض العريض طبقة سميكة نوعاً ما من لحقيات ، ومن هذا تشكلت تربة خصبة يخصصّها الفلاحون لزراعة الصيفي .

وفي هذا الغطاء اللحقي تظهر الينابيع ذات الصبيب المتفاوت في أهميته مثل عين الباشا ، نبع الصخر الخ . . ولا تستطيع هذه الينابيع ، رغم ديمومتها ، ان تحقق جرياناً مستمراً خلال الصيف ، لكونها تؤمّن الماء للقطعان والري المحدود الرقعة . وهكذا ينكمش الرقّاد ، بعد تفريغ مياه الامطار وذوب الثلوج ، الى زمرة من الغدران المنعزلة المبعثرة على طول السرير . وتلعب هذه الغدران دوراً هاماً جداً للرعاة البدو ، إذ يجدون فيها مورداً طبيعية لماشيتهم .

ويستمر الرقّاد ونهر العلاّك (عالية وادي العلاّن) في سيرهما الثنائي في المنخفض ذاته حتى قرية غدير البستان . وينحرف الرقّاد ابتداء من هذه القرية

نحو الجنوب الغربي حيث حدث أسر لمصلحة وادي التيم . وابتداء من غدير البستان يصبح مجرى الرقاد تياراً دائماً رغم ضعف صبيبه ، ويفسّر هذا الاستمرار بكثافة امتداد الشبكة الباطنية الرافدة بسبب تقدم الحت .

هذا ويجب ان ندخل بالحسبان الفيضانات التي تأتي بمقادير عظيمة من الماء على شكل موجات مزمجرة ، والتي تصبح عند تجاوزها السرير ، واغراقها طريق القنيطرة الشيخ مسسكين (قرب جسر الرقّاد) ، تصبح مخيفة وكارثية . ويكون الانحدار ضعيفاً بين غدير البستان وجسر الرقّاد القديم(٢٥) فتكون بحدود ١ بالالف لهذا تظل الجلاميد الصخرية متراكمة بصورة فوضوية .

ويلعب جسر الرقاد القديم دوراً أصيلاً على مياه الفيضانات فهذه المياه عند مرورها من تحت قناطر الجسر الثانية ، تصدم دعاماته وتتزود بالتالي بحركة دوّامية ذات محور عمودي ادّي لحفر قدور كبيرة بواسطة الحصى والحصباء التي تدور حسب آلية دعاها غ . ك . جلبرت evorsion .(٢٦)وقد تمّ اقتلاع غشاء من مسكوبة وتظهر اخرى اكثر تماسكاً في قاع قدر الجبابرة .

ويغيّر وادي الرقّاد فجأة من صفاته على مسافة غير بعيدة من هذا الجسر القديم ، ذلك ان انقطاعاً عنيفاً في الميل في المقطع الطولاني ، يؤدي لنشوء شلال على رمية تزيد عن ٦٠ متر . وابتداء من هذا الانقطاع في الميل يغيّر الرقّاد اتجاهه واسمه ومظهره ، ويتخذ اسماً جديداً هووادي التيم ، ويتجه من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي ويشكل زاوية أو انعكاساً مع المجرى القديم ويتحول الى خانق حقيقي ويختلف جذرياً مع الرقّاد الحقيقي . ويفسّر ذلك بحدوث أسر . والواقع لقد كان وادي التيم رافداً ثانوياً لليرموك ومستقلا عن الرقّاد . فعلى إثر حدوث انخفاض حديث في مستوى الأساس لسبب مناخي أو انكباس ، حدث حت تراجعي عنيف انطلق من نهر اليرموك وروافده ، باستثناء الرقّاد الذي كان جافاً تقريباً بعد أن خسر رأس ينابيعه بسبب انسياح مسكوبات الوعرة الحديثة

---

(٢٥) جسر قديم مصري تمّ بناؤه أثناء احتلال ابراهيم باشا لبلاد الشام .

26.. J.Bourcart: le mecanisme de lérosion. 1ce partie.P:49

ومنـذ أن أخـذ وادي التيم يرجـع برأسه نحو الشمال الشرقي استطاع ان يلتقي بالـرقـاد وأسر ساقية الماء التي كانت تجري فيه . ويشكل العكس الذي يصنعـه وادي التيم مع الـرقّـاد وكـذلـك الوادي المهجور حيث تتعاقب قنوات العكس ، غيـر واضحة المعالم ، حتى المصب القديم ، يشكّلان قرائن كبيرة على الأسر .

والواقع يعتبر خانق التيم من صنع الحت التراجعي كما أن رأسه المؤلف من شلال لا يكـون اكثـر من النقطـة التي توقف عندها الحت التراجعي الذي انطلق بفعـل انخفـاض مستوى الاساس ولنهوض الجولان بالتعويض . ويتم التـواصـل بين الـوادي الظـافـر وبـين الـوادي المأسـور بواسطـة هذا الانقطاع الفجائي في الميل ، لأن صبيب الرقّاد ضعيف ومتقطع .

البحيرات : يمكن اعتبار كلاً من بحيرة الحولة وطبرية سوريتين ، هذا اذا لم نأخذ بعين الاعتبار سوى الشروط الجغرافية وذلك بالنصف على الأقل . ولكن البحـيرة الاولى تقع كليـاً في اسـرائيـل ضمن الـوضـع الحـالي للحـدود السورية ـ الفلسطينية ، اما فيما يتعلق بالثانية فان ما يخص سورية هو جزء من الضفـة الشـمالية الشرقية ، وبالتحديد هو القطاع الواقع بين مصب نهر الاردن (الحـاصل) والنقب العربي . وهكذا سنقتصر على بعض المعلومات المقدمة عن هاتين البحيرتين بمناسبة دراسة نهر الاردن فيما يتعلق بأبعادهما واعماقهما .

والبحيرة الوحيدة التي تكون جولانية هي بحيرة ران او مسعدة ، وهي بحيرة تستقر في فوهة بركاينة قديمة ، إنها إذن من نمط بحيرات maare .

ويبلغ طولها ٨٥٠ م مع عرض ٣٥٠ م ولا تغطي بحيرة ران سوى خمسة هكتارات من المساحة . وهكذا فان التسمية المحلية وهو « بركة ران » هي اكثر دقة من عبارة بحيرة . وقد تمتعت هذه البركة الصغيرة التي كان اسمها بحيرة فيـالا phiala بشهـرة قديمـة تحتوي على نظرة اسطورية تقول بان الاردن يدين بمياهـه الى عين فيـلا »[٢٧] . وفي أيـامنـا هذه تبـدو بركة ران عجيبة وحافلة بالالغـاز ، وهـذا ماحدا بقائم مقام سابق في القنيطرة في عام ١٩٥٢ الى طرح

27.. abel. precite: P:489

مشروع تزويد القنيطرة والقرى المحرومة من مياه الشرب من مياه هذه البركة .

وقد عهد الى مهندس سوري ، في المناسبة ، بتحضير تقرير حول طبيعة مياه البحيرة هذه وأصلها . وقد دلّ التقرير المذكور[٢٨] ان الماء في وضعه الحالي لا يصلح للشرب اطلاقاً ، وان للينابيع التي تغذي البحيرة صبيباً ضعيفا وبالتالي يبدو المشروع غير ممكن التحقيق . والواقع تعتمد بحيرة ران في تغذيتها على ينابيع صغيرة . ويعود معظم مائها لأصل مطري . هذا ويخضع مستواها لتبدلات فصلية محسوسة جداً . وهكذا يبدو ان المياه المخزونة في فوهة الكراتير هذه تعود ، في معظمها ، من حيث الاصل لركود مياه الامطار . وما ان امتلأت هذه البركة حتى احتفظت بمستواها المتوسط لأن ما تخسره بالتبخر الطبيعي يتعوض بالامطار الغزيرة في هذه المنطقة ، ومن دعم محتمل من بعض الينابيع . ويأتي لون وكثافة الماء لدعم مثل هذه الفكرة .

سادساً ـ الماء والانسان

لايمكن التحدث في معرض كلامنا عن منطقتنا ، اي الجولان البحت ، عن مشكلة مطلقة ووحيدة . وإذا ما وجدت هذه المشكلة حقاً فانها تطرح مع ذلك بطرائق ومقاييس مختلفة حسب الأمكنة المدروسة . فعندما نتكلم عن عوز أوعدم كفاية ماء الشرب الضروري للسكان فإن المشكلة لا تطرح الا بالنسبة لعدد محدد من القرى ، كالقرى المتعدة عن الينابع لاعتبارات دفاعية مثل جباتا الزيت ، ومجدل شمس والقرى الدرزية الأخرى أو عبارة عن قرى سكنها البداة المستقرون منذ عهد قريب ممّن لا يعرفون طريقة البحث عن مياه باطن الارض ، ويرون أنه من الأسهل الذهاب للبحث عن الماء حيث يظهر عفوياً على السطح . ويبدولنا ان مشكلة كهذه المشكلة هي نسبية ، إذ يمكن التوصل للماء مع أقصر جهد وبأكثر التقنيات بساطة .

وتكون المشكلة اكثر جدّية بل وحتى مطلقة ايضاً عندما يتعلق الأمر بمقادير كبيرة من المياه الصالحة للاستعمال من أجل ري مساحات كبيرة بقصد انشاء مزروعات جديدة . وتكون التقنية أقل ضماناً أمام هذه المهمة ، فالحفر والضخ

(٢٨) م . العمري : تقرير عن تزويد القنيطرة بالمياه من بحيرة ران ٢٨/١/١٩٥٢

لا يوفّران احياناً بل غالباً ما يكفل مياه الشرب للقرى التعيسة .

وتطرح مشكلة المياه أيضاً على مستويات مختلفة :

ـ على مستوى العائلة : فعلى العموم يجب القيام بنقل الماء الضروري للحياة اليومية من العين أو من البئر العام يوماً فيوماً . وتترجم هذه المشكلة المستديمة في الحياة الريفية بالضرورة المرهقة اي نقل الماء اليومي .

ـ على مستوى الحي : ففي القرى ذاتها ، يمكن ان يكون احد الأحياء محروماً من الماء وعلى سكانه أن يذهبوا لجلب الماء من الحي الذي فيه العين العامة . وعلى هذا المستوى تظل المشكلة شبه مستديمة .

وهكذا فان التركمان في قرية الجويزة يقصدون حي الجراكسة لنقل الماء حيث تكون الينابيع العامة عديدة .

ـ على مستوى القرية : قد تكون قرية برمتها محرومة تماماً من الماء هذا في حين ان قرية أخرى . بجوارها ، تملك ينابيع ثرّة حتى في السنوات العجاف . ويذهب سكان الاولى للتزود بالماء من القرية الثانية . ولاتكون مشكلة الماء ، على هذا المستوى ، نادرة .

على مستوى مجموعة قرى : هناك عدد معينّ من القرى تضطر للقيام سوية في البحث عن الماء . وتلك هي حالة القنيطرة ، الاحمدية ، جباتا الخشب ، طرنجة ، حضر ، وبيت جن . فكل هذه القرى التي تعاني من التزود بالماء ، تجد ينابيع غزيرة الى الشمال من بيت جن ، وهي المصدر الوحيد القادر على تأمين حاجاتهم من الماء .

ـ على مستوى المنطقة وحتى على مقياس يتجاوز الجولان وذلك عندما تواجه تقنيات استغلال وتنظيم هيدروليكي ، فاستغلال القوة الهيدروليكية لشلال تل شهاب لا يمكن ان يتم إلاّ على مستوى سورية الجنوبة ، وحتى لاكثر من ذلك وهناك مهندس يقدم مشروعاً لنقل التيار الكهربائي حتى دمشق لمواجهة الحاجات المتزايدة تدريجياً بتأثير تصنيع هذه المدينة . وهكذا تلعب هذه المادة الحيوية في المرتبة الاولى ، دوراً أكيداً ، ولكن تحت مظاهر مختلفة ، في حياة المجموعات البشرية في منطقة الجولان .

١ ـ مشكلة المياه وظاهراتها في حياة المجموعة البشرية

تتجلّى أهمية الدور الذي يلعبه الماء في حياة الجولان البشرية والاقتصادية على شكل بضعة مظاهر مختلفة ومحسوسة . فموقع القرى والدساكر يفسّر بعدد من العوامل من تاريخية واقتصادية وحتى قومية ولكن الماء يعتبر العامل الحاسم اكثر من سواه . وفي الحقيقة كان اختيار مواقع العديد من التجمعات الريفية مفروضاً بوجود الماء . فقد قامت القنيطرة نفسها ، وهي المركز الاداري للقضاء الذي يحمل الاسم ذاته ، على أيدي المهاجرين الشركس في القرن التاسع عشر في موقعها الحالي بسبب الماء . فوجود نبع يجري منه شريط من الماء هو الذي شدّ انتباه هؤلاء الأغراب الذين كانوا يهيمون على وجوههم في بلد مجهول . ونلاحظ خلال العملية الحالية لتوطين البدو ان الماء هو الذي يلعب الدور الجوهري في اختيار موقع استقرار التجمعات الجديدة .

ويبدو دور الماء أيضاً أكثر من ذلك في حياة البدو . فلا نجد إطلاقاً خياماً أو مداشر بعيداً عن مصادر الماء . ولا نريد ان نتوصل بالطبع الى حتمية الماء : فوجود الماء في موقع لا يؤدي بالقوة لنشوء قرية . بيد ان وجود الماء يظل مع ذلك شرطاً مواتياً بل ضرورياً دون ان يكون كافياً .

ويلعب الماء أيضاً دوراً عظيماً في شكل المسكن الريفي الذي يبدو عموماً منضّماً في قرى متفاوتة في أبعادها . ولايكون الماء بالطبع هو العامل الوحيد في هذا التجمع ولكنه الاكثر بروزاً . ولما كان الفلاحون او البدو يجهلون أية تقنية هيدروليكية ، ومجردين من التجهيز الضروري للتوصل الى الماء ، فهم يتجمعون بالتالي حول النقاط التي يبثق منها الماء عفوياً أو حول النقاط التي يكون فيها من السهل بلوغه عن طريق الحفر . فقرية البريقة التي يسكنها ٤٨٤ نسمة تبدو مجتمعة حول بئر وحيدة ومشتركة من أصل روماني والتي تنضب خلال سنوات الجفاف المستفحل . كما ان البحث عن الماء هو الذي يفسّر أخيراً حركية سكان الشرق الاوسط العربي ، حركية تتجلّى بقطاع عريض من البدواة . ويكون البدو في الجولان كثيرين ويتجلّى نشاطهم الرئيسي في البحث الدائب عن الماء وصاحبه أي العشب .

وقد تراءت حركية هذه الاقوام خلال التاريخ على مقياس كبير . ويبدو أنه من التقليدي المألوف اعتبار الجفاف كسبب لاجتياحات الهلال الخصيب من طرف الجحافل التي كانت تأتي للبحث عن الماء وما يتفرع عنه .

وفي الحقيقة كان التضاد بين الحضر والبدو ، او بالاحرى ، بين نمطي حياة مختلفتين ، كان يميز ، حتى عهد قريب منا ، تاريخ منطقتنا . وفيما عدا البدو المحليين ، كانت هناك قبائل جمّالة ، ولاسيما من عنزة ، كانت تقصد الجولان قادمة من شبة جزيرة العرب لرعي ماشيتها في حصيد وفي مراعي هذه المنطقة . وكانت إبلهم لا تكتفي بالعشب بل تستنزف العديد من احتياطات القرى من المياه ، وهكذا جرت اشتباكات عديدة بين شراكسة المنطقة وبين بدو عنزة المغيرين وتعرض الجانبان ، بالتالي ، لخسائر جسيمة .

ويكون هذا التنافر في أيامنا هذه ، ظاهرياً أكثر منه حقيقياً . فقد اصبحت العلاقة حميمة وودية بين البدو والفلاحين ، وتبدو البداوة اكثر فأكثر على شكل اثر موروث . فالبدو يستقرون حيثما وجدوا امكانية للعثور على الماء مع بعض قطع من الارض حولها . وما ان يحصلوا على مبلغ من المال السائل حتى يشترون الاراضي مهما صغرت مساحتها وتدنت نوعيتها ، اي ان هناك هجمة حقيقية بدوية نحو « الارض » . وذكر ويلرس weulersse في عام ١٩٤٦[٢٩] ، ولكن هذا الرأي غير مقبول ولا مبرر في ايامنا ، ما يلي : « ان تفوق البدو وما يكافئه من احتقار للحضر ولاسيما المستقر الفلاح ، قد اصبحت ردود الافعال الاساسية لنفسية الشرق الادنى » .

وتتجلّى مشكلة المياه بوضوح في الحياة اليومية في الجولان . فعلى مقياس العائلة ، يمتص عبء جلب الماء شطراً من نشاط الأفراد ، ولاسيما جهد المرأة عندما يكون عليها ان تجلب الماء من بئر القرية ، ولكن جهد الرجل أيضاً عندما يكون عليه ان يبحث عن الماء في القرى المجاورة (انظر صورة XII برقم ١ و٢)

29..J. Weulersse: paysans de syrie et du proche Orient. P:67

والواقع ان ويلرس مات قبل ذلك بعام واحد اي في سنة ١٩٤٥ في دكار عاصمة السنغال .

والواقع يثير الماء حركة مستمرة لدى السكان طيلة اليوم . وتحتاج الحياة اليومية لكل أسرة كمية كبيرة من المياه الضرورية ، إذن يجب توفير كمية من المياه الكافية يوماً فيوماً لمواجهة حاجات عديدة ، للشرب ، لأن الماء البارد هو الشراب الوحيد المشروع ، ولاسيما لدى المسلمين ، وللقيام بالطبخ ، وللأعمال المنزلية ، وللوضوء الخ . . وتعتبر الحيوانات كأعضاء من الأسرة ، ولاسيما صغار الحيوانات التي تقتسم مع الأشخاص الماء المجلوب ، مما يجعل مهمة نقل الماء عبئاً قاسياً جداً . كما يقام في القرى السعيدة ، اي الغنية بالماء ، وذلك امام العين العامة المشترة : مورداً خاصاً للحيوانات التي تأتي للورد في اية ساعة من اليوم (انظر صورة لوحة XII ـ ٣) .

وتكون الإبل والخيل أعز من الحيوانات الاخرى ويقدّم لها من الماء في وعاء لكل رأس على حدة (صورة لوحةXII ، ٢) .

وتعج القرية بالحركة ولاسيما في الصباح وفي المساء ، بحركة حقيقية نسائية ، لان المرأة هي التي تتكفّل ، مبدئياً ، بعبء جلب الماء . فالمرأة التي تحمل الجرة على رأسها او التنكة (صحيفة سعتها ٢٠ ليتراً) أو السطل باليد (الدلو) هي المشهد المألوف في كل الشرق الاوسط .

«ويظل الينبوع هو الموضوع المفضّل في الشعر الجاهي والاسلامي والذي يتغزّل بالخضرة ، ونداوته وخريره ، وهوفي الوقت ذاته مكان التقاء العشاق ، سواء في البلاد المنبسطة كما هو الحال في الجبال(٣٠) .

هذا ويمكن عمل تركيب عن كل هذه التظاهرات ، عملياً ، في المكان ، وكأنها ترابط متبادل بين توزع الماء وبين توزع السكان . أما على مقياس سورية فإن مقارنة الخارطة المطرية مع خارطة الكثافات الكيلومترية السكانية تدلّل على ترابط حقيقي مع المصادر الهيدروليكية وبين الكثافات البشرية .

وتجاه نسبة الامطار العالية في « جولاننا » تقوم بالفعل كثافة كيلومترية مرتفعة نسبياً تبلغ ٤٧ نسمة في الكيلومتر المربع في حين ان الكثافة الوسطى في

(٣٠) نظيم موصلي . سبق ذكره ص ٣٧

كل سورية[٣١] لم تكن تتجاوز في العام ذاته ٢١ نسمة في الكيلومتر المربع .

وتظل العلاقة بين الموارد الهيدروليكية وبين كثافة السكان حميقية وواضحة على مقياس الجولان الاقليمي فيضم خطا المطر المتساوي ٨٠٠و ١٠٠٠ مم أقل من نصف مساحة الجولان الكلية ، ولكن على العكس ، نجد أن بين هذين الخطين المطريين يتكدس اكثر من ٧٠٪ من عدد السكان الكلي في منطقتنا

(٣١) استناداً للاحصاءات الرسمية عن الكثافة في الجولان .

الفصل السادس

جغرافية الجولان الحيوية

يلعب موقع سورية عند ملتقى قارات العالم القديم الثلاث ، من ناحية ، وبين البحر الابيض المتوسط والصحراء ، من ناحية أخرى ، يلعب دوراً على قدر من الاهمية ، على جغرافية هذه المنطقة الحياتية ، وبالتالي على المنطقة المذكورة أي على الجولان .

وفي الواقع تتميز جغرافية هذه المنطقة إجمالاً بالملامح التالية :

١ ـ لا تتمتع سورية بثروة نباتية كبيرة حيث « لا يمكن الكلام اطلاقاً عن نبات محلي صرف في حالة سورية . ومن المحتمل جداً ان نعزو لسكان العصر الحجري الحديث المشهد العاري الذي تتصف به البلاد »(1)

٢ ـ يقدم نبات سورية ، ولا سيما الغابة ، أشكالاً متقهقرة والأسباب متعددة ، والسبب الرئيسي هو تقهقر المناخ المتوسطي الى مناخ قاري من « النمط السوري » وحتى الى مناخ آخر من « نمط صحراوي »

ويكمن السبب الثاني في واقع يعود لعامل بشري ، ونقصد بذلك التخريب الذي مارسه الانسان منذ اكثر الحقب توغلاً في التاريخ ، وحتى قبل الفترات التاريخية . وينسب السبب الثالث الى عامل بيديولوجي ، فكثيراً ما ينسب انحطاط الزراعة عموماً في المناطق القاحلة من الشرق الاوسط الى حت التربة النباتية في اعقاب سوء استغلال الارض .

وفي الواقع فإن رداءة استغلال الارض قد يؤدي في الترب لنتائج مماثلة لتلك التي يتسبب فيها اقتلاع احراج المنحدرات . غير ان كل شيء يحملنا على الاعتقاد بان هذا الحت هو اقدم من الفترات التاريخية واننا تجاه حت جيولوجي « فالمناطق الجبلية من جبال لبنان الشرقية لم تكن تحمل منذ عصور

---

(1) Dr Van Liere,Rapport preliminaire sur la pedologie de la syrie.

ما قبل التاريخ اكثر من نبات شديد التبعثر مؤلف من شجيرات . ومن زيتون وحشي ، ويطم الخ »[٢] ، وهذا يتعارض مع الوثائق التي يوردها الاب اتيان دوفوماس .

٣ ـ يبدو موقع سورية موائماً لتسلّل نباتات وافدة من اقطار مختلفة : أوروبا ، تركيا ، القفقاس ، بلاد ما بين الرافدين ، ايران ، فلسطين ، وافريقيا الشمالية .

ولقد استقبلت سورية فعلاً نباتات متنوعة من هذه الاقطار ، بيد أن سورية لا تحوي ، شأن مجمل الاقطار العربية ، سوى نبات فقير نوعاً ما . والذي يعجز عن مماثلة النبات المداري الفياض ، ولامع الثراء الهادىء في اقطار اوروبا .

٤ ـ ويتحكّم المناخ اساساً في توزع التشكلات النباتية . فيمدد خط المطر المتساوي ٥٠٠ مم التخم بين التشكلات الغابية وغير الحراجية .

٥ ـ ويكون الوحيش البري فقيراً جداً ويمكن تفسير ذلك بفقر الموارد النباتية ، ولكن على الخصوص ، بطول استغلال الارض سنوياً من جانب الانسان . وهكذا كان على الانسان ان يستأنس الانواع المفيدة وان يبيد الاخرى .

الجغرافيا النباتية في الجولان

١ ـ تأثير وضع الجولان

اذا كان لسورية نقطة وضع تلاقي بالنسب للقارات الثلاث في العالم القديم ، فإن الجولان يتمتع ، من جانبه ، بوضع مماثل بالنسبة لمختلف اقطار الشرق الاوسط .

وهكذا يحوي نبيت الجولان ، كما سنرى ذلك تفصيلاً ، العناصر المتسلّلة وا، ـادمه من ساحل البحر الابيض المتوسط البحت ، ومن السهب ، ومن فلسطين ، وحتى من افريقيا الشمالية .

(—) ibid

٢ ـ العلاقات بين التربة والنبات

١ ـ اذا كان من الممكن تفسير الانواع بالتاريخ الجيولوجي فان السحنة النباتية تفسّر ، على خلاف ذلك ، بالمناخ وبالتربة ، ففي الجولان تختلف صفات كل من التربة والمناخ من الغرب نحو الشرق .

وفي الواقع يصبح المناخ عند الجانب الشرقي ، أي عند مشارف السهل الحوراني ، أكثر قحولة ، كما ان التربة تكون غير التربة ، وبالتالي تختفي الغابة .

٢ ـ وتكون بنية التربة هامة في هذا المجال اذ يجب ان تكون موائمة للنباتات . فالكدرات التي تحدد بشكل أفضل مسامية التربة هي عبارة عن فتات غضارية متماسكة ، وسنرى ان ترب الجولان تحوي نسبة عالية من الغضار . بيد ان مسامية التربة لا يجوز ان تزيد عن درجة معينة ، ففي الرمال تكون المساحات شديدة السعة بالنسبة للجريان الشعري ، مما يجعل من العسير تغذية النباتات بالمياه ، لأن الماء يصعد ، في الفصل الجاف ، بموجب ظاهرة الخاصة الشعرية ، من الغشاء المائي الباطني حتى الجذور .

وهكذا لا تزدهر النباتات في سهل القنيطرة الا اذا توفر لها ماء الري على فترات متقاربة . وفي الواقع تحدد الحصويات البركانية والانقاض البركانية الاخرى درجة المساميّة العالية نسبياً ويقضي هذا على تصاعد الماء الشعري رغم ان الغشاء الباطني المائي لا يكون عميقاً . ويلجأ السكان الى الري بواسطة آبار ومضخات ريحية .

٣ ـ تحدد ثخانة التربة نمو المنظومة الجذرية التي يتعلق بها استمداد الماء وقامة النبات . فمنظومة جذرية قليلة النمو تعجز عن مساندة نبتة كبيرة ، ولاتجاه ضرورة التغذية ، ولاتجاه الرياح والعواصف .

وفي الواقع يكون من الممكن مقابلة التشكل العشبي بالتشكل الحراجي ، في الجولان . فلقد استقرت الحراج فوق الكتل البركانية المؤلفة من جلاميد الخبث ومن انقاض بركانية أخرى تستطيع الجذور ان تتسلّل من خلالها بسهولة . أما الترب الغضارية الناجمة عن تفسخ المسكوبات البركانية فتكون مجال غطاء عشبي شديد السماكة ، أو مرج حقيقي .

٤ ـ لكل تربة نباتاتها الخاصة وذلك حسب منشئها الليتولوجي. ، ولكي نظل دوماً ضمن إطار الجولان ، فإننا نشير لوجود نباتات نافرة من البازلت ، في حين تكون أخرى ، على العكس ، محبة للبازلت بشكل وثيق وترتبط بالترب البازلتية . ويعطي ب . موترد عدة امثلة عن ذلك مثل Astragalus vexillaris و linaria Damascena و Minuarita Formosa [٣]

وعلى خلاف ذلك نلاحظ ان النباتات الكلسية المنبت Calcicole تنمو في جبل الحرمون . ومن الممكن تركيب كل هذه العلاقات بين التربة والمناخ والنبات ضمن مفهوم الكيماكس . الذي يكون مستقراً ما دامت شروط التربة والمناخ دونما تغيير

وفي الحقيقة فإن أي تغيير يشير على انقطاع في هذا التوازن المسمى كليماكس ، وهذا ما ينطبق على حالة الجولان . فما ان يتم تخريب الغابة بأية وسيلة كانت حتى تصبح عودتها لسابق حالها مستحيلة ، أوتكون عودة تشكيلها بطيئة للغاية فلا تعطي سوى احراشا منحطة جداً .

١ ترب الجولان من وجهة النظر البيدولوجية

آ ـ **ترب الاراضي البركانية** : لقد عرّفت ترب الجولان استناداً الى الوانها ، فهي ترب كستناوية وسمراء قاتمة ، وتتميز عن ترب حوران السمراء . ويعتبر اللون نتيجة وجود اكاسيد الحديد . فالأوكسيد من نمط الهيماتيت يعطي لوناً مائلاً للحمرة في حين يعطي الليمونيت لوناً اسمر . ويجب ان نقوم ضمن الجولان نفسه بتمييز استناداً الى اللون وعمر ودرجة تطور التربة وأصلها الليتولوجي .

١ ـ **اللون** : تتجمع الترب الكستناوية حصراً في شمال الجولان أي في قضاء القنيطرة حيث تكون الترب بنفسجية بشكل واضح فوق مخاريط الانقاض البركانية وخاصة على السفح المعرض لرياح الغرب والجنوب الغربي . وتصبح هذه المخاريط نادرة أكثر فأكثر باتجاه الجنوب .

---

(3) P.Mouterde: La flore du Djebel Druze. Beyrouth,963 P.32

ونجد الترب السمراء في جنوب الجولان ، ولا سيما في قضاء فيق أو الزوية .

٢ ـ **العمق** : يختلف عمق التربة بصورة واضحة من الشمال الى الجنوب ، فأكثر الترب عمقاً هي التربة السمراء في الجزء الجنوبي الغربي من منطقتنا . ويفسر هذا الاختلاف في السماكة ، كما سنرى ، باختلاف العمر والتطور ولكن كذلك ايضاً بتأثير الميل . وقد تكون ترب الجنوب سميكة بسبب ضعف الميل ، فهي ترتكز بالواقع ، على سطح مائدي ، وتكون التربة بالتالي بمنجى من الحت ، في حين تكون ترب الشمال منجرفة بسهولة بسبب شدة قيمة الميول .

٣ ـ **عمر ودرجة التطور** : لا يكفي مجرد اختلاف قيمة ميل الارض بين الشمال والجنوب لتفسير اختلاف سماكة الترب ، اذ يجب اخذ اعمارها ودرجات تطورها البيدولوجي بعين الاعتبار . ففي الشمال تكون الترب حديثة جداً ، وقد نتجت عن مسكوبات بليوسينية وفي بعض الامكنة ، عن رباعية . أما التربة التي نجمت عن مسكوبات ميوسينية فقد اصبحت مستحاثة تحت مسكوبات تالية .

أما في الجنوب فان التربة قد نشأت انطلاقاً عن مسكوبات موسينية كما ان المسكوبات الاحدث لم تنتشر اطلاقاً فوق الهضبة بل انساحت ضمن الأودية .

وهذا نجد ان تربة الجنوب تتطور منذ الميوسين وفوق المنحدر اللطيف مما يسمح بالقول بأنها بلغت درجة النضج . ولا نجد ابداً في هذه التربة العميقة انقاضاً بازلتية خشنة ، حتى ان الحصى تكون نادرة وهنا نعثر على اجمل حقول القمح .

وعلى العكس تكون ترب الشمال محجرة بل قد تكون هيكلية ، اذ تتناثر فوق الحقول جلاميد بازلتية لا تحصى مما يجعل عمليات الحراثة عسيرة . غير انه يظهر ان هذه الحجارة قد لعبت دوراً كبيراً في حماية التربة من الحت وفي الحفاظ على شطر من رطوبة التربة في فترة متطاولة نسبياً .

وستتـاح لنـا الفـرصـة لإيضاح هذا الاختلاف في التطور البيولوجي بين ترب الشمال وتـرب الجنـوب وذلـك في معرض كلامنا عن التحليل الميكانيكي والكيماوي لهذه الترب .

٤ ـ **أصـول الـترب** : لا تزال المسكـوبـات الرباعية حتى الآن شبه عارية من الـتربـة . فقـد تمخضت المسكـوبـات الميـوسينيـة عن ترب سمراء ، متطورة وعميقـة في جنـوب الجـولان . أمـا المسكـوبـات البليـوسينية فقد أعطت ترباً كستناوية قليلة العمق ، وبالتالي محجرة .

هذا ويتفسخ الرماد البركاني وأشكال الخبث بسهولة نوعاً ما . وتنتج ترباً خاصة غالباً ما تكون بنفسجية .

ب ـ الصخور الرسوبية في الحرمون

١ ـ الترب الهيكلية او الترب الصخرية : ونجدها في امكنة الصخور الكلسية القاسية ذاتها وتحوي سطحاً صخرياً . وتشغل سائر سطحي الحرمون الجنوبي والجنوبي الغربي .

٢ ـ ترب الراندزين المؤتكلة : وترتبط هذه بالحوار الطري . ويضم مقطع هذه الـترب على السطـح تربة سوداء ترقد فوق صخر أسفل أبيض اللون . وتدين الـتربـة السـوداء السطحيـة بلونها للدبال الناتج عن تفسخ الاعشاب . وغالباً ما تكـون هذه الـتربـة السطحيـة محتـوتـة ، شأن البـلاد الاخرى حول البحر الابيض المتوسط ويتكشف باطن الارض الابيض الذي يعطي سحنا بيضاء نموذجية .

وتتألف ترب الراندزين ، في الحقيقة ، من كربونات الكلسيوم المختلطة بقليل من الدبال . ويمكن اعتبارها كنموذج من تربة هيكلية ذات صخر طري تستطيـع الجـذور ان تنفـذ من خلالـه بسهـولة . وتكون الهالة الكريتاسية التي تتألف من صخـور حوّاريـة وكلسيـة طريـة نسبياً ، والتي تطيف بنواة الحرمون الجوراسية من اسفلها ، هي مجال ترب الراندزين .

ويخصص الـدروز الـذين يقطنـون في قرى صغـيرة متناثرة على خواصر الحرمون تربة الراندزين ، ذات القيمة الهزيلة لزراعة الكرمة .

ج ـ الترب اللحقية : وهي ترب فتية لا يقدم مقطعها أي ميزة معينة . ولقد تشكلت على المقياس التاريخي وتحتل قيعان الاودية الرئيسية . ويقدم منخفض الحولة أفضل مثال عنها . ولكل من وادي اليرموك ووادي الرّقاد وتوضعاته اللحقية الخاصة ولكنها لا تشغل اكثر من مساحات ضامرة .

الخصائص الكيماوية لترب الجولان : خصوبتها

تعرف الترب ذات الاصل البركاني ، عموماً ، بخصوبتها . بيد ان مفهوم الخصوبة يظل غامضاً ما لم نحدد العناصر المخصبة ، عن طريق التحليل . ولم يؤخذ من الجولان البحت سوى عدد محدود من عينات التربة النموذجية ، التي جرى تحليلها في مخابر وزارة الزراعة السورية ، هذا فضلاً عن عيّنات أخرى من مناطق بركانية في حوران وفي جبل الدروز . وتستطيع هذه التحاليل ان تقدم لنا ، بشكل تقريبي ، دلائل عن وجود العناصر المخصّبة ونسبتها المئوية في ترب منطقتنا .

وتكون العناصر المخصبة هي التي تتدخل في تركيب المادة الجافة في نبتة ما ، وتكون ضرورية لتراكم البروتينات وعلى النبتة ان تستمدها من التربة .

النيترات : من المتعارف عليه ان الآزوت هو العنصر المخصّب الاكثر اهمية . ففي الاراضي العذراء يكون غنى الارض بالآزوت عالياً نسبياً اذا كانت مستورة بغطاء نباتي عشبي ، ويفسّر هذا بمفعول الدبال الذي يتفسخ ويعطي النيترات .

وفي الواقع فإن مراعي الجولان التي تحولت الى حقول حبوب تكون مشهورة بخصوبتها وبالتالي بمردودها المرتفع . بيد أن استغلال هذه الحقول باستمرار يجعل استنزاف النيترات في أراضي الجولان مبكراً .

غير ان تناقص معدّل المحتوى الآزوتي من اراضي الجولان العذراء لا يكون مماثلاً لترب الاقطار الاخرى . ففي شمال الولايات المتحدة يستنزف الآزوت خلال قرن واحد ، وفي أوروبا الغربية خلال فترة تتراوح بين ٢٥ و ٥٠ سنة ، وفي سورية تكفي بضعة اعوام لوقوع ذلك . غير ان مردود الاراضي المزروعة بالقمح والشعير منذ امد طويل يظل مستقراً مما يشهد على

ان محتوى الترب الجولانية من الآزوت ثابت .

ويحافظ الفلاحون على هذا المحتوى بممارسة البور . وفي الحقيقة يعادل البور ، والحالة هذه ، لتوضّع الآزوت . ويعتبر سماد المزرعة مصدراً طيباً للآزوت ولكن الفلاحين لا يردونه اطلاقاً الى حقولهم ، لأنه الوقود الرئيسي لدى فلاحي الجولان .

وتكون الاسمدة الكيماوية حتى الآن مجهولة في منطقتنا . وقد أظهرت التجارب التي تمت في المحطات الزراعية أن إضافة الاسمدة الآزوتية تضاعف مردود حقول الحبوب .

الفوسفات : **تكون الفوسفات هي التي تتميز بأكبر أهمية في تقديم العناصر المخصّبة في الجولان ، وذلك بعد المنتجات الآزوتية** . ويصدر الفوسفات ، على خلاف الآزوت ، عن الصخور الرسوبية لأن صخور الجولان البركانية لا تحوي منها الاّ نسبة مئوية ضعيفة . ومن ناحية أخرى لا تكون درجة PH في ترب الجولان ، التي تبلغ ٨٫٣ درجات ، موائمة لامتصاص النبات للفوسفور .

وفي الواقع فإن الفوسفور الناجم عن تفسخ الفوسفات الموجود في التربة لا يكون صالحاً للتمثل دائماً . وتختلف النسبة المئوية التي تمتصها النباتات حسب درجة PH التربة . وهكذا فان ترباً مختلفة ، ذات المحتوى نفسه من الفوسفور ، تستطيع ان تشتمل على كميات مختلفة من الفوسفور المتوفّر ، وفي حالة درجة PH تقارب ٨ تكون هذه الكمية زهيدة جداً . ويكون فوسفور ترب الجولان محجوزاً bloqué في معظمه ، وهذا هو السبب الذي يجعل استخدام الأسمدة الفوسفاتية ذا مفعول محسوس .

وقد اعطى تحليل العينات النتائج التالية :

مكان أخذ العينة	نسبة او محتوى P2O5
القنيطرة	٣٦٠ جزء من مليون جزء من التربة
فيق	٤١٠ جزء من مليون جزء من التربة
أزرع	٦٩٠ جزء من مليون جزء من التربة
درعا	٨٠٠ جزء من مليون جزء من التربة
الجوخدار	١٤٠٠ جزء من مليون جزء من التربة
السويداء	١٥٥٠ جزء من مليون جزء من التربة

غير أن العيّنـة التي أخـذت من محطـة السويداء الزراعية لا تمثل الترب الكستنـاو يـة بصـورة صحيحـة كما يظهر ، فالمحتوى من البوتاس والفوسفات يكـون فيها اكثر ارتفاعا مما هو عادة في هذه المنطقة . وربما كان السبب « هو أن هذه المحطة تقع في واد ضئيل المساحة » فان لير .

ومن المفيـد مقـارنة المحتويات المذكورة اعلاه مع تحاليل حلب التي تبلغ ٦٧٢٠ بالمليون

البـوتـاس : ويحتـل المـرتبـة الثـالثـة بين العنـاصـر المخصّبة الضرورية للنبـات . ويكـون في بعض اقطـار العـالم محجـوزاً ، شأن الفـوسفور ، ولكن ولحسن الحظ لا تنطبق هذه الحالة على سورية .

ويسمح فحص العينات في المخبر بملاحظة الامرين التاليين :

١ ـ ان أفقر العينات بالبوتاس هي التي تصدر عن ترب بازلتية حديثة .

٢ ـ يبـدو ان ترب المنـاطق الاكثـر رطـوبـة تحتـوي على العمـوم نسبة أقل من البوتاس مما يظهر للعيان دور الغسل الذي تقوم به مياه الامطار .

ولا تكـون المـلاحظـة الاخـيرة مقبـولة الا بالنسبة للمقاطع السليمة او بالنسبة للترب التي لم يسبق لها ان اختلطت بعناصر صادرة عن صخور ما تحت التربة .

وتؤكد نتائج التحليل ما سبق وقلناه

مكان أخذ العينة	المحتوى السنوي للامطار ١٩٤٥ ـ ٥٥	البوتاس القابل للتمثل في معادل الالف في ١٠٠٠
السويداء	٢٤٢٫٤ مم	٢٫٢٥
درعا	١٥٠ مم	١٫٥
أزرع	١٦٩٫٨ مم	١٫٣
فيق	٢٨٤٫٥ مم	٠٫٦
القنيطرة	٧٥٩٫٥ مم	٠٫٥

وهكذا نرى ان محتوى ما تحت التربة من البوتاس يكون متناسقاً بصورة معكوسة مع متوسط الامطار السنوي مما يدل على ان اكثر الترب غسلاً هي الافقر بالبوتاس ، وتقع محطة السويداء بالموازنة مع كل المناطق البركانية في سورية الجنوبية ، في حالة استثنائية والتي اعطينا السبب عنها في معرض كلامنا عن الفوسفات .

الكربون : لا تدل عينات المجموعات الكبرى للترب عن تبدلات ملحوظة فيما يتعلق بالمحتوى من الكربون الذي يكون على العموم ضعيفاً ، ويكون حوالى ٤ر٠٪ في الارض الكستناوية ويرتفع الى ٦ر١٪ في الرماد البركاني الحديث . وفي ذلك اختلاف هام بالمقارنة مع الترب الكستناوية الحقيقية ومع ترب التشرنوزيوم « ربما يعود ضعف محتوى الترب القائمة في سورية الى شدة الجفاف المتطاول خلال الصيف والذي يستطيع أكسدة كل الدبال تقريباً » . فان لير .

العناصر القليلة العدد : يتجلّى الافتقار الى الحديد في الجولان على شكل يرقان كثيراً ما يصيب الكرمة حيث تصفر اوراقها وتتساقط في وقت مبكر جداً مما يعرّض عناقيد العنب لتشمّس شديد وضار . ويؤدي العوز الى الزنك ليرقان اكثر وضوحاً اذ يكثر عندها الحطب اليابس في الاشجار ، وهي حالة كثيرة الحدوث جداً وشديدة الضرر في الجولان .

كربونات الكلسيوم : تكون النسبة المئوية في كربونات الكلسيوم عملياً معدومة في الترب الكستناوية . وتكون العيّنات المأخوذة من ترب ذات أصل بازلتي ، والترب ذات المنشأ الكلسي أو الحواري ، تكون جميعاً حاوية على النسبة ذاتها من الكربونات .

درجة الحموضة PH : تبلغ درجة PH في حدها الامثل في الجولان لأنها تبلغ حوالي ٣ر٨ ولاتقل عن ٣ر٧ حتى في الرماد والانقاض البركانية الحديثة .

العلاقة بين محتوى الترب من الغضار والشوارد القابلة للتبادل

لا تكون الخصائص الكيماوية كافية لوحدها لتحديد خصوبة تربة

معينـة ، بل يجب ان نأخـذ الخصـائص الفيزيائية ايضاً بعين الاعتبار . ويبيّن الشكـلان رقم ٢٦ ، و٢٧ ان ترب الجـولان غضـاريـة وان الشـوارد القـابلة للتبـادل في التعـادلات الالفية ، والمتوفرة في التربة ، تكون على علاقة مباشرة مع المحتوى المرتفع من الغضار .

ثالثاً : العلاقات بين المناخ والنبات

يمارس مناخ الجولان ، وهو نمط رومي متميز بتبدلات فصلية صريحة ، يمارس تأثـيراً كبـيراً على النبـات ، ولا سيـما على المـورفولوجية وعلى الدورة الانباتية وعلى نسق حياة النبات وتوزعه الجغرافي .

وليس هناك من حد اقصى لكمية المطر التي تستطيع النبتة تحملها على شرط الّا تكـون الـتربـة مختنقـة . وعلى العكس تطـرح المسألـة الحادة عندما يصبـح المطـر غير كاف ، وهنـاك حد ادنى لكميـة المطـر الضـروريـة لمختلف التشكـلات النبـاتيـة . ويتحقق الحـد الامثـل عنـدما يكون الجو رطباً جداً في الوقت الذي تكون فيه التربة رطبة بصورة معتدلة ، غير ان هذا الحد الامثل هو أبعـد من ان يتحقق في الجـولان بسبب نفاذية الصخور من ناحية ولانقطاع الامطـار خلال فترة متطـاولـة خلال العام من جهة أخرى . فكثيراً ما تكون الـتربـة شديـدة الجفـاف وتتشقق خلال الصيف ، وبـاستطاعتنا استناداً الى المتطلبـات المنـاخية ان نميز بين شكلين نباتيين متنافرين بصورة متفاوتة ، وهما الشكل الغابي والشكل غير الغابي .

وفي الـواقـع تنمـو الغابة او الحرش في شروط مثلى في التربة والمناخ فوق المخـاريـط والكتـل المعرضة بصورة مناسبة للرياح الغربية والجنوبية الغربية ، وهكـذا يقـدم خطر المطر المتساوي ٥٠٠ مم في العام ، بصورة تقريبية ، الحد الذي لا تستطيع الاشجار المقطوعة ان تعود لسيرتها الاولى اطلاقاً .

بيـد ان الشـروط المنـاخيـة التي سبق لها ان ساعـدت على نشـوء غابـة الجولان قد تعرضت للتغيرات . فالاحراش تعيش في نوع من عطالة حتى في الامـاكن التي لا تنـال ابـداً مقدار ٥٠٠ مم من المطر في السنة ، وهذا ما يفسر سرعة عطب هذه الحراج .

وفي الحقيقة تعطينا غابة الجولان الحالية مثلاً طيباً عن كليماكس غير مستقر . فالغابة لا تعود لحالتها الاولى اطلاقاً بعد تخريبها ، اذ تنشأ فوق مكانها تشكلات من نمط منحط ومروج تضم انواعاً عشبية . ويتجلى تقهقر النبات في الوقت ذاته مع المناخ على رقعة الجولان من الغرب نحو الشرق .

وهكذا فان مؤثرات البحر الابيض المتوسط التي تنفذ الى داخل البلاد تترك فيه بصمة واضحة هي النبات المتوسطي « الرومي » .

فقد عثر ب . موترد في أزرع ، وهي في شرق الجولان ، على نبتتين مألوفتين على الساحل وهما :

Synelcoscaldium Carmel و Scaliosa Prolifere ومهما كان هذا التأثير خفيفاً فهو يتطلب التفسير كما يقول « من المحتمل ان نميل للاعتقاد ، لأول وهلة ، ان فتحة سهل مرج ابن عامر كان بالنسبة لجبل الدروز ، كما هو الحال بالنسبة لشمالي شرق الاردن ، الطريق الرئيسي الذي سلكته تلك المؤثرات . وتجنح خارطة الامطار والرياح الى جعلنا نقبل بأن المؤثرات المذكورة قد سلكت من طول كرم الى عجلون جنوباً ، ومن الناقورة والقنيطرة شمالاً ممرات آخرى حاسمة ، إذ نجد غير بعيد من أزرع والسويداء منطقتين تتصفان بتهطالات قوية وهما عجلون ٧٠٠ مم والقنيطرة ٩٨٠ مم .

وقد جاءت من هذين الخزانين ، المتصفين بغناهما المتفاوت ، انواع النباتات المتوسطية ، ولا سيما من الشمالي ، الذي جاءت منه بالتأكيد النباتات[٤] المتوسطية التي أشار اليها المؤلف في جبل الدروز وفي أزرع .

بيد ان المناخ المتوسطي « الرومي » يكون قليل المواءمة للنبات الذي يكون عرضة لصعوبتين هما الجفاف المتطاول في الصيف وبرد الشتاء . والواقع لا يتلاءم نبات الجولان لوحده مع المناخ كي يستطيع تحمل هذا المحذور المضاعف بل كل نبات سورية .

وتكون طرائق هذا التواؤم متعددة ، وتكون غابة الجولان مختلطة . فهناك عدد من الاشجار التي تفقد اوراقها خلال الفصل البارد ، وهي

---

(4) P.Mouterde. prećite

الاشجار النفضية ، وهناك اشجار ذات اوراق دائمة غير ان نشاطها الحيوي لا يكون فعّالاً طيلة العام اطلاقاً كما قد يتلاشى خلال شطر من السنة ، فلا تتعرق الاوراق الا فيما ندر ويكون سطح الاوراق ضامراً مما يقلل من مفعول التبخر بالموازنة مع حجمها ، وتكون بشرتها سميكة مما يقضي تماماً على التبخر النتحي الأدمي ، اي نسبة الى البشرة . وأخيراً تعمل الأوراق على غلق مساماتها خلال شهور عديدة كي توقف التبخر النتحي والتركيب الضوئي ، وافضل مثال عن ذلك هو السنديان .

- هذا وتتواءم الكرمة بطريقة اخرى ، فهي تنمّي منظومتها الجذرية التي تغوص لبعيد في أعماق التربة كي تستمد الرطوبة من باطن الارض خلال الفصل الجاف .

- ويعمد الزعرور ، الذي تزخر به احراش الجولان ، الى تقليص منظومته الورقية . وتحل الاشواك محل الاوراق وتثّبت الرطوبة « حيث يعمل بوزها Pointe أو رأسها على تأمين الهواء مما يسمح بتكاثف بخار الماء ، ولهذا ينمو العشب الأخضر تحت الأشجار لأن الأشواك تسمح بنضح قطرات الماء(٥) وفضلاً عن ذلك تكون الأوراق مغطاة بالأوبار .

- ويحتفظ الصبّار الذي يزدهر في غرب الجولان ، وفي جنوبه الغربي ، بمقادير كبيرة من المياه في ساقه وفي اوراقه الضخمة ، أي راحاته(٦) العصارية كي يستخدمها خلال الفصل الجاف .

ونجد في مجال التشكل النباتي غير الشجري اشكالاً أخرى من التواؤم مع الصعوبات المناخية .

- يتواءم عدد كبير من الانواع من المناخ بدورة انباتية مختصرة للغاية ، فيتلاشى تماماً ابتداءً من اواخر الربيع تاركة مهمة تجديدها للبذور التي تمكث في الثرى

---

5) P. Birot: chimatologie, Biogeograph, Ayrologie. U.G.F.L.1957 2?Fas.P.53

(٦) جمع راحة اوراحة الكف لان ورقة الصبار تدعى بالفرنسية راكيت raq¢ette المأخوذة من كلمة راحة العربية لذا يجب القول لعبة كرة الراحة وليس كرة المضرب أو الطبطابة كما دعيت في المجامع العربية (المترجم)

تنتظر المطر كي تنمو من جديد . . . مثل النجيليات والبقوليات الخ . . .

- ونعمل انواع اخرى على ابطاء نسق حياتها خلال الفصل البارد ، فيتلاشى الجهاز النباتي السطحي تماماً وتنحصر المياه في الجذمورات او البصيلات الباطنية بمنأى عن الجفاف والبرد المتطّرفين ، هذا كما ان محراث الفلاح لا يطالها ، وتعود لتنبت في العام التالي ، مثال ذلك العيصلان .

- ويعمل شوك الجمل أو Chibrige ، الكثير الانتشار في الجولان ، على تحويل قسم من اوراقه الى اشواك وتغوص جذوره لبعيد كي تمسك بالرطوبة الباطنية .

- ويكون العديد من النباتات مغطّى بالأوبار التي توجد طبقة هواء عازلة تخفف بالتالي من سرعة التعرق النتحي اذ تخلق نوعاً من جو محلّي ، بجوار جهازها النباتي ، ذاتوتر بخار ماء خاص بها وتمنع التجدد السريع لبخار الماء المنتوح بتأثير الريح ، وهكذا تتغطى النبتة ، التي لم تفرغ بعد من دورتها النباتية خلال الفصل المطير ، بأوبار بصورة آلية ، وهذه الأوبار ذاتها هي التي تمنح اوراق بعض نباتات المناطق الجافة مظهرها الاشيب ، مثال ذلك اوراق الخزامى الرومية(٧)

أما القنداليا « الكعّوب أو العكّوب » أو « السلبين » الذي ينمو في كل مكان تقريباً خلال الفصل الماطر ولا يستطيع ان يتم دورته الانباتية قبل قدوم الجفاف والحر ، فيتغطى بأوبار متراصة جداً ، وتكون القنداليا Gaudalias مألوفة جداً في الجولان ويأكل السكان المحليون كميات كبيرة منها(٨)

وفي آخر الصيف تقدم هذه النباتات ، المنفصلة عن جذورها ، حزمة اوراقها القاسية للرياح وتتدحرج فوق الارض العارية الى ان تتكدس بعد اصطدامها بحاجز أو تسقط هاوية في حفرة ما .

---

7) P.Birot: Biogeógraphie des Continents. C.D.U. 1954.P.14.

(٨) يجلب البدو ، ولاسيما النساء ، ارومات الكعوب لبيعه في القنيطرة ، وهي نبتة ذات نسغ ابيض بني يجمعه الاطفال المحليون ويحوّلونه بعد غسله وتجفيفه الى نوع من لبّان .

ـ ولما كانت نباتات المنطقة الرومية عطرية غالباً فقد جرى تفسير ذلك على انه اسلوب لكبح التعرق النتحي ، فالجو المضّمخ بالعطور يكون في الواقع اقل ناقلية للحرارة مما يخفف التبخر بالتالي .

وتكون هذه النباتات العطرية معروفة جداً في الجولان ويعتقد السكان انها تنمو فوق او بجوار اضرحة « الأولياء » حسب التعبير المحلي . وعلى كل من يمر بجوار هذه الامكنة ان يضع قطعة حجر مع التوقير والورع المناسب . وقد كان لهذه الخرافة ، صدفة ، نتيجة خيّرة على بعض المواقع . فقد جرى تنظيف الدرب المحجر ، بين قريتي الجويزة والبريقة ، من الحجارة على قطاع طويل منه .

غير ان هذه الاشكال من التواؤم تبدو غير كافية ان لم يكن هناك تواؤمات أخرى وثيقة اكثر تكون آليتها مجهولة تقريباً . غير ان المعروف أن بروتوبلاسما « وذفة » النباتات المتوائمة مع الجفاف تكون قادرة على الاحتفاظ بالماء ضد قوى التبخر النتحي وضد التبخر وقادرة على امتصاص الماء حتى ضد الضغط التناضحي .

رابعاً ـ تأثير الانسان على نبات الجولان

لا يمثل كل نبت الجولان الشجري ونبات سائر سورية تشكّلا اصيلاً متعلقاً بشروط بيئية الفيزيقية وبحالة توازن مع هذه الشروط .

والواقع نحن تجاه تشكل شجري موروث لم يستطع الاستمرار في الحياة الّا بعد فترة طويلة من تخريب مارسه الانسان منذ اكثر القرون توغلاً في تاريخ الشرق الاوسط .

وينسب الدكتور فان لير تخريب غابات هذه البلاد الى فترات ما قبل التاريخ فيقول : « لا يمكن الكلام عن نبات محلي بكل معنى الكلمة في حالة سورية . ومن المحتمل جداً بأننا نستطيع ان نعزو لسكان العصر الحجري المشهد العاري الذي تظهر فيه البلاد » .

ويمكننا ان نستنتج ، استناداً الى دراسة الوثائق المصرية والآشورية والبابلية ، والتوراتية والاغريقية الرومانية التي عرضها إتيان دوفوماس ، أن

جبل لبنان ولبنان الشرقي وحرمون كانت مغطاة بغابات كثيفة ، وقد استغلت غاباتها حتى لقد اتلفت في معظمها من قبل ملوك مصر وبلاد ما بين النهرين . ولم يكن من الميسور التعرف على بعض اسماء الاشجار التي تتكرر في النصوص القديمة . وتروي لنا هذه الوثائق في الواقع القصة المريعة حول تخريب الغابة ولكنها لا تروي لنا أي شيء موثوق عن النبات ذاته . بيد انه لا يجوز ان نطلب من اناس كتبوا قبل بضعة قرون قبل تاريخنا ان تكون لديهم البحوث النباتية الدقيقة التي يمكن ان نطلبها في الوقت الحاضر . فقد خلطوا بين اشجار كان لها نفس المظهر والتي كانت لأخشابها خصائص مماثلة ذاتها مثل الذي يصنعه فاحص غير مختص في الوقت الحاضر[٩] . بيد ان التوراة تقدم في المقابل توضيحاً هاماً اذ تجعل من الارز شجرة مميزة لجبل لبنان ، والعرعر في جبل لبنان الشرقي والحرمون ، في حين يخصص البلوط ببلاد باسان »[١٠] .

نوحي يا بلوطات باسان

لأن الغابة التي كانت لا تخترق قد ابيدت »[١١]

وينطبق باسان حسب رأي اتيان دوفوماس وآبل على حوران الحالي . وقد اخطأ آبل عند قيامه بالتحقيق عن تسمية منطقة الجولان . ولقد دحضنا في الفصل الاول التفسير المغلوط الذي أتى به آبل وأشرنا الى التشويش الذي ارتكبه منشئو التوراة عن عمد .

ويبدو لنا ان باسان الخصيب الذي تذكره التوراة ليس هو بالواقع سوى الجولان الحالي الذي لا يزال يحتفظ بأعداد لا بأس بها من اشجار البلوط في حين لاتحوي حوران أية شجرة من هذا النوع .

لقد تم في الواقع تخريب غابة الجولان بفعل العديد من الأقوام الذين تعاقبوا بعد بعضهم بعضاً خلال تاريخ هذه المنطقة الطويل . وقد كان

---

(٩) اتيان دوفوماس . اطروحة غير مطبوعة . فصل ٣ ص ٣٢ E. de Vaumas Liban Liban.

(١٠) المصدر نفسه .

(١١) زكريا . ١١ ـ ١ ـ٢ عن فوماس فصل ٣ ص ٣٤ .

الـتركـمان القدامى ، والبدو من السكان الحاليين ، وهم اكثر الاقوام ضراوة في حربهم الشعواء ضد الغابة . وتسرد لنا اشجار السنديان المتبقية كأثر عن الغابة الغابرة ، والتي اسعفها الحظ بالبقاء بجوار المزارات والاولياء وتحت « حمايتهم » لنـا قصـة القضـاء على الغـابـة المحزنة ، وتسمح لنا من جهة اخرى باستعادة وتصور رقعة الغابة المحلية[١٢] .

ولا يزال هنـاك العـديـد من الكتـل الـبركـانية التي لا تزال تحمل اسم شعف « شعف السنديان » الذي يعني الغابة ، وقد فقدت هذه الكتل غاباتها بتأثير الانسان الهدّام غير انها احتفظت بإسمها .

وقـد كان اهتـمام شراكسـة المنطقة دائماً الاحتفاظ بغابات اراضي قراهم ودافعوا عنها في وجه البدو الحوارنة الذين كانوا يأتون لقطع الاخشاب لحاجاتهم المختلفـة . والـواقـع كانت الغـابـة محمية بصـورة لا بأس بها فوق اراضي الشراكسة . أما الان فان دائرة الحراج هي التي تؤمن حماية الغابة ضد الانسان والحيـوانـات بفضـل خفـرائهـا . بيـد ان مصلحة الحراج تسمح بعد ترخيص مسبق تمنحه باستغلال الغابة بصورة منتظمة وخاضعة للرقابة .

خامساً : التشكلات والانواع النباتية

مدخـل : لقـد سبق ورايـنـا ان الغـابـة السـورية قد خضعت لتخريب عنيف ومتطـاول الامـد من قبـل السكـان . وقـد عمـل كل من التبدلات المناخية ، ولا سيـما الجفـاف ، وتخـريب الـترب في اعقـاب ابـادة الغابة السابق ، أقول

---

(١٢) لقـد كنت في القـادرية ، وهي قرية تركمانية ، وكنت أتأمل بتعجب البلوطات الكبرى الثلاث التي تظلّل ضريح الولي الذي منح اسمه لهذه القرية عندما تقدم شيخ هرم تركـماني مني . وروى لي ان الـولي استطـاع ان ينقـذ الاشجار الثلاثة المذكورة بعد ان كانت هناك غابة واسعة كانت تستر أراضي قرى التركمان التي جرى اتلافها دون رحمة ، وأضاف العجـوز ان الاولاد كانـوا يستمتعون بالذهاب من قرية الى قرية متنقلين من اغصان شجرة لأخرى دون ان تكون هناك حاجة للهبوط الى الارض . وادّعى الرجل انه كان شاهداً على هذه الغابة التي تلاشت حالياً .

عملت على اختلال التوازن الفيزيقي - البيولوجي السابق ، اي الكليماكس ، ولم تسترد الغابة مشهدها الغابي الأصلي اطلاقاً .

بيد ان فقر سورية النسبي بالثروة الغابية لا يستدعي اطلاقاً فقراً بالانواع النباتية . وفي الواقع فإن « تنوع المناخات والتكوينات الجيولوجية والارتفاع يبرر غنى المنطقة اللبنانية السورية من وجهة النظر النباتية ، التي تحوي من النباتات الظاهرة الالقاح والخفية الالقاح لوحدهما حوالي ٣٥٠٠ نوعاً وان كان الكثير منها لا يوجد ، بالفعل ، الاّ في حالة نادرة ومشتتة . وتمثل هذه الانواع ١٢٧ عائلة و ٨٥٩ صنفاً[١٣].

ويتم توزع التشكلات والانواع النباتية جغرافياً من الغرب الى الشرق حسب الاوضاع المناخية وعليه يمكن تمييز ما يلى :

الساحل : مع نبيته المتوسطي « الرومي » البحت

الجبل : الذي يضم رغم الفروق الطفيفة ، جبل لبنان ولبنان الشرقى والحرمون

ونجد القسم الاعظم من النباتات ، المستوطنة في لبنان ، في جبل لبنان الشرقي ، ولا يرى غومبو Gombault أي سبب جدّي يدعو للفصل ، من وجهة النظر النباتية ، بين لبنان والحرمون أوبين هذا ولبنان الشرقي ذلك لأن التشكل النباتي في هذه الكتلة الجبلية يكون غابياً اساساً .

وتتمدد في شرق هذه الكتل الجبلية ، وعند اقدامها ، والتي تنتصب بمحاذاة البحر الابيض المتوسط ، تتمدد سهول وهضاب متباينة في الارتفاع وفي العرض الجغرافي .

وتكون الامطار السنوية فوق الهضاب . والسهول الداخلية ضعيفة وشديدة التفاوت بين سنة وأخرى وتختفي التشكلات الغابية كي تترك المكان بالتالي لتشكلات غير غابية . ونفتقد ضمن نبات المناطق الداخلية في البلاد

13.. R. Gombault: Aperçu sur la de la syrie et du liban et de la región dÁntioche (Notes et memoires. P.123).

اكثر من عشرين عائلة من تلك العائلات المذكورة في القائمة النباتية السورية في المعنى العريض . وتضم اكثريتها انواعاً جبلية ، والبعض الآخر ونباتات تكون الرطوبة الدائمة بالنسبة لها امراً لا غنى عنه(١٤)

ترى ما هو موقع جولاننا بين مختلف هذه المناطق النباتية في سورية ؟ إنه عقدة طرق حيث تأتي لتلتقي فيه مختلف النباتات التي تنتسب ، في الاصل ، لبيئات مناخية مختلفة .

وفي الحقيقة يتمثل النبيت الرومي « المتوسطي » في الجولان بالبلوط وفي الآس ذي الثمار السوداء وفي الغار وفي الزيتون الوحشي في الأودية . ويتمثل نبت الجبل العالي بالملول Qurcus Aegilop.l والسماق Rhus Loriarie وبالآجاص البري ، وبخوخ الدب ، التي نجدها فوق هضبة الجولان وكذلك في الحرمون وفي لبنان الشرقي ، والنبات السهمي في هضاب الداخل وفي سهوله العديد من النباتات الموجودة هنا ومعظمها من الحوليّات .

وتفسّر وشائج القربى بين النبيت الجولاني وبين نبيت فلسطين بالجوار المباشر لهذين البلدين . ويمثل السدر أو Zyzyphus Spina Christi الذي تدعى ثمرته الصفراء الحمراء « الدوم » والصبّار ، النبيت المداري في الجولان ، في حين يمثل الزيزفون Tilea Euopoea نبيت المناطق المعتدلة ، وهو ذو اوراق فضية صغيرة لامعة ، وذات زهور مائلة لصفرة ورائحة عطرية زكية ، ونصادف الزيزفون بحالة وحشية في الجولان وعلى الخصوص في وادي الأردن ، هذا ونصادف في غابة هذا الوادي الرواقية حور الفرات «الغَرَب» القادم من الشرق . ويعود الياسمين . وهو نبات عطري ، في التحت غابة ، الى آسيا الوسطى من حيث الاصل . وعلينا ان نكمل مفهوم عقدة الطرق هذا بين مختلف مجالات نباتية بسهولة التواؤم التي تقدمها الاوضاع المناخية في الجولان للنباتات التي ادخلها الانسان .

وهناك قائمة كاملة من الاشجار جلبت الى منطقتنا من أقطار مختلفة . فهناك الازدرخت Malea Azardarch والجوز ويعود اصلها الى بلاد فارس . ودخل

14..Gombault. précité.P:143

منـذ عهـد قريب الكينـا او « الكـافور » eucalyptus resinafera قادما من اوستراليا ويـزرع بقصـد تنقيـة هواء الأراضي الـرطبـة ويزدهر في كل مكان تمت زراعته فيها . أما الرمان الذي يكثر في جنوب الجولان فقد جرى استقدامه من افريقيا منذ عصور قديمة . كما جاء التوت الابيض من الهند في حين وفد التوت الأسود او التوت الشامي من بلاد ما وراء القوقاز .

وتجود الحمضيات في وادي اليرموك وخاصة في الحمة ، وقد جاءت الى الشـرق الاوسـط ، كما يروي المؤرخ العـربي المسعـودي في عام ٣٠٠ هجرية قادمة من الهند .

١ ـ التشكل الغابي في الجولان : الغابة

تكـون الغـابـة ، شأن كل غابـات البحر الابيض المتوسط ، عبارة عن غابـة قميئـة اذا ما قورنت مع غابـة المنـاطق الاستـوائيـة وبـالطايغا أومع غابة النطاقات المعتدلة .

وتكـون اشجـار هذه الغـابـة صغـيرة القامة ولا تتجدد إلاّ ببطء أقصى ولكنهـا تتميـز ، على نقيض ذلـك ، بقدرة كبيرة على مقاومة مصاعب الحياة التي تكون عسيرة خلال شطر كبير من العام . ويكون الفصلان الانتقاليان ، اي الخـريف والـربيـع ، منـاسبـين لحيـاة ميسـورة بالنسبـة للنبـات . ولكن الحيـاةتصبـح شاقـة خلال الفصلين الـرئيسـين ، أي الصيف والشتـاء ، لأن الشتـاء يتعـرض لدرجات حرارة منخفضة ، بل وقاسية ، كما يتعرض الصيف لجفاف مفرط متطاول نوعا ما . ويكون مفعول البرد على الاشجار هو التأثير ذاته الذي يسببه الجفاف وينعكس ذلك على الجهاز الورقي وعلى نسق الحياة .

هذا ويكـون لبعض الاشجـار اوراق دائمـة مثـل السنـديـان أو كرمس والـذي تعمـل قامتـه وبشرته على تخفيض التمثل والتبخر النتحي ، مما يخفف بالتالي من تسارع نسق حياتها . وهكذا تكون هذه الاوراق قادرة على مقاومة برد الشتـاء وجفـاف الصيف في آن واحـد . وتكـون هنـاك اشجار اخرى مثل البلوط متـوائـوة بشكل افضل مع الجفاف الصيفي بفضل الجذور الطويلة التي تستمـد المـاء من الاعماق ، ويكون الشتاء بالتالي هو الفصل غير الموائم . وفي

الـواقـع تتعـرّى هذه الاشجار من الاوراق الموقتة في الشتاء كي تخفف من نسق حيـاتهـا الى أقصى حد وتعيش على حسـاب الاحتيـاطـات المـتراكمة خلال الفصـل المنـاسب . وهكذا تكون الغابة في الجولان من نمط مختلف ، وتكون الاشجار في معظمها من ذوات الاوراق المؤقتة .

ويفســـر هذا الاختــلاط من الأشجـار ، اي من ذوات الاوراق المؤقتـة وأخـرى من ذوات الاوراق الـدائمـة ، وفي المكـان ذاته ، يفسّر بظروف محلية يستطيع فيها تعرض السفوح للتشمس وللرياح الرطبة ، اي يختلف من نقطة لأخـرى . وهكـذا نجـد فوق المخـاريط البركانية بقعة من سنديان ذي اوراق دائمــة ، وعلى مســافــة ضعيفــة بقعـة أخـرى من بلوط ذي اوراق مؤقتـة (الملّول) . وتكفي ضآلـة الاختـلافـات الطبـوغـرافيـة في الواقع لتفسير هذا الخليط من ناحية وتفوق صنف على آخر من ناحية أخرى .

وتشبـه غابـة الجـولان غابـة المجـال الـرومي الرطب ، وغابة السواحل الشمالية من البحر الابيض المتوسط في اوروبا .

وفي الـواقـع تكـون هذه الغـابـة الشـمـاليـة متميـزة شأن غابـة الجـولان « باختـلاط البلوط ذي الاوراق الـدائمـة كالسنـديـان . . . وبلوط ذي اوراق مؤقتة كالبلوط الازغب الذي نعرف أنه هو الافضل مواءمة مع الجفاف بالموازنة مع كل انواع البلوط ذي الاوراق المؤقتة »(١٥)

وتتألف احراش منطقتنا اساساً من البلوط الذي يكون « تصنيفه عسيراً بشكل خاص ، لتوزعها على انواع عديدة تكون متجاورة مع بعضها البعض ومتباينة »(١٦) وهكذا تؤلف انواع البلوط مصدر « بؤس » علماء النبات وبالتالي الجغرافيين ، على الخصوص ، اكثر من سواهم .

واكثـر الانـواع انتشـاراً في غابتنـا هي السـنـديان أو البلوط Quereus ilex وبـلوط كرمس أو السـنـــديـــان Quercus Coccifera والملّول Quereus Aegilops والعفص أو Quercus Lusitanica والتي تكـون ثمـراتـه مرغوبة في صناعة الدباغة

---

15. P.Birot. Biogéographie des continents C.D.U.1945.P.148

16.. E.de Vaumas. Thése ch I:P.13

التقليدية . أما الاشجار الاخرى المختلطة في الغابة مع البلوطيات فهي البطم أو Pistacia Terbenthus والـزعرور أو Crataegus Monogyna والأجاص البري أو Pyrus Bover Steud وخوخ الدببة أو Purunus Ursina والمشمش الوحشي ذو الثمار الصفراء « بلقوق » واللوز الوحشي أو « البربور » .

وتجـذب ثمار هذه الاشجـار ، على رداءة انـواعهـا ، السكـان المحليين الـذين يستغلونهـا بشـراسـة . ولكي تتساقط ثمارها ترمى الاشجار بالحجارة مما يؤدي لتهشيم الافنـان الصغـيرة والى تلف الاوراق . وقـد تظل قطع حجرية كبيرة عالقة بالاغصان .

وقـد لاحـظ اتيـان دوفـومـاس شجـرة اجـاص وحشيـة تحمل مثل هذه الحجارة في جبل لبنان الشرقي . وقد عزا بقاء واستمرار هذه الشجرة الى خرافة بقوله : « ربما يجب ان نفكر بأن هناك خرافة ترتبط بها ، لاننا نرى دوماً حجارة كبيرة نوعاً ما متشبثة عند تفرغ اغصانها » . والواقع ليست هناك اية خرافة لان السكـان المحليين لا يحتفظـون بهذه الاشجـار لان الاسـلام ينهي عن قطـع الاشجار المثمرة ، بل لانهم يستفيدون من ثمارها .

ويقـوم البـدو ، ولاسيـما نسـاؤهم ، بقطف كميـات كبيرة من الثمار ، وعلى الخصـوص ثمار الـزعـرور وينقلونهـا على ظهـور الحيـوانات الى حوران لمقايضتها بالقمح ، حجم بحجم . أما في الاودية العميقة حيث يكون الشتاء اقـل قسـاوة مما هو على الهضبـة فإن الغـابـة تضم اشجـاراً أخرى : كالزيتون الـوحشي ، والغـار والاقصـاب . ونجـد في بعض الاودية اشجار تين وبعض الدوالي بحالة برية ، ترى هل هي عبارة عن مزارع قديمة مهجورة ؟ .

وتحتـل الغـابـة بصـورة تفضيليـة الكتـل البركانية حيث تكون الشروط المناخية والبيدولوجية أمضل تحققاً ، وتنال امطاراً وفيرة بسبب الارتفاع والتربة البركانية ذات الخبث والتي تسمح للجذور بالامتداد لعمق كبير . غير انه من الممكن رؤيـة بقـايـا ضامـرة من الغـابة في اي مكان في الجولان الذي يقع كله تقـريبـاً في داخل التخم المطري للغابة ، وهو الحد المتمثل بخط المطر المتساوي ٥٠٠ مم في العام .

توزع الغابة الجغرافي

وهي عبارة عن مزق متبقية ، مبعثرة في كل مكان . وهي غابة مشتتة تتناثر فيها رقع مفتوحة يستغلها الفلاحون كحقول زراعية . ويغطي مجموع هذه البقايا ١٨١٢٥٠ دونماً اي ١٨١٢٨ هكتار او ١٨١ كيلومتر مربع تقريباً أو ما يعادل ٩٪ من المساحة الكلية للجولان .

ويدل توزع الغابة بصورة واضحة جداً على التأثير المناخي . وهكذا يكون السفح الشرقي من الجولان عارياً بالموازنة مع السفح الغربي المفتوح الصدر لرياح الغرب والجنوب الغربي والشمال الشرقي والتي تأتي من البحر والتي تعطي الامطار بالتالي .

ويكون القسم الاكثر ارتفاعاً في الجولان جيد التعرض للرياح الرطبة . وهكذا نجد فوق كتلة جبل بريقة وبير عجم ان الغابة تغطي ٣٥٠٠ هكتار في حين تتلاشى الغابة في شرقي هذه الكتل ، وحتى في حوران ، وجبل الدروز ذاته ، تماماً .

أما على السفح الجنوبي الشرقي من الحرمون[١٧] فإن الغابة تغطي ٢٠٥٠ هكتاراً ولا سيما في الاراضي التابعة للقرى التالية :

مجدل شمس	٧٠٠ هكتار
حرفا	٢٠٠ هكتار
جباتا الخشب	٢٠٠ هكتار
جباتا الزيت	٧٠٠ هكتار
طرنجة	٧٠ هكتار

هذا فضلاً عن مساحات أخرى منكمشة ومبعثرة

(١٧)تكون الانواع الموجودة في نهاية سفوح الحرمون مماثلة تماماً لتلك التي نجدها في الجولان نفسه .

وتغطي الغـابـة فوق مجموع اراضي القنيطرة ، عين زيوان ، عدنانية ، قحطانية ، غسانية ، جويزة ، بير عجم ، بريقة ، المنصورة ، عين الحجل ، عين عائشـة ، ودلـوة:رقعـة ٢٣٦٠ هـ ، هكتاراً والى الجنوب من بانياس نجد مسـاحـة ١٠٠٠ هـ و ٦٠٠ هـ فوق اراضـي قرى قراحطـة ، مويسـة ، سكيـك ، وواسـط ، ١٨٢٠ هـ فوق مجمـل اراضي اليعربية ونوانية وجميزة . وتصبح الغابة في اتجاه الجنوب مفتوحة مبعثرة اكثر فأكثر ، كما ان المساحة الكلية للغـابـة في مجمـل قضاء الزوية لا يتجاوز اطلاقاً ٢٥٠٠ هكتاراً اي ١ر٤٪ من مجمـل مسـاحـة القضـاء ، في حين ترتفـع النسبـة المئويـة الى ١١٪ في قضاء القنيطرة والى ٩٪ في مجمل الجولان . هذا وتنمو الغابة في قضاء الزويّة بشكل خاص فوق اراضي فيق ووادي مسعود في اراضي قرية كفر حارب ، وفي وادي الدفيلة ووادي جراماي في اراضي كسفين ووادي الهوا واراضي قريتي الشجّارة ومعرابة .

ويـرغب الفـلاحـون في الرقع الشاغرة التي تنفتح ضمن الغابة لزراعتها بالحبـوب المتنـوعـة . ونعيـد للذاكـرة لآخـر مرة سرعـة عطب هذه الغـابـة وهشـاشتهـا ، فهي حسّـاسـة بالـرعي الجـائر ، كما يستطيع فأس الانسان ان يستأصلهـا نهائيـاً لأن نزع الغابة يتلف ترب المنحدرات بفعل الحت التي ما ان يتم انجرافها حتى لا يكون هناك أدنى امل في عودتها لحالها السابق .

٢ ـ التشكلات « غير الغابيّة » .

يظهـر الغطـاء العشبي مستمـراً ويحتـل مكـان الغابة حيثما تلاشت هذه بسبب عدم كفـايـة الأمطـار أو بسبب استئصالها . ويضم هذا الغطاء العشبي مجمـوعـة كاملة من النبـاتـات المـتراصـة على بعضها بعضاً والتي تنمو بحيوية عظيمة بحيث يتحول الجولان خلال بضعة اسابيع من فصل الربيع الى مرج حقيقي وحيث يرتفع العشب في السنة الطيبة ، طبعاً ، حتى ارتفاع ٥٠ سم

ويعمـد فلاحو الجولان ، ولا سيما الشراكسة منهم ، الى حش العشب الاخضر ابتداء من نيسان ويجففونه محلياً وينقل الى القرية ويحفظ هذا العشب

اليـابس على شكـل بيادر من التبن (.انظر لوحـة XIII رقم ١ ، ٢ ، ٣) . ويجعـل هذا الغطـاء العشبي الغني من الجـولان منطقـة متميزة لانتشار المراعي ولتربية الماشية .

ويهتم السكـان كثـيراً بهذا العشب ، من حيث حصـده ، وتجميعه « رجـاد » وصنـع بيـادر التبن ، تلك الاعـمال التي تشكـل مشـاغل الفلاحين ابتداء من نيسان حتى نهاية أيار .

ويضم التشكـل النبـاتي ، غير الغـابي ، في الجـولان عدداً كبـيراً من انواع لم تكن اطلاقاً هدف دراسة .

أمـا خفيـات الالقـاح فهي التي نملك أقـل المعلومـات عنهـا ، ونـوع الفطـريـات هو الاكثـر انتشاراً وينمو بصورة عفوية خلال الشتاء . ويجني البدو منهـا مقـاديـر كبـيرة ويبيعـونهـا في القنيطـرة على الخصـوص ، وهي صالحـة للاستهـلاك ومـرغـوبـة جداً لدى السكـان الحضر . وهناك انواع اخرى سامة ويعـرفهـا البـدو تمامـاً نتيجـة الخـبرة والتجربة . وهناك انواع تنمو فوق جذوع الصفصاف وتكون سامة بدورها . أما النوع الذي ينمو في الاودية على شكل وحـدات منعـزلـة ، ولكن بحجم كبير جداً ، يدعى القلحة ، فيكون مرغوباً وصالحاً للاستهلاك .

وتنتشر الحزازيات أيضاً في الامكنة الرطبة وفوق الجدران القديمة .

وتكـون كل الانـواع حطبيـة وتسـاهم في تكـوين الغطـاء العشبي المخضوضر مثلما تكون حساسة جداً بنزوات المناخ .

هذا وتصـادف الانـواع النباتية الأخرى غير الحطبية Ligneuses صعوبة منـاخيـة مزدوجة وهي برد الشتاء وجفاف الصيف ، وتتواءم مع هذا المناخ ذي الفصول المتنافرة حسب طرائق متنوعة . ويقع فصلها الانباتي الشديد القصر عموماً في فصلين ملائمين نسبياً ونقصد بهما الربيع والخريف .

واستناداً الى طريقة تلاؤم هذه النباتات مع المناخ سنعمد الى تصنيفها في الاصناف المتميزة التالية :

آ ـ الحـوليـات Therophytes : وتتـواءم مع الجفاف بدورة انباتية غاية في القصر لا تتجـاوز مدتهـا من الحبّـة الى الحبّة سوى ثلاثة او اربعة شهور وذلك حسب

السنين . وهنالك الحوليات الربيعية على الخصوص التي تنمو في بداية هذا الفصل وتجف في بداية الصيف . وتتألف هذه المجموعات من عائلات عديدة وقد استطعنا احصاء الانواع الاتية :

النجيليات : وتتألف من Phleum Pratense, Festuca Pratensis, Dactylis Glomresata

البقليات : وتضم النَفَل Trifolium Panonicum, Trifolium Hybradium, trifolium Repens

(بابونج » Trifolium Pratense الذي يكثر انتشاره ويستعمل مشروباً كمنقوع و Pisum Humile, Trifolium Filiformis والترمس البري .

الخبّازيات : ويكون ممثلها الرئيسي نبات الخبازة التي تحتل في الربيع مساحات كبيرة . ويستهلك الفلاحون والبدو الكثير منها على انها احدى الخضار

الصليبيات : وأكثر افراد هذه العائلة انتشاراً هو نبات حب الرشاد ثم نبات الحرف ذاته وكلاهما صالحان للأكل .

المركّبات : وتتألف على الخصوص من الكعوب (السلبين) ومن نباتات اخرى شوكية ذات أوبار .

المظليات : يتصف عدد من المظليات الكبيرة مثل الحتليت Ferule أو الشمرة Fernula Communis.L بهيمنة كبيرة في الجولان أو على ضفاف بحيرة طبرية بحيث تصبح عنصراً مميزاً في المشهد[١٨] وبأمكاننا ان نذكر منها الكمون البري الذي ينمو في الجولان كنبات تحتغابة .

وتنمو نباتات الازهار بكثرة بين نباتات الغطاء العشبي مما يحول الجولان في الربيع الى روضة حقيقية (انظر صورة لوحة XIV ، ١) وتنتسب هذه النباتات الزهرية الى عدد من العائلات .

البنفسجيات : وينمو البنفسج بأعداد كبيرة منذ بداية الربيع ويكون احد تباشير الربيع .

المركبات : ولا سيما الاقحوان البري .

الشقاريات : واكثرها شهرة شقائق النعمان

---

18 Gombault. précité P:146

ب ـ النباتـات الارضيـة : وهي الفئـة الثـانية من النباتات المتلائمة مع فصل جفـاف ، بل وحتى مع عدة سنوات عجـاف بفضـل جذمـوراتهـا وبفضـل بصيـلاتهـا . وتوفر لها هذه العضويات الباطنية استمرارية الحياة لانها تنجو من أشد تأثيرات التبخر ضراوة .

ويظهـر الجهـاز النبـاتي لدى هذه النباتات الأرضية في بداية الخريف ، وهـو الفصـل الثـاني المـلائم نسبياً للحياة النباتية بسبب رطوبة جوية مرتفعة ، وبعض الامطـار المبعثـرة من ناحيـة وبسبب حرارة تظـل مرتفعـة من ناحيـة أخـرى . ويكـون العيصـلان أفضـل ممثل لنباتات الجولان الارضية . وهناك نباتات اخرى ذات بصيلات تنتسب الى اسرة الزنبقيات وذات أزهار بنفسجية بديعة . أما البصل البري Allium Sindjéreuse فينتسب ايضاً بدوره الى هذه الفئة .

ج ـ القتنيّـات الـدائمة : وتتنافر مع الفئتين السابقتين ، لأنها عبارة عن نباتات معمرة يكون لجهازها النباتي السطحي حياة مستمرة مع كونها بطيئة .

وتتـواءم هذه القتنيّـات الـدائمـة مع الجفـاف بنمـو خارق ، مفـرط ، للجذور الافقية أو العمودية . وتتمثل في الجولان بنبات Alfa Stipa Tenacissima التي هي عبارة عن نجيلية معمرة ، وبواسطة شوك الجمل التي تغوص جذورها حتى عمق قد يبلغ ستة امتار كي تنتح المياه الباطنية .

د ـ ويمكن تصنيف عدد من النبـاتـات في فئـة محبّـات المـاء . وتعيش هذه النبـاتـات في المـاء عائمة اوثابتة ، وأشهر هذه واكثرها انتشارا هو نبات القرّة Cresson (الحلو والشنيع) والنعنع المائي .

هـ ـ وأخـيراً نجـد بين الانـواع المختلفـة التي تؤلـف الغطاء العشبي عدداً من النباتات الضارة للحيوانات مثل الزيوان أو Cristo Galli ، والعصيلان والحنظل .

ويكمن المأخـذ الاكـبر لدى هذا الغطـاء العشبي في شدة قصر حياته . فابتـداءء من نهايـة نيسان أو بداية أيار ، وذلك حسب استمرار أمطار الربيع ، يصبـح الغطاء النباتي مصفراً اكثر فأكثر ويتلاشى بسرعة . وتتهشم الاعشاب الجـافـة بتأثير الجفاف والحر وتحمل الرياح الخريفية بقاياها كي تنضم للغبار في

حركات دوامية . والواقع تصبح الارض عارية تماماً (صورة ولوحة XIV ، ٢) وتكون المفارقات في المشاهد بين الربيع والخريف شديدة .

وتتأثر الحيوانات ، من جانبها ، بهذه التبدلات التي تطرأ على الغطاء النباتي فبعد ان كانت شديدة السمنة مكتنزة ، وذات الوان ناصعة في الربيع ، تصبح هزيلة ، كالحة اللون ، في الخريف . واذا انحبست امطار الخريف في الفترة المناسبة فإن الموت على شكل مجازر يصبح امراً لا مفر منه .

سادساً : الوضع الحقوقي للغابة وامكانية تحسين النبات الطبيعي

تتطلب الغابة السريعة العطب ، وسرعة زوال الغطاء النباتي ، بالفعل ، تدخل الانسان بقصد تأمين الحماية الضرورية ضد الذين يسيئون استغلالها ، وتحقيق التحسين الممكن فيها ، وزيادة فائدتها ومردودها ، بالتالي . والواقع تتم حماية الغابة من جانب دائرة الحراج ، ولكن لم يتم شيء حتى الآن في اتجاه التحسين ولا في مجال الغابة ، ولا في مجال المروج .

١ ـ الوضع الغابي السوري[١٩]

يحتاج الفلاحون الى الاعتماد على الغابة من اجل الحصول على الوقود ولصنع ادواتهم من محراث ونير الخ ، وبضع ادوات اخرى يستخدمونها في الحياة الريفية اليومية . وكان المستفيدون من الغابة ، وهم جهلة ، وعلى غير دراية ، يفرطون في استغلالها وكانت الاشجار تتلاشى اكثر فأكثر وكانت الثروة الوطنية تتناقص نتيجة ذلك باستمرار . وأمام وضع كهذا كان على التشريع القانوني الغابي ان يكون صريحاً في تعريف العناصر المؤلفة للغابة وكذلك بالنسبة للاستغلال المجال الحراجي .

وفي الواقع يشير بند ٢ تحت اسم الغابة الى العناصر التالية :

١ ـ كل شجرة والشجيرات والاعشاب التي توجد في مجال الغابة .

٢ ـ الجذور والثمار والمنتجات الأخرى التي قد تنتجها نباتات الغابة .

٣ ـ الحجارة والتربة ، والرمل والخامات المعدنية والأسمدة الموجودة في الغابة .

---

(١٩) وقد نص عليه قانون ١٩٥٣/٩/٢١ .

ويوضح البند الخامس ان كل الاراضي الحراجية تنضوي في املاك الدولة .

وتسمح الفقرة العاشرة باجلاء القرى والمزارع التي قد تقوم في الغابة أو حولها اذ ثبت ان سكانها قد اتلفوا الغابة . وتراقب دائرة الحراج استغلال الغابة لتأمين استمراريتها وتحسينها في الوقت ذاته .

هذا ولا يجوز قطع اية شجرة الا بترخيص ممنوح مسبقاً وخلال مهلة خمسة اشهر ابتداءء من اول تشرين الاول حتى نهاية شباط (بند ٢٣) ، بيد ان المشرّع اعترف بحق المستفيد من سكان القرى الذين لا يبعد مكان سكناهم عن خمسة كيلومترات عن الغابة وتنحصر هذه الحقوق فيما يلي :

١ ـ استغلال الحطب اليابس والثمار الساقطة على الارض

٢ ـ استغلال الخشب اللازم لصنع الادوات الزراعية ولتشييد المساكن واصلاحها

٣ ـ استخدام الخشب كوقود منزلي .

وقد تحدد مقدار الاستهلاك السنوي لكل شخص من الحطب من قبل مديرية الحراج في مختلف اجزاء الجولان :

٥٠ ـ ١٠٠ كغم في قضاء الزويّة (فيق)

٥٠ ـ ١٥٠ كغم في قضاء القنيطرة .

٥٠ ـ ٢٢٠ كغم في قرى سفح جبل الشيخ الجنوبي والجنوبي الشرقي .

ونلاحظ ان الحصة تتناقص من الشمال باتجاه الجنوب ..ولقد روعيت ، في الواقع ، عند تحديد معدل الاستهلاك من الحطب الاعتبارات التالية :

ـ المساحات الحراجية التي تتناقص من الشمال باتجاه الجنوب

ـ قساوة الشتاء التي تتناقص بالتالي في الاتجاه نفسه

٤ ـ استغلال عشب ما بين الغابات لمصلحة المواشي (حق الرعي) باستثناء الماعز والابل .

ويتطلب البند (٤٨) تصفية قطيع الماعز عن طريق البيع . والواقع هو ان الدولة تواجه تنفيذ برنامج مزدوج : حماية الغابة الحالية واعادة تحريج المساحات المعّراة .

هذا وتمنح المديرية العامة للحراج بالمجان البذور والشتلات للذين يرغبون في اعادة تحريج اراضيهم (بند ٨٩) . وقد تم بالفعل تحريج مساحات قليلة الرقعة بالفعل ، وذلك فوق اراضي القرى التالية : مسعدة ، جباتا الزيت ، عرنة ، وقلعة جندل .

ولتحقيق عملية تحريج منهاجية يجب على الدولة ان تتدخل بفعالية اكبر ، لان الفلاحين يجهلون اية طريقة كما ان المساحات المحرّجة لا تنمو الا بصورة بطيئة للغاية ، كما ان المساحات الحديثة التي تركت تحت رحمة الطبيعة تلاشت في معظمها .

والواقع لقد لوحظ في الجولان ان عدد أشجار البلوط لا تزيد اطلاقاً في ظل الاوضاع الطبيعية الحالية : « بحيث يمكننا القول ، مهما كان ذلك مستغرباً لأول وهلة ، بأن من بين كل ثمرات البلوطات التي تنتجها شجرة البلوط خلال حياتها الطويلة ، تكون واحدة منها ضرورية »[٢٠]

وتجاه وضع كهذا لا يجوز ان يظل وضع وموقف الانسان منفعلاً ، اذ من الميسور والتحرك بصورة مفيدة . فإذا امكن تأمين نمو ثمرة بلوط واحدة من بين تلك التي تعطيها كل شجرة بلوط في الغابة ، فإن من الممكن ، دون الحاق اي اذى بالغابة ، استغلال الاشجار الهرمة ، ومن ناحية اخرى من الممكن ادخال اشجار جديدة اكثر نفعاً ، وقد اعطت تجربة مسعدة نتائج مشجعة طيبة . فقد تمت زراعة نوع Pinus Pinea على مساحة ٢٠٠ هـ وتبدو هذه الغابة في اوج ازدهارها .

ويستطيع الانسان ان يتدخل ايضاً في اتجاه آخر اذ يمكن تطعيم كل اشجار الغابة الجولانية . وقد تمت هذه التجربة على الصعيد الفردي وكانت النتائج مرضية . ويمكن تطعيم البطم بالفستق والزعرور بالتفاح أو الآجاص ، والخوخ ، والآجاص البري بالعديد من الاشجار المثمرة .

---

20) J.carl: Géographie botanique. Que No 313 P.30

تحسين المروج الطبيعية

وهو مشروع هام جداً بالنسبة للجولان لأن تربية الماشية هي احدى انشطة السكان الرئيسية . وتمارس تربية الماشية بصورة بدائية ومتخلفة جداً ، لأن الحيوانات كثيرا ماتكون دون مأوى ، وتضطر لأن تقنع بما تقدمه الطبيعة من غذاء . وهكذا كان لتلاشي الغطاء النباتي العشبي احياناً ، ولا سيما في الشتاء ، نتائج مشؤومة . وهكذا تهزل الحيوانات وتصبح حساسة تجاه مختلف الامراض امام عدم كفاية الغذاء من ناحية ولقساوة البرد من ناحية اخرى .

والواقع تكون الاختلافات الكبيرة في الاحصائيات المتعلقة بأعداد القطعان انعكاساً للاحوال الموائمة أوغير الموائمة للمراعي الطبيعية في الجولان . ولعلاج عدم استقرار ووقتية المروج الطبيعية ، وهي نتائج طبيعية ، فعلاً ، يجب تنمية المزروعات العلفية والحبوب الثانوية . ولكن يمكن تحسين الغطاء العشبي بإدخال اعشاب خضراء معمّرة كي تصبح المروج سنوية عوضاً عن ان تكون فصلية . وفي هذا المجال يمكن الاستفادة من التجارب التي تمت في اقطار اخرى كأفريقيا الجنوبية واوستراليا والولايات المتحدة والهند ، وذلك تحت مناخات قاحلة بل اكثر قحولة من الجولان :

١ ـ وفي الواقع يرمي البرنامج العام لتنمية سورية اقتصادياً لادخال الانواع النباتية التالية :

Eragrostis Lehomannia, Lehman Lonegrass التي هي عبارة عن نجيلية . وقد زرعت بنجاح كبير في الولايات المتحدة وفي جمهورية جنوب افريقيا . وتتميز هذه النبتة بأوراق كثّة وبكمية كبيرة من البذور مما ييسّر تكاثرها .

والواقع تكون فوائد هذا النوع من النجيليات عديدة :

- تتواءم بسهولة مع كل انواع الترب .
- تقاوم الجفاف بنجاعة .
- تتكاثر بسهولة وبغزارة .
- تظل خضراء مدة لا بأس بطولها .
- يكفي كيلوغرام من البذور لزراعة هكتار واحد بصورة كامله .

وتكون اذن صالحة للزراعة وذلك حتى في شروط اقل مواءمة بالموازنة مع النجيليات العادية في بلادنا .

٢ ـ Eragrostis Chloromalae وهي نجيلة اخـرى تعرفت على نجاح كبير في نيومكسيكو ولاسيما عندما زرعت مع نباتات أخرى مثل Eragrostis Lehmanniad .

وتتميز هذه النجيلة بنمو سريع .

٣ ـ Eragrostis Curvula وهي ايضاً نجيلية وتكون جزيلة الفائدة لانها تظل خضراء طيلة العام وتحول دون انجراف التربة نظراً لمنظومتها الجذرية النامية جداً .

٤ ـ Bouteloua Gracilis, Cyndon Dactylon, Buchloe Dustyloides وهـي انـواع تعطي أوراقاً علفية مرغوبة جداً وتقاوم الجفاف بنجاح .

٥ ـ Artiplex Capensis, Artiplex Nummalúria, Salt Bush Speeies و Artiplex Semi Baccala وهي شجيرات اعطت نتائج مرضية في اوستراليا وفي افريقيا الجنوبية .

وقد كان السيد آ . جيب هو الذي اقترح على الحكومة السورية في تقرير لعام ١٩٤٧ حول التنمية الاقتصادية في سورية ادخال الانواع المذكورة اعلاه .

والواقع لم يتحقق شيء حتى الآن في مجال المروج .

القسم الثاني

جغرافية الجولان البشريّة

الفصل الاول
الجولان في التاريخ :

. . ـ تحقيق الهوية التاريخية :

اقليم الجولان الذي يشكل وحدة جغرافية بحدود طبيعية معروفة لم ينحصر دائماً ضمن هذه الحدود . فقد تقلص هذا الاقليم او تجاوز حدوده الطبيعية تبعاً للظروف التاريخية وحلت محلها حدود إدارية مطابقة لحدود السياسية الدولية . فاصطلاح الجولان « ليس له حالياً [1] سوى مدلول اداري ، يعني القسم الشمالي من الاقليم وحسب . وهو قضاء الجولان التابع لمحافظة دمشق . اما القسم الجنوبي فيشكل قضاء الزوّية الذي يتبع محافظة حوران[2] . لكن النية تتجه الى جعل هذين القضاين في محافظة واحدة مقرها القنيطرة .

وفي زمن الحكم العثماني كانت الحدود الادارية لقضاء الجولان اكثر مطابقة لحدوده الطبيعية ، وكانت القنيطرة مركز القضاء وتتبعه مديريتان إحداهما في الشمال ، مديرية الشعرة ومركزها مجدل شمس ، والأخرى مديرية الزوية في الجنوب مركزها فيق .

---

(١) في العام ١٩٥٣ عدلت التسميات الادارية لبعض المناطق والمراكز في سورية واطلقت التسميات التالية : قضاء القنيطرة بدلاً من الجولان ، قضاء فيق بدلاً من الزوّية ومحافظة درعا بدلاً من محافظة حوران

(٢) محافظة درعا .

ولم يكن الجولان يتبع وقتئذٍ ولاية الشام[1] مباشرة ، وذلك عن طريق سنجق حوران .

وقد عرف اسم الجولان في العصور الكلاسيكية ، اي العصر الروماني[2] بنفس الاسم « Goulanitide » وقد تأرجحت حدود الاقليم بين التوسع والانكماش ولهذا نجد في غربي حوران قرية سحم الجولان . وفي القرن الاول للميلاد امتد اقليم الجولان إدارياً لتشمل منطقتي الحولة وبحيرة طبرية وليصبح محاذياً لإقليم الجليل[3] . ولا يميز بعض المؤلفين غالباً ما بين الجولان وحوران وذلك لسبب بسيط هو ان الاقليمين يسترهما كليهما غطاء بركاني . ولكن ربما كان السبب الاهم في هذا الالتباس هو تصرف كتّاب اسفار التوراة الذين اطلقوا اسم باشان على كل الاراضي المحيطة بمملكة عوج ملك باتانيا (حوران) .

ولقد وضحنا في مفتتح هذه الدراسة أصالة الجولان التي لا جدال فيها . وإنه ليس من الصعب الكشف عن الاضافات التي لحقت بالتوراة . فبعض المقاطع المتفرقة التي تصف باشان لاتقصد أرض حوران بل الارض المعنية هي أرض الجولان .

فارض باشان الخصيبة المغطاة بغابات السنديان الكثيفة التي يصعب اختراقها تطابق في مواصفاتها ارض الجولان لا حوران . للدلالة على ذلك نقدم البيانات التالية :

---

(١) اي ولاية سورية ، الشام هي الاسم العربي لسورية عند الجغرافيين العرب . (المترجم)

(٢) بين القرن الاول ق . م . والقرن الرابع الميلادي . والتسمية اللاتينية أتت توكيداً للتسمية العربية الدارجة قبل ذلك بقرون . (المترجم)

(٣) ولكن في أواخر القرن الاول للميلاد الحقت منطقة الجليل وكل فلسطين بولاية سورية الرومانية . (المترجم)

١ ـ اننا لا نرى في حوران حالياً شجرة سنديان واحدة فمناخ الاقليم يتجه الى الجفاف من الحقب الجيولوجي الرابع وهو لا يساعد على تكّون الغابات .
٢ ـ نظراً لعدم توفر الخشب الصالح للبناء يستخدم حجر البازلت في حوران بدلاً عنه . وقد استطاع المهندسون في العصر الاغريقي ـ الروماني تنفيذ كل مشروعاتهم العمرانية في الاقليم بتطبيق الحجارة ببساطة ودون استخدام الملاط .

وكان الحجر هناك كافياً لسد كل الحاجات المعمارية ، لبناء الجدران والعوارض والقباب والابواب والنوافذ . ولم يكن للحجر نفس الدور في الجولان لأن الخشب الصالح للعمارة كان متوفراً .

ويشير الكاتب التوراتي بوضوح الى غنى الجولان بالمراعي والقطعان والاخشاب المتينة :

«تأكلون لحم الجبابرة وتشربون رؤ ساء الأرض كباش وحملان وأعتدة وثيران كلها من مسمّنات باشان »(١)

وفي رثاء صور : « صنعوا من بلوط باشان مجاذيفك »(٢) بيد ان هذا لا يمكن مقارنته مع حوران التي كانت دائماً أرضاً زراعية معروفة بانتاج الحبوب . اما الجولان فقد عرف بالمروج والمراعي والقطعان وهكذا فان الالتباس بين الجولان وحوران لم يفقد اقليم الجولان شخصيته التاريخية المميزة المستندة الى أساس جغرافي مكين . فعلى مر عصور التاريخ المتغير والمضطرب في الشرق الادنى ورغم تعاقب الدول والامبراطوريات فإن اسم اقليم الجولان لم يغب بل بقي غالباً محتفظاً بوجوده كوحدة جغرافية إقليمية . ففي عصر الرومان كان اقليم الجولان متميزاً عن اقليم باتانيا . وكان يشمل المنطقة الجبلية غربي باتانيا بمحاذاة الاردن مشرفاً على بحيرتي الحولة وطبرية .

---

(١) سفر حزقيال الاصحاح ٣٩ : ١٨

(٢) سفر حزقيال الاصحاح ٢٧ : ٦

أمـا العـرب قبـل الاسلام وبعده فإنهم لم يخلطوا بين الجولان وحوران . فاسم الجولان يتردد في آثار الأدب العربي قبل الاسلام . ولهذا دلالات تاريخية بالغة الاهمية بالنسبة لتاريخ الجولان كله .

فالأمـراء الغسـاسنـة وعلى رأسهم الحـارث الغسـاني ، كانـوا يحكمـون الجـولان ضمن الاقـاليم التي كانت تحت حكمهم في جنـوبي سوريـة بما فيهـا شرقي الأردن آنـذاك . وهكـذا كان هذا الاقليم عربيـاً قبـل الـدولـة العـربية الاسلامية بقرون عديدة .

٢ ـ تأثير موقع الجولان على تاريخه .

لقد أثّر موقع الجولان على مفرق طرق بشكل واضح على تاريخه كما أثر على جغرافيته .

فلعوامل مناخية كان الشرق الأدنى من اول مهد الحضارات القديمة . وعلى الصعيـد البشـري تتصف تلك الحضـارات بتحـرك دائم للشعوب على شكـل هجـرات اوغزوات او رحـلات تجاريـة مما ادى الى تمازج مستمـر بين الاقوام والشعوب في كل المنطقة .

وقـد انعكست هذه الهجـرات على اقليم الجـولان الـذي يعتـبر بـحق مفـترقـاً للطـرق وممـراً للعبـور بين كل الجهـات الشـرق والغـرب ، والشـمال والجنـوب . ولهـذا المفـترق ميـزاتـه نظـراً لوجـود منافذ منه نحو الغرب تخترق الحـواجـز الجبليـة العـالية التي تفصل ما بين الاقاليم الساحلية والداخل وهذه المنافذ يتجه احدها شمالاً الى مرجعيون في جنوب لبنان ، والثاني الى مرج ابن عامر في شمال فلسطين عن طريق جسر بنات يعقوب على نهر الاردن .

وتـوضـح لنـا مصـورات شبكـة الطـرق القـديمة الدور الذي استأثر به الجـولان في العـلاقـات ما بين شعـوب الشـرف الادنى القديم .[1] هذا الموقع الـذي كان مشجعـاً على المـرور في كل الاتجـاهـات لم تكن له آثار إيجابية دائماً

---

(١) انظر المصور في :

poidebard, le lim romain dans le desert de syrie,Bevrouth 1933.

Dussaud,la Topgwyhie tuslorquue oe la syrie auditne et mrdévale 1927.

بالنسبة للاقليم ، بل على العكس ، كانت له نتائج سلبية وغير طيبة . فعن هذا الطريق مرت جيوش الفراعنة المصريين وملوك آشور وبابل وفارس واليونان . ولم يعرف اقليم الجولان الاستقرار الاّ عندما جاء الرومان على انقاض الممالك المنهارة . لكن الهدوء مالبث حتى تلاشى عندما نشب الصراع بين إمارتي الغساسنة في الشام والمناذرة اللخميين في العراق بتحريض من الروم ومن الساسانيين .

وفي الجولان كانت المعركة الفاصلة على اليرموك عام٦٣٦ م التي انتهت بانتصار العرب على جيوش امبراطورية الروم التي تراجعت وتركت سورية بين ايدي القادة العرب وعلى رأسهم أبي عبيدة عامر بن الجراح وخالد بن الوليد .

ولكن الغزو الاوربي الصليبي ثم الاجتياح المغولي للمشرق العربي الاسلامي جعل من ارض الجولان من جديد ارض معركة وجبهة صراع . وفي عصرنا الراهن بعد ان اضحت الجولان مجاورة بصورة مباشرة لاسرائيل التي قامت على أرض فلسطين العربية كان علها ان تحتمل اكثر من اية أرض سورية أخرى نتائج الصراع العربي الصهيوي .

٣ ـ الجولان عبر التاريخ :

ليس في نيتنا تقديم دراسة تاريخية مفصّلة عن هذا الاقليم . فلا يعنيا هنا من التاريخ الاّ ما يساعد على فهم المظاهر البشرية في الجولان . ولذا فاننا سنكتفي بعرض لمحة تاريخية مختصرة نبن فيها كيف تعاقبت الموجات البشرية عبر الاجيال في هذه المنطقة من سورية . ولكن الامر لايبدو هنا سهلاً نظراً لقلة الدلائل الاثرية الظاهرة . وأبرز هذه الآثار الباقية هي التي ترجع الى عصر الصراع الذي نشب في البلاد بعد الحملات الاوربية الصليبية .

وأهم المواقع التاريخية التي نجد فيها آثاراً باقية : فيق ، العال ، خسفين ، كفر حارب ، مومسية ، صرمان . أما أهم بقايا الحصون التي بنيت زمن الصراع العربي ـ الاوربي الصليبي وماتزال تحتفظ حتى اليوم بأسس بنيانها ومعالمها فهي قلعة الحصت التي تسيطر على بحيرة طبرية

وقلعة الصبية او النمرود قرب بانياس .[1]

ان اختفاء معظم آثار الجولان يمكن تفسيره بالوقائع التالية :

١ ـ إن منطقتنا هي الآن كما كانت في الماضي مقرّ حياة بشرية ريفية بصورة مطلقة فالفلاحون والرعاة الذين عاشوا في المنطقة لم يهتموا أبداً ببناء القصور والمعابد ، بل اكتفوا بالاكواخ والبيوت الريفية .

٢ ـ نظراً لوفرة الخشب الصالح للبناء ، لم يكن السكان مضطرين ، كما هو الأمر في حوران الى استخدام الحجر وحده من اجل البناء . ولما كانت السقوف الخشبية غير قابلة للصمود ، فإنها سرعان ماكانت تتساقط ، والمباني القديمة كانت بالتالي تتداعى وتختفي بينما صمدت المباني الحجرية في حوران حتى ايامنا هذه .

٣ ـ ويبدو بأن الظواهر المناخية العنيفة ، الرياح والامطار . . كانت من العوامل التي أثرت في سرعة تهدم تراث الجولان العمراني .

٤ ـ بالاضافة الى هذا فإن السكان انفسهم من فلاحين ورعاة لايقدرون قيمة هذا التراث القديم ، وقد اسهموا في اتلاف البقايا التاريخية القديمة في الاقليم . وقد استخدموا حجارة المباني القديمة المنحوتة في بناء مساكنهم وبيوتهم الخاصة . وهكذا فان قرية الرمسانية ، وهي من العصر الروماني ، قد دمّرت في مطالع الخمسينات ، بينما عمل سكان قرية نعران على اتلاف مساحات واسعة من الموزاييك الذي كان يغطي سطح الارض برسوم ونقوش رائعة وكانت في ذلك خسارة فادحة للبحث التاريخي . .

٥ ـ وبالاضافة الى العوامل المناخية وما قام به الانسان كان للهزات الارضية المريعة دور خطير في تدمير مناطق واسعة بكاملها ، ومدن وقرى . وهكذا « كانت تزول من الوجود مظاهر العمران والحياة وتنفتح الارض لتبتلع الناس وهم في مساكنهم ثم تنغلق عليهم»[1]

(١) ذكرت هذه المواقع الاثرية كذلك بتوسع في المصادر العربية . (المترجم) .

(١) انظر ن . بورون ، المصدر السابق ص ٤١ N. Bouron P.41 .

وبـالـواقـع فان العـديد من القرى المدمرة تدميراً كاملاً ، والمتروكة منذ زمن طويـل ، تبـدو آثـارهـا ماثلة حتى الآن على أرض الجـولان وبخـاصة في الجنـوب مثـل : قنيطـرة ـ الخراب . ومنصورة ـ الخراب[٢] . ولم تجر حتى الآن دراسات أثرية في هذه القرى القديمة .

فمن هذه المعطيات يمكن ان نقدم فيما يلي خلاصة عن تاريخ اقليم الجولان .

« ان الثروات الطبيعية التي تتوفر في أرض باشان (الجولان) : الغابات والمروج وحقول القمح والحبوب والمواشي ، وحجارة البناء . وطرق المواصلات التجارية التي تتجه من دمشق الى العقبة (أيلة) تفسر لنا كثافة وتوزع السكان في هذه المنطقـة ، وتقـدم لنـا اسبـاب التنـافس بين مصـر (الفـراعنـة) وبين الامـورين المنتشـرين في كل بلاد الشام[١] . وما بين المصريين والحثيين ، ثم ما بين فراعنة مصر وملوك بلاد الرافدين . وهذا التنافس بين قوى المنطقة للسيطرة على هذا الاقليم بقي مستمـراً في العهـد والعصـور التي تلت . وكـان على الجولان وأهله احتمال تنائج النزاع الحربي والسياسي بن الدول .

أمـا أقـدم الـوثـائق التـاريخيـة التي تشـير الى اقليمنا ، فهي مراسلات العـمارنـة المكتشفـة في مقـر الفـرعـون امنحـوتب الرابع (اختانون) في صعيد مصر ، وهي تعود الى القرن الرابع عشر ق . م .

ـ فبعـد حروب طويلة بين المصـريين والحثيين توصل الطرفان الى وضع حد للنـزاع وتم التـوقيـع الى معـاهـدة للسلام والتحالف أشهدت عليها الآله وجبل لبنان وجبل سيريون ـ حرمون[٢] .

وبـالـواقـع استطـاعت معاهدة التحالف (عام ١٢٧٢ ق . م) بين حاتوشيلي

---

(٢) وهي ليست القنيطـرة مركـز محافظة القنيطرة . وهناك المنصورة ايضاً قرية مأهولة بمواطنين من الجراكسة .

(١) آبل ، المصدر السابق جـ ٢ ، ص ١١ . (بالفرنسية abel) .

(٢) جبل سورية (جبل الشيخ) (المترجم) .

الثالث ملك الحثيين ورعمسيس الثاني ان تخلق جواً من التفاهم بين الطرفين ، ان الجولان كسائر سورية الجنوبية والوسطى فقد كان من حصة الفرعون المصري .

وبعد قرن واكثر من التفاهم بين مصر والحثيين انهارت الامبراطورية الحثية تحت ضربات موجات الشعوب الايجية التي غزت الشواطىء الشرقية للمتوسط ، وهي الشعوب التي عرفت بالوثائق المصرية باسم شعوب البحر .

لقد شجع اختفاء الامبراطورية الحثية في القرن الثاني عشر ، ظهور الأشوريين على مسرح الأحداث في المنطقة حتى اصبحوا القوة الرئيسية منذ القرن التاسع وبخاصة في القرنين السابع والثامن ق . م . وقد هاجم الملك الآشوري تكلات فلاصر الاول (القرن الثاني عشر) مدن الساحل (الفينيقية) وكذلك فعل شلمناصر الثالث ولكن آشور اصطدمت بمصر وحلفائها في المنطقة ، في باشان أي الجولان وحوران .

أما في القرن الخامس فإن الملوك الفرس (كورش ، وقمبيز وداريوس) استطاعوا السيطرة على بلاد سورية من الخابور الى الليطاني ، ومن الاردن الى العاصي . وعندما هزم الفرس امام الاسكندر المكدوني (٣٣٣ ق . م .) ترك الفرس سورية لليونانيين وحلفائهم ، الاسرة السلوقية التي ورثت معظم امبراطورية الاسكندر وممتلكات الفرس السابقة في آسية .

وكان الاسكندر في مسيرته الظافرة من سورية الى مصر قد اخضع الساحل السوري والقبائل المنتشرة في الجولان وباثانيا (باشان) اي منطقة الحوض الشمالي للاردن . وقد حكم السلوقيون سورية من ٣١٢ حتى ٦٤ ق . م . وقد تميزت هذه المرحلة على الصعيد الداخلي بشدة الاضطرابات والتمادي في العنف . ممازاد في حدة الفوضى قدوم قبائل بدوية عربية اخرى من اليمن والحجاز . واستمر الوضع في التدهور حتى قدوم الرومان في القرن الاول ق . م .

كان للسلوقيين مراكز كثيرة في الجولان إلاّ ان المركز الوحيد الذي بقي

محتفظاً باسمهم هو قرية سلوقية[1] .

وفي العام ٦٤ق . م . استطاع القائد الروماني بومبيوس ان ينهي المملكة السورية السلوقية وان يجعل سورية كلها تحت الحكم الروماني . وقد قسمت البلاد الى أربع وحدات إدارية : إيتوريا ، تراخونيتيد ، حوران ، وباثانيا . وفي العام ٣٦ ق . م . الحقت فلسطين ولبنان واقليم الجولان بعرش ملكة مصر كليوباترا ولكن هذا العهد لم يطل الاّ بضع سنوات وانتهى بانتصار اوكتافيوس الحاسم في معركة أكتيوم (٣١ ق . م)التي أدت الى مصرع انطونيوس والى انتحار كليوباترة .

وفي العام ٢٣ ق . م . انتزع اوكتافيوس (أوغسطس) من عبادة الثالث ملك الانباط إقليم حوران وباثانيا وتراخونيتيد ووضعها تحت إمرة هيرود الإدومي ملك اليهودية . ومع قدوم الرومان اضحت بلاد فلسطين كلها تحت سيطرة الرومان الذين جعلوا الملوك من اسرة هيرود تحت سيطرتهم المباشرة . وقد عاشت البلاد بسلام لفترة من الوقت تحت ظل الهيمنة الرومانية وعاد اليها ازدهارها وغدت واحدة من أجمل بلاد العالم .

وكان لانقسام الامبراطورية الرومانية تأثير سلبي على الاوضاع في سورية كلها واعقب ذلك فترة من الاضطرابات والغزوات . واضطرت الامبراطورية البيزنطية التي حلت في الشرق بعدئذ الى خوض غمار صراع متصل مع الامبراطورية الفارسية الساسانية .

ومنذ القرن الثالث للميلاد اندلع نزاع عنيف بين الساسانيين والبيزنطيين واستطاع الفرس في عام ٣٥٠ ايقاع هزيمة كبرى بالجيش البيزنطي وقائده بليزاريوس . وتمكن الفرس من البقاء في ارض حوران مدة خمسة عشر عاماً . ولكن هذه الفترة لم تترك اي اثر شاهد عليها .

وفي هذه الفترة تقدمت قبائل عربية كثيرة في سورية الجنوبية وكان هذا التحرك قد بدأ بقوة منذ العصر السلوقي . واستقر بنو جفنة ، الغساسنة في

---

(١) Selucie في العصر الهلنستي وهي شبيتي حسب التسمية الكنعانية ـ الامورية ورد ذكرها في نصوص العمارنة ، انظر ف . بيتري رقم ٥٦ ، ٥٧ . (المترجم) .

اقاليم الجولان وفي شرقي الاردن . بينما توجه التنوخيون الى جنوبي العراق وحوض الفرات . وقد صار الغساسنة حلفاء بيزنطة بينما غدا التنوخيون حلفاء للفرس . وهكذا كان النزاع ينشب بين الإمارتين العربيتين لمصلحة الدولتين المتنازعتين على النفوذ في الشرق القديم .

لقد طبع تاريخ سورية الجنوبية حتى النصف من القرن السابع للميلاد بالنزاع بين امبراطوريتي المشرق ولم يتوقف هذا النزاع حتى دخول العرب المسلمين الى سورية في ٦٣٦ م . لقد دخل العرب المسلمون الى سورية عن طريق الجولان . وقد وقف أمراء الغساسنة إلى جانب الروم البيزنطيين في مواجهة جيوش الفتح العربي[1] في معركة اليرموك .

وتقدم العرب المسلمون بعد انتصارهم على البيزنطيين وحلفائهم نحو دمشق وبقية مناطق سورية . لكنهم اتخذوا أراضي الجولان الغنية بالمياه والمراعي منازل لهم ومعسكرات لجيوشهم . وغدا الجولان المركز الرئيس للفعالية العربية واتخذت قرية الجابية المعروفة منذ القديم كمقر مهم للغساسنة معسكراً رئيسياً للجيش العربي واحتفظت بأهميتها خلال القرون الثلاثة الاولى[1] . وقد قام الخليفة عمر بن الخطاب بزيارة الجابية في السنة السابعة عشر للهجرة وهناك التقى بامراء المسلمين في الشام قبل ان يتوجه الى القدس . وفي الجابية ، ترأس أمير المؤمنين المؤتمر الذي تقرر فيه بالإجماع ترك الارض الزراعية بأيدي المنتفعين بها .

وفي السنة التالية ، في السنة الثامنة عشرة للهجرة ، عمّ بلاء الطاعون الرهيب ، المعروف بطاعون عمواس ، وقتئذٍ تقرر انتقال الجيش من مواقعه في الجنوب الى منطقية سليمة هي الجابية .

---

(١) انظر عزت النص ، سورية اوبلاد الشام ، اطروحة متممة ، للدكتوراة في الآداب ، باريس ١٩٥١ ، ص ١٦٥ .

(١) تهدمت الجابيه منذ زمن طويل . وكانت القرية قد بُنيت عند تل الجابية الى الشرق من منخفض الرقّاد ـ علّان وتعني كلمة الجابية بلغة البدو : المشرب ، مورد الماء .

وفي العصر الاموي إنعقد في الجابية المؤتمر الذي قرر مبايعة مروان بن الحكم بالخلافة . وفي الجابية نفسها اوعلى مقربة منها بدأ تنظيم الحركة السرّية التي كانت تعمل لنقل الخلافة الى إمام من آل البيت .

فالجولان بما له من موقع مهم الى مفترق الطرق وعلى مقربة من الاماكن المقدسة ، تلقى ضربات قاسية زمن الحروب الصليبية (بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر) . وفي تلك المرحلة كان للقلاع القائمة في المنطقة وأهمها : قلعة الحصن وقلعة الصبية ، عند بانياس ، أهمية كبيرة في السيطرة على الطرق وفي مراقبة المنطقة . وفي العام ١١٠٥ ـ ١١٠٦ تقدم الفرنجة حتى موقع العال وبنو هناك حصناً ، ولكنهم لم يستطيعوا الاحتفاظ به طويلاً . وقد وجد في إحدى الوثائق الصليبية اسم قرية الى الجنوب الشرقي من القنيطرة واسمها صُرمان .

وقد كانت طبرية ، بوصفها مقراً صليبياً ، تتلقى حتى معركة حطّين العظيمة (١١٨٧) . جزءاً هو على العموم مقدار النصف من عائدات السلط والبلقاء والجولان والمناطق المجاورة حتى حوران[٢] . وهو مايدل على ان النفوذ الصليبي كان قد امتد الى هذه المناطق .

وتلقى اقليم الجولان النتائج المريرة للغزو المغولي الثاني في مطلع القرن الخامس عشر بقيادة تيمور لنك .

ولكن اعتباراً من العام ١٥١٦ بدأ عصر جديد في تاريخ الشرق الاوسط تميز باحتلال الاتراك العثمانيين للبلاد وحلولهم في سورية محل سلطنة المماليك . قد دام هذا الاحتلال التركي أربعة قرون حتى الحرب العالمية الاولى في مطلع هذا القرن العشرين .

وقد شهدت هذه الفترة الطويلة من السيطرة التركية سلسلة من الاضطرابات عمت البلاد وكان أشدها خطراً اجتياح قوات الجيش المصري بقيادة ابراهيم باشا البلاد في الثلث الاول من القرن التاسع عشر . ومن بقايا آثار تلك الحملة المصرية على سورية جسر الرقّاد القديم وطريق يدعى الطريق المصري .

---

(٢) انظر . دوسو : طبغرافية سورية ص ٣٨٢ (بالفرنسية)

لقد جعلت الادراة العثمانية من الجولان قضاء يطابق في مساحته تقريباً الامتداد الجغرافي للجولان . لكن السلطة الفرنسية المنتدبة هي التي قسّمت اقليم الجولان إلى قضائين . اما القضاء الجنوبي فربط إدارياً بمحافظة حوران . وهذا التقسيم بقي مرعياً الى حين صدور هذا الكتاب .

والى هذه اللمحة التاريخية ينبغي ان نضيف الوقائع التالية :

١ء ـ على عكس ما يمكن ان يخطر على البال ، فإن الجولان لم يرث من ماضيه البعيد شيئاً كثيراً . فالآثار والمعالم التاريخية نادرة وقليلة الاهمية . لأن السكان المعاصرين ينتمون الى أصول مختلفة ويعتنقون مذاهب دينية مختلفة وهم لاينحدرون مباشرة من الجذور القديمة للسكان ممن عرفتهم المنطقة .

٢ء ـ فباستثناء العرب الذين يرتبطون بأرض الإقليم منذ آلاف السنين فقد قدمت حديثاً الى الجولان مجموعات من السكان واستقرت فيه واختارته وطناً الى جانب العرب السوريين . فالعرب وحدهم سواء أكانوا من الفلاحين ام من البدو يمكن اعتبارهم من السكان الاصلين وهم ينحدرون من تلك القبائل العربية العريقة والقديمة التي نزلت أرض الجولان من عصور بعيدة سبقت ميلاد السيد المسيح عليه السلام .

٣ء ـ أما توطين هذه المجموعات البشرية غير العربية الاصل في الجولان فتفسره الى حد كبيرة سياسة الدولة العثمانية الداخلية ، وما يتفرع عن هذه السياسة من مواقف الدولة تجاه الطوائف والمذاهب . وهكذا فإننا نجد مسيحيين ودروزاً وعلويين قد التجأوا إلى اماكن معينة على السفوح الجنوبية والجنوبية الشرقية من جبل حرمون حيث أقاموا قراهم وشيدوا بيوتهم بعيداً عن رقابة السلطة العثمانية المستبدة الغاشمة .

الفصل الثاني

الجغرافية الاثنولوجية في الجولان .

١ ـ المشكلة العرقية في سورية وخاصة الجولان .

انها مشكلة كثر عليها الخلاف ولم يتطرق المؤلفون اليها بشكل موضوعي ومتجرد وغالباً ما جعلوا من سكان سورية شعباً غير متجانس وبلا اصل . وهم كثيراً ما رددوا بل أفرطوا في ترديد هذه الصيغة : بأن سورية موزاييك اثني .

ان انصار النظرية القائلة بأن سورية هي « كتلة من الاجناس » هم كثر وينظرون الى هذا البلد كأنه بوتقة انصبت فيها شعوب عديدة دون انقطاع. فانطلاقاً من هذه النظرية ، يكون السوريون في أيامنا هذه احفاد المتخلفين من كل الغزوات التي تعاقبت على هذا البلد خلال تاريخه الطويل .

أمّا ما يطرح المسألة العرقية فهي الاكثرية التي تتكلم اللغة العربية . وإذ لم يكن كل هؤلاء الذين يتكلمون العربية عرباً فماذا يكونون اذن ؟ هل يمكن الكلام عن عرق او جنس سوري ؟

إذا كان بعض المؤلفين قد رأى ان يجعل من شعب سورية قطعة من موزاييك ملونة ، فإن بعض المؤلفين الآخرين يرون في هذا الشعب ، ومن المؤسف أن يكون كذلك لهدف بعيد عن الروح العلمية ، عرقاً يدعونه « العرق السوري » ، ومن هؤلاء المؤلفين هـ . لامنس[1] .

وفي العام ١٩٣٩ ، تصدى ج . فوليرس الى معارضة لامنس بقوله « ان الشرق الادنى تجاوز منذ زمن بعيد مرحلة العروق النقية »[2] . ولكنه بعد سنوات يناقض فوليرس نفسه رأيه السابق بطرح نظرية أخرى يقول فيها ان

---

(١) الأب ه . لافنس ، سورية . المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٩٢١ ص ٥ .

(٢) ج . فوليرس . J.Verulersse. le des Alaoiles, Tours (940. P.45

الاكثرية الساحقة من سكان الريف في سورية لم تتأثر بالغزوات التي تعاقبت على البلاد . وان الكتلة الكبرى من فلاحي الشرق تعود بأصولها الى جذور بعيدة وأصيلة أما الغزوات المتعاقبة لشعوب مثل الحثيين ، والآراميين والآشوريين وشعوب البحر والمصريين والفرس فلم تكن سوى غزوات عابرة . ولربما أدت الى تغيير العواصم او الى تعديل اللغات والعادات ، لكنهم لم يؤثروا ابداً على السكان الريفيين المرتبطين بالارض ارتباطاً شديداً[1] . ولكن فوليرس لم يذكر لنا بوضوح ما كان يقصده من حديثه عن الاصول البعيدة التي ينتمي اليها برأيه معظم سكان الريف السوري .

الّا ان الجغرافي السوري عِزة النص عيّن بوضوح أصول الشعب السوري بقوله : « ان الأساس المتوسطي (العربي) السامي القديم لسكان سورية لم يتأثر الّا جزئياً وبصورة متفرقة وسطحية بالغزوات التي تعرضت لها البلاد »[2] . فشعب سورية كما يرى عزة النص ينحدر من عرق عربي سوري ، ليس هو سوى الاصل المتوسطي السامي (العربي) ، وهذا الاصل تنحدر منه شعوب اخرى عاشت في سورية منذ تاريخها القديم كالآراميين .

وللأستاذ ج . دريش رأي آخر يعلن فيه مؤكداً وخلافاً للاعتقاد العام الشائع بأنه لا يوجد ما يدعى « عرق » او « نموذج » سامي اوعربي ولا يهودي . فالبدو هم في أكثرهم متوسطيون . ولكن يمكن ان يوجد على اطراف الصحراء ارمينويون وكنعانيون ، وفينيقيون وآراميون يعيشون حياة البداوة ولكنهم تعربوا ، اي اضحوا عرب اللسان وبخاصة بعد التوسع الاسلامي . اما اليهود فقد يكونون من البدو من اصول ارمينوية قدموا من الشمال على عدة دفعات خلال الالف الثاني ق . م . ولكننا نجد يهوداً من ذوي الاجسام الكبيرة والشعر الاشقر من النموذج الشمالي ، كما اننا نجد يهوداً من النموذج الايراني »[3]

---

(١) ج . فوليرس J. Veulersse, Paysaus du syrie et du Proch,

(٢) عزة النصّ I. Nouss The Ćomplemeulaire. P.286

(٣) ج . دريش J. Dresch, prećiteP . 299

فمن هذا العرض الموجز للوضع العرقي في سورية وللآراء المتعارضة حول الموضوع تبدو لنا درجة الصعوبة التي تعترض حلّ مثل هذه المسألة . فالمسألة العرقية تبرز أمامنا في الجولان ايضاً من وجه النظر الجغرافية البشرية ، ولكن هنا على الصعيد المحلي الاقليمي . ومن أجل تفهم المسألة على هذا المستوى يمكن تقديم الوقائع الأساسية :

- فالاكثرية الغالبية من السكان تنتمي الى عرق واحد . وهي تمثل بالحقيقة السكان الاصليين في الاقليم ، وهي التي تسربت الى البلاد منذ قرون قبل الميلاد . وهذه الاكثرية الغالبة تتمثل في أيامنا في الناس الذين لهم نفس الملامح ونفس اللغة وذات التقاليد . إنهم العرب سواء أكانوا بدواً ام مستقرين من الحضر . وهذه الاكثرية ينبغي ان تعتبر ممثلة لعرق يدعى العرق العربي وذلك للاسباب الآتية :

١ء - فمن الناحية التاريخية ، من المؤكد انهم من الجزيرة العربية ، من بلاد العرب . فقبائل غسّان ، والازد ، ولخم جاءت من اليمن واحتلت هذا الاقليم قبل الاسلام بقرون . اما قبائل طي فقد استوطنت ارض الجولان بعد الاسلام . وإذا ما عدنا الى النسّابين العارفين بانساب القبائل فإن قبيلة الفضل وهي قبيلة كبيرة تحتل الآن القسم الشمالي الغربي من الجولان وتقيم فيه ، ترجع بأصولها الى الفضل بن عباّس أحد ابناء عم الرسول محمد بن عبدالله(ﷺ) .

٢ء - ان مختلف القبائل من الجنوب الى الشمال تنتشر بينها لغة عربية صافية ، ولكن بلهجة خاصة بينهم ليس فيها أي تأثير غريب .

٣ء - لم يختلط عرب الجولان بالعناصر غير العربية الاصل، وهؤلاء يميلون عدة الى حياة منعزلة لاسباب مختلفة .

٤ء - ولا يمكن تمييز عرب الجولان عن عرب آخرين يعيشون في داخل الجزيرة العربية ، لابالملامح ولا باللسان ولا بالعادات .

ومع ذلك فان المجتمعات التي تنتمي الى اصول عرقية اخرى ، والتي توضعت واستقرت الى جانب السكان وبينهم لم تكن غير قابلة للتفاعل المتبادل وان المصالح المشتركة لهذه التجمعات الانسانية المتعايشة قرّبت فيما بينها

اما الشروط الطبيعية السائدة في البيئة فقد فرضت أكثر واكثر اشكالاً من الحياة مختلفة ولكنها محددة . وهكذا حلّ محل الموزاييك العرقي موزاييك اجتماعي واخيرا هناك حقيقتان اساسيتان لابد من تسجيلهما :

١) استطاعت الاكثرية العربية من سكان الجولان ان تفرض لغتها وتقاليدها الشعبية وعاداتها على الاقلية المهاجرة .

فالتركمان لا يتكلمون الآ لغة تركية اصابها الفساد . فالمفردات المستخدمة في الحياة اليومية هي اكثرها مفردات عربية . اما الأجيال الجديدة من الجراكسة واليوروك فانهم يتكلمون العربية ال جانب لغتهم الأم . ومهما كانت المدة التي أعقبت الاستقلال قصيرة فقد كان التعريب خلالها سريعاً وعميقا . وقد كان التعليم هو الوسيلة الناجعة لتحقيق هذا الهدف . والملابس التقليدية الخاصة بالمجموعات السكانية اختفت تماماً . واضحى اللباس يرتبط بنوع العمل ، فالفلاحون الى اي اصل انتموا لهم زي واحد .

٢) اما الوسط الطبيعي فله دور مهم في تحديد الخصائص الطبيعية للناس . فالاختلاط بين عناصر السكان بلغ حداً ادى الى ضياع الخصائص العرقية لبعض السكان الذين ينحدرون من اصول غير عربية ، كالتركمان الذين ينتمون العرق المغولي ، والجراكسة الذين يعتبرون من الهندواوربيين . فالتركماني في الجولان لايمكن تمييزه من العربي شبه الحضري ، إن من حيث الخصائص الطبيعية او اللغة او اللباس ، حتى ان المعيشة عند هؤلاء واولئك هو واحد تقريباً . اما الخصائص الطبيعية التي تنسبها الآنسة برو Proux للجراكسة في الجولان فإنها تصبح بالتدريج اقلّ وضوحاً . ومع ذلك فانه من المستبعد ان نعثر على نفس الخصائص الطبيعية عند افراد انتموا الى مجموعة عرقية واحدة . وهنا يحسن أن نذكّر بما سبق ان كتبه فيدال دولابلاش (vidal de la Blache) : « عندما يحاول المرء ان يميز بالاستناد الى الدلائل الانثروبولوجية ، مهما كانت مشهورة بثباتها ، العناصر التي يتألف منها التركيب السكاني ، ليس في قطر كبير وحسب بل وفي اقليم صغير اقل اتساعاً ، يمكن للمرء عندئذٍ ان يتأكد

من شيء بسيط جداً من الاشياء بأن غياب التجانس هو القاعدة السائدة »[1]

٢ ـ العرب في الجولان : ـ

لايمكن ان نحـدد بدقـة متى بدأ تسـرب العـرب الى الجـولان . فالمؤرخون الذين عثروا على آثار الوجود العربي في الجولان منذ الفي سنة قبـل الميـلاد يلاحظون ان التدمريين والانباط الذين اضحى لهم دور مهم جداً في العصـرين السلوقي والـرومـاني كانوا من العرب . فالملوك الانباط كانوا يسيطرون بالواقع على أراضي الجولان وحوران قبل ان تنتقل البلاد الى ايـدي الـرومان . وان الامبراطور الروماني اوغسطوس هو الذي أحل هيرود الإدومي محل عبـادة الثـالث في العـام ٢٣ ق . م . ومهما اختلفت تفـاصيـل الاحـداث فان الحقيقـة المؤكدة هي ان الجولان كان عربيا قبل الفتح العربي الاسلامي .

فالسادة الجدد الذين حلّوا في الجولان بعد الاسلام واقاموا على ارضه لم يكـونـوا ليختلفـون عن المقيمين السـابقـين ، الغسـاسنة الاّ في أمر واحد هو العقيـدة الـدينيـة . فالعـرب الغسـاسنة اتخذوا المسيحية ديناً لهم حتى قبل ان تصبح المسيحيـة دينـاً معـترفاً به عند الرومان ، وبنوا كنائس في حوران وجبل الدروز . ولكن عند انتصار المسلمين في الشام انتشر الدين الجديد بينهم على نطـاق واسـع . وهكـذا بعـد فترة وجيـزة من الفتـح الاسـلامي كان التركيب السكـاني في الجـولان يتميـز بالانسجـام الشـديـد : نفس الخصـائص الانثروبولوجية ، ونفس اللغة ونفس الدين .

ولكن ضمن هذا الانسجـام السكـاني ظهـرت اختـلافـات من نوع اجتماعي . فجزء من السكان ارتبط بقوة بالارض الخصبة وبخاصة في الجنوب الغربي من البلاد وهناك يمكن ان نجد حالياً الفلاّح النموذجي في الجولان .

---

(١) ف . دولابلاش . Vidal de la Blache, Prnicipes.
de la feographie Humaine, colleclion Armaui colui..Paris 1922,P.11

ولكن جزءاً آخر من السكان بقي مرتبطاً بنمط المعاش الاصيل عند العرب ، البداوة ، ولكننا نجد ايضاً اشكالاً انتقالية ، نصف الحضر ، ونصف البدو .

ومع ذلك فمن حيث الانساب المرعية عند القبائل العربية ينتسب عرب الجولان الى اربع قبائل هي : الفضل ، النعيم ، الويسية والرفاعية وسنتناول هذه المجموعات بالدراسة في فصل خاص فيما بعد .

اما الدروز فهم اتباع المذهب الدرزي وقد طرحت مسألة أصلهم ومنشئهم وجهات نظر متضاربة خاصة عند المؤلفين الاجانب[1] . وتقيم بعض المجتمعات الدرزية حول جبل الشيخ . وهذه المجتمعات لئن كانت مستقرة إلّا أن العلاقات فيما بينها تنظمها تقاليد عشائرية .

وإذا ماطرحنا جانباً الآراء المتضاربة والغريبة التي يقدمها المؤلفون الاوربيون الذين اعدوا دراساتهم في فترة الانتداب الفرنسي عن البلاد ، فإن الرأي الارجح لدينا هو ان الدروز ينحدرون من قبائل عربية يمنية الاصل . وقد استقروا أول الأمر في لبنان متخذين ملاجىء لهم في القلاع الطبيعية الحصينية في وادي التيم . اما المذهب الدرزي فليس سوى احد المذاهب المنشقة عن الشيعة ومؤسسه هو نختكين درازي الذي يبدو بأنه كان متأثراً بالافكار الدينية والفلسفية المعروفة في عصره وهي بقايا معتقدات دينية فارسية قديمة . وقد التجأ الدروز الى الجبال الطبيعية في فترة ساد فيها التعصب الديني والنزاع بين الطوائف الذي كانت تحرض عليه السلطات التركية المملوكية في مصر وسورية ، ثم العثمانية . وبسبب المداهمات والمهاجمات التي تكررت بعنف في القرن الرابع عشر تحركت هجرة الدروز الى سفوح جبل الشيخ والى جبل حوران الذي عرف بعدئذ باسم جبل الدروز . وقد اختار الدروز لاستقرارهم قرى ذات موقع دفاعي وهم يعيشون جنباً الى جنب مع مواطنين آخرين مسيحيين وسريان . وبحسب قيود الاحوال المدنية يقيم ما يقرب من احد عشر الف مواطن سوري من الدروز في قرى حرمون الجبلية . وهم يتوزعون حسب الجدول التالي :

مجدل شمس	٣٧٨٠	نسمة
بقعاتا	١٤٠٢	=
عين قنية	١١٤٩	=
قلعة جندل	١٠٠٠	=
عرنة	٩٥٠	=
حرفاء	٦٠٠	=
بقعاسم	٤٠٠	=
عين الشعرة	٤٠٠	=
ريمه	٣٥٠	=
حينه	٢٠٠	=
شيتا	١١٥	=
خربة السودة	١٢٠	=
مزرعة المقروصة	٣٠	=
المجموع	١٠,٥٩٦	نسمة

ولكن هذه الاقام تعتبر رسمية اكثر منها حقيقية . فان هناك افراداً كثيرين ليسوا مسجلين في سجلات الاحوال المدنية ، وهناك آخرون هاجروا وتركوا قراهم منذ زمن طويل مايزالون مسجلين في سجلات الاحوال المدنية للدولة .

٢ ـ الجراكسة :

يعتبرون من حيث الأصل ، ومن حيث اللغة الام هند واوربيين تسربوا الى سورية قادمين من القوقاز مباشرة او بصورة غير مباشرة . وتعود اقدم موجة هجرة جركسية الى سورية الى عصر المماليك ولكن المنحدرين

من هذه الموجه تعربوا بصورة تامة .[1]

ولكن الجراكسة المقيمين في الجولان جاؤ وا الى سورية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وفي مطلع القرن العشرين ، وهم مسلمون وقد اندمجوا بسهولة وبسرعة في الاكثرية العربية .

ومن الجدير بالذكر ان السلاطين المماليك (الجراكسة) الذين حكموا مصر وسورية مدة تزيد على القرنين حتى مطلع القرن السادس عشر كانوا يرغبون دائماً ان ينتسبوا الى اصل نسب عربي . هكذا نجد آخر السلاطين المماليك قانصوه الغوري ، الذي سقط في معركة مرج دابق ١٥١٦ شمال حلب امام الجيش العثماني الذي كان يقوده السلطان سليم ، كان هذا السلطان المملوكي يصرح بان الجراكسة ينحدرون من نسل الامير الغساني جبلة بن الايهم الذي اعتنق الاسلام ولكنه ارتد الى المسيحية والتجأ الى القسطنطينية[2] .

في آخر القرن التاسع عشر اي مقابل ١٣١٦ للهجرة ، نشرت رسالة لمؤلف مجهول بناء على طلب الأمير رضوان بك . ففي هذه الرسالة التي تتألف من ثلاث وعشرين صفحة نجد الرواية التالية لمسألة تفسير أصل الرواية : « اثناء أحد المهرجانات أفلت من « أكسة بن عكرمة » وهو زعيم قبيلة عربية قريشية هي قبيلة بين عامر ، سهم أصاب عين عربي آخر من قبيلة اخرى . وعندما شكا المصاب أمره للخليفة عمر ارسل يستدعي المتهم ليدينه ويعاقبه . وكانت العقوبة المنتظرة هي العين بالعين حسب قانون الجزاء القرآني .

ولكن « كِسَّة » وجد انه من المستحيل القبول طوعاً بعقوبة من هذا النوع فخرج ليلاً مع قبيلته وتوجه الى بلاد الروم (بيزنطة) . وفي صبيحة اليوم التالي كان الناس يرددون « ساركسة »وهو مايعني بالعربية ان ذلك

---

(١) انظر بهذا الصدد أطروحة عزة النص .

(٢) انظر ابن ایاس ، مؤرخ من مصر من العهد المملوكي بدائع الزهور في وقائع الدهور (مجلدان) القاهرة ، بولاق ١٣١٢ هـ (بالعربية) ؛ انظر مجالس السلطان قانصوه الغوري ، تحقيق الدكتور عبدالوهاب عزّام .

الـرجـل مضى في سبيله ، وهكذا تطور من هذه الكلمة اسم السراكسة او الجـراسكـة والشـركس بعـدئذ . وهناك مؤلف هو إيتك ناميتوك يجعل من الجـراكسـة والألبان والاكراد ثلاثة فروع تعود بأصولها الى ثلاثة أمراء اخوة من بلاد العـرب . ومما هو اكثر غرابـة ما يتردد على افـواه الناس في هذا الصـدد أن قبـائـل العنزة المشهورة بأنها من قبائل الجمّالة ، وهي تأتي عادة الـى مراعي الجـولان وتنـزل على ارضـه في سمي الجفـاف تزعم بان الجراكسة والعنِزة ينحدرون جميعاً من اخوين : عنز جد العنزة ومعز جد الجراكسة .

والمهم ان كل هذه الشـروح المـرواة والمتـداولـة عن اصول الانسان واتصالها وإن كانت غير مقبولة عند الأنثروبولوجيين فإن لها الفضل مع ذلك في ابـراز مابـين الجـراكسة والعرب سكان الجولان من صلات بسيكولوجية عميقة . وفيما عدا هذا فإنه يكاد يكون بحكم المؤكد ان الجراكسة هم في الاصـل هنـدواوربيـون إينحـدرون من الشعـوب الجبلية الشمالية كالحثيين الذين كانوا سيطروا مدة طويلة خلال التاريخ القديم على بلاد الاناضول وسورية الشمالية .[1]

«والجـراكسـة مشهـورون بجـمال عرقهم : طوال القامة ، وامتداد القـوام والجبهـة البـارزة ، والأنف المستقيم والتقـاطيـع المشكّلة بصـورة سليمـة ، واللون الصـافي والشعـر الاملس او القليـل التجعيد ، والعيون البنيّـة او الـزرقـاء ، كل هذه الصفـات تفـرض تصنيف الجـراكسـة بين الشعوب الهند واوربية »[2]

ولكن هذه الخصـائص الطبيعيـة تصبـح بالتـدريـج اقل وضوحاً . ولاشك ان ماطرأ على الخصائص العرقية من تغيير انما يعود الى الشروط الطبيعية القاسية التي احاطت بهم وكذلك الى النظام الغذائي الذي يتوفر

---

(١) يوسف عزت باشا ، تاريخ القفقاس ، الترجمة العربية ، القاهرة ١٩٣٣

(٢) الآنسة برو ، المصدر السابق الذكر .

لهم حالياً . فالجراكسة كانوا اغنياء يملكون المواشي في موطنهم الاصلي في قفقاسيا وكانوا يكثرون من تناول اللحوم في غذائهم . لكنهم في ظروفهم الحالية يتغذون بدرجة ادنى مما سبق . فأكثريتهم فقيرة ولذا فانهم يكتفون بتغذية قليلة التنوع وغالباً ما تكون بسيطة . فهم يتناولون الحليب ومشتقاته ، والشاي والجبن وكثيراً من الخبز . وإنه لمن المؤكد ان الانسان المقيم في منطقة الجولان المعرّضة للرياح وذات الشتاء القارس يحتاج الى وجبات غذائية تشمل طعاماً مغذياً من أصناف اللحوم . والمسنّون يحتقرون عادةً الخضار كمواد غذائية ويعتبر ونها صالحة لتغذية المواشي ! : : وان الطول الملحوظ في اعمارهم هو برهان على الدور الذي يؤديه النظام الغذائي على فعالية عضوية الجسم وبالتالي على العرق .

إن جراكسة الجولان الذين يبلغ تعدادهم الآن ١٣٫٥٠٠ نسمة لم يأتوا مباشرة من بلاد القفقاس الى الجولان . فانهم بعد طردهم من قبل القياصرة الروس ، استقبلهم الباب العالي العثماني وقام بتوزيعهم على بعض انحاء الدولة . في الروملي الشرقية وفي الشمال الغربي من كردستان وجرجم في الاناضول . وكانت الحكومة العثمانية تأمل في ان تضم الجراكسة في مستوطنات عسكرية لتستخدم الافراد في قمع الثورات التي يمكن ان تندلع في بلاد البلقان التابعة لها . وهكذا أغرق الجراكسة المجندون من الروملي الثورات التي اندلعت ضد الدولة في بلاد اليوغسلاف والبلغار في بحر من الدماء . وقد حارب الجنود الجراكسة القوات القيصرية في الحرب الروسية التركية (١٨٧٥ ـ ١٨٧٧) بضراوة حتى ان الروس في مؤتمر برلين (١٨٧٨) طالبوا بادخال بند في المعاهدة ينص على منع الجركس من الاقامة في بلغاريا وسائر دول البلقان .

وهكذا فان المنفيين اللاجئين المقيمين في الروملي منذ ١٧٦٤ كان عليهم أن يأخذوا طريق الهجرة مرة اخرى . ووعندما دفعوا الى آسيا الصغرى وجدوا فيها عدداً كبيراً من أبناء جلدتهم جاؤ وا اليها بدورهم من القفقاس بعد ان اضطروا الى مغادرة وطنهم فراراً من الاضطهاد .

اما الـدولـة العثـمانية التي كانت تواجه مصاعب على حدودها وبعض الاضطرابات في بعض ولاياتها فإنها وزعت المهاجرين على الاراضي السورية على طول خطوط المعمورة بين الفرات ونهر الاردن . وما أن وصل المهاجرون الي سورية حتى وُجِّه معظمهم نحو الجولان . أما هدف خطة الادارة التركية من العمل على استقرار الجراكسة في الجولان فهو ان يجعل منهم في هذه المنطقة المضطربة الحراس الساهرين على الأمن والنظام .

وقـد اوكـل اليهم بذلـك مواجهـة دروز جبـل الشيـخ الذين يتحكمون بالمعـابـر والمـواصـلات بين حوران والجولان ، ومواجهة عرب الرولة من قبائل العنـزة الـذين اعتـادوا منـذ قرون عديـدة على رعي قطعـان إبلهم في مراعي الجولان . وقد استقبل استقرار الجراكس في الجولان بشيء من الخشية وبقليل من الـترحيب من سكـان المنطقة القدماء . وقد اندلعت المنازعات طوال عقود من السنين بين هؤلاء القادمين وبين اولئك الذين يعتبرون انفسهم كالملاكين الشرعيين للأراضي بحق اوليّة الانتفاع .

وقـد تجمـع المهاجرون الجراكسة في قرى اوفي احياء قبائلهم الرئيسية : الـداغستان ، جاجان ، ابازا ، أباظة ، قبردة ، بجدّوع ، قوشحة . . وكان اول مركز تجمع فيه الجراكسة هو القنيطرة . بينما أنشئت القرى الاخرى حول القنيطرة نفسها او المناطق الجنوبية من الجولان .

وفيما يلي مناطق تجمع الجراكسة في الجولان :

اسم القرية	عدد السكان	القبائل الرئيسة فيها
القنيطرة	٤٠٠٠	مختلفة
المنصورة	١٦٧٠	اباظة ـ بزيدوغ
صرمان (العدنانية)	١٣٤٥	بزيدوغ
مدارية(القحطانية)	١٩٣	كابردي
عين زيوان	١٢٧٠	أباظة
مومسية (الغسانية)	٣٣٥	أبازا
الجويزة	٦٥٠	أباظة ـ كابرداي
بير عجم	٧٠٣	أباظة ـ كابرداي

بريقة	٨٤٨	أباظة
الخشنية	١٩٣٦	ابازاـ اباظةـ كابرداي قره شاي
الفحّام	٣٤٦	أباظة
فزارة	٥٠	قوشحة
رويحينة	٧٠	بزيدوغ ـ كابرداي
مزرعة الفرج	٣٠	قوشحة
الحميدية	—	]تركتا للعرب
سنديانة	—	
المجموع	١٤٥٥٦	نسمة

وقد اوجدت هذه التجمعات البشرية الصغيرة في ازمنة مختلفة . فالهجرات ظلت تتوالى على الاقليم منذ عام ١٨٧٨ وحتى ١٩٤٧ . اما الفوج الاول من المهاجرين فقد وصل ما بين ٨٧٨ ـ١٨٨٧ . اما الفوج الثاني فقد حمل سكان الخشنية الذين جاؤ وا في ١٨٩٧ . اما الذين قدموا في ١٩١٢ فقد استقروا في قرية الفحّام ثم الذين اتوا في ١٩٢٢ أقاموا في الحميدية . ومن الدفعات الأخيرة من القادمين ، ثمان عائلات وصلت عام ١٩٣٠ الى القنيطرة بينما وصل في عام ١٩٤٧ خمسون رجلاً .

وقد برزت هذه التجمعات السكانية الجركسية كجزيرت اثنية ضمن المحيط العربي متميزة بلغتها وبتراثها الشعبي . ولكنها لم تبق مجموعات منعزلة ، لانها سرعان ما اخذت تندمج بطريقة او بأخرى بمن حولها :

١ء ـ فاللباس الوطني المميز اختفى تماماً حتى لباس الرأس ، القلبق ، وهو العلامة المميزة للرجل لجركسي حل محلّه لباس الرأس العربي الكوفية والعقال . أما اختفاء هذا اللباس فيعود الى الاسباب التالية :

- يكلّف غاليا .
- يشـد على الجسم فيصبـح غير مريح للعمل . فهو لباس يصلح للفرسان لكنه ليس لباساً للريفيين والفلاحين .
- وعنـدمـا جعلتـه سلطات الاحتلال اللباس الرسمي للوحدات الجركسية المسلحـة العـاملة بامـرة سلطـات الانتـداب الفـرنسيـة فقد اضحى لهذا اللبـاس ذكـرى سيئـة عنـد المـواطنين وبخاصة منذ الثورة السورية العامة (١٩٢٥ - ١٩٢٧) .

٢ء - اللغـة الجـركسيـة تختلف تماماً عن اللغة العربية ولذا فانها لا تصلح مطلقاً كلغة للتعامل مع السكان . وقد ادت الصلات المباشرة وبخاصة التعليم الى نتائج مهمة واضحت العربية لغة متداولة بين الجراكسة الذين تعلموها ويتكلمونها بطلاقة .

٣ء - للأسـلام دور اسـاسي في انـدماج الجراكسة بغيرهم من المواطنين العرب السـوريـين . فالاسـلام يؤاخي بين المؤمنين كما جاء في القرآن . وبالتالي فان الأذان والصلاة وتلاوة القرآن ، كل ذلك يتطلب معرفة جيدة باللغة العربية .

٤ء - للعـرب مكـانة عالية عند شعوب القفقاس وهم مشهورون بالنبل والكرم والفـروسيـة ، ويلتقي الجـراكسة بالعرب في قيم كثيرة فلهم جميعاً مفاهيم مشتركة عن الشرف والضيافة والشجاعة في ميدان القتال ، ويتشابهون في الثأر وفي رعاية حق الجار .

٥ء - وحتى في العهـد الـذي عملت فيـه سلطة الانتداب الفرنسي (١٩٢٠ - ١٩٤١) على تشجيـع المحـافظـة على التقـاليـد والتراث الشعبي وعلى حمايـة اللغـة الجـركسيـة فإن عدداً كبـيراً من رجـل وابناء الجراكسة انضم علانيـة الى صفـوف الحـركـة الوطنية السورية في سبيل الاستقلال وأعلن ضرورة الاندماج الطوعي في المجتمع العربي .

وقـد أدى الصـدام المسلح الـذي وقـع في القنيطـرة في ٩ أيلول ١٩٣٦ بين الجـراكسـة المؤيـدة للعـروبـة والآخرين الذين أيّدو سياسية الانتداب الفرنسي في الوقت الذي تولى فيه الوطنيون الحكم في دمشق ،

الى تغيير حاسم في الاتجاه السياسي للمجتمع الجركسي وفي موقفه من القضية الوطنية . فمنذ ذلك الوقت انتصرت العروبة في صفوف الجراكسة في الجولان وانضووا تحت لوائها بولاء وبطيب الخاطر .

٣ ـ التركمان :

عند الحديث عن السكان الذين ينحدرون من اصل تركي يجب التمييز بين طائفتين مختلفتين : التركمان القدماء واليوروك .

التركمان القدماء : لايمكن ان يعرف بدقة تاريخ دخولهم الى الجولان ولكن يمكن التأكدبأنهم كانواموجودين في المنطقةمنذ مالايقل عن ٤٠٠ سنة . وإذا كان من الممكن التأكيد على أنهم من عرق طوراني فإن المعلومات غير كافية عن تاريخهم وهناك تساؤلات عن موطنهم الأصلي وعن سبب قدومهم الى الجولان . وبهذا الصدد نجد انفسنا امام ثلاث فرضيات :

١ء ـ ان يكونوا منحدرين من القبائل التركية الشهيرة ، السلاجقة . وقد سكن هؤلاء التركمان لفترة من الوقت في فلسطين في سهول مرج ابن عامر ثم هاجروا الى الجولان لاسباب ماتزال مجهولة .

٢ء ـ يدعي التركمان انهم عثمانيون نقلوا الى الاقليم من تركيا ، وكانوا يتألفون من اربعمائة عائلة من الارستقراطية التركية ، من اجل تمدين البدوفي المنطقة .

٣ء ـ وهناك فرضية : اخرى محتملة ومفادها : انهم من العناصر التي زحفت مع القبائل البدوية التركية المخرّبة التي غزت المنطقة في عهد تيمورلنك ، وتبدولنا هذه النظرية اكثر احتمالاً من سواها لان هؤلاء التركمان مايزالون حتى الآن في مستوى بين البداوة والحضارة . اما لغتهم فقد دخلتها مفردات عربية كثيرة ، لكنهم يتحدثون العربية بطلاقة وغدوا مستعربين وتنتشر قراهم على الطريق الواصل بين القنيطرة وجسر بنات يعقوب ، المعبر الذي يربط فلسطين والجولان . ويبلغ عدد التركمان في الجولان ٤٠٠٠ اربعة آلاف نسمة منهم ٢٦٥٠ فقط مقيدون في قيود الاحوال المدنية .

واستنـاداً الى مركـز الاحـوال المـدنيـة في القنيطـرة (.آب ١٩٥٥) توزع التركمان بحسب الجدول التالي :

القرية	العدد
حفر	٤٢٣
كفر نفّاخ	٤١٥
سنديانة	٣٧٤
رزانية	١٤٣
غادرية	٢٩٧
حسينية	١٠٨
العلّيقة	١٧٢
مغاير	٣٠٠
دابية	١١٣
نعران ودير الراهب	٢١١
أحمدية	٨٤
المجموع	٢٦٥٠نسمة

ويعيش في هذه القـرى الصغـيرة عدد من البـدو الـذين يعيشـون الى جانب الـتركـمان . بينـما تعيش عائلة من اصـل تركـماني وهي غنيـة جداً في القنيطرة، وقد جاءت هذه الاسرة من دمشق لكي تمارس التجارة في هذه المدينة الصغيرة.

اليـوروك : لايختلفـون من حيث الاصل عن التركمان القدماء . لكن مجتمعهم مايـزال كأنـه لم يمسّ ولم يصبـه إلاّ تطور ضئيل . لقد قدم هؤلاء من تركيـا حيث كانـوا يعيشـون هنـاك حياة بدوية يقضون الصيف على مقربة من أسكي شهـر ويمضـون الشتـاء على مقـربـة من أزمير . وقد دفعت المنازعات العنيفة التي اندلعت بين مختلف قبائل اليوروك البعض منهم إلى الهجرة اعتباراً

من العام ١٨٧٠ . وقدم المهاجرون الى الجولان بعد ان نزلوا بجوار آضنة في كيليكية وفي أنطاكية ثم انحدروا جنوباً الى مناطق حمص ثم دمشق حتى بلغوا اراضي الغور في فلسطين وهناك فقدوا ثروتهم بفقد قطعانهم من الماعز ومن الإبل وهي حيوانات بسنامين . وعندئذ غادروا الغور والتجأوا الى ارض الجولان . ولمّا كان هؤلاء التركمان من البدو حقيقة فإنهم يتوجهون كل سنة لتمضية الشتاء في الغور ويعودون الى قراهم في بداية شهر نيسان وهم يعملون في التحطيب نظراً لغزارة الخشب في المنطقة ويبيعونه في الجولان كما يجمعون القصب وهو وفير في الغور ويبيعونه حيث يستخدم هناك في تغطية السقف .

وقد عاد اليوروك بعد الحرب العالمية الثانية الى تركيا ولكنهم لم يجدوا النظام الكمالي الذي اقيم هناك على انقاض الدولة العثمانية مواتياً لهم فعادوا عندئذ الى الجولان . وكانوا قبل عودتهم الى تركيا قد باعوا أراضيهم ولكنهم بعد عودتهم الى الجولان وجدوا اكواخهم البسيطة بينما فقدوا اراضيهم نهائياً . وهم يعيشون حالياً من عملهم في اراضي الجراكسة والعرب .

أما مركز تجمعهم الرئيسي فهو قرية عين عائشة وهي تركمانية بكاملها ويقيم فيها ٧٤٠ نسمة

الجويزة ويقيم فيها ٢٨٨ نسمة مع اكثرية جركسية

مومسية ويقيم فيها ١٠٠

المجموع ١٠٤٠ نسمة .

وبم تتأثر هذه المجموعة التركمانية من سكان الجولان بالمحيط العربي الّا قليلاً من حيث تعريب اللغة ولكنهم شديدوا التعلق بالاسلام من جهة اخرى .

٤ ـ المجموعات السكانية الأخرى :

تعيش في الجولان مجموعات سكانية اخرى أقل عدداً : الارمن والاكراد والمغاربة والتلّاوية والزنوج .

يبلغ عدد الارمن ٤١٩ نسمة يعيشون جميعاً في القنيطرة . وهم يمتهنون عدداً من المهن اليدوية والحرّة : التصوير ، تصليح الساعات ، الصياغة ، طب الاسنان ، الصيدلة .

والمجتمع الارمني غير قابل للذوبان في غيرهم . إذ انهم يختصون بمدرسة خاصة بهم ، ولهم كنيستهم وهم يحتفظون بنظامهم الوطني في التعليم ويحافظون على لغتهم الارمنية التي هي لغة الكنيسة والعبادة . وهكذا فالأرمن لايهتمون بتعلم اللغة العربية حتى ان حديثي السن منهم لايحسنون اللغة العربية ولايتكلمونها بصورة مرضية ، ويمكن التعرف عليهم بسهولة من لهجتهم الخاصة .

أما **الاكراد** فعددهم قليل جداً ولكن ينبغي التمييز ضمن الأكراد بين الفئات التالية :

١) الاكراد الذين تعربوا تماماً . فهم لايتكلمون الاّ العربية . وهم يعيشون في البدواة ويشبهون البدو العرب . ويدعوهم العرب آغا وهو لقب كردي قديم يطلق على السادة ، وهو كل ماتبقى من أصلهم البعيد .

٢) الاكراد القرويون والمقيمون في المدن . ففي القنيطرة يوجد عدد محدود حوالي ٥٠ شخصاً تقريباً . وهم يمارسون التجارة الصغيرة ولهم علاقات طيبة مع البدو . ويمتهن الاكراد في عدد من القرى مهنة البقالة او الجزارة .

٣) الاكراد الملاّكون الكبار ، وهؤلاء لهم ممتلكات واسعة يجري استثمارها بواسطة وكلاء ومرابعين في الجولان ، ولكن الملاكون يقيمون في دمشق وهم أكبر ملاكي الأراضي في الجولان . ويكتفي ان نشير الى ان ثلاث عائلات منهم تمتلك وحدها ٤٥٢٩٢٥ دونماً .

المغاربة : يتجمعون في قريتين تقعان في اقصى جنوبي الجولان وهما عابدين ومعرّابة ، وهؤلاء القادمين من افريقيا الشمالية يدعون مغاربة . وقد جاؤوا الى المشرق بعد احتلال فرنسا للجزائر في القرن الماضي . وقد تملكوا الأراضي الواسعة ومنهم الامير سعيد عبدالقادر الجزائري ، حفيد الأمير عبدالقادر الذي يتعبر واحداً من اكبر ملاكي الأراضي في الجولان . وهو يقيم في دمشق ولكنه باع جزءاً كبيراً من أراضيه .

التلاّوية : ويتألف هؤلاء من قبائل تتكلم اللغة العربية ، ويعيشون في سهل البطيحة الصغير على الضفة الشمالية الشرقية لبحيرة طبرية .

أمّا هؤلاء التلاوية فلهم ملامح وخصائص طبيعية يشبهون فيها الافريقيين من ذوي البشرة السوداء ، لكنهم أقل سواداً من الزنوج . وهم يعيشون على اراضٍ غنية بالطمي الشديد الخصوبة منذ أجيال عديدة . ومع ذلك فهم ليسوا بملاكين للارض . وهم أسوأ حالاً من كل ملاك الجولان . فأراضيهم التي كانت ملكاً لهم في الماضي انتقلت في ظروف غامضة الى ايدي باشا كردي الأصل من وجهاء دمشق .

يبلغ عدد التلاوية ٨٠٠٠ نسمة منهم الثلث ففط مسجل في قيود الدولة وسجلات الاحوال المدنية ، وفي تلك البقعة كان يعيش اجدادهم . ولكنهم بعد ان تزايد عددهم احتلوا السهل بأجمعه . وقد ظلّوا يعتبرون غرباء عن المنطقة ، لأن أصلهم البعيد غير معروف ، وتعرضوا نتيجة لذلك لمضايقات البدو العرب بصورة مستمرة . وعندئذٍ طلبوا مساعدة الباشا الكردي (وهو عبدالرحمن باشا) الذي كان يتلقى تأييد الباب العالي ودعمه . وعندئذ تمكن هذا الباشا ان يسجل اراضيهم على اسمه الشخصي وهكذا انقلب الفلاحون المساكين من التلاوية وبصورة غريبة الى مرابعين على أراضيهم التي فقدوا ملكيتها .

السود : يعيش على ارض الجولان عدد محدد من الافريقيين السود . وهم يتكلمون العربية لكن العرب البدو يدعونهم بالعبيد . ويتجمع عدد من هؤلاء السكان في قرية الرفيد ولكن عدد من هؤلاء لايزال يرتبط برباط التبعية والعبودية ببعض السادة الاقوياء لبعض أمراء القبائل من آل الفاعور شيوخ قبائل الفضل . وليس من الممكن حتى الآن حصر عدد هذه الفئة من السكان او تحديد اصولهم بصورة دقيقة (يراجع في الاصل الى المصور رقم ١١) .

الفصل الثالث
جغرافية الجولان الدينية

كما في كل الشـرق ، جولاننـا هو أرض أديـان وطـوائف ، الامـر الذي يجعل تعايش الزمر البشرية غير المتجانسة ، فوق أرض محدودة ، مسألة جد معقدة .

وفي الواقع ، ان الطوائف الدينية في منطقتنا اكثر اهمية بتأثيرها ، ان لم يكن بعـددهـا ، من الاقليـات العرقية . فبسبب عامل ديني تكتل وانعزل كل من الـدروز والمسحيـين والعلويـين في قرى جبليـة محصنة في الحرمون وفي هذه القـرى الحـرمونية الصخرية ذات التربة الفقيرة ، والبعيدة غالباً . عن الماء ، وجـد المسيحيـون واتبـاع المـذاهب الاسلامية المنشقة ملاذاً لهم ، عاشوافيه ، وكانت العزلة بالنسبة لهم وسيلة بقاء ودفاع .

والأمـر الـذي تجدر الإشـارة اليـه هو ان التجمعات الدينية قد تكشفت أشـد تماسكـاً من المجمـوعـات العرقية . وفي الواقع ، ان جماعات من الاكراد والأتـراك والشـركس قد استقـرت ، منـذ البـدايـة ، وسـط الكتلة الاسلامية العربية ، رغم الفوارق اللغوية والعرقية والفولكلورية ، واندمجت بها بسرعة . أما الدروز والمسيحيون فقد ابتعدوا بقدر ما استطاعوا، وهـم قلقين وحذرين ، وعاشت كل طائفة منهم منطوية على نفسها ، ورافضة لأي علاقة مباشرة مع الطائفة المجاورة لها .

ان الـدافـع لهذه النزعة الانعزالية ، المبنية على أساس ديني ، لايمكن أن يفسر بالتعصب فقـط ، إنـما هو نتيجـة لتـاريخ المنطقة المضطرب منذ عهد الحروب الصليبية .

لقد اتبع المماليك سياسية سيئة بحق من هم ليسوا من السنة ، وقد سار العثـمانيـون من بعـدهـم على النهـج نفسـه . إلا ان هذا الانقسام الطائفي قد

تفاقم امره نتيجة لمؤثرات أخرى جاءت من داخل منطقتنا بسبب النزاعات التي كانت قائمة بين المسلمين والمسيحيين في دمشق ، وبين الموارنة والدروز في لبنان ١٨٦٠ . وقد وجدت الارساليات الأوربية في هذا الوسط المغلق أرضاً خصبة لدعواتها التبشيرية . كذلك استفادت السلطة الفرنسية المنتدبة السابقة من هذه الانقسامات ومن تعدد الطوائف ، ففرقت لكي تسود ، وقد كان هذا العهد ، أي عهد الانتداب الفرنسي ، الفترة الملائمة الوحيدة لمسيحيي الجولان منذ الحروب الصليبية ، فقدموا من القرى متمتعين بامتيازات خاصة ليستقروا في القنيطرة . أما الشركس فقد كرسوا أنفسهم لكي يصبحوا جنداً تحت لواء الفرنسيين . ولم يكن لديهم اي امتيازات خاصة لعدم ثقة السلطة المنتدبة بالمسلمين .

هذا وتنحدر طوائف الجولان الدينية المختلفة إما من الاسلام أو من المسيحية . ورغم تجاور المنطقة المباشر مع فلسطين ، وأنها كانت تحت سلطة الهيروديين (les Herodes)[1] فليس فيها أى أثر لليهود .

ء ١ ـ المسلمون :

ويشكلون الغالبية العظمى من السكان ، وتزيد نسبتهم في كل مكان عن ٨٠٪ ، ويلاحظ ان عدد غير المسلمين يزداد من الجنوب الى الشمال . ولهذا نرى ان النسبة تختلف حسب موقع الأقضية الثلاثة التي يشملها ميدان دراستنا :

القضاء	مجموع السكان	المسلمون	النسبة
فيق أو الزوية	٢٦٦٦٧	٢٦٣٩٢	٪٩٩
القنيطرة	٦٩٥٧٢	٦٦٩٦٢	٪٩٨
المنحدر الجنوبي والجنوبي الشرقي للحرمون	١٣٦٦٢	٦٥١٠	٪٨١

(١) نسبة الى الملك هيرود اليهودي وهذا الكلام للمؤلف ويقع على مسؤوليته .

وهكـذا فان جنـوب الجـولان يظهـر تجانساً تاماً ، وهو أول قسم في سورية دخـل الاسـلام . ويفسـر تنـاقص نسبة المسلمين باتجاه الحرمون ، بتركز الاقليات المسيحية في القرى المحصنة لمنحدر هذا الجبل .

وبداخل المجموعة الاسلامية تتميز الطوائف التالية :

آ) السنـة : ويأتـون من حيث العـدد في القمـة . فبالنسبة لمجموع السكان المسلمـين الـذين يعـدون ١٠٠ر٠٠٠ نسمة ، يعد السنة حوالي ٨٥٠٠٠ أي ٨٥٪ وقـد تمركـزوا في القسمـين الجنـوبي والاوسط من الجولان . اما القسم الشـمالي فهـو موطن الطوائف التي تعتبر من قبل اهل السنة خارجة عن الإسلام .

وينقسم السنـة بدورهم الى اربعـة مذاهب ، دون كبـير فرق بين الواحد منها والآخر ، كما ان حصر عدد كل منها لم يكن موضوع عملية إحصاء .

ـ الأحنـاف : وهم المسلمـون الـذين ليسـوا من اصـل عربي : الشـركس ، الـتركـمان ، والاتـراك ، وممـا تجدر الاشـارة اليـه ، ان صلتهم بالاسـلام وثيقة ، وانهم متعصبون للاسلام اكثر من العرب انفسهم .

ـ الشوافع : وهم العرب البدو او القرويين ويشكلون بالتالي اكثرية عظمى .

ـ المالكية : وهم الجزائريون الذين جاؤ وا الى الجولان .

ـ الحنابلة : وهم افراد مبعثرون بين افراد بقية المذاهب .

ب) الـدروز : المـذهب الـدرزي ليس في الحقيقـة ديناً منفرداً وانما هو عقيدة دينيـة مشتقـة من الاسـلام . ويسمي الـدروز عقيدتهم هذه بالملّة[1] حتى لايختلط الامـر بينهـا وبـين الـدين . وقـد ولد المذهب الدرزي في مصر في كنف الدولة الفاطمية الشيعية . إلا ان التبشير بالدعوة قد توّسع على يد الفرس . ومؤسس هذا المذهب في سورية هو (Darazi) وخليفته حمزة . وقـد أدخـل هذان الفـارسيان في العقيدة الجديدة معتقدات فارسية قديمة أساسها التقمص . وفي الواقع ، كان مؤسسو المذهب يطمحون في الأكثر

---

(١) وهي غير كلمة (ملت) التركية التي تعني شعب أو قوم .

في تأسيس تنظيم سياسي سري اكثر مما يطمحون في تأسيس مذهب ديني جديد . لهذا فقد أنهى حمزة التبشير به مباشرة بمجرد موت (الحكيم) الآله المشخص . وكان الهدف من ذلك المحافظة على سرية غاية هذا التنظيم ، إذ ان تكاثر الاتباع كان يهدد بانتقال مخطوطاتهم الى أيدي غير أمينة . ولهذا أيضاً كان المذهب مغلقاً وانعزالياً من اول ولادته ، فالدرزي درزي بالولادة وليس بالهداية (هذا ما يتشابه مع اليهودية) . ويدعي الدروز بانهم المسلمونِ الحقيقيون ، ويتسمون باسم (محي الدين)الذي يعني توحيدي . ويعترفون بالنبي محمد وبالقرآن ، إلا انهم يفهمون ويفسرون النصوص بطريقتهم .

ان مبادىء المذهب الدرزي لاتهمنا ههُنا ،ونكتفي بإعطاء نتائجها الملموسة على المجتمع الدرزي .

١ ـ المجتمع الدرزي مجتمع مغلق لايمكن ولوجه والنفوذ اليه ، وعلاقاته مع الجماعات الاخرى سطحية .

٢ ـ وهو مجتمع الحلقات الدينية المغلقة والصالحة للجنسين وفيها :

١ ـ **الروحانيون** : وشغلهم الوحيد الحياة الروحية . فهم **الرؤساء** وهم الذين يعرفون كل الاسرار ، **والعقال** (جمع عقل) ويعرفون الاسرار الداخلية فقط .

٢ ـ **الماديون** : ويهتمون بالحياة المادية وهم جاهلين بالامور الروحية . ويميز بين هؤلاء الجهلة الأغرار :

ـ امراء الجهلة وهم محاربون وزعماء وطنيون .

ـ الجهلة الاغرار وهم الذين لايعرفون اي شيء عن المذهب ، يولدون ويموتون دروزاً ، إلا انهم لايمارسون واجباتهم الدينية . مع ذلك فهؤلاء العامة من الجهلة والجاهلات هم الذين يلتزمون بتأمين الأعمال التي تقتضيها الحياة اليومية للمجتمع الدرزي .

٣ ـ ويخضع المجتمع الدرزي لتأثيرات ديموغرافية ذات منشأ مذهبي مغلق فهو على عكس المجتمع الاسلامي السني ، لايعرف تعدد الزوجات ولا الطلاق إلا في حالات خاصة جداً . كما انه مجتمع الزواج المغلق

(اللحمي) حتى بين حلقات وطبقات الطائفة نفسها .

٤ ـ والدروز محاربون شجعان من الطراز الاول ، وهذا ، الى حدما ، ليس إلا نتيجة للاعتقاد بالتقمص ، فالذي يموت في حرب ما هو الجسد فقط ، أما الروح فيمكن أن تعود للظهور فوراً بشكل شخص آخر وفي مكان آخر .

هذا ويبلغ عدد دروز الجولان ١٠٧٤٦ من أصل ١٠٠,٠٠٠ مسلم .

فنسبتهم هي إذن في حدود ١٠,٧٥٪ .

جـ)العلويون : وأصلهم ومذهبهم اكثر وضوحاً من اصل مذهب الدروز . فهم يعرفون جيداً سلسلة نسبهم الذي يعود الى قبائل عربية معروفة بشكل جيد في التاريخ . ولهذاالسبب لم ندرس العلويين كأقلية عرقية . وفيما يخص مذهبهم ، فهم من الشيعة أي من الذين كانوا يرون بأن الخليفة لكي يكون شرعياً ، يجب ان ينحدر من عائلة النبي محمد أي ان يكون منحدراً من آل البيت . وهكذا فان المنحدرين من علي ومن العباس ، اقرباء الرسول ، كانوا يطالبون باستمرار بحقهم في الخلافة التي اغتصبت منهم بالقوة .

وفي عام ١٣٢ للهجرة ، عندما استولى العباسيون على السلطة ، انقسم الشيعة الى طائفتين ، كانت احداها ترى بأن الخلافة يجب ان تعاد لآل علي . وهذه الطائفة المنشقة عن الشيعة هي التي اصبحت تحمل اسم العلويين .

وفي الاساس ، لايوجد فرق مهم بين مذهبي الشيعة والسنة ـ فالشيعة يرتبطون بعلي الذي يعتبرونه الوريث الشرعي للخلافة بعد موت الرسول . وتسمية أبي بكر خليفة كانت بالنسبة إليهم نوعاً من التآمر . وواقع الحال كان السنة يعتبرون المذهب العلوي مذهباً مخالفاً ، لذا فان علماء السنة كانوا قد سمحوا للسلطان العثماني سليم الاول بشن حرب

مقدسة ومباركة من الله ضد العلويين[1] .

إلا ان العلويين كانوا في عهد الانتداب على سورية قد أعلنوا في الصحف وفي المذكرات المقدمة للحكومة السورية ولوزارة الخارجية الفرنسية ، بأنهم مسلمون ويرفضون الحكم الذاتي ، ويعلنون تمسكهم بوحدة سورية[2] .

وفي الوقت نفسه كان مفتي فلسطين الأكبر قد أصدر قراراً أثبت فيه بان العلويين مسلمون ، وعلى كل المسلمين الآخرين التعاون معهم . وفي الواقع كان علويو الجولان منذ وصولهم الى هذه المنطقة ، أقل ارتياباً من الدروز فقد استقروا في قرى أذيال الحرمون ولكن على ارتفاع أقل من ارتفاع قرى الدروز . وتاريخ استقرارهم في الجولان غير محدد . ووجودهم في المنطقة يقدر بثلاثة قرون فقط .

ولم ينس السيد شريف[3] ، الذي درس توزع العلويين في سورية ، جماعة الجولان منهم والذين يعدون ٤٤٨٣ فرداً يتوزعون على ثلاث قرى :

عين فيت	١٩٩٨
زعورة	١٨١١
غجر	٦٧٤
المجموع	٤٤٨٣ فرداً

(١) انظر الحكم الذي وجهه ابن تيمية ضد العلويين . بلاد العلويين للمؤلف الفرنسي Wessirsse ص : ٥٤ .

(٢) انظر عزت النص في الرسالة المتممة ص ٣٧٦ نصوص نشرة العالم العلوي الدورية والمذكرات السياسية التي طرحت من قبل أعضاء المؤتمر البارزين من العلويين فى القرداحة في شهر تموز عام ١٩٣٦ .

(٣) معن الشريف : العلويون من هم ؟ باللغة العربية دمشق ١٩٤٦ .

والطائفة العلوية ليست منغلقة باحكام كالطائفة الدرزية ، لانها ليست وليدة تبشير ، وبالمقابل فقد استطاعت هذه الطائفة الصمود أمام مذاهب الطوائف المجاورة مكونة مجتمعاً يتصف بنسب زيجات مبكرة وبتعدد الزوجات وندرة الطلاق .

د) **المتاولة والاسماعيليون** : وهما طائفتان شيعيتان ايضاً وعدد أفرادهما محدود .
فالاسماعيليون من الرعايا السوريين ، لم يزد عددهم في الاحصائيات عن ٧ أشخاص في كل المنطقة ، أما المتاولة[١] فيعدون اكثر من ذلك ، إلا انهم من جنسية لبنانية ، يعيشون في القنيطرة وبشكل خاص في القرى الشركسية التي سكنوها منذ زمن بعيد وتعلموا لغة سكانها . حيث يشترون من نسائها الدجاج والبيض والزبدة مقابل بيعهن المنسوجات وأدوات الطبخ . وغالبية المتاولة والشركس متمسكون بالاسلام متعاونون فيما بينهم بشكل جيد لأن الفرق بين مذهب المتاولة ومذهب السنة طفيف .

هذا ويميز بعض المؤلفين الغربيين ، وحتى السوريين ، وسط السكان المسلمين فئات مختلفة ، ليس فقط من وجهة النظر الاجتماعية ، إنما بدرجة ارتباطها بالاسلام ايضاً . وهكذا فهم يفرقون بين البدو والقرويين وسكان المدن . ان هذا التفريق اعتباطي والآراء التي تدور حوله خاطئة غالباً .

البدو[٢] : من المؤكد ان اسلام البدوي ليس متيناً ، ومعلوماته الدينية سطحية جداً . إلا أن هذا لايتنافى مع إيمانه ، كما لا يتعارض مع التأثير الهام للدين على الحياة البدوية . وهذا طبيعي ، لأن الامر لايتطلب من رجل أمي وجاهل ان يعرف بتعمق الامور الأساسية للاسلام .

---

(١) المتاولة اكثر انصار علي اخلاصاً ، ويعني اسمهم (موتوا يا أنصار علي) . وهي الجملة التي يرددونها اثناء حروبهم مع أهل السنة .

(٢) وعددهم بالدقة غير معروف ، لان معظمهم غير مسجل في سجل الاحوال المدنية . والاحصاء لايشملهم .

وفي الـواقـع ، البـدوي يخاف الله كثيراً ويخشى أداء القسم الكاذب . فحسب عاداتهم ، يصبـح المتهم بريئـاً ، مهـما كان هذا المتهم ، ومهـما كان الاتهـام خطـيراً بمجرد ان يقسم على القرآن والسيف؛ويؤدي البدوي الصلاة بصـورة بسيطـة جداً كما يصـوم شهر رمضان . إلا ان الذين يمارسون واجباتهم الدينية لا يشكلون الأغلبية كما في المدينة او الريف .

والبدوي ليس ممارساً لواجباته الدينية ، وليس تقياً حتى ولا صاحب دين كما يقـول السيـد عزت النص . غير أن هذا القـول لايجب انيعمم بصـورة مطلقة . وإذا كان البدو قد بقوا ، كما كانوا منذ زمن القبائل السامية القديمة ، أميين ومتطـيرين وغـزاة وغـلاظ القلوب فذلـك لانهم كانـوا دوماً مهملين من السلطات. فأثناء الاحتلال التركي الطويل ، لم يهتم الباب العالي بهم أبداً . على العكس من ذلك ، كانوا دوماً محتقرين ومضطهدين من قبل الاتراك .

وفي ظل الانتـداب الفـرنسي لم يستفـد البـدو من أية مبادرة لتوطينهم أو تعليمهم . وبعـد الاستقـلال لوحظت هجمـة بدويـة كبـيرة على المدارس ، لدرجـة اصبحت فيـه التنقـلات اليـوميـة لصغار الطلاب البدو في منطقتنا من المناظر المألوفة .

القـرويـون : وثقـافتهم الـدينية ليست عميقة جداً ، ومع ذلك فهم دون اي شك أكثر ممارسة للواجبات الدينية من البدو ، بدرجة لاتقل عن أهل المدن . غير ان الدكتور عزت النص يرى بأن الفلاحين ، مثل البدو ، لايملكون من الاسـلام الا الاسم . وبـالنسبـة (لـ Weulersse)فـان المظهـر الوحيد للحضارة الاسـلاميـة هو الجـامـع . وبـما أنـه لايـوجد غالباً في الريف ، إذن فالحضارة الاسلامية حسب استنتاجه « قد صممت من قبل اهل المدن ولهم » . إن هذا التحقيق حول المظهـر الحضـاري للجـامـع إذا كان صحيحاً ، فان الاستنتاج الـذي يبنى عليـه ليس كذلـك ، فالجـامـع ليس الا مركزاً اجتماعياً للصلوات المشـتركـة ، والصـلاة يمكن ان تؤدى في اي مكـان . والقـرويـون الفقـراء لايملكـون دومـاً الـوسائل التي تمكنهم من بناء جوامع فخمة ، ويكتفون غالباً بقـاعـة عامة ، بمئذنة اوبدونها . والقرى الوحيدة التي فيها جوامع تقليدية في

الجولان هي القرى الشركسية التي حرص سكانها ، عندما قدموا الى وسطهم الغريب ، على الظهور امام مضيفيهم بأنهم مؤمنون أتقياء . وتجب الاشارة في هذا المجال إلى ان الشركس كانوا قد تلقوا مساعدات خارجية لبناء جوامعهم[1] . ولكن يجب ان نشير ايضاً الى ان ندرة الجوامع في قرى الجولان ، وفي كل قرى سورية ، لاتعني أبداً بأن تأثير الدين اوبالأحرى الاسلام ضعيف في القرية . ففي كل قرية ، حتى لوكانت بدون جامع ، يوجد بكل تأكيد شيخ أوبالاصح خطيب[2] لاتقتصر مسؤوليته على اقامة الصلوات ، وإنما تشمل أيضاً أعمالاً أخرى ، أهمها القيام بمراسم الجنازات .

- وتحسم الخلافات بين القرويين غالباً حسب شرائع القرآن ، و الشيخ او المفتي هو المكلف بمثل هذه الأعمال . وفي حالة الاخفاق فقط ينقل القروي شكواه الى المحكمة المدنية .

- وعلى الرغم من التحريم القانوني ، يقوم القرويون بإتمام عقود الزواج في قراهم حسب الشريعة وبواسطة شيخ القرية . وغالباً ، لايتم تثبيت عقد الزواج في سجل الأحوال المدنية الا بعد الولادة الاولى .

- وقبل الاستقلال ، كانت المدارس نادرة في قرى الجولان ، وكان التعليم شبه ديني ، وشيخ القرية هو الذي يقوم بهذه المهمة ، ولهذا فأول شيء يتعلمه الاولاد ، قراءة القرآن ، وكتابة الرسائل .

- وفي رمضان ، يصوم كل القرويين تقريباً ، وهو الشهر الذي يستقبل بسرور ويخصص للعبادة . والعيدان الصغير والكبير ، هما العيدان الدينيان اللذان يعرفهما القرويون ويحتفلون بهما فقط .

وهكذا فان موقف الاسلام من الحياة الريفية قد أسيء شرحه من قبل بعض المؤلفين . وهذا ما وقع فيه Weulersse في قوله :

---

(١) جامع الجوسية بني بمساعدة مصري . وجامع الفحام بني بجمع التبرعات . بينما قام ثري من دمشق باعادة بناء مأذنة القنيطرة التي هدمها الرعد .

(٢) وتعني حسب التعبر المحلي الشخص الذي يستطيع قراءة وتعليم القرآن .

« ينتمي محمد لطبقة نبلاء المدن وتجار مكة القرشيين . وفي العالم الذي عرفه ، عالم الواحات لغرب شبه الجزيرة العربية ، كان ينظر الى العمل بالارض باحتقار ، وبأنه عمل رق . ولم يكن من السهل عليه امتصاص الاحتقار الشامل والبالغ للأشياء وللناس العاملين في الارض ، وتجربته محدودة في هذا المجال ؟ ففي الاناجيل يرد ذكر الحقل والحياة الريفية في كل مكان ، في حين لا أثر لمثل هذا في القرآن . وفي الأحاديث يظهر الفكر المعادي للفلاح بكل وضوح ، ففي واحد من اشهرها ، والتي نقلها ابن خلدون ، جاء بأن الرسول قد صرح عندما رأى سكة فدان بما معناه : لايدخل هذا في بيت أبداً دون أن يدخله الهوان »[1]

فالاسلام بالنسبة للمؤلف هو تمجيد بالبدو . وان عدة نقاط تجب الاشارة اليها في مقطع Weulersse السابق :

- إذا كان القرشيون حقاً ممثلين لطبقة نبلاء المدن وتجار مكة ، فالرسول كان يتيماً[2] .
- التجارة القرشية لم تكن تحتوي سوى المنتجات الزراعية . والعرب لم يحتقروا العمل في الارض ، والاعمال المحتقرة من قبل العرب ، كانت الحرف المهنية وليس الزراعة .
- يمثل القرآن الجنة دوماً ببستان ، والشيء الأساسي الذي يقدم فيها للمؤمنين هو الثمار .
- الحديث المنقول عن ابن خلدون والذي اتخذه Weulersse كمنطلق قد أسيء اختياره . فالرسول قد شجع بل حضّ اتباعه في عدة احاديث اخرى على الزراعة والغرس .
- وحسب ما جاء في القرآن « الارض لله يورثها لعباده الصالحين » . وفي التشريع العقاري الاسلامي « الأرض لمن يحييها » .

---

(١) انظر Weulesse الفلاح السوري ص ٦٩

(٢) تربى لدى عمه ، وكان في صباه راعياً للغنم يساعد عمه الذي كان فقيراً وأبا لأسرة كبيرة .

وفي الواقع ، لم يحط الاسلام من قدر العمل في الارض ، واذا كان الخليفة عمر قد منع المسلمين في المؤتمر الذي عقد في الجولان من العمل في الارض في بداية الفتح ، فذلك لانه كان يحرص على إبقاء الطبقة العسكرية غير مرتبطة بالأرض ومتحررة وطليقة الحركة .

سكان المدن : ان خطأ Weulersse كما يقول عزت النص هو الاعتقاد بهذا التمجيد من قبل الاسلام للبداوة والبدو فالاسلام بالنسبة لعزت النص ليس ريفياً ولابدوياً انما هو اسلام مدن . لأنه صمم ضمن إطار تجاري لعالم تجاري وقد اهملت الجموع الريفية من قبله لانها كانت مجهولة بالنسبة له(1) . ويميز السيد النص ايضاً في وسط مجتمع المدن نفسه بين الجموع الشعبية وبين البرجوازية التجارية والصناعية . والجموع الشعبية في المدن لاتختلف بالنسبة له عن الريفيين ، فالجهل يخيم على الجميع بشكل لايكون فيه للدين اي اثر على الاحداث الديموغرافية . في حين يرى بأنّ الاسلام هو الذي يحدد للطبقة البرجوازية الاسلامية في المدن السلوك في الحياة . فهذه الفئة ، بالمناسبة ، هي التي تسجل أعلى معدلات عرفها المجتمع الاسلامي للزيادة الطبيعية . ونحن نرى العكس ، فإذا كانت البرجوازية في المدن هي التي تسجل أعلى معدلات الزيادة الطبيعية ، فذلك لان شروط حياتهم صالحة لخفض معدلات وفيات الاطفال . وليس لهذا اي علاقة بالدين . وبالنسبة لنا ، للدين تأثير مؤكد على ديموغرافية الجموع الشعبية الجاهلة ، ان كان في الريف اوفي المدينة . فتحديد النسل لدى هذه الجموع غير معروف ، لأن الاسلام يحرمه . وحتى أشدّ الناس فقراً يتزوجون وينجبون في الغالب كثيراً من الاولاد ، لأن الأب لايتحمل همّ إطعام ابنائه . إذ ان الله يطعم كل مخلوقاته .

وهكذا فان الولادات لدى هذه المجموعات الشعبية تتعلق بحدود الخصوبة الطبيعية . إلا ان الشروط القاسية للحياة تزيد في معدل وفيات الاطفال ، وهذا ما يفسر ضعف الزيادة لديهم . وفي الواقع فان برجوازية المدن بالمعنى الكامل لاتوجد في المدينتين الجولانيتين فيق والقنيطرة ، والموجود

---

(1) عزت النص : الاطروحة المتممة ص : (٧٣)

هو صغار التجار الذين يشكلون طبقة طفيلية لاتتميز اجتماعياً عن مجموع سكان المدينة .

٢) ـ **المسيحيون** : وغالبيتهم من العرب . أوعلى الاقل من الناطقين بالضاد . مع ذلك فان عدداً من السريان يتكلمون لغتهم القديمة السريانية . كما ان للارمن لغتهم الخاصة بالطقوس الدينية .

ويتوزع مسيحيو الجولان الذين يعدون ٥٤٠٦ فرداً كما يلي :

١ ـ تجمعات ريفية بأعداد قليلة ، مرتبطة بالارض ارتباطاً متيناً ، حيث استقروا في مكانهم وسط الاكثرية المسلمة . وتوجد هذه التجمعات في الجنوب بشكل خاص ولاتتميز اجتماعياً عن الفلاحين المسلمين .

ففي خسفين يوجد ٢٢٠ مسيحيا

وفي فيق يوجد ٥٠ مسيحياً

ويطلق Weulersse على هؤلاء المسيحيين « المسلمون اجتماعياً » .

٢ ـ في قرى الحرمون في الجنوب والجنوب الشرقي ، حيث يعيشون مع الدروز في القرى نفسها . والاعتقاد السائد ان هؤلاء المسيحيين قد التجأوا الى الحرمون في نهاية فترة الحروب الصليبية ، حيث وجدوا لدى الدروز المتعاونين مع الصليبيين ملجأ لهم .

وهكذا كانت احسن طريقة بالنسبة للمسيحيين ، للدفاع عن النفس ، اثناء الاضطرابات ، تجنب الاكثرية المعادية ، بالابتعاد عنها الى المناطق الفقيرة ، والالتجاء الى السلاح أيضاً في بعض الأحيان إن لزم الامر .

٣ ـ أقلية من سكان المدن ، في القنيطرة التي وفدوا إليها من بقاع سورية ولبنانية مختلفة ، من مرجعيون ومن القرى الحرمونية وبشكل خاص من مجدل شمس .

وبعد اضطرابات عام / ١٨٦٠ / فترت العلاقات بين المسيحيين والدروز ، وقامت منازعات محلية ، خاصة في مجدل شمس ، الأمر الذي اضطر مسيحيي هذه القرى المنعزلة للتوجه الى القنيطرة ، مقر السلطة

الادارية الاقليمية ، وقد عزموا على التخلي عن كل دفاع طبيعي . ويسجل هذا الميل للانضواء المدني وجهاً ثانياً لدفاع المسيحيين في الجولان يتطابق مع مرحلة استقرار نسبي .

وفي عهد الانتداب الفرنسي جرت هجمة مسيحية نحو القنيطرة . فبعد ان قمعت سلطات الانتداب ثورة الدروز في قرى الحرمون سهلت لمسيحيي هذه القرى الاستقرار في القنيطرة وحالياً تزيد نسبة مسيحيي هذه المدينة عن ٢٠٪ من مجموع السكان . غير ان عدداً منهم لازال غير مسجل في سجل احوالها المدنية .

وليست المسيحية في الجولان اقل انقساماً الى طوائف من الاسلام . والكنائس الرئيسية هي :

آ ـ **الكنسية الأرمنية** : ويسكن /٤١٩/ أرمنياً في القنيطرة المركز المدني الوحيد في المنطقة . وهم يمثلون طائفة مسيحية خاصة ، وشعباً أصيلاً ، حافظ على لغته في المنفى وتقسم هذه الطائفة الى كنيستين : ارثوذكس وكاثوليك . وأتباع الثانية اكثر عدداً وتستخدم الكنيستان اللغة الارمنية كلغة طقوس دينية .

ب ـ **الكنيسة اليونانية** : ويجب التمييز بين الروم الارثوذكس غير المتحدين مع روما وبين الروم الكاثوليك المتحدين مع روما منذ القرن السابع عشر .

ويستعمل الكل اللغة العربية كلغة طقوس دينية ، ممثلين أقدم مجموعة مسيحية وأكبرها عدداً في البلد . فالروم الارثوذكس يعدون /٢٢٧٦/ فرداً أي ٥٠٪ من مسيحيي الجولان ، يتوزعون بالشكل التالي :

في القنيطرة	٨٥٦
في حينة	٨٠٠
في عرنة	٢٥٠
في خسفين	٢٢٠
في عين الشعرة	١٥٠
المجموع	٢٢٧٦

اما الروم الكاثوليك وعددهم ٩٩٠ فرداً متوزعين بالشكل التالي :

في القنيطرة	٥٦٠
في حينة	٢٥٠
في عين الشعرة	١٠٠
في فيق	٥٠
المجموع	٩٩٠

جـ ـ الكنيسة السريانية : يتجمع السريان الارثوذكس في القنيطرة وعددهم /١٠٥/ أفراد ، أما السريان الكاثوليك فيعيشون في قلعة الجندل . عددهم بالدقة غير معروف ولغة الطقوس الدينية للسريان رسمياً هي السريانية ، إلا ان القداس يتلى عملياً باللغتين العربية والسريانية .

د ـ البروتستانت : وعددهم قليل ويسكنون القنيطرة وعددهم فيها غير معروف :

عين الشعرة ٥٠

فيـــــق ٤

هـ ـ المارونيون : يتجمعون في القرى الدرزية عين قنية وعددهم /١٥٠/ فرداً . هذا ويتجلى مركب الاقليات الديني والعرقي للمنطقة في سكان مدينة القنيطرة حيث نجد في الواقع في هذه المدينة الصغيرة ممثلي كل الطوائف . الميسور منهم يأتي إليها لمزاولة التجارة وتحقيق بعض المكاسب . اما الفقرا فيعملوا فيها .

٣ء) تطور العلاقات بين مختلف الطوائف الدينية والعرقية والاجتماعية :

لم تكن العلاقات بين مختلف الطوائف الدينية والعرقية والاجتماعية جيدة وهادئة على الدوام ، وفي الحقيقة عرف الجولان نزاعات دموية . كانت تجري تحت أنظار السلطة المحتلة للبلاد والتي كانت تثير النزاعات بسهولة بدلاً من القضاء عليها وفي الواقع ، منذ القرن الحادي عشر وحتى

نهاية الحرب العالمية الاولى كانت السلطة بأيدي سلاطين غير عرب وغرباء عن البلاد إلا أنهم من السنيين ، وكان هؤلاء السلاطين مناهضين دوماً ليس فقط لغير المسلمين ، إنما أيضاً للذين ليسوا من السنة .

ونتذكر هنا ظلم ومذبحه الدروز من قبل المماليك في عام ١٣٠١/ ، وحملة بيبرس وقلاوون العسكرية لإخضاع العلويين ووضع حد للدعوة الى الانشقاق وكنتيجة لهذه السياسة التعسفية ، انعزلت الأقليات :

ويتميز العهد العثماني بتعدد أشكال النزاعات فمنها :

١ ـ **النزاعات الاجتماعية** : بين القرويين والبدو الذين يتركون حيواناتهم تفتك بمزروعات القروين بحرية . وموقف الأتراك من هذه النزاعات المستمرة والدموية كان غالباً موقف اللامبالاة . وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر جلبوا الشركس الى سورية ووزعوهم على اطرف المعمورة كعامل تهدئة ، الا ان الشركس وقعوا في نزاع عنيف مع القبائل البدوية ، وبشكل خاص ضد العنزة الذين كانوا يتركون ابلهم ترعى المزروعات بحرية ، بحجة أن الجولان كانت على الدوام منطقة رعيهم أي مربعهم وقد كلف هذا النزاع الخصوم غالياً . والسلطات الفرنسية المنتدبة هي التي وضعت نهاية لهذه النزاعات الاجتماعية .

٢ ـ **نزاعات عرقية** : بين العرب من جهة وبين من هم غير عرب من جهة أخرى وبالواقع فقد احتقر الاتراك العرق العربي ، لذا اصبح التركمان القدامى أسياد المنطقة وأخضعوا معظم القبائل العربية وأجبروها على دفع (الخوة)[1] وكان التركمان يعتمدون على الشركس في نزاعهم مع العرب .

وفي الواقع كان الباب العالي يدعم دوماً التركمان والشركس ويشجعهم ضد العرب .

---

(١) ليس لهذه الكلمة معنى (الأخوة) انما على العكس لها معنى التحقير والاذلال .

٣ ـ نزاعات دينية : لقد سعى الاتراك العثمانيون في وضعهم الشركس في الجولان الى جعل هذا الشعب المحارب في مواجهة البدو ، وبشكل خاص في مواجهة الدروز المحاربين الأشداء .

ان خلافاً بسيطاً بين عدد من افراد الشركس والدروز أخذ عام ١٨٨١ شكل حرب حقيقية فالترك من جهتهم شجعوا الشركس واعطوا هذا الخلاف صفة حرب مقدسة ، وسمحوا لعدد من ضباط الجيش التركي الشركس بالاشتراك في المعركة الى جانب الشركس ، وقد كلفت هذه الحرب الدروز ٦٠٠ ضحية إلا أن خسائر الأطراف الاخرى لم تكن أقل فداحة .

هكذا كان وضع الجولان حين حل الانتداب الفرنسي في عام ١٩٢٠ محل الاحتلال العثماني الطويل وهكذا أصبح للجولان ، أو بالأحرى لسورية ، أسياد جدد . وقد احتفظ هؤلاء الاسياد الجدد بشكل جيد بسياسة الامبريالية العثمانية التي كان اساسها دوماً المبدأ المعروف « فرق تسد » فمنذ عام ١٩٢١ أخذت السلطات الفرنسية تعيد تمثيل الاسطورة الاخلاقية الشهيرة وتعمل على نشرها بشكل واسع لكي تظهر للرأي العام العالمي بأن الانتداب على سورية له مبرراته وله أسباب وجوده .

ومفاد تلك الاسطورة انه اذا كان الشعب السوري غير متجانس فعلى فرنسا بموجب الحقوق والواجبات المرماة على عاتقها منذ قرون ، ان لاتتيح الفرصة للاجناس والطوائف المختلفة لتنقض على بعضها[١] فأثناء ثورة ١٩٢٥ السورية ، باستغلال الفرنسيين للروح القتالية لدى الشركس وباحيائهم للحقد القديم ، تحرك هؤلاء لمضايقة ثورة الدروز في الحرمون وحتى في جبل الدروز .

وفي الواقع لم يقم اي من المحتلين بأي عمل إيجابي لتحسين العلاقات بين عناصر السكان المختلفة . بل على العكس من ذلك فإنهم كانوا يجهدون

---

(١) عزت النص : الرسالة المتممه ص ٢٥٤

ضمناً لابقاء النزاع . لقد كان القسم الاكبر من القرى في زمن الاحتلال التركي ، محروماً من المدارس وفي بعض المدارس التي كانت موجودة في منطقتنا كان معلمون أتراك يعلمون العربية ومعلمون عرب يعلمون التركية . وكان مردود هذا التعليم عملياً لا شيء .

وفي ظل الانتداب لم يرتفع عدد المدراس بشكل محسوس والشى الجديد الذي حدث في هذه الاثناء هو ان اللغة الفرنسية حلت محل اللغة التركية في التعليم ، وان عدداً من المدارس قد افتتحت في القنيطرة لتعليم لغات الأقليات الارمنية والشركسية . وقد اتجه المسيحيون نحو اللغة والثقافةا لفرنسية .

ورغم كل هذا فان العلاقات اخذت تصبح شيئاً فشيئاً طبيعية وهادئة وفي وسط الجماعات المختلفة ظهرت حركات وطنية تهدف لتوحيد الجهود وتحسين العلاقات . وقد ادركت السلطات المنتدبة سريعاً إخفاق سياسيتها ، وكانت الآنسة Proux قد عبرت في عام ١٩٣٦ عن القلق والخطر الذي تنطوي عليه كل من الحركة الوطنية والدمج العربي . بالنسبة للشركس كانت قد كتبت مايلي :

«كانوا يبدون لنا آنذاك كأقلية مهددة . . . . وإن تنظيم الدولة العربية إذا ما استمر بتأنٍ في ظل جو من الود والألفة والاعتدال ، فإن عملية التمثل للشركس ستتحقق بدون شك شيئاً فشيئاً خلال جيلين أو ثلاثة أجيال . »[1] .

ان دمج هذه الاقلية قد تم في الواقع بأسرع مما توقعت الآنسة Proux فقد لعب الاستقلال دوراً كبيراً في دمج عناصر السكان في الجولان .

ـ لقد فتحت المدارس في كل مكان . وسهل تعليم اللغة العربية الفصحى التفاهم المشترك . وكانت اللغة العربية عاملاً أساسياً للتوحيد ، ربطت أتباع الطوائف الدينية المختلفة بالعروية . وقد كان للدين الإسلامي دور

(١) الآنسة Proux . الشركس مرجع مذكور سابقاً .

أســـاسي في ذلــك لأنــه يتطلب من المسلمـين غير العـرب معـرفـة اللغـة العـربيـة ، ليس فقط من أجـل التفـاهم مع إخوانهم في الدين ، انما أيضاً ليكونوا مسلمين حقيقيين .

- ان مصـالـح مختلف الفرقاء اصبحت تتطلب التعاون فيما بينهم . ولم يعد البـدو خصـومـاً لسكان القرى ، انما أصبحوا متممين لبعضهم البعض . والعــلاقـات بين الشـركس والـدروز أصبحت طيبـة الأخـير ون يبيعـون خضارهم وأثمارهم في قرى الشركس . بينما يبيعهم الشركس الأبقار والعجول .

- لقـد اوجـد النـزاع العـربي الاسـرائيلي ، في هذه المنطقة المجاورة للعدو شعوراً قومياً مشتركاً لعب دوراً مؤيداً للتعريب .

الفصل الرابع
دراسة ديمغرافية لسكان الجولان

١ ـ واقع وقيمة مصادرنا الاحصائية :

كنا قد ألمحنا فيما يخص القبائل البدوية ، لواقع احصاء البدو وأنصاف المستقرين الحرج[١] .

وان واقع السكان القرويين ليس ملائماً بشكل احسن للدراسة الديمغرافية التي أساسها الاحصاء .

يعود خوف سكان الجولان من التسجيل في سجل الاحوال المدنية ، بصورة أساسية الى العهد العثماني ، حيث كان عدد كبير من الاشخاص قد قتلوا واختفوا أثناء الحرب العالمية الأولى ، وكان السكان مثقلين بالضرائب مثل : العشار والمسقفات والدربية والعداد . . الخ[٢] وقد بقي هذا الخوف لدى السكان ثابتاً في اللاشعور . لذا ورغم الجهود المستمرة منذ عام ١٩٣١ لتحسين وضع الأحوال المدنية في كل مناطق سورية ، فقد بقيت الاحصائيات الديمغرافية في سورية ناقصة كماً وكيفاً بشكل عام خاصة ما يخص منها منقطتنا . ونقص آخر من الناحية الكيفية يتعلق بعدم دقة التسجيل ، إذ ان الجولاني يذهب للتسجيل في دائرة الاحوال المدنية عندما كان يطلب بطاقة شخصية . ومثل هذا لم يكن يطلب من السكان إلا منذ وقت قريب . صحيح أن دائرة الاحوال الشخصية كانت لا تعطي للمكتوم شهادة

---

(١) دفتر العشائر (سجل قبائل الفضل) الذي شكل بالقرار رقم (٥) بتاريخ ١٩٣٦/٣/٣٠ .

(٢) هذه الضرائب هي بالتوالي : للأرض ، ضريبة العشر ، الاملاك المبنية ، الطرق والقطيع .

ميلاه إلا بعد تحر وتحقيق الا انه من الطبيعي ان يكون العمر المعطى تقريبياً ومبنياً على الافتراض .

وأمام هذه الحالة في النقص وفي الالتباس والفوضى ، لوحظ منذ عام ١٩٣١ وجوب البدء بتنفيذ مشروع اصلاح لوضع الاحوال المدنية وأصبح قائم مقام القضاء منذ ذلك التاريخ ضابطاً للاحوال المدنية . ومسؤ لاً عن مسك سجلات مزدوجة وسرية في كل سنة . كما اصبح حمل البطاقة الشخصية إجبارياً على كل الرعايا الذكور الذين تزيد أعمارهم عن الـ ١٤ عاما ، وفرضت عقوبات على اهمال التصريح ضمن المدد الممنوحة . ومع ذلك لم يكترث سكان الجولان لهذه الاجراءات بشكل ملموس . ونتيجة غير مياشرة للحرب العالمية الثانية تسارعت حركة تسجيل المكتومين في دائرة الاحوال المدنية رغم ما كان قد اعطي لهم سابقاً من تسهيلات وفي الواقع فإن حصر الاعاشة بالدولة لم يحقق نتيجة كبيرة بالنسبة للاحصاءات في الجولان لان كتلة القرويين كانت تعيش اثناء الحرب اكثر من أي وقت مضى ، ضمن اقتصاد مغلق وكانت الاقمشة والسكر والشاي السلع الوحيدة التي يشتريها القرويون وكلها كانت مهربة من الاردن لتباع في الجولان بأسعار تقل عن الاسعار الرسمية . ويجب ان يضاف الى ذلك ان مخاتير القرى كانوا يوزعون مواد التموين حسب احصاءاتهم الخاصة ودفاتر العائلة المعروفة في المدن ، لم تكن موجودة في القرى .

والتعداد الذي اجري في عام ١٩٤٧ في كل المناطق السورية كان قد أعطى بالنسبة للمستقرين نتائج قريبة بشكل ملموس من الأرقام التي تتضمنها سجلات الأحوال المدنية . أما عدد البدو فقد ظهر اكثر من التقديرات السابقة . ولتحاشي تبديل غير مرغوب في مقاعد البرلمان ، فضلت الحكومة ان تعتبر تعداد ١٩٤٧ لاغياً .

وهكذا فمصدرنا الأساسي هو « statistical Abstract of Syria » الذي يغطي احصاءات تغطي فترة سبع سنين من عام١٩٤٩ الى العام ١٩٥٥ .

هذه الاحصاءات الرسمية مع الاسف لا تعطي فيما يخص الديمغرافية

على مستوى القضاء الا معلومات عامة : العدد المقدر لسكان القضاء لكل سنة للفترة المعطاة ، العدد المطلق للولادات الحية ، العدد المطلق للوفيات ، واخيراً العدد المطلق المتعلق بالجنسين. اننا امام هذا الواقع لن نستطيع اعطاء أي معلومات اكيدة حول لامور التالية :

- توزع السكان حسب السن .
- توزع نسبة الوفيات ونسبة المواليد حسب السن .
- العمر المتوسط أو امل الحياة .
- معدل الانجاب او التعويض .
- معدل الزيجات
- الولادات اللاحقة لتاريخ الزواج وعدد الاولاد المولودين سابقاً .
- نسبة الولادات الى عدد الزيجات .

اضافة الى امور اخرى مهمة جداً .

٢ ـ نمو سكان الجولان : حسب المصادر الرسمية وخلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٥٥/ ١٩٤٩ حقق سكان الجولان الذين كانوا يمثلون اكثر من ٩ر١٪ من مجموع سكان سورية نمواً يعادل ٣ر٣٪ من نحو سكان سورية[1] والجدول التالي يبين لنا زيادة السكان لقضائي القنيطرة وفيق للفترة نفسها :

السنة	قضاء القنيطرة	قضاء فيق	المجموع	الزيادة	النسبة
١٩٤٩	٤٨٤٤٦	١٤٢٤٧	٦٢٦٩٣	٥١٥٦	٨ر٣
٩٥٠	٥٣٥١١	١٤٢٣٨	٦٧٨٤٩	٢٢٨٧	٣ر٣
٩٥١	٥٥٠٠٣	١٥١٣٣	٧٠١٣٦	٢٥١٤	٥ر٣
٩٥٢	٥٦٧٤٧	١٥٣٠٩	٧٢٦٥٠	٧٠٩٨	٦ر١٠
٩٥٣	٦٤١٩١	١٦٢٥٧	٨٠٤٤٨	٢٧٢١	٣ر٣
٩٥٤	٦٦٣٢٣	١٦٨٤٦	٨٣١٦٩	٣٦٩٣	٤ر٤
٩٥٥	٦٩٥٧٢	١٧٢٩١	٨٦٨٦٣	—	—
			الوسطي	٤٠٢٨	٨ر٥

(١) بالنسبة للسيد النص .. الزيادة السنوية لسكان سورية هي ٤٠٠٠٠ نسمة وهذا الرقم بعيد جداً عن الذي تعطيه المصادر الرسمية والذي هو ١٢١٣٥٨ نسمة.

ويسمح لنا الجدول السابق ان نسجل الامور التالية :

١ ـ نمواً مستمراً لسكان الجولان .

٢ ـ عدم انتظام هذا النمو فالحد الاقصى هو ٦ر١٠٪ بينما الادنى هو٣ر٣٪ .

٣ ـ ان هذا النمو السنوي الفعلي (في السنة ولكل ١٠٠ نسمة من السكان) لايمثل معدل النمو العام الرسمي الذي هو الفرق بين معدل المواليد وبين معدل الوفيات وسنسمي هذا النمو الفعلي (معدل الزيادة) والذي يساوي ٥ر٥ في السنة ولكل ١٠٠ نسمة من السكان .

٤ ـ ان المعدل العام للنمو ، هو حسب المصادر الاحصائية نفسها ، أدنى دوماً من المعدل العام للزيادة

المعدل العام السنوي للزيادة	المعدل العام السنوي للنمو
٤٠٢٨	١٥٤٣

فالفرق هو إذن ٤٨٤٥ .

٥ ـ ان الفرق بين معدل الزيادة وبين المعدل العام للنمو يفسر بالولادات المكتومة من جهة وبالتسجيل التدريجي للبالغين غير المسجلين في سجلات الاحوال المدنية من جهة اخرى . مع ذلك ، فان معدل الزيادة هو الذي يعطينا أقرب فكرة لنمو سكان الجولان ، ذلك أن ما انجز من تقدم لازال بعيداً عن استيعاب مجمل غير المسجلين الذين يتجدد عددهم باستمرار بالولادات الجديدة غير المصرح عنها .

مع ذلك فان الزيادة المسجلة في عامي ١٩٥٠ و ١٩٥٢ هي طارئة وليس لها سوى قيمة صورية ، تفسر بهجمة من قبل غير المسجلين نحو دوائر السجل المدني بمناسبة العفو العام سنة ١٩٤٩ وبمناسبة انتخابات عام ١٩٥٢ .

---

(١) وسطي الفترة نفسها من ١٩٤٩ الى ١٩٥٤ .

(٢) المعدل المستخرج حسابياً من طرح معدل الوفيات من معدل المواليد للفترة بين (١٩٤٩ ـ ١٩٥٥)

٣ العوامل الرئيسية لحركات السكان :

١ ـ **الدين** : يلعب الدين دوراً معتبراً في ديموغرافية سكان الجولان الذين هم بالاساس سكان ريفيون مرتبطون بمعتقداتهم الدينية ، وفي الواقع ، ان الاسلام والمسيحية ، مراعاة لبقاء الجنس البشري ، يوصيان بالزواج ويحثان على الانجاب والاسلام برأي اكبر نسبة من مسلمي الجولان ، هو الذي يلعب الدور الهام .

٢ ـ **مستوى الحياة** : يعيش سكان الجولان الريفيون والبدو في ظل شروط حياة جد رديئة . الفقر هو مظهر اجتماعي يبدو في كل مكان . واقتصاد الجولان ، الذي يكاد ان يكون زراعياً فقط هو اقتصاد خاسر وغير متوازن وغير مستقر . ومع ذلك فإن لقروي منطقتنا الفقراء ، كما هو الحال في كل العالم ، كثير من الاولاد .

ومع سوء التغذية ترتفع نسبة الوفيات بينهم .

٣ ـ **التطور الاجتماعي** : في الظروف الحالية ، لازالت كتلة فلاحي الجولان تعيش في ظل شروط اجتماعية محزنة ، فالجهل شبه عام ، وان هذا الجهل هو الذي يحافظ على استمرارية تأثير الدين ، والمثقفون المتحضرون هم فقط الذين يطبقون طرق منع الحمل . ان جهل الامهات لأقل مبادىء الصحة ، والقذارة والفقدان الكامل تقريباً للخدمات الاجتماعية والصحية تدعم كلها التأثير المشؤوم لسوء التغذية على معدل الوفيات بشكل عام ، وعلى معدل وفيات الاطفال بشكل خاص . لهذا فإن المعدل العام لنمو سكان الجولان ضعيف رغم ارتفاع معدل الولادات نسبياً .

وسندرس فيا يلي تأثير هذه العوامل على معدل الزيجات والمواليد والوفيات .

أ- معدل الزيجات :

في المجموعة الاحصائية السنوية لايرد عدد الزيجات ، على مستوى القضاء حتى في السجلات الاقليمية للاحوال المدنية هذه الواقعات لاترد بشكل صحيح لأن الزيجات الريفية تعقد في القرى على يد

شيـوخ ليس لديهـم أي صك أوسجـل . وحيث يقتصـر العقـد على معرفتهم لشعائر تردد في مثل هذه المناسبات . ولا تنتقل واقعة الزواج الى قاضي المـدينـة وبالتالي الى دائرة الاحوال المدنية إلا بعد الولادة الاولى . لذلك فإننا نستطيع الجزم بأن معدل الزيجات في الجولان هو عال كما في كل الريف السوري[1]

ان الزواج بالنسبة لقروي الجولان كما هو بالنسبة للبدوي فيه ، ضرورة :

١ ـ فالمرأة في الحياةاليومية ليست اقل حيوية من الرجل ، فهي وسيلة انتاج .

٢ ـ وللدين أيضاً تأثير على معدل الزيجات « فالمسيحية تجلت كرد عنيف على حياة الفجور في الامبراطورية الرومانية كلها . وبينت حسن وطيب الزواج »[2] .

الا ان الاسـلام هو الـذي يلعب الدرو الاكثر اهمية ، فشيخ القرية يردد بصوت عال ، وهو يقوم بعقد القران تعاليم الرسول والتي اهمها :

« تزاوجوا ، تناسلوا فإني مباهٍ بكم الامم يوم القيامة . »

«الذي يتزوج يضمن نصف دينه ، فليتق الله في النصف الآخر . »

٣ ـ الا ان الوضع الاقتصادي الريفي الذي صفته الاساسية عدم الاستقرار ، هو بلا منـازع العـامـل الاسـاسي الـذي يحدد عدد الـزيجـات وشـروطها واوقـاتهـا . والسنـة التي يجود فيهـا الـزرع والـرعي هي التي تعكس الحـد الأقصى للزيجـات التي تعقـد في الجولان . مع ذلك ، فاننا لانعتقد ، كما يعتقد السيد غزت النص ، بوجود علاقة مباشرة بين كمية المطر في سنة ما وبـين عدد الـزيجات المعقودة في هذه السنة ، فنتائج غزارة الامطار لا يحس بها في العام نفسه ، بل في العام التالي على الاقل ، ثم ان مردود الزراعة

---

(١) يرى السيد عزت النص بأن المعدل الحقيقي للزيجات يتأرجح بين ٢٠٠ ـ ٢١٠ لكل ١٠٠٠٠ فرد في حين تنقص دوائر الاحصاء الرقم إلى ٤٠ لكل ١٠٠٠٠ فرد .

(٢) السيد عزت النص : الاطروحة الرئيسية ص ٢٧

لايتوقف فقط على كمية الأمطار السنوية[1]

حركـات فصليـة للزيجـات : يترك امـر تحديـد موعـد الزواج عادة لإرادة الـزوجـين المتعـاقـدين . مع ذلـك فان عدم التسـاوي في توزيـع الزيجات على أشهر النسة أمر ثابت في الجولان . ولعدم توفر الاحصاءات سنكتفي بتسجيل الفترتين اللتين يرتفع فيهما عدد الزيجات اثناء السنة :

١ ـ الربيع : (نيسان وأيار) وهي الفترة الاكثر ملاءمة بالنسبة للبدو ولكل من يمارس تربيـة الاغنـامْ . ففي الـربيـع يبـدأ عادة تسويق منتجات الحليب والصوف والحملان . والمناخ بدوره يكون اكثر ملاءمة لإقامة الأعراس .

٢ ـ نهايـة الصيف وبـدايـة الخـريف ، وهي الفـترة الملائمة بالنسبة للفلاحين الحقيقيـين ، حيث تكـون الاعـمال الـزراعيـة قد انتهت في هذه الفترة ، والمنـاخ لازال صالحـاً للافـراح العـامة . كما ان هذه الفترة بالنسبة لفلاح الجـولان هي المنـاسبـة لبيـع ابقـاره وعجـولـه للحـورانيين والدروز الذين يقصدون المنطقة . لأجل ذلك .

٣ ـ يتحـاشى شراكسـة الجـولان إتمـام الـزواج في الفـترة الواقعة بين العيدين الصغـير والكبـير وهي فترة غير ثابتة لانها تتبع التقويم القمري والهجري ويمكن ان تقع في أي فصل من فصول السنة .

طريقـة الزواج : وسنتكلم عن الشكلين الاجتماعيين الأصليين : الـزواج بطـريقـة الخطف . ويوجد لدى الشركس والعرب ، ثم الزواج بالمبادلة ، ويجدر بنا ملاحظة أن طريقة الخطف لاتعني الخطف بالقوة . كما يجب التفـريق بين طريقـة الخطف التي يمارسهـا الشـركس وبين تلك التي يمارسها العرب[2] .

---

(١) انظـر الجـدول الـذي وضعـه السيـد النص في الاطـروحـة الرئيسية ص ٢٢ . فالعلاقة بين الامطار والزيجات مختلفة حتى فيما يخص محافظة حوران .

(٢) **الـزواج بطـريقـة الخطف لدى الشـركس** : لايهتم بموضـوع الـزواج في هذا المجتمـع الا العـازبـات زوجـات المستقبل ، فالأهل يبقون بعيدين عن الموضوع ولكنهم في النهاية يجابهون بالامر الواقع ، والخطف في الحقيقة ليس الا رمزاً ، الغرض الاساسي منه هو

تعـدد الـزوجـات : تنتشر ظاهرة تعدد الزوجات بكثرة بين سكان الجـولان لأن الغـالبيـة منهم مسلمـون . وحول هذا الموضوع من المناسب تمييز عدد من الحالات :

- الذين يتزوجون مرة ثانية اثر وفاة زوجاتهم .
- الذين يتزوجون مرة ثانية بعد الطلاق .
- الذين يعيشون بوقت واحد مع زوجتين او ثلاثة وحتى أربعة .

التخلص من مهـر مبـالـغ فيـه والتهـرب من اعتبـارات اجتماعية . تعين الفتاة موعد خطفها بارادتها ، ويجب ان يتم الخطف بمعرفة شهود ، وأن يعهد بالفتاة الى وجيه أو صديق للزوج الـذي لايـرى الـزوجـة الا بعد اتمام الزواج حسب الشرع الاسلامي . وقد كان مهر الفتاة المخطـوفـة غاليـاً جداً ، إذ يتراوح بين ٦٠ و ١٠٠ ليرة ذهبيـة . ومنـذ خمسة اعـوام اتفق الشـركس على تحديـد المهـر وتـوحيـده لجميـع االطبقـات بـ ٥٠٠ ليرة سورية . ومنذ هذا التحديد أصبح الخطف نسبياً من الأمور النادرة .

الخطف لدى بدو الجـولان : ويـمـارس ايضـاً للتخلص من المهـر الـذي يسـاوي /٦٠/ رأساً من الخراف وهنا عكس الحالة السابقة يمكن ان تكون الامرأة المخطوفة متزوجة ولها اولاد وبالأصح المرأة هي التي تهرب مع رجل آخر لانعدام الوفاق مع زوجها .

وعقوبة الخطف حسب العادات المتبعة هي الموت للفارين إذا ما تمكن الزوج السابق أو أهل الزوج من القبض عليهما ويلجأ الهاربان عادة الى رئيس قبيلة اخرى يقيمان مع قبيلته عدة اعوام آمنين . وأثناء ذلك يقوم رئيس القبيلة بجمع التبرعات لدفع مهر اللاجئين عنده حيث يتجه بموكب فخم الى قبيلة المرأة المخطوفة ويدفع المهر للزوج أو لأهل المرأة إذا كانت غير متزوجة . وباتمام هذه الاجراءات ينتهي الخلاف ويزول خوف الهاربين .

الـزواج بالتبـادل أو (البـديلة) : وهي طريقة منتشرة بكثرة بين عرب الجولان ، البـدو منهم والمستقـرين حيث يمكن للرجـل ان يبـادل على أختـه أو ابنتـه بامـرأة . ولايخلو هذا الاجـراء السهـل لعمليـة الزواج من نتائج ضارة إذ أن وقوع عدم وفاق بين احدى الامرأتين المتبادلتين وزوجها يؤدي حتماً الى طلاق الاثنتين حتى لو كانت الثانية على وفاق مع زوجها .

ان كل هذه الحالات موجودة في الجولان رغم عدم ورود ذكرها في الاحصائيات .

هذا ويفسر الدروز الآيات القرآنية حسب هواهم . ويمنعون تعدد الزوجات . والشركس كذلك لايعرفون تعدد الزوجات الا في حالات خاصة .

أما البدووالقرويون ، والرؤ ساء منهم بشكل خاص ، فإنهم يكررون الزواج كلما توفرت لديهم المتطلبات اللازمة له .

الطلاق : يسمح الإسلام بالطلاق غير انه ابغض الحلال عند الله . والطلاق عملياً سهل جدا . إذ يكفي أن يردد الرجل طلاقه لزوجته أمام شاهدين ليصبح الطلاق نافذاً . مع ذلك فالطلاق لا يعرف الا بشكل محدود لدى جميع الطوائف على اختلافها .

الزواج اللحمي (أي من الاقارب) والزواج الخارجي : عملياً الزواج اللحمي معروف لدى كل الطوائف الدينية والعرقية . والاسلام يحرم فقط زواج المسلمة من غير المسلم . أما بالنسبة للرجل فالمسألة تطرح بوجه آخر ، إذ يمكنه ان يتزوج من أي امرأة الا الوثنية أو المشركة . وينصح الرسول المسلمين بالزواج البعيد من غير الأقارب حتى لايضعف النسل . ومازالت الطوائف المسيحية والدرزية والعلوية مغلقة بإحكام امام الزواج الخارجي في حين اختلط (الاسكي تركمان) بكثرة مع العرب ، أما الشركس فقد بدأوا حديثاً بتزويج بناتهم للغرباء الاغنياء الذين لهم مكانة اجتماعية مرموقة شريطة ان يكونوا مسلمين وبالتحديد مسلمين سنة[1] .

ب - معدل المواليد :

تغطي الاحصاءات الرسمية المتعلقة بمعدل المواليد في قضائي القنيطرة وفيق فترة السبع سنوات الواقعة بين ١٩٤٩ - ١٩٥٥ وسنورد فيما يلي هذه الاحصاءات لتحليلها ثم نقضها

---

(١) طردت عائلة من قرية المنصورة لأن ابنتهم تزوجت درزياً .

قضاء القنيطرة

السنة	العدد الكلي للولادات	المعدل العام للمواليد
١٩٤٩	٤١٤	٩
١٩٥٠	٢٢٥٤	٤٢
١٩٥١	١٣٦٥	٢٤
١٩٥٢	٢٠٣٢	٣٥
١٩٥٣	١٩٦٥	٣٠
١٩٥٤	١٧٣٢	٢٥
١٩٥٥	١٥٥٤	٢٢
المتوسط	١٦١٧	٢٠ر٧ في الألف

قضاء فيق

السنة	العدد الكلي للولادات	المعدل العام للمواليد
١٩٤٩	٢٠٢	١٤
١٩٥٠	١٠٨	٧
١٩٥١	١٥٨	١٠
١٩٥٢	٣٢٨	٢٠
١٩٥٣	٣١١	١٩
١٩٥٤	٥٢٦	٢٧
١٩٥٥	٤٦٧	٢٧
المتوسط	٣٢٩	١٨ر٣ في الألف

١ ـ ان معـــدل المواليد لمنطقتنا ، حسب هذه الاحصاءات ، ضعيف وغير منتظم وهـو يتفق في ذلـك مع وسطي معـدل المـواليـد لكل سورية وللفترة الواقعة بين ١٩٣٨ و ١٩٤٧ والذي كان ١٩٫٥ بالألف .

٢ ـ ان معـدل المـواليد الرسمي هذا في الواقع بعيد عن الحقيقة . والمعدل الحقيقي هو أعلى ولايقل عن / ٥٠ / بالألف ، أي قريباً جداً من المعدل البيـولـوجي للخصـوبـة العـامـة . ويجب ان يكـون معدل المواليد مرتفعاً للاسباب التالية :

ـ ان وسـائـل تحديـد النسل لازالت مجهولة تماماً عند الريفيين في الجولان ، وحتى عند سكان المدن .

ـ لايـوجـد اي قيـد مانـع لممارسة الوظائف الجنسية كما لدى بعض شعوب افريقية السوداء . بل على العكس من ذلك فالاسلام يرفض كل أساليب الحـد من النســل ، والانجـاب للاولاد هو الهـدف من الـزواج بالنسبـة للمسلم . وعقم المـرأة من الأسبـاب الـرئيسية التي تجيز الطلاق . ويعتبر القـرآن الكـريم الأولاد هبـة الله . « المـال والبنـون زينـة الحيـاة الدنيا » والمسلم يجب ألاّ يخشى الفقر بسبب كثرة الاولاد « نحن نرزقكم وإياهم . »

ـ لايوجد عدم توازن بين نسبة الجنسين .

ـ يتصف سكـان الجـولان بنوع من الفتوة الديمغرافية ، لأن ارتفاع معدل الـوفيـات يذهب بالمسنـين ، وبـالمقابل فإن عدد المواليد المرتفع يزيد عدد الفئات الفتية التي في سن الزواج .

ـ رغم نقص الخدمات الصحية ، فان الحالات المرضية المجهضة لاتعرف الا نادراً وفي مناطق انتشار الملاريا فقط .

ـ ان أشكال الزواج من الاقرباء في الجولان والتي تكلمنا عنها سابقاً ليست ضيقـة ومحصـورة كحالات زواج متحدي الدم . لذلك فانها لاتلعب دوراً هاماً في معدل المواليد .

من كل ماتقدم . كيف يمكننا إذاً أن نفسر ضعف المعدل الرسمي للمواليد ؟

١ ـ على الرغم من قسوة القانون ، فلازال عدد كبير من الجولانيين يتأخر في التصريح لدى دائرة الأحوال المدنية عن الولادة ، وغالبا ، يكون التأخر حتى سن بدء التعليم .

٢ ـ وهكذا فان اعداداً كبيرة من الولادات لاتدخل في الاحصاءات الخاصة بمعدل المواليد . وبصدد هذه الحالات يقول تقرير وزارة الصحة العامة مايلي بالحرف الواحد : « تعتقد مديرية الصحة العامة بشكل قاطع بأن الاحصاءات الرسمية الخاصة بالولادات ، وكذلك الوفيات ، تحتوي على نسبة كبيرة من الخطأ ، فهي لاتستطيع بأي شكل اعطاء فكرة صحيحة عن الحالة الصحية للسكان . ويعود السبب في هذا الخطأ لاهمال السكان وخاصة في الارياف ، التصريح لدى دائرة الأحوال المدنية عن حالات الوفيات والولادات لدرجة يصل فيه الأمر ان كثيرا من الأطفال يولدون ويموتون دون أن يسجلوا»[1] .

٣ ـ وهنالك حالة خاصة كثيرة الوقوع تحصل عندما يتوفى طفل مسجل لدى دائرة الأحوال المدنية . فإن اهل هذا الطفل لايصرحون بوفاته ليسجلوا مكانه الطفل الذي يولد فيما بعد إذا كان من الجنس نفسه ، ويعطونه الاسم نفسه .

والنتائج الضارة هنا واضحة ، فالمولود الاخير لم يصرح عنه وبالتالي لم يمثل في الاحصائيات بالاضافة الى تاريخ الميلاد المزور الذي أصبح يحمله .

وأمام هذا التقصير الاحصائي ، اضطرت السلطات الى اللجوء الى التقدير ، فقدرت المعدل الحقيقي للمواليد في سورية عامة بـ ١٠/٠ بالألف[2] . الا ان Woulersso يرفع المعدل الخاص بالارياف الى ما بين ٤٥ ـ ٥٠ بالالف .

الذكورة : فيما يخص الذكورة ، ليس لدينا الا احصائيات السنتين ١٩٥٤ و ١٩٥٥ .

---

(١) تقرير مديرية الصحة العامة لعام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ ص : ٩٣ .

(٢) عبيد ص : ٩٤

قضاء القنيطرة

السنة	ولادات الاناث	ولادات الذكور	الذكورة
١٩٥٤	٨٢٨	٩٠٤	١٠٩
١٩٥٥	٦٨٠	٨٧٤	١٢٨

قضاء فيق

السنة	ولادات الاناث	ولادات الذكور	الذكورة
١٩٥٤	٢٢٤	٢٨٢	١١٥
١٩٥٥	٢١٩	٢٨٤	١٢٩

ان هذه الاحصاءات التي لا تغطي الا عامين يمكن ان تعطينا في الواقع فكـرة واضحـة عن الـذكـورة . وهي لاتتفق مع معدلات الذكورة التي يعطيها عزت النص للقضائين نفسهما ، ١٥٥ بالمئة في قضاء القنيطرة ، و٩٠للمئة في قضـاء فيق . فالمعـدل الاول أعلى بكثـير من معدلنا ، والثاني ادنى بكثير من الذي وجدناه .

ـ وانـه لمن المفيـد مقـارنة احصائيات الذكورة مع إحصائيات التركيب الجنسي للكسان للفترة نفسها

قضاء القنيطرة

السنة	مجموع السكان	ذكور	اناث
١٩٥٤	٦٦٣٢٣	٣١٩٠٤	٣٤٤١٩
١٩٥٥	٦٩٥٧٢	٣٣٧٧٣	٣٥٧٩٩

قضاء فيق

السنة	مجموع السكان	ذكور	اناث
١٩٥٤	١٦٨٤٦	٨٩٤٩	٧٨٩٧
١٩٥٥	١٧٢٩١	٩١٨٤	٨١٠٧

إذن رغم معدل الذكورة المرتفع في منطقة القنيطرة فالاناث يتغلبون على الذكور . اما في فيق فيوجد توافق بين الذكورة والتركيب الجنسي .

ـ « ان معدلات الذكورة لاتتجاوز ابداً الوسطي / ١٠٥ / بكثير »[1]

لذلك فان المعدلات التي حصلنا عليها في جولاننا مرتفعة بشكل غير طبيعي . وهذا يفسر بان ولادات الصبية تسجل بشكل مضبوط ولا يهمل منها شيء كما يحل بالنسبة لولادات البنات ، ففي كل الشرق الاوسط العربي ، وبشكل خاص في الجولان ، لازال مولد البنت يستقبل بالسخط .

التباين في معدلات المواليد : هل يمكن الكلام عن تباين معدل المواليد حسب اختلاف الانتماء الديني والعرقي . ؟

لقد أعطى بعض المؤلفين معدلات خاصة للطوائف . ونحن من جهتنا لا نعتقد بوجود خصوبة حيوية متباينة بين الفئات البشرية المختلفة للجولان حيث يعيش الكل في ظل ظروف اجتماعية واقتصادية واحدة تقريباً .

لقد لوحظ بان معدل المواليد لدى الطائفة المسيحية في القنيطرة ضعيف نسبياً ، وهذا يفسر بوضعهم الاجتماعي الذي يسمح لهم بممارسة تحديد النسل ولكن بالمقابل فان وفيات الاطفال ضعيفة نسبياً ، وبالتالي فإن معدل النمو لديهم لايختلف بشكل محسوس عن المعدل العام للمنطقة .

حركة المواليد الفصلية (زيادة ونقصان المواليد الفصلية) : ينعكس عدم التساوي في توزيع الزيجات على أشهر السنة بتواتر فصلي للولادات .

فعلى الرغم من النقص المطلق للاحصاءات ، فإننا نعتقد بأن التواتر الفصلي للزيجات وكذلك للولادات هو إجمالاً متماثل في الواقع فإن الزيجات التي

(١) A.Sauvy السكان ـ سلسلة ماذا اعرف رقم ١٤٨ص : ٧٧

تعقـد لدى الغـالبية في نهاية الصيف ، تكون ولاداتها الاولى في بداية الصيف حيث تسجـل اعلى نسبـة للولادات ويستـاء العـامة من الولادات التي تتم في الشتـاء . والمثـل العـام الـذي يتنـاقلونـه يعـبر عن ذلـك « ان التي تتوحم في الصيف ، وتضع في الشتاء هي أسوأ النساء » .

شرعيـة الولادات : الولادات غير الشرعية تكاد لاتعرف في الجولان . والـولـد غير الشـرعي ليس له الحق في الحيـاة في هذا المجتمـع ذو العقليـة الخاصة . فولادة امرأة غير متزوجة تكفي لتبرير قتلها .

جـ ـ الوفيات

المعـدل الـرسمي للوفيـات : ليست الاحصـاءات الـرسميـة الخـاصة بالوفيات اكثر دقة من تلك التي تخص معدل المواليد . مع ذلك فإننا سنعتبرها كنقطة انطلاق :

السنة	قضاء القنيطرة		قضاء فيق	
	العدد المطلق للوفيات	معدل الوفيات	العدد المطلق للوفيات	معدل الوفيات
١٩٥٣	٤٤٣	٩ر٦ في الالف	٥١	٥ر٥ في الالف
١٩٥٤	٤٢٤	٣ر٦	١٣٨	٣ر٨
١٩٥٥	٣٣٤	٨ر٤	١١٧	٣ر٦

يبـدو المعـدل الـرسمي للوفيـات في الجـدول السـابق ، بعيداً جداً عن المعـدل الحقيقي ، وفي الـواقـع فإن الادارة الـرئيسيـة للصحة العامة ترى بان معـدل الـوفيـات يجب ان يكـون على الاقـل / ٢٥ / بالالف بالنسبـة لعمـوم سوريـة . وبـما ان جولاننـا هو من المنـاطق المهملة في سورية من النـاحيـة الصحية ، فإننا نستطيع قبول المعدل ٢٥ بالالف بدون اي تحفظ وهذا يسمح لنـا بتصنيف منطقتنا بين البـلاد التي لم تفعـل اي شيء حتى الآن من أجـل الكفـاح ضد المـوت . هذا وان الفـرق الكبـير بين معـدلي الـوفيـات الرسمي والحقيقي يفسر بالأمور التالية :

ـ ان نسبـة كبـيرة من وفيـات الاطفال لاتدخل في هذه الاحصائيات . خاصة المواليد الميتة والوفيات التي تحصل مباشرة بعد الولادة .

- ان عددا من وفيات البالغين لايبلغ عنها لان اصحابها غير مسجلين في سجل الاحوال المدنية .
- ولكن بشكل عام ، يبدو تكتم عن الوفاة . فالقروي يرى ان الموت امر سماوي ويجب على الدولة ان لاتتدخل فيه .

وفيات الاطفال : لوفيات الاطفال في منطقتنا اهمية خاصة فالاطفال يدفعون بموتهم ضريبة ثقيلة بسبب نتائج هذه الوفيات على تطور مجموع السكان ولاتميز الاحصائيات السوريه إلا نادرا بين المعدل العام للوفيات وبين المعدل العام لوفيات الاطفال . الارقام الوحيدة التي لدينا عن عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ ولعموم سورية ، تعطي فكرة عامة عن معدل وفيات الاطفال في سورية وبالتالي في الجولان :

السنة	السنة الاولى للولادة	السنة الثانية للولادة	المجموع
١٩٤٤	١٥١ في الالف	٢٤٢٫٤	٣٩٣٫٤ في الالف
١٩٤٥	١٢١ في الالف	١٨٩	٣٣٧

ان هذه المجزرة للاطفال تفسر بعدة اسباب :

١ - الغذاء هو دوما غير كاف . وحليب الام الغذاء الوحيد ، يصبح غير كافيا عندما يتقدم الطفل في السن .

٢ - تجهل الام كليا المعلومات الصحية ، حتى الاساسي فيها .

٣ - تخضع الاطفال ، وحمايتهم غالبا سيئة ، لنتائج التغيرات الحادة للطقس وبما ان مقاومتهم لها اقل من مقاومة الكبار ينتشر مرض اسهال الاطفال بكثرة عندما يشتد الحر ، ومرض التهاب القصبات والرئة عندما يشتد البرد .

٤ - لازال نوع من القدرية يسود في ريفنا « يمكن للطبيب ان يتخلص من المرض ولكن لايستطيع القيام بذلك مع الموت . » .

٥ - ندرة المراكز الصحية ، ففي كل المنطقة لايوجد سوى مركزين : واحد في القنيطرة والاخر في فيق .

اسباب وفيات البالغين : من الصعب معرفة مسببات الوفيات في جولاننا للأسباب التالية .

- نجهل بشكل تام توزع الوفيات حسب السن ، وبالتالي تأثير السن على معدلات الوفيات .

- يموت المرضى غالباً ويدفنون دون استشارة الطبيب فيبقى بذلك سبب الوفاة على الغالب مجهولاً .

- غالباً ما يساء تحديد المسبب للوفاة إما بالإهمال في حالة الشيخوخة ، أو خوفاً من ترك خبر طبيعة المرض الحقيقي ينتشر عندما يكون المرض سل أو سرطان . غير ان السبب الحقيقي للوفيات يكمن في الشروط المادية السيئة للحياة في كل الجولان .

١) سوء تغذية مزمن : فالغذاء اليومي في الواقع ناقص كماً ونوعاً والتبديل في نوع الغذاء يتم على مستوى الفصول .

- في الشتاء وهو الفصل السيء يكتفي السكان بقليل من الغذاء .

- في بداية الربيع يأكلون كميات كبيرة من الاعشاب التي تنبت تلقائياً كالخبازة والبقلة المائية وحب الرشاد مع الألبان .

- أما الصيف فإنه الفصل الجميل الذي يأكلون فيه انواعاً من الخضار والاثمار خاصة العنب والبطيخ الاحمر والتين ، مع كميات قليلة من اللحم . وهكذا يمر هذا الاسلوب الغذائي من فترة نقص غذائي الى اخرى ، لان المواد المغذية لاتتكامل في آن واحدا . وبالنتيجة يصبح النقص في الغذاء مزمناً ويضعف الجسم ويتعرض للأمراض المختلفة .

٢) نقص الحماية ضد الوسط الخارجي : فالمسكن غالباً غير صحي ، مفتوح للقوارض والزواحف والذباب والبعوض ولكل الحشرات المسببة للأمراض .

٣) والملابس هي غالباً غير كافية لحماية الجسم من متقلبات الطقس . وكثير من البدو والفلاحين وخاصة النساء والاطفال ، لازالوا يسيرون حفاة الاقدام حتى في الشتاء .

ومع ذلك فللوفيات أسباب مباشرة وظاهرة .

ـ امراض مختلفة : كالزحار والبرداء والسل والسرطان . . الخ .
ـ حوادث مختلفة .
ـ عدد كبير من النساء يمتن اثناء الولادة . حيث لايوجد اي دار للتوليد في كل المنطقة والنتيجة لكل هذه البينات والموجبات هي قصر العمر المتوسط .

ارتفاع معدل وفيات الرجال : جسم المرأة أضعف من جسم الرجل خاصة بعد ان تكون انجبت عدة مرات . وتظهر قوائم الاشخاص الذين راجعوا المركز الصحي العام في القنيطرة للعلاج ان عدد النساء كان اكثر من عدد الرجال ، وأن الأمراض التي تصيبهن كانت اكثر اختلافاً ، ومع ذلك تكشف الاحصائيات الرسمية ارتفاعا في نسبة وفيات الرجال :

السنة	الوفيات في قضاء القنيطرة		الوفيات في قضاء فيق	
	ذكور	اناث	ذكور	اناث
١٩٥٤	٢٢٤	١٦٠	٨٢	٥٦
١٩٥٥	٢١١	١٢٣	٦٥	٥٢

٤ ـ تنقلات السكان :

الى تغيرات الاحوال المدنية ، يجب ان تضاف حركات السكان بمعناها الحقيقي والتي تشكل بحركتها سمة دائمة .

وهذه الحركات ذات سمات مختلفة ولها اسباب متعددة . ويمكن ان تتم داخل الجولان فقط وسندرسها تحت عنوان (الهجرات الداخلية) أو ان تتم من الجولان نحو الخارج وبالعكس (الهجرات الخارجية) ولم تهتم الاحصائيات السورية بأي موضوع من مواضيع تنقلات السكان .

الهجرات الداخلية : ويمكن ان نميز بين عدة اشكال للهجرات الداخلية حسب توزعها الزمني . وهي غالباً مؤقتة ودورية . وهناك هجرة داخلية واحدة

نهائيـة وتتم في اي وقت ، وهي النـزوح الـريفي نحـو مدينتي القنيطـرة وفيق[1] فكل انسان ميسور الحال يأتي ليسكن في المدينة .

الهجرة الخارجية من الجولان : اخذت الهجرة الخارجية من الجولان الى البلاد الاجنبية تضعف شيئاً فشيئاً ، وبالمقابل فان المدن السورية ، خاصة دمشق ، اخـذت منـذ عدة سنـوات تجتـذب اليهـا المهـاجـرين من الجـولان . وخـلال الاحتـلال العثـماني وحتى عام ١٩٢٠ هاجـرت أعـداد من الدروز والعلويين والمسيحيين الى امريكا الجنوبية وخاصة الى الارجنتين والبرازيل ، والولايات المتحدة وكندا ايضاً .

وكانت اسباب هذه الهجرات متعددة أهمها :

١ ـ فقـر أراضي هذه القـرى الجـاثمـة فوق السفوح الجنوبية والجنوبية الشرقية لجبل الحرمون .

٢ ـ هرب الـدروز والمسيحـيـين من أداء الخـدمـة العسكرية ومن معاملة الباب العالي السيئة لهم .

٣ ـ عامـل نفسي مصـدره الاعتقـاد بأن امريكا هي بلد ثروات وكل من يصل إليها يصبح غنياً . وقد عزز النجاح الذي كان قد حققه المهاجرون الأوائل هذا الاعتقاد .

هذا وان بعض المهـاجـرين لا زالـوا يعتـبر ون رعايا سوريين وأسماؤ هم لازالت مسجلة في سجـلات الاحـوال المـدنية ، لذا فان احصاء جديد كشف عن تفـاوت كبـير بين العدد الحقيقي لسكان بعض القرى وبين ماهو في سجل الاحوال المدنية .

---

(١) فقدت فيق قسماً كبيراً من سكانها . فمنذ تاريخ غير محدد ولأسباب غير معروفة ترك بعض سكـان هذه المـدينـة بلدتهم واستقروا في كل من قريتي العال وحيثل وهذه العودة الى الأرض جرت قبل ٦٠ عاماً تقريباً .

القرية	العدد الحالي للسكان	عدد المسجلين
جباتا الزيت	١٤٠٠	٢٥٩٥
مجدل شمس	٣٦٠٠	٤٠٠٤
بقعاتا	١٤٠٠	١٧٤٣
عين قنية	٧٠٠	١١٧١
زعورة	١٥٠٠	١٨١٦
عين فيت	١٨٠٠	٢٠٤١
بانياس	٨٠٠	١١١٠

ليس كل هؤلاء الـ /٣٢٨٢/ شخصاً الغائبين عن قراهم من المهاجرين . فبعضهم طلاب يتابعون دراستهم الثانوية والعالية في القنيطرة أو في دمشق والآخرون موظفون أو عمال يقيمون مؤقتاً خارج قراهم .

كما ترك بعض الشركس قراهم واستقروا في دمشق في اكواخ خشبية بنوها شمال شرق حي الاكراد .

وقبل عام ١٩٤٨ كان عدد من الجولانيين يذهب للعمل في فلسطين اثناء فصل العطالة وفي السنوات السيئة المحصول إلا ان هؤلاء العمال كانوا يعودون الى الجولان بعد كسب المال .

وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية كان العديد من الشبان يذهبون الى شرق الاردن للانخراط باختيارهم في القوات الانكليزية .(١) .

الهجرة الخارجية الى الجولان : في معرض الكلام عن الفئات العرقية والدينية لسكان الجولان ، كنا قد درسنا الهجرات القديمة الى الجولان . اما حالياً فالتوافد نحو الجولان اصبح ضعيفاً . والقنيطرة فقط اصبحت تجتذب اليها بعض الحرفيين من دمشق ومن المدن السورية الاخرى . ويجب أن نضيف الى ذلك عدداً كبيراً من اللاجئين الفلسطينيين موزعين في كل انحاء

---

(١) خاصة في قوات الحدود الأردنية .

المنطقـة ويجب ان اشـير الى أن عدداً كبـيراً من أسر العسكريين تقيم مؤقتاً في القنيطرة وفيق .

٥ ـ الحـالـة التعليمية للسكان : تشير مرحلة استقلال سورية إلى نقطة تحول في التعليم العام خاصة في الريف . فمنذ عام ١٩٤٨ توالى افتتاح المدارس في الجـولان بتـواتـر متـزايـد بحيث لم يأت عام ١٩٥٧ الا وكان عدد المدارس التي افـتـتـحـت في مجمـوعـة الـ / ١٥٤ / تجـمـعـاً قرويـاً في منطـقتنـا حوالى / ١١٠ /مدارس . اي ان ٧١٪ من القرى أصبح لها مدارسها الخاصة في حين استمـرت القـرى النـاميـة على ارسـال أبنائها الى القرى المجاورة . ويختلف توزع المـدارس على القـرى حسب درجـة الاستقـرار من جهـة وحسب نظـام الملكية العقارية من جهة اخرى .

ـ ٨٢٪ من قرى قضاء القنيطرة لها مدارسها والقرى الباقية محرومة من المدارس لانها قرى صغيرة يعيش فيها البدو وأنصاف المستقرين المستقرين غير القادرين على بناء المدارس بوسائلهم الخاصة .

ـ ٦٥٪ من قرى قضـاء فيق لها مدارسهـا . ويفسـر ضعف نسبـة المدارس هنا بتأثـير نظـام ملكيـة الاراضي إذ تسود الملكيات الكبيرة ، والقرى التي يسكنها المزارعون المأجورون فقط عددها كبير وكلها محرومة من المدارس ، لأن سكانها غير قادرين على تحمل كلفة بناء المدارس .

الجدول التالي يبين توزع المدارس والتلاميذ في الجولان

القضاء	المدارس	المعلمون والمعلمات	الطلاب والطالبات
فيق	٢٤	٦١	٢٥٣٢
القنيطرة	٧٢	١٠٧	٥٩٤٢
الحرمون	١٤	١٦	١٣٤٥
المجموع	١١٠	١٨٤	٩٨١٩

ومدارس الجولان ، باستثناء الثانويات ، اغلبها مختلطة ، بقصد التوفير ، مع ذلك فالقرى الكبيرة والغنية تفضل الفصل بين الجنسين وتبني لكل منها مدارسه الخاصة . والثانويات لاتوجد الا في مدن المنطقة .

- ففي القنيطرة توجد ثانوية رسمية للذكور وأخرى للاناث ، ويبلغ مجموع طلاب وطالبات المرحلة الثانوية في القنيطرة/ ٧٠٠/ طالب وطالبة .

- وفي فيق توجد ثانوية رسمية ، واخرى خاصة بالصبية فقط ، ومجموع الطلاب فيها حوالي ٣٠٠ طالب وطالبة .

والتعليم الابتدائي الرسمي ، هو وسيلة فعالة لتقليل عدد الاميين . ولكي يستطيع الأهل إدخال أبنائهم الى المدارس الرسمية ، يتوجب عليهم قبل ذلك تسجيلهم في سجلات الأحوال المدنية .

وأخيراً تجب الاشارة الى ان طلاب الجولان يشكلون ١٠٪ من مجموع السكان . وهذه النسبة مرتفعة إذا قارناها بنسب الأعوام السابقة والتي كانت في عام ١٩٤٢ - ١٩٤٣ في الواقع لاتزيد عن ٣٫٨٪ في أي بقعة من سورية .

٦- الحالة الصحية للسكان والامراض المتشرة : في جولاننا حيث لم يتمكن الانسان الا بمقدار ضعيف ، جلب وسائل ملطفة من الاثار الضارة للبيئة الطبيعية ، وبشكل خاص المناخ ، فان نتائج هذه الاثار تظهر واضحة على جسم الانسان هكذا نستطيع ان نتكلم عن امراض معروفة في هذه المنطقة منذ زمن بعيد سببها المناخ مثل البرداء والتهاب الرئة والرمد والتراخوما . كما يوجد أيضا من الامراض ما هو متعلق بالوضع الاجتماعي للفلاحين وبشكل خاص بقلة النظافة ، فالذباب والبعوض والقمل ، والحشرات الناقلة للأمراض كثيرة الانتشار وإن أمراضا مختلفة تفتك بعدد كبير من السكان القرويين ، الفقراء والجاهلين في ان واحد . وأمام هذا الوضع المؤسف ، الخدمة الطبية عاجزة جدا وتقتصر على القنيطرة وفيق ويتوجب على كل سكان المنطقة القدوم الى هذين المركزين للمعالجة رغم أنه لايوجد فيهما حتى ولا سرير واحد لاستقبال مريض خطر قادم من قرية بعيدة . إن بناء مستشفى في القنيطرة واخر في فيق قد تقرر منذ عام ١٩٤٥ - ١٩٤٦ . الا أنه حتى الان لم يتم بناء أي منهما .

وبـالاضـافة الى الطبيبين المكلفين رسمياً بمعالجة المرضى الذين يأتون الى المـركـز الصحي في كل من القنيطـرة وفيق مجانـاً ، يوجد فقط حوالي عشرة أطباء مقيمين بدورهم في المدينتين .

والقـرى بعيـدة عن المـراكـز الطبية . ومحرومة من الطرق ووسائل النقل لذلك فان المرضى يموتون غالباً ، دون التمكن من ايصالهم الى الطبيب .

مع ذلـك تشـير احصائيات المركزين الطبيين في الجولان الى ان المرضى يتهـافتـون على هذين المـركـزين. والجـدول التالي يسمح من التأكد بأن عدد المـرضى المعـالجين في قضـاء القنيطـرة قد تضاعف في عام ١٩٤٥ وزاد ثلاث مرات في عام ١٩٤٦ عما كان عليه في عام ١٩٤٤ . وتفسر هذه الزيادة بتكوين خدمة طبية متنقلة اعتباراً من عام ١٩٤٥ تتجول في القرى التي يمكن ان تصل اليها السيارة .

المرضى والامراض في الجولان

السنة		الامراض العينية	ذات الرئة وقلبية	معدية وداخلية	امراض الجهاز العصبي	امراض الجهاز البولي	الامراض الجلدية	الجراحية	الامراض الزهرية	البرداء	السل	الامراض الانتانية	الامراض السارية والمختلفة	المجموع
١٩٤٤	القنيطرة	١٢٢٠	٢٦٨	٣٤٩	١٥١	٥٤	٨٩٣	٣١٤	—	٢٧٨٩	—	١٧	—	٦٠٤٦
	فيق	٤٢٧	١٩٣	٣٠٠	٥٠	١٢٧	٢١٧	٢١٤	٤٦	١٦٢٧	١٦	—	—	٣٢١٧
	المجموع	١٦٤٧	٤٦١	٦٤٩	٢٠١	١٧٢	١١١٠	٥٢٨	٤٦	٤٤١٦	١٦	١٧	—	٩٢٦٣
١٩٤٥	القنيطرة	٣٠٨٦	٣٩٣	٥٦٦	٣٣٧	١١٦	٨٢٤	٥٢٢	—	٦٩٤٤	٢	٢٣	٣٦٢	١٣٢٧٥
	فق	٧١٤	٢٢٩	٣٥٥	٥٩	١٦٢	٢٨٣	٢٤٦	٥٧	١٣٤١	١٣	—	—	٣٢١٦
	المجموع	٣٥٥٧	٦٦٢	٩٢١	٣٩٦	٢٧٨	١١٠٧	٧٦٨	٥٧	٣٣٨٥	١٥	٢٣	٣٦٢	١٦٤٩١
١٩٤٦	القنيطرة	٢١٤٨	١٠٩٧	٥١٣	٢٥٠	١١٦	٨٣٦	٥٨٢	٥	١٠١٦	١٠	—	—	١٥٢٧٠
	فيق	١٩٩٢	٢٨٠	٤٧٥	١٩٨	١٥٣	٣٢٩	٣٨٣	١٠	١٣٢٧	٣	—	١٥٩	٥٢١٠
	المجموع	٤٠٤١	١٣٧٧	٩٨٨	٤٤٨	٢٦٨	١١٦٥	٩٦٥	١٥	٢٣٤٣	١٣	—	١٥٩	٢٠٤٨٠

ان بعض الامراض التي يمثلها الجدول سببها تقلبات المناخ الفصلية . وهي تصور بالمناسبة ، نهايات فصلية قصوى ، فالتهابات الجهاز التنفسي تنتشر بشكل اساسي في الشتاء ، أما البرداء والأمراض العينية فتنتشر في الفصل الجاف ، في حين تنتشر الأمراض الجلدية في الفصل الحار والرطب أي في فصل الربيع والخريف .

وفي الواقع ، ان الاحصاءات الخاصة بالتهابات الرئة تشير الى وجود شتاء مؤثر على[1] حيوية الجسم يمتد من ١٥ تشرين ثاني الى ١٥ شباط . فاصابات ذات الرئة في قضاء القنيطرة تتوزع على اشهر السنة الجدول التالي :

	ك٢	ش	ا	ن	أ	ح	ت	ا	أ	ت١	ت٢	ك١
١٩٤٧	٧٦	٩٣	٥٣	٤٦	٣٥	٣٢	٤٤	٤٥	٤٥	٦٦	٩٤	٩٢
١٩٤٨	١٢٣	٧٦	٤٥	٥٧	٢٨	٨٢	٤٥	٦٦	١٥١	١١٠	٩٣	٥٦

فهذه الالتهابات تنتشر اثناء الفصل البارد والرطب وتبين مصادر الاحصاءات نفسها[2] بأن ظهور الامراض التي تنقلها الحشرات في الجولان مرتبط بالدورة الحياتية لهذه الحشرات ، ويخضع للتأثير الفصلي . فحشرات بعوضة الملاريا والذباب المسببة والناقلة للبرداء تنشر الحمى أثناء الفصل الحار بشكل خاص .

والجدول التالي يبين توزع الاصابات بالبرداء على أشهر سنة ١٩٤٨

ك٢	ش	ا	ن	أ	ح	ت	آ	إ	ت١	ت٢	ك١
٨٥	٥٧	٤٠	٣٩	٦٤	٦٥	٥٨	٧٨٤	١١٤	٢٨٤	٣٦٢	١٨٢

---

(١) انظر الى Dr. E.Dulrot المناخات والجسم الانساني . مجموعة ماذا اعرف ١٩٤٥ رقم ١٧١ ص : ٤٢ .

(٢) احصاءات وزارة الصحة العامة .

من الـواضـح ان الـزيـادة في الاصـابـات أثناء الصيف وبداية الخريف ليست إلا نتيجة لحالة الجو . وكذلك فإن كثيرا من الامراض الالتهابية تخضع أيضـاً للنظـام الفصلي بسبب تكاثر واشتداد وطأة المكروبات في الطقس الحار ، فالالتهـابـات المعوية تظهر في بداية الصيف . تزداد مع الحر الشديد ، وتختفي في الشتـاء . والخـريف على مايبدو هو اكثر الفصول ملاءمة لانتشار الامراض لأنـه حار ورطب نسبيـاً الامر الذي يساعد على تكاثر الحشرات الناقلة وازدياد الطفيليات والميكروبات .

وان توزع الأمـراض الجلديـة على اشهـر السنة يظهر ان الحد الاقصى يرتكز بشكل خاص في شهري آب وأيلول .

	ك٢	ش	آ	ن	أ	ح	ت	ا	إ	ت١	ت٢	ك١
١٩٤٧	٦١	٤٣	٦٦	٤٢	٤٥	٤٩	٣٥	١٣١	١١٥	٩٢	٦٣	٤١
١٩٤٨	٥٤	٣٣	٣٩	٥٢	٦٣	٤٥	٥٢	٧٣	١٣٣	٨٧	١٢٦	٩٨

ويسبب ضبـاب الخـريف الصبـاحي ، الكثـير الانتشـار في الجـولان اضـراراً . فهـو يحجب أشعـة الشمس ويسبب البرد ، وبالتالي أزمات لبعض حالات الربو ، فينصح المرضى غالباً بترك الجولان ولو مؤقتاً على الاقل . وإن التأثـير المـرضي للريـاح ليس أقـل وضـوحاً فهو يؤثر في فعالية الجسم البشري وتبرده . والعنصر الهام في هذا المجال هو السرعة لهذه الرياح .

فالـريـاح البحرية الرطبة والمعدلة للطقس والتي تهب على الجولان تأتي من جهات الغرب والشمال الغربي والجنوب الغربي . وهي بشكل عام صالحة ومفيدة ولكنها عندما تنشط التبخر الجلدي تصبح بالتالي مهيجة جداً للجلد .

وعلى العكس من ذلـك فإن الـريـاح القـارية الشديدة والجافة ، حارة كانت أو باردة ، هي دومـاً مؤذيـة للمـرضى ، لأنها تهيج قصبات الرئة وتسبب السعال وتعيق عملية التقشع .

وفي الواقع فإن رياح الشرق والشمال الشرقي والجنوب الشرقي هي دوماً جافة وتسبب أيضاً في الجولان ، تجفيفاً عاماً ، وتنشيفاً للجهاز الجلدي معطياً

للجلد مظهــر جلد قديم جاف . ويستخـدم السكـان بكثـرة دهـونـاً وأدويـة لتخفيف ألم تشقق أوجههم وأيـديهم ومنـذ نهاية آب وخاصة في أيلول ، تصبح اختلافات الحرارة حادة وعنيفة ، ويصبح الهواء متقلباً وغير منتظم ، ويعصف بشكـل إعصـار ويثـير كثيراً من الغبار من الأراضي التي تكون قد جفت كثيراً وتعـرت من غطـائها النباتي ، ولهذا الغبار العاصفي تأثير سيء ، على عيون السكان في الجولان .

	ك٢	ش	ا	ن	أ	ح	ت	ا	إ	ت١	ت٢	ك١
١٩٤٦	٩٤	٣٩	٥٥	٩٨	٣٨	١٣٠	٢٤١	١٢٢	٤٤٧	٢٨٢	١٠٣	٨٣
١٩٤٧	٩٥	٧٨	٩٢	٨٣	٤٢	٣٤١	٢٣٥	٤٢٥	٣٧٧	٢٦٢	١٧٦	٩٥
١٩٤٨	١١٢	٧٥	٦٢	٩٣	١٣٣	٧٨	٧١	٢٤٧	٦٥٥	٢٥٥	٢٨٩	١٥٢
١٩٤٩	١١٣	٤٤	٩٧	٨٤	١٨٦	١٧١	١٥٨	٥٣٣	٧٢٤	٥٠٧	٤٤٢	٢٠٤

وان توزع اصـابـات الالتهـابـات العينيـة على أشهر السنة يوضح تأثير الغبـار الـذي تحركـه الرياح والتهاب العين لاينقطع طيلة السنة ، لأن السكان يبقون دوماً دون حماية من الشمس والغبار . وقلائل هم الذين يوقفون أعمالهم ليـذهبـوا الى القنيطـرة أو فيق لمعـالجـة عيـونهم . ويكتفى غالبـاً باستعـمال القطرات . والرمد الذي يصبح مزمناً يسبب التراخوما التي يعاني منها ٨٠٪ من السكان .

وتجدر الاشارة الى ان شهر أيلول يتسم بنسبة مرضية عالية اكثر من بقية أشهـر السنـة . والجدول التالي يبين توزع عدد الامراض المختلفة التي عوجلت في مركز القنيطرة الوحيد على أشهر سنة ١٩٤٨ .

	ك٢	ش	ا	ن	أ	ح	ت	ا	إ	ت١	ت٢	ك١
رجال	١٥٥	١١٣	٩٦	٩٨	١٤٢	١٤٢	١٤١	٢٥٣	٥٩٣	٢١٨	٤٣٩	٢١٧
نساء	١٨٣	١٧٢	١٣٠	١٣٢	٢١٦	١٧١	١٣٥	٦٢١	٦٩٤	٤٣٢	٤٩٨	٢٤٨
أطفال	١٢٧	٨٧	٧١	١١٧	١٦٥	٩٨	٨٣	٤٧٢	٧٦٨	٢٩٦	٣٩٨	٢٤٨
المجموع	٤٦٥	٣٦٣	٢٢٦	٣٤٧	٥٢٣	٣٩٣	٣٩٥	٣٤٦	٣٢٥	٩٤٦	١٢٨٦	٧٧٩

فمن مجموع الحالات المرضية التي سجلت في هذا المركز الطبي في عام ١٩٤٨ والتي بلغت ٩٣٦٤ حالة ، كانت حصة شهر أيلول ٢٣٢٥ حالة أي اكثر من ٢٤٪ من مجموع الحالات .

وتجدر الاشارة ايضاً إلى ان مرض السفلس لم يكن معروفا في قضاء القنيطرة حتى عام ١٩٤٦ ، إلا انه اعتباراً من عام ١٩٤٨ أصبح هذا المرض شيئاً فشيئاً منتشراً بسبب اللاجئين الفلسطينين المنتشرين في هذه المنطقة ، ولكن أيضاً بسبب الجنود الذين جاؤوا من كل أنحاء سورية ، وهكذا فقد سجلت /٥/ حالات سفلس في عام ١٩٤٧ و/٨/حالات عام ١٩٤٨ وقد ارتفع هذا الرقم الى ١٩٤ حالة في ١٩٤٩ وفي النصف الاول من عام ١٩٥٠ سجل مركز القنيطرة ٨٨ حالة سفلس .

القسم الثالث
أشكال الفعاليات الريفية في الجولان

الفصل الأول
الزمر الاقتصادية والاجتماعية التقليدية

إذا كان سكان الجولان يتميزون بصفاتهم العرقية وبنحلهم الدينية ، وإقرار ذلك ليس بالأمر السهل ، فأنهم يتميزون ايضاً ، ويشكل أكثر وضوحاً ، بأنماط حياتهم . ويستطيع أي انسان أن يلاحظ ، مباشرة وفي كل انحاء الجولان ، التباين بين ثلاثة زمر بشرية تختلف كل واحدة منها عن الأخرى اجتماعياً واقتصادياً . وهي الزمر التقليدية المعروفة في كل منطقة الشرق الاوسط العربية : البدو أو الرحل ، الفلاحون أو القرويون ، ثم الحضر أو سكان المدن .

إلا انه بالأضافة الى هذه الزمر المتباينة بوضوح ، توجد اشكال لزمر متوسطة تتصف بالهشاشة وبسرعة التحول من زمرة الى أخرى . وأنصاف البدو الرحل ثم انصاف المستقرين أو (الفلاليح)[1] هم أهم هذه الزمر المتحولة .

وان العلاقات بين الفئات الاجتماعية المختلفة ذات طابع خاص ومعقد جداً ، تنظمها غالباً عادات عريقة نابعة من اصول بدوية تسمى بالعرف الذي له ما لحكم القانون في المدينة .

والريفيون والبدو الذين لهم علاقات مباشرة مع تجار القنيطرة قليلو الثقة بالقانون لتنظيم أعمالهم ، ويفضلون دوماً تنظيمها وفق ما تقضي به العادات (حسب العرف) ، حتى ولو كانت النتائج غير مشجعة وملائمة من حيث شروطها . وهم يقولون « نحن نفهم جيداً عاداتنا الخاصة ، في حين قد يعرضنا الاحتكام الى القانون إلى خطر التضليل والانخداع »[2] .

(١) الاسم الذي يطلقه الفلاحون باحتقار على أنصاف المستقرين .

(٢) يسمى المحامي من قبل البدو بالكذاب .

١ ـ القبائل البدوية (العشائر) :

تعني كلمة عشائر (عشيرة) في الجولان ، وبمدلول المفردات الادارية الدارجة ، القبائل البدوية ، وأنصاف البدو ، وأنصاف المستقرين . ذلك لان روابط مواطنة خاصة ، وروح تضامن ، وأواصر قربى ، تربطهم ببعضهم ، كما تربط الجميع برئيس القبيلة . والبدو الذين يشكلون مجتمعاً قائماً بذاته من حيث طراز الحياة . تظل الحاجات والعادات تربطهم بشكل متين إلى الفلاحين ، والصلة المباشرة بهم مستمرة .

وفيما يلي سنحاول دراسة البدو ، وأنصاف البدو ، ثم أنصاف المستقرين كل فئة منهم بدورها .

بدو الجولان : ان الصعوبة الأساسية لكل دراسة عامة للعشائر وللبدو بشل خاص هي عدم كفاية الأحصاءات

ـ الغالبية منهم غير مسجلة في سجل الاحوال المدنية .

ـ السجل الوحيد المتوفر[1] ، وهو لقبيلة الفصل ، غير دقيق وفيه أخطاء كبيرة لانه وضع لأغراض انتخابية[2] ولم يوضع لغرض احصائي . لذلك كانت المبالغة المتعمدة فيه للعدد مؤسفة ، كما ان تواريخ الولادات لم تكن صحيحة ، فقد زيدت الاعمار ليتاح للأفراد ممارسة حق الانتخاب .

ـ الوفيات لا يعلن عنها ليستطيع أي شخص المرور بصندوق الاقتراع عوضاً عن الشخص الغائب أو المتوفى الذي لم يشطب اسمه من الدفتر .

ـ أسماء كثير من الأفراد الذين يعيشون خارج الجولان كانت مثبتة على الدفتر نفسه ، وفي يوم الاقتراع كان الأمير يأتي بهم بسيارته إلى مكان صندوق الاقتراع .

لهذا كله فاحصاءاتنا ، مهما كانت مصادرها رسمية ، ليس لها إلا قيمة تقريبية .

---

(١) ويعرف في الجولان باسم دفتر العشائر وهو محفوظ لدى رئيس القبيلة .

(٢) لضمان انتخاب الامير فاعور في الانتخابات التي جرت في ظل السلطة الفرنسية المنتدبة السابقة .

العشائر الرئيسية في الجولان اربعه : الفضل ، النعيم ، الويسية ، الرفاعية . وتقيم كل قبيلة عادة فوق منطقة محدودة . إلا ان هذا لا يمنع ، في أي حال من الاحوال ، الاسر من الانتقال إلى خارج حدود ارض العشيرة .

عشيرة الفضل : وتعد ٣٠٠٠٠ فرداً ينتشرون غالباً غرب القنيطرة ، بينها وبين بحيرة الحولة . ومركزهم الرئيسي هو « واسط » .

عشيرة النعيم : وتعد حوالي ٢٥٠٠٠ فرداً ينتشرون عادةً في الاطراف الشرقية من الجولان و Himute الواقعة في الجزء الشرقي من الجولان هي مقر رئيسهم الكبير . إلا ان Kodnle (النعيمية) التي تقيم فيها عائلة الشيخ وابناء عمومته هي التي تشكل المركز الفعلي لهذه القبيلة . وليس لقبيلة النعيم الموجودة في حمص اية علاقة مباشرة مع قبيلة النعيم الموجودة في الجولان .

عشيرة الويسية : وتعد ٣٠٠٠ فرداً يقيمون قرب الحدود الاسرائيلية السورية[1] في منطقة سنابر . وفي الانتخابات ، كانوا يرغمون على التصويت مع عشيرة الفضل ، رغم رفضهم لهذا الالحاق التعسفي .

عشيرة الرفاعية : وتعد حوالي ١٢٠٠ فرداً ، وهم في الاصل من فلسطين . ويعيشون في ضواحي الخشنية . ومرة أخرى نذكّر بأن الاحصاءات السابقة لا تشمل البدو الحقيقيين فقط ، أنها تضم ايضاً انصاف البدو وأنصاف المستقرين إذ يصعب التفريق بين هذه الفئات .

وإذا استثنينا الرفاعية ، فإن كل عشائر الجولان تعيش فيه منذ وقت طويل ، ورغم توفر الشروط الملائمة للزراعة والاستقرار ، لا زالت حياة البداوة مستمرة . وهذا يستدعي التفسير ، ويبدو انه يعود الى :

آ ـ ان حياة البداوة ، التي تفرضها الشروط المناخية على بعض مناطق الشرق الاوسط ، ليست أصلية في منطقتنا التي كانت مزروعة ومشجرة[2] منذ مطلع

(١) حبذا لو قال المؤلف قرب الحدود الفاصلة بين المنطقة المحتلة من فلسطين وسورية .

(٢) حتى نهاية القرن التاسع عشر كان يعثر في الارض على جذور إشجار زيتون متطورة . وهذا يعني ان هذه المنطقة كانت مزروعة . وان ابادة اشجار الزيتون وأشجار الغابة القديمة تبقى من الامور العجيبة في تاريخ منطقتنا .

العصور التاريخية القديمة . ويبدو الجولان في الأصل من شبه الجزيرة العربية استقروا في هذه المنطقة التي سمحت الشروط الطبيعية فيها ، من مناخ ومياه ونبات ، بالاحتفاظ بهذا النمط للحياة . إذ من المعروف أنه حتى في أقل السنين ملاءمة للفلاح ، كان البدوي بسبب وفرة المراعي وتوفر موارد المياه لسقي الماشية في كل مكان ، يبقى نسبياً في راحة وأمان .

ب ـ إلا أن الشروط الطبيعية للوسط لا تكفي لتفسير استمرار حياة البداوة في الجولان . ويجب الأخذ بعين الاعتبار دور مؤثرات أخرى اجتماعية . فالمجتمع البدوي بطيء التطور ، والبدوي يرتبط بقطيعه الذي يسميه (الحلال)[1] ارتباطاً وثيقاً يفوق التصور .

ومن جانب اخر ، البداوة هي اقرب نمط من انماط الحياة للحياة الحرة التي يعيشها البدوي . وأخيرا لا بد من القبول بأن شكلاً من الجمود أو القصور الذاتي قد ساهم في استمرار بقاء المجتمع البدوي في الجولان .

البنية الاجتماعية للقبيلة : ان الرابطة الاساسية بين افراد القبيلة هي رابطة الدم التي تترجم بسلطة وبقدرة الرئيس المطلقة من جهة ، وبتفاني الفرد من أجل الدفاع عن مصالح العشيرة المشتركة الاخلاقية والمادية من جهة آخرى .

كذلك فإن الانتساب للأصل (النسب) يلعب دوراً هاماً . وأفراد القبيلة الواحدة ، مهما كان عددهم ، يعتبرون انفسهم منحدرين من أصل واحد أي انهم ينتسبون الى رب اسرة واحدة من حيث الاصل . فعشيرة الفضل ترجع أصلها الى الفضل احد ابناء عم الرسول ، والعنزة ترجع نسبها الى عناز بن وائل بن أسد بن ربيعة .

وعلى كل حال ، لا يكون الدم دوماً الرابطة الوحيدة ، والزواج يمكن ان يوحّد عدة عشائر في قبيلة واحدة ، إلا ان مثل هذا غير معروف عادة في الجولان .

---

(١) تعني الكلمة رزقاً مشروعاً من وجهة نظر دينية وبالتالي فالعمل في الرعي مرغوب ومبارك . وهذا ما يبقى البدوي مشدوداً إلى هذه المهنة ، فهو حتى حين يستقر للعمل في الزراعة لايترك الرعي ، ويجمع بين رعي الحلال والزراعة . (المترجم)

وضمن العشيرة الواحدة يمكن أن نميز فرعين اجتماعيين يبرزان بتسلسل واضح في العلاقات :

آ ـ **التفرع الأفقي** : حيث تنقسم القبيلة أو العشيرة الى عدد من الحمولات وتتوزع هذه الاخيرة بدورها الى عدة فروع أو بطون . والبطن يتفرع الى عدد من الفروع الاصغر أو الافخاذ التي لا تخرج في النهاية عن تجمع لعدد من الأسر . ومن بين كل هذه التشكيلات الاجتماعية ، تلعب الفروع الاولى العشائر الدور الهام .

وفيما يلي نورد الفروع المنحدرة من القبائل الرئيسية في الجولان :

فروع عشيرة الفضل : تتفرع هذه العشيرة إلى ١٤ فرعاً أو حمولة : الحوايجة ، المنافي ، الطرشان[1] ، البحاترة ، عجرم ، حروك ، قسرين ، جعاتين ، حزومين ، المرازقة ، المحمدات ، الشايب ، الطويّف و السعيد .

فروع عشيرة النعيم : تتفرع الى ٣٤ حمولة :

طحان ، بونيمي ، خواشمة ، سابارجة ، شارّة ، وهبان ، بقارة ، هناهنة ، هوارين ، سيّاد ، نعيمات ، كريدين ، عكادلة ، بوعاصي ، شراهين ، رميلة ، بوهيّا ، فواشي ، الواشات ، الشتيوين ، الحميزات ، الموآدن ، الشقاقين ، عتبا ، نميرات ، رحاينا ، جملان ، حرب ، سوباد ، حمّارة ، عتايقة ، تويليا ، مجايلا ومراحيل .

فروع عشيرة الويسية : وتتفرع الى ٦ حمولات :

حاميات ، قطايفة ، دكادكا ، باشاوات ، عمادية ، فرارقة .

فروع عشيرة الرفاعية : وتتفرع الى ٣ حمولات :

ملاحيق ، شاهين ، وحسيم .

ب ـ **التفرع الرأسي (العمودي)** : اذا مثلنا القبيلة بشكل هرم ، نستطيع ان نلاحظ ، من القمة الى القاعدة ، الطبقات الاجتماعية التالية :

أ ـ **الأمير أو شيخ القبيلة مع اسرته** : ولكي يكون رئيس القبيلة جديراً بالرئاسة ، يجب أن يتحلى ، اضافة لاصالة النسب المميزة ، ببعض الصفات

---

(١) وهم غير طرشان جبل العرب .

الاخرى كالشجاعة والكرم والفطنة

٢ - **الـوجهـاء** : وهـم غالبـا ابناء عمومة واقارب رئيس القبيلة ، اضافة إلى رؤساء الحمولات والفروع الرئيسية للقبيلة .

٣ - **الافـراد العـاديـون** ويشكلون الغالبية العظمى والركيزة الشعبية للنظام القبلي . وهم عامة القبيلة .

٤ - **الاتباع** : ويشكلون الطبقة الاجتماعية الدنيا التي تضم ، بالاضافة الى العبيـد الجـدد ، فئـة العبيـد القـدامى الذين تحرروا ولكنهم بقوا مرتبطين بالقبيلة لتأمـين خدمـة الشيـخ والافـراد وضيـوفهم . وظيفتهم الاساسية تهيئة القهوة المرة وتقديمها .

والعبيـد ليسـوا دومـاً من السود ، وغالباً يكونون من البيض ولا يختلفون عن بقية افراد القبيلة إلا بالنسب . وهذا هو حال أكثر عبيد قبيلة النعيم .

ان هذا التقسيم للمجتمع البدوي إلى فئات اجتماعية هو هام جداً لأنه يعكس النشـاط المتبـاين للطبقـات المختلفـة . وفي الحقيقة ، إن هذا المجتمع يضم عدداً كبـيراً من البشـر الـذين يعيشـون حياة تطفل ، فالشيوخ والوجهاء لا يقـومـون بأي نشـاط منتـج ، ويعيشون على ما يقدمه لهم الأفراد العاديون كضـريبـة أوحصـة الـرئاسة (المشيخة) والتي تدفع نقداً أوعيناً . إضافة الى (القضوة) التي يتقاضونها مقابل حل الخلافات بين الافراد .

كذلك فئة الاتباع والعبيد التي يقتصر عملها على خدمة الرؤساء فهي الأخرى تعيش عيشة تطفل .

وهكذا فالافراد العاديون هم فقط الذين يؤمنون استمرار الحياة اليومية لمجمـوع القبيلة . ومما تجدر الاشـارة اليـه بشكـل عام هو أن الـرجـل قليـل الانتـاج . والمـرأة هي التي تحمـل اكـبر جزء من المسـؤ وليـة ، وهي العـماد الاسـاسي للاسـرة . لهذا كله فهي امـارة (دليـل) غنى . وتتمثل أهمية المرأة البدوية في المجتمع بعملين بارزين :

- تعدد الزوجات الكثير الانتشار .

ـ غلاء المهر(١) الذي يجب على الرجل دفعه لاهل الزوجة .

وطالما كان البدوي قادراً على دفع مهر جديد ، فانه لا يحجم عن الاقدام على الزواج حتى لو كان بعصمته اكثر من امرأة ، ومهما كان عمره.

نمط (طراز) حياة البدو : الخيمة هي رمز البداوة ، وهي التي تلبي في الحقيقة ، أكثر من أي شكل أخر من أشكال السكن ، متطلبات هذه الحياة المتنقلة . والقطيع هو مصدر الثروة الوحيد للبدو ، واهتمامهم الرئيسي منصرف نحو حياة الرعي . واختلاف توزع الماء ، اساس حياة الحيوان ، هو الشيء الذي يفسر تنقلهم من مكان الى آخر حسب الفصول .

والمجتمع البدوي منعزل في الغالب ، وبعيد عن المدينة وحتى عن القرية ، كما انه مجبر على العيش في ظل اقتصاد اكتفاء ذاتي .

وفي الواقع ، يستخرج البدو المواد الاولية الضرورية لحياتهم من القطيع كالصوف والشعر لصنع الخيام والعباءات والفراء واللباد والسجاد (البسط) والاكياس والحبال . . . . الخ . ويستهلك البدو مباشرة وبشكل اساسي ، الألبان بمختلف اشكالها ، ويبيعون الفائض منها نقداً لشراء حاجاتهم من القهوة الممتازة والسكر والشاي وبعض المنسوجات والألبسة . كما يبيعون بشكل خاص السمن والصوف والخراف الصغيرة في المدن .

وتشكل بعض المنتجات أساساً للتبادل الواسع كالشنينة الناتجة عن صناعة السمن والتي يقبل الفلاحون في حوران على استهلاكها بشكل واسع فيبادلون عليها بالقمح . وبما ان الشنينة تستوعب وهي بحالتها السائلة حجماً كبيراً يجعل نقلها صعباً وغير مجز ، فانها تكثف بطريقة التنقيط داخل اكياس من القماش لتصبح بشكل (لبنة) تعرف لدى البدو باسم (قطيعة)(٢) تباع في المدينة ويبادل عليها في قرى حوران .

---

(١) وقد حدد هذا المهر بشكل عام بـ ٦٨ نعجة أو عنزة ، ويسدد في حالة وقوع الطلاق

(٢) وهي المنتجات غير المرغوبة لدى البدو ، وقليلاً ما يأكلونها أو يقدمونها لضيوفهم . والفائض منها عن التصريف المباشر يجفف بشكل اكعاب باسم (الهقط) وتستهلك في الطبخ شتاء .

ولا يكون البدو دوماً مالكين لكل قطيع الابقار والأغنام الذي في حوزتهم ، ففي الغالب لهم بعضه ، في حين يكون الجزء الاكبر منه للقرويين ولسكان المدن . وهنالك اتفاقيات وإشكال مشاركة في الربح متعارف عليها تنظم العلاقة بين المالك وبين البدوي الذي يتعهد بالتربية سنتعرض لها بالتفصيل في بحثنا للرعي . وعلى كل حال ومهما كان وضع القطيع له أولغيره فإنه يبقى مصدر حياته . وقطيع الجولان هوبشكل اساسي خليط من الأبقار والأغنام . ولكل عائلة بدوية جملان أو ثلاثة لحمل الخيمة والأدوات المنزلية الأخرى .

وبشكل عام ، أخذت تنقلات البدو تقل تدريجياً ، بسبب إشغال الارض بالزراعة وبالمراكز العسكرية . وسنعود لدراسة هذه التنقلات عند دراسة الرعي والانتجاع .

الوضع الاداري والقانوني للبدو : منذ بداية الانتداب الفرنسي على سورية وضعت القبائل البدوية تحت الاشراف المباشر لممثلي سلطة الانتداب الفرنسيين . وتعيين شيوخ القبائل ، الذين منحوا امتيازات مادية ، كان يتم من قبل المندوب السامي (المستشار الاعلى) . أما الادارة الفعلية لأمور القبائل فكان يقوم بها عدد من ضباط الاستخبارات تحت اسم مستشارين لرؤساء القبائل . ومنذ عام ١٩٤٥ ربطت أمور البدو بوزارة الداخلية السورية ، وحول الأشراف عليهم الى مديرية عامة للعشائر . وأبدل الضباط الفرنسيون بموظفين مدنيين سوريين سموا بمدراء محليين للعشائر . كما ارتبط كل انصاف المستقرين بالمديرية العامة للعشائر بموجب قرار وزارة الداخلية رقم ٣٠٨ تاريخ ١٧/١/٩٤٥ إلا أن قراراً لاحقاً بتاريخ ١٢/١٠/٩٤٥ ، وضع أنصاف المستقرين تحت إشراف محافظي المناطق ، ومع ذلك فإن هذا التدبير لم يلغ ارتباطهم بالادارة العامة للعشائر والتي مقرها في دمشق .

ومن حيث الوضع القانوني فإن المرسوم رقم ١٣٢/ر/ي تاريخ ٤/٦/٩٤٠ كان قد أخضع حل الخلافات بين البدو للعادات (العرف) وأجاز للمحاكم النظر في النزاعات التي كانت تقع بينهم وبين المستقرين .

والخلافات التي تخضع للعرف كان يجب أن تفصل من قبل لجنة تحكيم مؤلفة من الشيوخ وبأشراف الضباط المستشارين ، والمندوب السامي (المستشار الاعلى) كان يتدخل في النزاعات الهامة فقط . وقانون العشائر الذي صدر بالمرسوم التشريعي بتاريخ ٢١/٥/٩٥٣ كان قد ابقى على احترام العرف بما يخص الأمور ذات الطابع البدوي ، في حين ألحق انصاف المستقرين (أنصاف البدو) وبشكل نهائي ، بقطاع المستقرين .

مشكلة التحضر : اعتبر الملحق رقم ٣ للقانون ١٣٢/ر/ي عشائر الفضل والنعيم في الجولان أنصاف مستقرين . ثم جاء قانون المحاكم لعام ١٩٥٣ ليدمجهم مع المستقرين . لكن كل هذه التشريعات التي صدرت لم يصحبها أي تبديل عملي في الحياة العشائرية في الجولان ، فلا توزيع وتمليك للأراضي ، أو فتح للمدارس الداخلية الخاصة ، أو حفر للابار ، أو تأمين للخدمات الاجتماعية والطبية ، أو بناء للمساكن ، أو اجراء تعداد صحيح ، لا شيء من هذا القبيل قد نفذ ليدعم بشكل صحيح وعملي عملية تحضير واستقرار البدو في الجولان .

٢ ـ أنصاف الرحل وأنصاف المستقرين : ينتمي المستقرون العرب الذين يشكلون حالياً أكبر نسبة من الفلاحين في الجولان إلى أصول قبلية . ومما تجدر الاشارة اليه هنا ، انه بين حياة الترحل وحياة الاستقرار ، توجد اشكال انتقالية تتميز بعدم الثبات ، وكل تطور من شكل ادنى من أشكال الحياة إلى آخر أعلى كان يجري بصورة تلقائية ودون أي تدخل رسمي . ودور الحكومة كان يقتصر دوماً على اصدار القرارات والقوانين التي لم تؤد إلى أية نتيجة عملية .

هذا وأن أنصاف البدو الرحل الموجودين في الشرق من الجولان على اطراف وادي الركاد (الركاض) ينتمون غالباً الى قبيلة النعيم . وبحكم طبيعتهم البدوية ، يبقى الواحد منهم محتفظاً بقطيعه وبخيمته . والى جانب هذه الخيمة يبني بيتاً أو كوخاً صغيراً بدون نوافذ وبسقف مستو ليلجأ اليه مع حيواناته في الشتاء عند تساقط الثلوج . أما في الفصول المعتدلة ، فالخيمة هي المأوى والمسكن المفضل .

ويندر ان يقوم البدوي المستقر بزراعة الحبوب في الرقع الصغيرة من الأرض التي تخصه وهي غالباً من النوع الصلب . لذلك فهو ضعيف الارتباط بمثل هذه الزراعات . وبمجرد ان تنمو المراعي في المناطق المجاورة فانه لا يتأخر عن ترك كوخه وزراعته ليقود قطيعه الى الاماكن الغنية بالعشب . وفي موسم الحصاد ، يعود الى زراعته التي غالباً ما يجد الحيوانات قد أتلفتها . ويكفي أن تمر عدة سنوات سيئة المردود حتى يترك بشكل نهائي حياة الارتباط بالأرض . وبالمقابل فان توالي سنوات جيدة صالحة للزراعة ولتربية الماشية يمكن ان يشجع هذا النصف بدوي على الاستقرار

أما أنصاف المستقرين أو (الفلاليح) : والذين هم مرحلة انتقالية بين الترحل والاستقرار . فلا يجب الاعتقاد بان انتقالهم من الترحل الى الاستقرار لا يتم إلا بمراحل متتابعة ، وبأنه يجب ، قبل ان يصلوا الى حالة نصف الاستقرار ، أن يمروا بمرحلة نصف البداوة . فالذي يحصل أحياناً أنه بمجرد تفكك القبيلة البدوية ، يمكن للبدوي ان يضع نفسه في خدمة الفلاحين متنقلاً من حالة البداوة الكاملة الى حالةنصف الاستقرار ، وأن يتخلى بشكل نهائي عن صنعته البدوية ، فلا خيمة ، ولا قطيع ، ولا اية علاقات مباشرة مع افراد قبيلته السابقة . وفي مثل هذه الحالة ، سرعان ما ينضوي البدوي في كنف قروي كفلاح أومرابع ، ويعيش في القرية ، مقيماً في كوخ متواضع . وقد يتفق عدد من البدو مع صاحب ارض على استثمارها وفق شروط معينة . فيقومون ببناء عدد من الاكواخ المتراصة بشكل كغر صغير فوق حيز من الأرض . وهذا الكغر الصغير قد يتحول الى قرية ، أو يهجره ساكنوه إلى اماكن أخرى مفتشين عن عمل جديد .

هذا وان غالبية أنصاف المستقرين في الجولان هم من عشيرة الفضل والويسية والرفاعية .

وان هذه التحولات من زمرة اجتماعية الى اخرى تنعكس على المظهر الطبيعي بتغيرات واضحة للمسكن . فالخيمة تصبح أكثر ثباتاً وتحاط بنوع من الحصر المصنوعة من القصب أوبأسوار حجرية أو ترابية . وقد تنصب فوق جدران ، قرب الحقول المزروعة ، وإلى جانب أكواخ الخشب والقصب

المدعمة بنوع من السياج ، أو قرب البيوت المصنوعة من التراب المجفف (اللبن) وحتى قرب البيوت الحقيقية . والخيام والاكواخ التي يزداد تبعثرها أحياناً ، يمكن ان تأخذ شكل مخيم صيفي .

ومع اختفاء الخيمة تؤول اكواخ وبيوت العائلات ، الموزعة على شكل احياء ، الى ما يشبه قرى الفلاحين

وفي الواقع ، يمكن أن نلاحظ حديثا في الجولان هجمة حقيقية نحو الأرض وأن الشغل الشاغل للبدو والفلاليح ، هو شراء الأراضي ، متى اصبح ذلك باستطاعتهم ، ووضعها قيد الاستثمار بوسائلهم الخاصة ، وهكذا أخذ اشغال الانسان للأرض يزداد شيئاً فشيئاً .

٣ ـ **القرويون أو الفلاحون** : ويشكلون الغالبية العظمى بالنسبة للفئات الاجتماعية الاخرى . فحسب الاحصاءات الرسمية ، كانت فئة القرويين في الجولان تشكل في عام ١٩٥٣ ٥ر٨٨٪ ، وفي عام ١٩٥٤ ٨٧٪ من مجموع السكان . وتظهر أهمية القرويين في ميدان الانتاج ، فهم بدون منازع ، المنتجون الاساسيون . والنشاط الاساسي لهم مرتبط بالأرض ، بشكل مباشر عن طريق الزراعة ، أو بشكل غير مباشر عن طريق التربية الواسعة للحيوانات .

وفلاح الجولان ليس دوماً اكثر سعادة من البدوي ، فكلاهما يعيش حياة بؤس وفقر ، مع فارق كبير في المجهود الذي يبذله كل منهما ، فبينما يبقى البدوي عاطلاً ، يعمل الفلاح طيلة العام دون أن يحصل في الغالب على ما يكفي حتى للبقاء . وهكذا فإن عدداً كبيراً من الفلاحين هم تحت رحمة الدائنين . وخلف بؤس الفلاح في منطقتنا تكمن عدة عوامل منها :

١ ـ غالبية المزروعات غير مروية (بعل) والمحصول يبقى تحت رحمة الطبيعة (الطقس من حيث الأمطار وتقلبات الحرارة) .

٢ ـ نظام الاستملاك العقاري واسلوب المحاصصة في العمل الزراعي ليسا لمصلحة الفلاح ، فالجولان منطقة ملكيات عقارية واسعة . وهذا يفرض على أعداد كبيرة من الفلاحين المقيمين في قرى ثابتة العمل في أراضي لا يملكونها . لذلك فهم مجبرون على أن يدفعوا للملاكين بطبيعة الحال ،

نسبة كبيرة من المحاصيل لا تقل في الغالب عن ٥٠٪ (مناصفة) . يضاف الى ذلك أن الفلاليح الأقل استقراراً ، يعملون أيضاً في أرض لا تخصهم . وحصتهم من المحصول لا تزيد على ٢٥٪ (مرابعة) .

ولبعض الفلاحين حقوقهم الخاصة ، إلا أن مساحتها ، نتيجة للتقسيم المتتالي بين الورثة ، أصبحت محدودة لدرجة أن المردود لهذه القطع الصغيرة لا يكفي لاطعام عائلة كبيرة العدد غالباً . كما ان اسلوب المشاع والتوزيع الدوري للأراضي ، لا يسمحان بتحسين حقيقي لقيمة الأرض ، وفي بعض الحالات ، يصل التقسيم الى الحد الذي لا يسمح للفلاح بالعمل بشكل جيد في القطع الصغيرة المبعثرة .

٣ ـ جهل وفقر الفلاح : فالفلاح لا زال يجهل كل الطرق الحديثة . وحتى عندما يكتشف بالخبرة ، ضرورة استعمال آلة ، أو تنفيذ مشروع ري ، فإن الفقر السائد في ريفنا يعترض تنفيذ ذلك .

مع كل هذا فإن هذه الكتلة من الفلاحين التي يتوقف عيشها على انتاج الأرض ، تقوم بزراعة الحبوب بشكل واسع . واحياناً ، ومنذ وقت قريب ، بزراعة قطع صغيرة من الارض بزراعات مروية أو بأشجار الزيتون والتين والتفاح وكروم العنب .

وبشكل عام ، يبقى مردود الفلاح ضعيفاً بسبب وسائله الهزيلة . والاقتصاد القروي لا يخرج بالتالي عن كونه اقتصاداً معاشياً (اقتصاد قوت) .

وعلى الفلاح أن يدفع بجزء معتبر من عائداته الهزيلة للمختار وللامام[1] أو للشيخ وللناطور ولراعي القرية المشترك إضافة إلى الضرائب . كما أن عليه أن يشترك في نفقات بناء مدرسة القرية[2] .

---

(١) في المدينة الحكومة هي التي تدفع مرتب الامام .

(٢) كذلك فان وزارة التربية هي التي تبني المدارس في المدينة في حين يقوم الفلاحون في القرى ببناء المدارس على نفقتهم الخاصة .

الى كل ما سبق ، يضاف استثمار تجار المدينة للفلاح . ففي فيق والقنيطرة خاصة ، حيث يقيم التجار القادمون من دمشق ، يبيع الفلاح مختلف انتاجه من القمح والثمار والالبان والبيض والدجاج . وفي يوم الجمعة من كل اسبوع كان يقام سوق في القنيطرة (حول موعد السوق منذ عامين الى يوم الاربعاء حتى يتاح للتجار الدمشقيين تمضية عطلتهم الاسبوعية في بلدهم دمشق) . والأسعار لم تكن ثابتة ، والفلاح كان دوماً هو المخدوع حيث يشتري تاجر المدينة المنتجات منه بأبخس الأسعار ويبيعه بالمقابل الأشياء بأغلى الأسعار ، خاصة اذا كان البيع بالدين . وهكذا فالقدرة الشرائية للفلاح تنقص الى حدها الادنى ، ومع ذلك ففلاح الجولان شديد الأرتباط بأرضه ، والنزوح الريفي نحو المدينة موجود ، ولكن بشكل محدود .

« ومن المفارقات التي تبدو غريبة بالنسبة لافكارنا نحن الغربيين وجود قرويين في الشرق مسلوخين عن أصلهم الريفي لا يمتون الى الطبقة القروية بصلة ، وأصحاب اراضي معدومي الحس والاحترام للأرض ، ومزارعون يحتقرون الزراعة ، وفلاحون يحتقرون المحراث ، وقرويون ينبذون القرية ليبقوا أوفياء للقبيلة »[1]

هذا ما قاله J. Weulersse عام ١٩٤٦ عن الفلاح السوري . ويظهر بوضوح أن المؤلف بأرائه هذه المسبقة ، قد وقع في خطأ التعميم لحالات خاصة جداً . فبالنسبة لفلاح الجولان وحوران ، الارتباط بالارض ليس امراً مؤكداً فقط ، بل مبالغاً فيه لدرجة اسطورية . والملكية العقارية في المجتمع القروي تعتبر دليلاً على الغنى والمقام الرفيع . وتقسيم الأرض الى قطع صغيرة الاعتناء بها كبير جداً : ألا يعني ويعكس الاصالة القديمة للارتباط بالارض . وان قطعة من الارض مهما كانت صغيرة ، كافية لاشغال نزاع دموي ، ليس فقط بين اثنين من الفلاحين ، ولوقوع عدد من القتلى والجرحى . وغالبية الدعاوى المرفوعة امام محاكم فيق والقنيطرة ودرعا تدور حول خلافات عقارية ، وقضية (التلاوية) خير مثل على ذلك ، فالأرض

---

(1) J. Weulersse الفلاح السوري صفحة ٦٦ .

تخص مدنياً من سكان دمشق ، والمزارعون الفقراء يشتغلون في هذه الأرض بشروط قاسية ، رغم ذلك فإنهم لم يتركوا الأراضي التي ولدوا فيها . « أرضي عزيزة علي وإن كانت قاحلة وبخيلة بالعطاء » . هكذا يقول المثل الشعبي .

وحالة الفلاح الشركسي نسبياً اكثر تقدماً ، ففي أقل من قرن أصبح فلاحاً جولانياً نموذجياً لأنه قبل أن يأتي الى الجولان ، كان يقيم في سهل حمص ضمن مجتمع قروي متميز .

وفي الواقع إن شركسي الجولان ، بلباسه وعاداته وأساليب عمله يشبه فلاح المنطقة أكثر مما يشبه شركسي حمص .

إن تدخل السلطات في حياة القرويين محدود إذا استثنينا ما يخص جمع الضرائب . لذلك فان كل منطقة في سورية تحتفظ لنفسها بمجتمع اقليمي يختلف عن بقية المجتمعات . ففي منطقة الجولان لوحدها نستطيع التمييز بين عدة مجتمعات قروية وذلك حسب طبيعة الأرض وكمية الأمطار وبالتالي حسب الطريقة المتبعة في استثمار الأرض .

١ ـ فعلى منحدرات الحرمون يعتمد القروي بالدرجة الاولى على الكرمة وعلى الاشجار المثمرة ، ذلك لأن الأرض الكلسية بمنحدراته لا تصلح بشكل جيد لزراعة الحبوب . والفلاح الدرزي يحمل على حماره العنب والملفوف والفجل إلى قرى الجنوب وحوران ليبيعها أو يقايض عليها بالحبوب .

٢ ـ وفي الجنوب تسود زراعة الحبوب مع تربية الحيوانات كمصدر متمم هام جداً . والفلاح الشركسي لا ينفصل عن أبقاره .

٣ ـ وفي الجنوب الغربي من الجولان يزرع القمح فقط ، والمجتمع هنا لا يختلف عن المجتمع الحوراني الصرف .

٤ ـ وفي شرقي الجولان ، حيث توجد أخصب المراعي ، لا يزال البدو الحقيقيون موجودين . وإلى جانبهم يقوم أنصاف المستقرين وحتى المستقرين بتربية الاغنام كمصدر متمم .

٥ ـ أخيراً يملك التلاويون في سهل البطيحة المروي الصغير ، خبرة صحيحة في البستنة . وهم بساتنة جيدون يرسلون بواكير قطافهم الأول ليس فقط إلى القنيطرة وفيق بل الى دمشق مباشرة .

٤ ـ **سكان المدن** : سنكتفي الآن بتحديد نسبة سكان المدن التي لا تمثل إلا ١٣ ٪ من مجموع السكان المحليين . أما أصلهم وطبيعة مهنهم فستفصل كل ذلك في معرض حديثنا عن الظاهرات الحضرية في الجولان ويشكل خاص عند دراسة القنيطرة .

(أنظر القسم الثالث ـ الفصل الخامس ـ والقسم الرابع ـ الخاتمة)

الفصل الثاني

الزراعة

سنبـدأ دراسة الزراعة بعرض موجز للارض ، قاعدة وأساس الزراعة .

والجـدول التـالي يبـين توزع اراضي الجـولان بين عامي ١٩٥٠ و١٩٥٦ بين أراضٍ مستثمرة مروية وغير مروية ، وأراضٍ صالحة للزواعة وغير مستثمرة ، وأراضٍ غير قابلة للاستثمار ، وبرارٍ ، وغابات . . . الخ . . .

قضاء او منطقة	سنة	اراضي مستثمرة: المجموع	اراضي مستثمرة: مروية	اراضي مستثمرة: غير مروية	الاراضي صالحة للزراعة وغير مستثمرة	اراضي غير صالحة للاستثمار	غابات	براري ومراعي	مختلفة	مستنقعات	مساحة القضاء
	١٩٥٠	٢٩٥٠٠	٦٧٠٠	٢٢٨٠٠	٥١٨٥٠	٤٨٦٥٠	٢٠٠٠٠	٧٥٠٠	٢٠١٥٠	١٠٠٠	١٣٠٣٠
[illegible]	٥١	=	٦٩٨٠	٢٢٥٢٠	=	٢٨٥٠٠	=	=	=	=	=
	٥٢		=	=	=	=	=	=	=	=	=
	٥٣	=	=	=	=	=	=	=	=	=	=
	٥٤	٢٩١٤١	=	٢٢١٦١	٥٢٢٠٩	=	=	=	=	=	=
	٥٥	٢٩٥٠٠	=	٢٢٥٣٠	٥١٨٥٠	=	=	=	=	=	=
	٥٦	٣١٢٢٥	٧١٢٠	٢٤١٠٥	٤٩١٢٥	٢٨١٥٠	=	٨٥٠٠	=	=	=
	١٩٥٠	٣٩١٠٠	٦٥٠	٣٨٤٥٠	٤٠٠	٧٤٠٠	٤٤١٨	٨٠٠٠	٤٩٨٢	—	٥٩٠٠٠
[illegible]	٥١	٤٥٥٤٠	٧٠٩٠	=	=	١٢٤١٨	=	=	=	—	=
	٥٢	=	=	=	=	=	=	=	=	—	=
	٥٣	٤٩٠٠٠	٠٠٠٠	=	=	=	=	=	=	—	=
	٥٤	٣١٢٠٠	٧١٤٠	٢٤٠٦٠	=	=	=	=	=	—	=
	٥٥	==	=	=	=	=	=	=	=	—	=
	٥٦	٤٨٦٨٢	٤٤٣٩	٤٤٢٤٣	٥٠٠	٢٤٠٠	=	٣٠٠٠	٧٤١٨	—	(١) =

(١) احصاءات وزارة الزراعة السورية (المساحة بالهكتار)

ـ **اسلوب تملك الأرض** : حسب الواقع الحالي يمكن تصنيف سكان الجولان بالنسبة للأرض ضمن ثلاث زمر :

١ ـ عدد كبير من الاشخاص يعمل في الأرض ويعيش منها ، ولكنه ليس مالكاً لها .

٢ ـ قلة من الاشخاص تمتلك مساحات كبيرة من الأرض ولكنها لا تستثمرها إلا بشكل غير مباشر .

٣ ـ عدد كبير ايضاً من الفلاحين يعمل ويعيش من ارضه الخاصة ذات المساحة المحدودة .

ولمزيد من الفهم لأسلوب تملك الأرض ولطرق الاستثمار المعقدة ، يجب اجراء دراسة تاريخية لتطور الملكية العقارية .

لمحة تاريخية حول تطور الملكية العقارية : معلوماتنا عن ملكية الأرض قبل الأسلام محدودة . ويسود الاغتقاد ان الأجزاء الجنوبية من ارض الجولان كانت في تلك الفترة مشغولة من قبل القرويين ، في حين بقيت المناطق الشمالية والشرقية تحت سيطرة البدو الرحل . وفي مؤتمر الجابية الذي عقد في الجولان سنة ٦٣٨ م(١٧ هـ .) ، تقرر مصير كل البلاد التي فتحت من قبل المسلمين . فعندما حضر الخليفة عمر الى سورية عقد مع الصحابة وقادة الجيش اجتماعات دامت ثلاثة اسابيع ، احتد فيها النقاش ، واشتدت المعارضة . وحسماً للخلاف عرض عمر الأمر على عشرة من المحكمين اختارهم من بين المحايدين واقترح عليهم ان يحتفظ السكان بالأرض وأن يفرض مقابل ذلك الخراج عنها والجزية عن كل شخص ، وأن توضع هذه الضرائب لمصلحة المسلمين ، المحاربين الحاليين منهم ومن سيليهم . وقد وافق المحكمون على هذا الاقتراح ، وبهذا الشكل احتفظت البلاد بالوضع الذي كان سائداً في عهد السيادة البيزنطية .

هذا وان نظام الأرض المرعي الأجراء حالياً في الجولان ، هو تركة فترة السيادة العثمانية التي كانت قد حافظت على المبادىء الرئيسية للتشريع الاسلامي ، مع ادخال بعض القواعد الجديدة . وكانت الأراضي جميعها مصنفة في خمس زمر :

١ ـ الأراضي المملوكة أو التي ملكيتها مطلقة ، اراضي السكن .
٢ ـ الأراضي الميتة (موات) .
٣ ـ الأراضي المحمية أو المتروكة .
٤ ـ الأراضي الموقوفة (الوقف) التي وهبت لمؤسسات دينية أو للنفع العام .
٥ ـ الأراضي الأميرية ، وتضم كل الأراضي المتبقية ، وهي التي قسمت فيما بعد بشكل اقطاعات متفاوتة القيمة ووهبت لعساكر الامبراطورية .

وهكذا ارتبط فلاحو الجولان ، قبل كل فلاحي المناطق الاخرى ، بخدمة الاقطاعيين بموجب عقد اساسي يأخذ صاحب الاقطاع بموجبه ضريبة سنوية مع اتاوات عينية ، وأصبحت حالتهم لا تختلف عن حالة فلاح مسخر ، والاقطاعي هو سيد الموقف له الحق في فسخ الاتفاق في أي وقت ، وطرد الفلاحين من أراضيهم . وبالأضافة للضريبة والأتاوات العينية وأيام عمل السخرة ، كان يجب على الفلاح أن يعمل بالأرض باستمرار وان لا يتركها بوراً .

وبعد قرنين من التطور تحولت الحيازة المؤقتة والشخصية لزراع الأرض الى حق عيني قابل للتحويل والايراث بحكم العقود وحق الارث . ورغم صدور التشريع العقاري لعام ١٢٧٥ للهجرة بروح جديدة في ادارة الامبراطورية ، فإن قضية تحرير طبقة الفلاحين والارض لم تتم ، لان الفلاحين الذين حررهم هذا التشريع من الاقطاع ، وجدوا انفسهم وجهاً لوجه ، أمام الدولة مطالبين باستصدار سندات ملكية عقارية (طابو) تثبت حقهم في الأراضي التي يشغلونها ، وهم فقراء جداً وجاهلون لطرق الاحتفاظ بحقوقهم والاستفادة من الحرية التي منحت لهم . وقد أتاح هذا كله الفرصة للانتهازيين العديدين : ارستقراطي المدينة وقدامى المسفيدين من الاقطاعات ومحاسيب الولاة والتجار الذين لهم علاقة بالريف ، لدخول الميدان وارتكاب أعمال الاحتيال . فتارة كانوا يلجأون الى رشوة موظفي السجل العقاري (الطابو) ، وحيناً يتقدمون الى الفلاحين كحماة لهم موهمين اياهم بأن الدولة لن تعطيهم الأراضي إلا لتجنيدهم ، وبأن الخلاص وتملك الأرض لن يتما إلا بوساطتهم وباستعارة اسمائهم الشهيرة للتسجيل . وبمثل هذا الخداع ،

استطاع باشا كردي[1] ان يسجل باسمه في دائرة (الطابو) أراضي اربعين قرية في سهل البطيحة وحول خسفين . وان ورثة هذا الباشا يمتلكون حالياً ٢٤٨٨٠٠ دونماً أي ما يعادل ٤٢٪ من مجموع اراضي قضاء فيق . واستطاع غيرهم عن طريق شراء بضعة هكتارات من الأرض ، وبالتواطؤ مع موظفي (الطابو) ، تسجيل كل حدود القرية باسمهم كحدود لحقلهم الصغير[2] وهكذا فالتملك الاقطاعي لا زال موجوداً في الجولان مذكراً بالاقطاعات الانكشارية في العهد العثماني .

الوضع القانوني للأرض وتوزعها بين الأفراد : تعود أرض الجولان ، من الوجهة القانونية لثلاث زمر من المالكين :

١ ـ **الله** : الذي توهب له الأراضي التي تسمى الأراضي الموقوفة أو الوقف . وتغطي هذه الأراضي ما مساحته ٨٠٠٠ دونماً ضمن أراضي قريتي نافعة والشجرة الواقعتين في أقصى الجنوب الشرقي من منطقتنا .

٢ ـ **الدولة** : وتمتد ممتلكاتها فوق ٥٠٠٠ دونماً ضمن أراضي قرية الجوخدار الواقعة على الحدود الادارية بين قضائي فيق والقنيطرة . إلا أن للدولة أيضاً حق قاطع في السيطرة على الأراضي المسماة متروكة (أحراش ، مراعي .... الخ ....) والأراضي المسماة موات أو ميتة .

٣ ـ **الأفراد** : ويملكون الأراضي المسماة اميرية . وبعكس الأراضي المملوكة غير المعروفة في منطقتنا ، فان الأراضي الأميرية لا تشكل موضوع تملك مطلق (ملك) . والأراضي الأميرية تشكل في الواقع أساساً لحقين عينيين ملك الدولة (رقابة) وملك الأفراد (تصرف) واراضي الجولان كلها تنحصر ضمن الفئة الأميرية . وقد جرى تملكها في العهد العثماني مجاناً أو مقابل دفع لثمن رمزي يدعى (الطابو) ، وكان هذا التملك يثبت بما يسمى (طابو سندي) الذي يعطي للمالك حق التصرف .

---

(١) عبدالرحمن باشا اليوسف .

(٢) الأمير سعيد الجزائري يملك نصف قرية الكويّة رغم ان لدى السكان صكوك تملك خاصة .

ولكن من أجل الاحتفاظ بحق التصرف في أرض ما ، كان يجب على الفلاح تنفيذ شرطين :

١ ـ دفع نوعين من الضرائب :

ـ العشر اي ١٠٪ من المحصول . وقد الغيت هذه الضريبة رسمياً منذ زمن بعيد ، إلا أن مالكي الأرض لا زالوا يأخذونها من المزارعين البسطاء الذين يعملون في أرضهم .

ـ ضريبة على القيمة التقديرية للأرض بنسبة ٤ بالألف على الأراضي الزراعية و٨ بالالف على الاراضي المشجرة . وقد الغيت هذه الضريبة واستبدلت بضريبة الانتاج الزراعي .

٢ ـ ضمان زراعة الأرض وحمايتها ، إذ أن ترك الأرض بلا زرع لمدة ثلاث سنين متتالية ، وبدون عذر مشروع ، يؤدي الى اعادتها للدولة .

وبالمقابل فإن الدولة تعترف للفلاحين بحق التصرف بالاراضي التي يحيونها . وهذا ما يفسر وضع العدد الكبير من سكان الجولان الذين يتصرفون بمساحات واسعة من الأرض دون أي سند تملك .

ومما تجدر ملاحظته في النهاية ان التمييز الحقوقي بين أراضي مملوكة وأميرية ليس له أي قيمة عملية[1] ذلك لأن المتصرف بأرض اميرية يمكنه بيعها بالوفاء أو بشكل قطعي ويحق له ان يؤجرها أو يعيرها أو يرهنها . كذلك يستطيع نقل الأرض لورثته وزراعتها بكل الزراعات ، عدا الممنوع منها بأنظمة خاصة كالتبغ والأفيون والحشيش . كما له الحق أن تؤول اليه كل المحاصيل والمنتجات الطبيعية للأرض . وان يقيم عليها أو يهدم أي نوع من البناء دون أذن مسبق .

وتوزع هذه الأراضي المسماة اميرية على سكان الجولان متفاوت بشكل كبير . فحسب مساحة الملكية الفردية ثم حسب طريقة الاستثمار نستطيع

---

(١) الفرق العملي الوحيد هوما يتعلق بحق الارث ؛ فالرجل والمرأة متساويين بالميراث فيما يتعلق بالاراضي الاميرية ، بينما حصة الرجل في الأراضي المملوكة تساوي حصة امرأتين .

التمييز بين الملكيات الصغيرة والمتوسطة والكبيرة .
- **الملكية الصغيرة** : وهي التي تنحصر مساحتها بين ٢٠ و ٢٠٠ دونماً (الدونم يعادل ٩١٩٫٣ متر مربع) ويجري استثمارها مباشرة من مالكها بمساعدة عائلته . وتسود هذه الملكية في الجزء الشمالي الشرقي من الجولان وفي الحرمون . وبخلاف ما يقال ، فإن صغار ملاك الأراضي هم : الشركس والتركمان والدروز . وهنا يمكن الاشارة الى وجود ملكية صغيرة جداً نتجت من التقسيم المتتابع للميراث العقاري بين مستحقيه .
- **الملكية المتوسطة** : ومساحتها بين ٢٠٠ و ١٠٠٠ دونماً وهي ليست شكلاً اساسياً في منطقتنا ، لأن تملك الأراضي بالأساس كان قد جرى على شكلين : ملكيات صغيرة واقطاعات كبيرة . إلا أن بعض القرويين الميسورين استطاع زيادة مساحة ملكيته عن طريق شرائه للملكيات الصغيرة جداً .(١)

وبصورة عامة فإن المالك هو الذي يعمل بنفسه في الاستثمار ، ولكن يحدث أن يلجأ الى اليد العاملة الاجنبية ليستعين بها في عمله .
- **الملكية الكبيرة** : وهي التي تزيد مساحتها على ال ١٠٠٠ دونماً . وتسود مثل هذه الملكيات الواسعة في منطقة فيق بشكل كبير حيث تقع ٣٠ قرية من أصل ٣٧ بين أيدي الملاك الكبار . في حين لا يوجد مثل هذا في قضاء القنيطرة إلا في الغرب والجنوب الغربي .

وفي الواقع ، يملك كبار الملاك ٤٣٥٨٠٠ دونماً من أصل ٥٩٠٠٠٠ دونماً مجموع مساحة قضاء فيق . وهذا يساوي ٧٤٪ . وان ١٣ مالكاً يملكون ٣٦٨٧٢٧ دونماً أي ما يساوي ٦٢٪ من مساحة القضاء . وان مالكاً واحداً ، وهو وريث عبد الرحمن باشا ، يملك ٤٢٪ من مجموع قضاء فيق .

وبالعكس فإن الملاك الكبار في قضاء القنيطرة عديدون ، لذلك فإن

---

(١) فيما يتعلق بالملكية العقارية وبطرق استثمار الارض ، عدنا بالكثير منها الى مخاتير منطقتنا .

ما بحـوزتهم من أراضي هو أقـل مما لدى ملاك فيق . وان ال ٥٧ من الملاك الكبـار في القنيطـرة لا يملكون إلا ٢٣٨٧٨٨ دونماً من أصل ١٣٠٠٠٠٠ دونماً أي ١٨٪ من مجموع القضـاء . واكبر مالك في هذا القضاء لا يملك اكثر من ٢١٢١٢ دونماً أي ٦ر١٪ فقط من مجمـوع القضاء . وهذا لا يقارن بما يملكه اكبر مالك في فيق والذي يملك كما رأينا لوحده ٤٢٪ من مجموع مساحة فيق .

مساوىء الملكية الكبيرة في الجولان :

١ ـ هي السبب الحقيقي لبؤس عدد كبير من القـرويين ، ذلك لأن للملاك حسب الحـالـة من ٣٣٪ إلى ٥٠٪ من المحصول ويتوجب على القروي أن يدفع مما يتبقى له كل تكاليف ومتطلبات العمل .

فالفـلاح يسـدد ديـونه القديمة ليطلب غالباً ديناً جديداً يسدده في العام التـالي . وهكـذا يكاد المزارع الفقير أن لا يعرف ابداً العيش المريح فهو مرتبط رغماً عنه بالارض نفسها وبالمالك نفسه .

٢ ـ في الغالب ، لا يملك المالك الكبير في الجولان سيولة نقدية لاستثمار ارضه الـواسعـة بشكـل كثيف . ومن يملك المال اللازم يتحاشى استثماره في المجال الـزراعي . وأن ترك هذه الأراضي الـواسعة بين أيدي فلاحين جهلة وفقراء ، يبقى استثمارها بدائياً ومتأخراً وبالتالي يكون المحصول هزيلاً .

٣ ـ لا يملك ملاك الجـولان الكبـار أي معـرفـة اقتصـاديـة متقدمة ، وتقتصر معارفهم على تلك المعارف العامة التي يتبادلونها مع فلاحيهم .

٤ ـ وهؤلاء المـلاك الكبـار ليسـوا من ابنـاء الجـولان ، فهم من دمشق أو من لبنان . ومجيئهم الى مناطق املاكهم نادر ، اذ يكتفون بإرسال وكلائهم لمراقبة الاعمال ، خاصه عند اقتسام المحاصيل .

٥ ـ إلا ان اكثر المسـاوىء لهذه الملكية الواسعة تكمن في ان كل قرى المزارعين الفقـراء لا زالت بدون مدارس . ويتهـرب المـلاك من تحقيق أي مطلب من مطالب مزارعيهم الفقراء تاركين أبناءهم فريسة الجهل المطلق .

الملكية المقسمة والملكية غير المقسمة : تتمثل ملكية الاراضي الكبيرة أو الصغيرة في الجولان والموثقة بسندات طابو ، بشكلين متميزين .

آ ـ ملكيـة مقسمـة : حيث يحدد السنـد مسـاحـة كل ملكيـة فردية مبيناً موقع

وحدود كل منطقة من الأرض بشكل تكون فيه اراضي كل فلاح معلومة الحدود وثـابتـة . ويعـرف هذا الشكل من الملكية في قضاء القنيطرة ، وبشكل خاص لدى الشركس . والأراضي الأميرية التي اعطيت للشركس من قبل السلطات كانت قد وزعت على الشكل التالي :

٧٠ دونماً لكل عائلة مكونة من ثلاثة افراد .

١٠٠ دونماً لكل عائلة مكونة من ٤ الى ٥ أفراد .

١٣٠ دونماً لكل عائلة مكونة من اكثر من خمسة أفراد .

هذا وان وجـود الأرض الـوعـرة ، الـبركانية والحجرية ، يعيق التوزيع الجيد للحصص فبما أن كل حصة يجب ان تضم ، بالاضافة الى القسم الجيد من الأرض قسماً من الأرض الـوعـرة الحجرية ، يحصل بالنتيجة أن أي ملكية لا يمكن ان تتألف من قطعـة واحـدة ، والعـائلة الواحدة تمتلك غالباً عشرات القطـع الصغـيرة من الأرض ، متباعدة ومفصولة عن بعضها . وهذا من شأنه ان يجعل من الصعوبة بمكان انجاز استثمار مكثف وجيد لهذه القطع المبعثرة . فالتجميع ولم وصال هذه القطع بالنسبة للقرى الشركسية ضرورة ملحة .

ويمكن أن نشير هنا ضمن الحديث عن الملكية المقسمة إلى حالة قرية كل قطع أراضيها الصغيرة ملك لشخص واحد ، وهي حالةليست نادرة في منطقتنا .

ب ـ ملكيـة غير مقسمـة أو مشـاع : وهي الشكـل الأكثـر شيـوعـاً في الجـولان ويسمى هذا الشكـل في اكثر الاحيان بالملكية المشتركة[1] وان كان من الافضل ان تسمى بالملكية غير المقسمة لان ملكيات الأفراد الخاصة غير معينة بقطع أرض ثابتة أي غير مغـروزة عن مجموع أراضي القرية .

وان مجمـوع أراضي القـرية المسماة مشاع مقسمة الى مناطق تسمى كل منطقة منها بموقع وعدد هذه المواقع متعلق بالتباينات الطبيعية لأرض القرية .

---

(١) تجري أعـمال المسـح العقـاري ببـطء ، وحتى الآن لم ينجـز مسح سوى اراضي خمسة قرى .

وكـل موقـع مقسم بدوره إلى أجزاء يسمى كل جزء منها بسهم ، وهذا السهم مقسم ايضاً الى اجزاء اصغر يسمى كل جزء منها بربعة . ويتم تقسيم الارض إلى ربعـات اتفاقياً وبشكل دوري وتتراوح الدورة بين عام وعشرة اعوام . وهنا يجب ان نميز بين :

- الملكية المشاع الكبيرة التي تغطي معظم قضاء فيق .
- الملكيـة المشـاع الصغيرة الموجودة في قضاء القنيطرة وبشكل خاص في قرى (الاسكي تركمان) والدروز .

ان للملكيـة المشـاع نتـائـج سيئـة على الاقتصـاد العائلي وبالتالي على مجموع اقتصاد المنطقة :

- فالفـلاح لا يستطـع تحسـين الأرض التي لا يملكهـا إلا مؤقتـاً ، فهـو لا يسمدها ، ولا يحفر فيها آباراً ولا يباشر فيها أي غرس لشجر . والفلاح مجبر على اتبـاع ما تفـرضه متطلبات المجموعة المرتبط بها من تحديد لطبيعة الزراعة ولأوقـات اعـمال الفـلاحـة والحصـاد في كل موقـع . وهكذا فالفلاح لا يملك الحرية في زراعة ما يريد وفي العمل حسب رغباته وحسب شروطه الخاصة .

وفي الـوقت الـذي تبـدو فيـه الحـاجـة الملحـة لتوزيع وتحديد الملكيات الخاصة من أجل تحسين أقتصاد القرى ذات الملكية المشاع ، فإن دائرة المصالح العقارية لم تفعل حتى الآن أي شيء في جولاننا .

وحدات القياس للملكية العقارية في الجولان : هناك لبس حقيقي فيما يتعلق بوحدات قياس الملكية العقارية في الجولان اذ توجد تشكيلة مشوشة من الأسـماء التي يختلف حسـاب وقيمـة كل اسم منهـا من قريـة الى أخـرى . وسنحاول فيما يلي تحديد الوحدات الأساسية منها :

١ - **الدونم** : وهو أصغر وحدة قياس ، ونجده في كل مكان حيث يوجد على ثلاثة أشكال :

- الدونم القديم ويساوي ٩١٩ متر مربع
- الدونم الحديث ويساوي ٢٥٠٠ متر مربع وهو حالياً مهمل
- الدونم النظامي ويساوي ١٠٠٠ متر مربع

ويحدد الفلاحون الدونم بشكل فريد ، فهو المساحة التي تتسع لزراعة ٥/٨ مد من القمح أو صاع من الشعير (المد يساوي صاعين ويساوي ٢٠ كغ)

٢ ـ **الخانة** : ونجدها في قرى الشركس حيث تقسم كل قطعة إلى عدد من الخانات التي تختلف من قرية إلى أخرى .

والخانة محدودة بين ٧٠ و ١٠٠ و ١٣٠ دونماً حسب عدد أفراد الأسر عند توزيع الأراضي .

٣ ـ **الحصة** : ويختلف حسابها وتختلف قيمتها من قرية الى أخرى ، فقرية سنابر مقسمة إلى ٤٠ حصة ، وكل حصة تساوي فدانين[1] حيث يساوي كل فدان ٦٠ دونماً . وقرية فيق مقسمة إلى ٤٦٫٥ حصة أي ٩٧ فداناً وكل حصة مقسمة إلى ٢٤ قيراط . والحصة في فيق تساوي ٣٠٠ دونماً أي ٣ أفدنة . فالفدان هنا يساوي ١٠٠ دونماً في حين لا يزيد الفدان في سنابر عن ٦٠ دونماً .

أما قرية عين السمسم فهي مقسمة الى ٣٣ حصة وكل حصة تساوي فداناً واحداً مساحته ٩٠ دونماً .

٤ ـ **الربعة** : تقسم قرية سكوفية الى ٣٢ ربعة ، وكل ربعة نقسم الى ٢٤ قيراطاً ، والربعة تساوي ٢٤٠ دونماً أو فدانين . وبالتالي فإن كل فدان يساوي ١٢٠ دونماً .

٥ ـ **السهم** : ويستعمل في قرية الدوكا الواقعة على الشاطىء الشمال الشرقي لبحيرة طبريا ، وهو يساوي ، باعتبار القرويين ، المساحة التي يمكن أن يزرع فيها أربعة مدد أو ٨٠ كغ من القمح أي ما يساوي مساحة ست دونمات .

طرق استثمار الأرض : يوجد في الجولان شكلان رئيسيان للأستثمار :

آ ـ استثمار مباشر : وفي هذه الحالة يستثمر المالك ارضه بنفسه ، ويقوم أحياناً بالاستعانة بعمال زراعيين مأجورين لا حق لهم في الزرع .

ب ـ استثمار غير مباشر : وهو شكل لمحاصصة بين رأس المال العقاري وعمل

---

(١) يعني الفدان في اللغة المحلية مقرن الدواب ، وهو يعني أيضاً المساحة التي يمكن فلاحتها بواسطة فدان واحد .

العمال الزراعيين . وهذه المحاصصة توجد في مناطق الملكية الواسعة كما في مناطق الملكية الصغيرة تحت اشكال مختلفة :

١ ـ في مناطق الملكية المتوسطة والصغيرة :

١ ـ المرابعة : والشغيل المسمى بمرابع يتكفل بالقيام بكل الاعمال الزراعية مقابل ٢٥٪ من المحصول . وطعام المرابع عند المالك إذا كان عازباً ، أما إذا كان متزوجاً فإنه يتلقى من المالك مؤونة مؤلفة من ٢٠ مدّ من الذرة ، ورطل زيت ٢ر٥ كغ ، ورطل من البصل ، ورطل من الملح ، بالاضافة الى زوج حذاء مع كساء . كما أن المالك يتكفل أيضاً بتأمين السكن للمرابع . ويتم التعاقد مع المرابع وفق ما هو متعارف عليه من عادات دون اتفاق مكتوب .

وبعد حصاد ودراسة الحبوب فوق البيادر تجمع على شكل أكوام يسمى كل منها (صبة) . ومن هذه الصبة تسدد أجور النقل للجمالة ، وأجور الحراسة ، وحقوق المختار . ثم يأخذ المالك لنفسه ضريبة العشر ظلماً رغم الغائها . ومما يتبقى وبعد اقتطاع كل ما سبق يحصل المرابع على الربع دون ان يكون له اي حق في التبن .

٢ ـ المخامسة : في المرابعة ، المالك هو الذي يقدم وسائل العمل والبذار . أما في المخامسة فإن شغيل الأرض هو الذي يتكفل بتأمين وسائل العمل والبذار ودفع الأجور . وبعد الحصاد والدراسة ، يأخذ المالك ٢٠٪ من المحصول . ويبقى التبن كله للشغيلة . ولكن منذ عدة سنوات أصبح المالك يأخذ ٢٠٪ من التبن أيضاً .

٣ ـ المناصفة : يقدم المالك البذار والأرض ، ويقدم الشغيلة الوسائل . وتتم قسمة المحصول مناصفة .

٢ ـ في مناطق الملكية الكبيرة :

١ ـ المزارعة : وقرية الدوكا هي أحسن ما يمثل هذا الشكل من اشكال الاستثمار . فالمالك الكبير الذي يقطن في دمشق ، كان قد سلم لسكان هذه القرية ، وعددهم ٤٠٠ فرداً ، مساحة من الأرض تساوي ١٢٠٠ دونماً . وقام الفلاحون بصورة اتفاقية بتقسيم الأرض الى مئتي سهم . ويتلقى المالك الذي لا يقدم لا بذاراً ولا وسائل عمل ، ٣٣٪ من المحصول . وذلك عن

طريق وكيله في القـريـة . وقبـل الغاء ضريبة العشر التي كانت تستوفى من قبل الدولة ، كان سكان الدوكا يعطون المالك ٢٠٪ فقط من المحصول .

وحالياً يقتطع المالك نصف المحصول ، وينذر المزارعين بطردهم خارج أرضه ، وذلك لأن اللاجئين الفلسطينيين يقدمون يد عمل رخيصة .

وفي عام ١٩٥٥ ذهب مختار هذه القرية إلى انقرة واطلع على سجلات الطـابـو القـديمـة ، واستطاع أن يجلب معه وثائق تثبت أن أراضي هذه القرية هي بأسم جدود السكـان الحـاليين للقرية ، وان السندات التي يملكها المالك الكبـير قد استخـرجت في درعـا بتاريخ حديث لاحق ، وفي ظروف غامضة ، وهكـذا بدأ نزاع قوي جداً بين الفـلاحـين وبـين المـالك . والمحاكم التي رفع الفـلاحـون امـامهـا الـدعـوى لم تفصـل بها حتى الآن ، الامـر الـذي وضع الفـلاحـين امـام حالـةحرجة وصعبة جداً ، استغلها المالك فأنذرهم بضرورة سحب شكواهم خلال عشرة أشهر والاعتراف بملكيته وإلا قام بطردهم من القرية .

٢ ـ **الايجـار** : واحسن مثـال على شكل هذه المحاصصة نجده في قرية نعـران التي تغطي مســاحتهـا ٢٠٠٠ دونـماً تقـريباً ، ويملكها مالك واحد من أصـل فلسطيني يقطن في دمشق . فالمـالك في هذه القرية يؤجر الأرض مقابل ٤٥٠٠ ل . س . في السنة وعندما يؤجر الأرض لشخصين فيتقاضى ١٥٠٠ ل . س . من كل واحـد منهـما ، إجـرة ١/٣ مساحة الأرض . ويبقى لنفسه الحصـة الثـالثـة . ويتحمـل الشركاء الثلاثة (المستأجران وصاحب الأرض) أعباء ومصاريف الاستثمار متساوين . وكذلك يتقاسمون الفوائد الناتجة . علماً بأن الشـركـاء الثـلاثة لا يعملون في الأرض بأنفسهم ، أنها يقومون باستثمارها بشكل غير مباشر ، وذلك إما بالاتفاق مع المزارعين الموجودين في القرية والذين يملكـون أدوات انتـاج ، مقـابـل ٣٣٪ من المحصول للشركاء الثلاثة والباقي للمـزارعـين . أو بالاتفـاق مع المـرابعـين الـذين لا يملكـون ادوات انتاج انما يملكـــون فقــط عملهم في الأرض والـــذين يحصلون مقـــابله على ٢٥٪ من الانتاج . وهكذا فالنتيجة النهائية هي أن المالك والمستأجرين لا يعملون ، مع ذلك فانهم يتقاضون حصة الاسد من المحصول

اساليب الزراعة والدورات الزراعية :

١ ـ أسلوب إراحة الأرض أو تركها مراع : ويقوم هذا الاسلوب على ترك الأرض التي زرعت عدة سنوات متتابعة ، دورة زراعية بشكل مرعى ، لترتاح وتستعيد خصوبتها خلال فترة محدودة . وتتبع هذه الطريقة في الأراضي الفقيرة التي تستنفذ خصوبتهابعد استثمارها عدة سنوات . والاراحة الطويلة لمثل هذه الأرض تتيح لها استرجاع بعض ما فقدته من مواد مغذية أو مخصبة ، خاصة الآزوت .

٢ ـ اسلوب زراعة دورة السنتين : وهو الذي تقسم فيه ارض الفلاح إلى قسمين : الأول يخصص للزراعات الشتوية (شتوي) والثاني للزراعات الصيفية (صيفي) . وبهذه الطريقة في استثمار الأرض ، لا تترك الأرض لترتاح كما في الطريقة السابقة ، إنما تزرع بشكل متتابع بالحبوب الشتوية ثم الصيفية فالحبوب الشتوية القمح والشعير تبذر قبل أو بعد مطرات الخريف الأولى مباشرة (تشرين الاول ـ تشرين الثاني) فيكون الحصاد بين أيار وحزيران ، ثم تترك الأرض حتى شهر أيلول ، حيث يقوم الفلاح بفلاحتها لاجتثاث جذور النباتات القديمة ، ولتتلقى بشكل جيد ومشبع امطار الشتاء بانتظار الربيع . وهذه الأرض المفلوحة ، والتي تشبعت بماء الشتاء ، تخصص لزراعة الذرة الصفراء أو البيضاء التي يتم بذارها في نهاية آذار أو مطلع نيسان . وبعد جمع الذرة واقتلاع جذورها في شهر آب ، تزرع مباشرة بالقمح أو الشعير دون الحاجة الى فلاحتها وتركها للراحة . وقد تأكد بالتجربة أن القمح يعطي ، حين يزرع في أراضي كانت مزروعة بالذرة ، مردوداً أكبر مما لو زرع في أرض تركت للراحة دون زراعة .

وهذه الطريقة في زراعة الأرض دون اراحتها باتباع دورات شتوية وصيفية معروفة بشكل خاص في الشمال من منطقتنا .

٣ ـ اسلوب زراعة دورة الثلاث سنوات مع الاراحة للأرض : وفي هذا الاسلوب تقسم أرض الفلاح إلى ثلاثة أقسام :

- قسم يخصص لزراعة الحبوب الشتوية .
- وآخر يخصص للزراعات الصيفية .

ـ والثالث يترك بوراً للراحة ، حيث يحرث في الصيف ليتشمس بشكل كاف ويسمى (بالأرض الشمسية) .

وتتعاقب المزروعات في القسم الواحد بدورة منتظمة كل ثلاث سنوات . سنة تترك الأرض فيها بوراً رغم فلاحتها لتتشمس ، يليها سنة تزرع فيها بزراعات صيفية (ذرة صفراء أوبيضاء) أخيراً وفي السنة الثالثة تزرع بزراعات شتوية (قمح وشعير) . ويكثر اتباع هذه الطريقة في جنوب الجولان .

٤ ـ **اسلوب الزراعة الحرة** : في الأرض الجيدة ، وبشكل خاص عندما تكون مروية يبقى الفلاح حراً فلا يخضع لنظام معين أويتبع دورة خاصة في زراعة أرضه لفترة طويلة ، إنما يغير النظام من سنة لأخرى ، حسب ظروفه ، وحسب شروط المناخ والمياه المتوفرة للري .

الأعمال الزراعية : الاساليب والادوات :

الاساليب والادوات المتبعة والمستعملة في العمل الزراعي بسيطة جداً بل وقديمة . فكما هو الحال بالنسبة لكل ما له علاقة بالفلاح وحياته ، فإن التقنية الزراعية لم تتطور منذ العصور القديمة . فلاح الجولان ، المحافظ بطبيعته ، والضعيف بمؤهلاته الاقتصادية والاجتماعية ، يبقى متمسكاً بالمفاهيم والاساليب المتوارثة منذ أجيال . لذلك فالمحراث السومري لا زال يستعمل في كل مكان من منطقتنا . وهويتألف من أداة بسيطة من الخشب مع محراث معدني مرتبط بواسطة الاداة (الكدان) بواسطة نير من الخشب . علماً بأن هذه الاداة البدائية تبدو ملائمة لمنطقتنا الوعرة ذات التربة القليلة العمق والحجرية .

وتجري عملية البذار باليد ، وفي الزراعة الشتوية ، يرش الفلاح البذار فوق الارض بيده أولاً ، ثم يبدأ بالفلاحة . وتتم عملية بذر الذرة الصفراء والحمص حبة فحبة بشكل خطوط ، وذلك بأن تقوم زوجة الفلاح أو أبنه بالسير خلف المحراث لرمي البذور حبة فحبة في الخط الذي يشقه المحراث . ويجب الاشارة هنا إلى أن الفلاح لا يزرع الحبوب التي تنتجها أرضه ، إنما

يشتري بذاره من حوران وذلك من أجل تحسين المردود .

وتكثر النباتات الطفيلية بين المزروعات وتعيق نموها وتسبب بالتالي خسارة كبيرة في المحصول ، لان عمليات التمشيط ونزع الاعشاب الضارة لا تمارس إلا بشكل نادر في الجولان .

وبدءاً من منتصف شهر أيار يبدأ حصاد الشعير . وبمطلع حزيران يبدأ حصاد القمح . والمنجل هو الأداة الوحيدة المستعملة في عملية الحصاد . وغالباً ما يقتلع الشعير باليد بسبب قصر عيدانه . والمنجل الكبير ذو القبضة الخشبية الذي ادخله الشركس الى المنطقة ، يستعمل فقط من اجل حش الاعشاب من البراري الطبيعية للاستفادة منها كعلف .

وتقوم النساء البدويات بعملية الالتقاط خلف الحصادين ، وهي عملية تقليدية ومسموح بها . وكل ما يسقط من سنابل يترك عادة لهن . إلا أن وكيل أحد الكبار قام في عام ١٩٥٥ بحجز اللاقطات ومصادرة ثلث ما التقطنه .

ويترك الحصادون الحصيد خلفهم بشكل حزم ، يرجعون بعد أيام لجمعها على شكل أكداس يساوي كل واحد منها حمل جمل ، وتثقل هذه الاكداس بقطع كبيرة من الحجارة حتى لا تذروها الرياح .

ويتم نقل الحصيد الى البيادر بواسطة الجمال ، وبواسطة النقل التقليدية . ولقد ادخل الشركس الى الجولان عربات اهملت حاليا بسبب صعوبة استخدامها في منطقة وعرة وصخرية مثل الجولان (الصورة ١٦ ـ ٣ صفحة ٦٤٨ من الكتاب) .

ويجب ان يجف الحصيد على البيادر تماماً قبل بدء عملية الدراسة بواسطة الدرّاسة التي تسمى (اللوح) وهي عبارة عن قطعة عريضة من الخشب السميك غرست على سطحها الداخلي قطع من البازلت أو الصوان ويقوم ثوران بجر هذه الآلة فوق البيدر الذي نشرت عليه أكوام القمح والشعير . ومن أجل زيادة الوزن يجلس من يقود الثورين فوق أرض اللوح .

ويستحوذ العمل في البيادر على كل نشاط القرية ، فتحت الشمس المحرقة يستمر العمل بلا كلل في العشرات من حلبات الدراسة حول البيادر

حتى المغيب . وتنتهي عملية الدراسة عندما تنفصل الحبات تماماً ويتقطع القش الى أجزاء صغيرة تسمى التبن . وعند ذلك يجمع الحاصل بشكل أكوام تهيئة لعملية التذرية التي تبدأ بعد الظهر من كل يوم مع هبوب الريح الغربي الذي يستمر بانتظام حتى منتصف الليل . وتستخدم المذراة ذات الاسنان الخشبية أو المعدنية في عملية التذرية التي تستغرق وقتاً طويلاً ومتعباً رغم بساطتها . ويستعان احياناً بماكنة التذرية والتي هي عبارة عن مروحة كبيرة تستعمل غالباً في تذرية الرز ، يقوم مالك هذه الماكنة بتأجيرها للفلاحين مقابل ٥ر١٪ من الحبوب . وعلى العموم ان عملية التذرية عملية تعاونية ، يتعاون في انجازها كل الفلاحين

هذا واثناء المدة الطويلة لعملية الدراسة والتذرية ، تختلط الحبوب بقطع من التربة والحجارة المقتلعة من أرض البيدر ، لذا يجب غسل الحبوب التي تخصص للغذاء ثم تجفيفها قبل خزنها . وتتم عملية التجفيف فوق اسطحة المنازل أو فوق الحصر .

وان آخر عملية في زمرة الاعمال الزراعية ، هي خزن التبن ، وهي عملية شاقة جداً وتتم غالباً اثناء الليالي المقمرة . وعندما تتم عملية خزن التبن تبدأ عطلة الفلاح ، ويكون المرابع قد أنجز عقد عمله .

وهكذا فإن زراعة جولاننا مطبوعة بالفقدان التام للألات الزراعية . وموقف هذه المنطقة من دخول التقنية الحديثة سلبي عموماً والاسباب في ذلك عديدة :

١ ـ القدرة الشرائية لفلاحنا ضعيفة إلى حد انه لا يستطيع شراء الألات .

٢ ـ الفلاح لا يؤمن بان الآلة قادرة على تحسين المردود بدرجة كافية لتغطية الاسعار المرتفعة للألات .

٣ ـ نظام تملك الأراضي حائل حقيقي ، فالملكية الصغيرة لا تمتلك القدرة اللازمة للشراء ، كما ان الملكية الكبيرة لا تعتقد ايضاً بفائدة الآلة .

٤ ـ الجولان منطقة بركانية وعرة وحجرية ، وصلاحيتها لدخول الآلة تبدو محدودة .

٥ ـ في ظل الـواقـع الحـالي للأمور ، ينذر إدخال الآلات الزراعية الى الجولان بخلق مصاعب خطيرة في المجال الاجتماعي ، اذ انه سيخلق منافسة بين اليد العـاملة الـزراعيـة التي لا تملك ارضـاً ، وبين الآلة . ويمكن ان يكون الخطر اعظم في العــزب (الملكيـات الـواسعـة التي تستثمـر بشكـل بدائي بواسطـة الفـلاحـين المأجورين) التي لا يمكن تصور مصير العدد الكبير من الفلاحين المأجـورين فيهـا عنـدما يستبدلون بالآلات وهم لا يتقنون إلا العمل الزراعي ولا سبيل آخر لهم لتأمين العيش .

الري :

١ ـ مشكلة المياه في مجال الزراعة :

تظهر مشكلة المياه بالنسبة للزراعة ولتربية الماشية بوضوح في منطقة مثل الجولان انفرد سكانها أساساً الى هذا العمل . وليس عدم كفاية كمية الامطار هو الاسـاس في هذه المشكلة ، فالجـولان ، كما أشـرنـا اكثـر من مرة ، يحظى بكميـة جيـدة من المطـر . إنـما تكمن المشكلة في نظـام الامطـار الـذي يسبب الاضــرار الكبــيرة . إذ نادراً ما ينسجم هذا النظــام حتى في الشتــاء ، مع حاجـات المـزروعـات والأعـمال الـزراعية . فالفصل الرطب يبدأ بالخريف ، والامطـار الخـريفيـة مفيـدة جداً بشكـل عام ، فهي تسهـل أعـمال الفـلاحـة والبذار . إلا ان عدم انتظام كميتها في الفصل الواحد ، ومن فصل الى آخر ، يضعف من فائـدتهـا ، ويجعلهـا احيـانـاً غير ملائمة . والذي يحصل غالباً ان الفـلاحـين ، مع توقع مطر خريفي مبكر ، يقومون بعملية البذار التي يسمونها (عفير) . وهنا يحتمل وقوع ثلاث حالات :

١ ـ تهطـل الامطـار في الـوقت المنـاسب وبكميـات كافيـة للانبـات . وتستمر بالهطول دون فواصل طويلة . في هذه الحالة يزدهر الزرع ويعطي محصولاً جيداً .

٢ ـ تتأخـر الامطـار ، وهـذا أمـر كثـير الـوقـوع ، فتكـون النتيجة ان الحبوب المبـذورة في الأرض إمـا ان تموت مع رطـوبـة النـدى غير الكـافية ، أوأن تقوم الطيـور المهـاجـرة (الـزرازيـر) بالتقـاطها ، والحشرات والقوارض بقرضها ..

وبالتالي يتوجب إعادة الفلاحة ومن ثم تجديد البذار بعد سقوط الامطار . وغالباً لا تكون المحاصيل جيدة في هذه الحالة .

٣ ـ تسقط امطار مبكرة بشكل كاف للأنبات ، ثم تتوقف لمدة طويلة مما يعرض النبات للخطر .

وعلى العموم ، اذا كان المناخ الخريفي سيئاً ، تجف وتضعف النبتات الصغيرة بشكل كامل ، وبالتالي ينعدم مردود زراعات الشتاء المسماة (شتوي) .

ولأمطار الشتاء بالذات اهمية في عمليات تنعيم وتهوية الأرض التي فلحت بعمق في الخريف . فهي تسهل تغذية الجذور وتحد من حدوث التقلبات الحرارية الكبيرة للأرض .

وبالمقابل فإن هذه الامطار يمكن أن تغرق الأراضي المهيأة والمفلوحة في الخريف ، فتعرقل أو قد تمنع عملية البذار التي يجب أن تتم بمجرد ابتلال الارض بدرجة كافية . وهكذا تتحول الحقول التي فلحت بعمق الى مستنقعات حقيقية موحلة يتعذر العمل فيها . كما أن هذا الغمر ، إذا ما جاء بعد عملية البذار ، يمكون أن يتلف الحبات ، أو يخنق الشتلات . فتتحول الحقول التي زرعت بعناية الى براري حقيقية للأعشاب .

وبقدوم الربيع ، تعود الحرارة ويعود الجفاف ولكن بشكل غير عنيف ولا ضار لأن القمح والشعير قد أصبحا بشكل سنابل ، والامطار الغزيرة لم تعد ضرورية جداً للزراعات الشتوية التي اقترب تمام نموها .

وعلى العكس ، إن للامطار الربيعية أهمية اساسية بالنسبة للزراعات الصيفية المسماة (صيفي) والمثل القروي المحلي الذي يقول « مطر نيسان يساوي السكة والفدان » . أحسن دليل على ذلك .

وفي الصيف تصبح السماء بخيلة ولا تدر على الأرض العطشى ولا نقطة ماء . وهكذا فإن الاقتصاد الريفي بكامله سيبقى تابعاً لنزوة تذبذب المطر ، إذا لم يعالج هذا الامر بري نظامي يزود الزراعات الشتوية ، وكذلك الصيفية ، بالدعم اللازم من الماء ليتم نموها ولتتخلص من الاعتماد على احتمالات الشروط الجوية . مما تقدم تتوضح طبيعة صفة القهر للمسألة المائية

في سورية ولبنان ، والضرورة الملحة لوضع الحلول لها[1] .

ويخضع النشاط الرعوي ايضاً لرحمة الطبيعة بشكل خطير ، فقطعان البدو المحرومة من الملاجىء ، يمكن ان يهلك أكثر من عشرها وبشكل قاس غير مألوف نتيجة لجفاف غير منتظر . وهكذا فكل اقتصاد الجولان ، ومعظمه ريفي ، يتأثر بتقلبات كمية المطر .

هذا وأن الاوضاع الديموغرافية للسكان في الجولان تدعم الشروط الجوية للماء وتساعد على تفاقم نتائجها . إن النمو السريع للسكان يتطلب زيادة موازية ومنتظمة ودائمة من الانتاج لتغذية الافواه الجديدة التي تتفتح كل سنة .

ونتيجة للأحصائيات الرسمية قدر عدد من كان يسكن في قضائي القنيطرة وفيق في عام ١٩٥٥ ب ٨٦٨٦٣ نسمة في حين كان العدد قبل خمس سنين ٦٦٢١٦ نسمة ، فالزيادة اذن كانت خلال هذه الفترة ٢٠٦٤٧ نسمة أي ما يساوي ٣٠٪ بالنسبة لسكان عام ١٩٥٠ . ودون أي مناقشة لطبيعة هذه الزيادة ، فانها تستوجب ان تجابه بزيادة في الانتاج .

وتشكل الزراعة مع ما يلحق بها من تربية للمواشي النشاط الرئيسي في هذه المنطقة . والانتاج الزراعي ، في ظل الواقع الحالي للأمور ، هو الذي يمكن بل ويجب ان يزيد بسهولة . وهذا يستوجب ، قبل كل شيء استثماراً كثيفاً وعقلانياً لكل المصادر المائية من أجل توسيع قطاع الزراعة المروية التي سيكون من أولى نتائجها الحدّ من سيطرة الاحتمالات المناخية .

وفي الواقع ، لقد اتخذت المبادرة منذ بضع سنين واتسعت المساحات المروية بنسبة معتبرة ، إلا ان هذه المبادرة لم تتقدم بشكل كاف ، لانها قامت على نطاق فردي لا يسمح بقيام ري منسق وموجه للاستغلال الكامل للماء في كل مكان .

إن توسيع وتطوير قطاع الري يعني زيادة وتنظيم الانتاج الزراعي ، وبالتالي تحسين شروط الحياة الريفية . وان المهمة الملحة ، في الواقع ، والتي

---

(١) مظلوم . مشكلة الماء في سورية ص : ٣٧ .

تتطلب معالجة سريعة ، هي رفع مستوى حياة الفلاحين المنخفض في كل بلدان الشرق الاوسط إلى درجة اعلى .

ملكية واستثمار الماء في الجولان :

لأخذ فكرة كاملة لمشكلة الماء ، يجب أن نضيف الى الشروط الطبيعية للمشكلة ، الشروط المتعلقة بملكية واستثمار الماء .

لقد فرق القانون المدني العثماني بين مصادر الماء العامة المشتركة ذات النفع العام ، وبين تلك التي تخص الافراد .

١ ـ فعندما يكون المجرى عاماً ، يحق لكل فرد أن يأخذ منه الماء اللازم لسقاية أرضه بأية وسيلة ، مع مراعاة شرط واحد ، هو أن لا تكون الكمية المأخوذة على حساب المصلحة العامة المشتركة فلا يترك لها ما هو ضروري .

٢ ـ أما عندما يكون المجرى ملكاً للأفراد ، أو لمجموعة تسكن في قرية أو مدينة ، فإن حق الاستفادة من هذا المجرى يبقى محصوراً بالمالكين فقط ، حسب العرف والعادات القائمة بالنسبة لكل مجرى ماء .

ومن المفيد ، أن نشير هنا إلى ان لعامة الناس الحق باقتطاع الكمية اللازمة لحاجاتهم وحاجات حيواناتهم من أي مجرى مائي . وقد أشار المشرع الى هذا الحق بشكل معبر فسماه (حق الشفة) . والرسول ﷺ أكد بدوره على هذا الحق العام حين قال « ثلاثة اشياء يشترك فيها كل البشر : الهواء والماء والكلأ » .

إلا ان القانون الصادر بتاريخ ١٩٢٥/١١/٦ حول الممتلكات العامة ، قد اعتبر كل المجاري المائية والينابيع غير المملوكة من الأفراد أو الجماعات حتى هذا التاريخ ، ومهما كانت اهميتها ، ممتلكات عامة . يخضع حق الانتفاع من مائها لأجل الري أو لأي استعمال آخر ، لاذن من الدولة .

إن مالك أي أرض ، يملك أيضاً وبشكل عام الماء الذي يروي هذه الأرض . فالماء يباع مع الأرض . وهذا عرف متفق عليه حتى اذا لم يأت في عقد البيع نص بذلك . إن الأرض والماء في الجولان ، يؤجران ويباعان سوية في أغلب الاحيان . ومع ذلك فقد يفصلان في عدد من الحالات ، كما في حالة

ان يكـون لقـريـة من المـاء ما يزيد عن حاجاتها ، فتؤجر هذا الماء الزائد لقرية أخـرى مجاورة أقـل غنى بالينـابيـع . وهذا هو حال قرية العليقة التي كانت قد استنـزفت خصـوبـة مزارعهـابـزراعـة الرز ، فاضطرت في عام ١٩٥٦ لتأجير ميـاههـا لقـريـة نعـران التي كانت أراضيهـا الجيـدة الملائمة لزراعة الرز بأمس الحاجة لمزيد من المياه . وقيمة الايجار التي يجب ان تدفع عينا من المحصول ، كانت تختلف من حالـة لأخـرى . ولكنهـا في كل الاحـوال لم تكن أقـل من ٢٥٪ . الامر الذي يوضح اهمية الماء ، فهو في الجولان ثروة يطمع بها .

وفي قرى الملكيـة العقـارية المشاع ، حيث يخضع الماء لأسلوب الملكية نفسه ، يقوم الفلاحون الذين لايستطيعون اقتسام الماء بسبب أسلوب الملكية المشاع ، والذين لا يملكون امكانية القيام بزراعة مكلفة كالرز ، بتأجير أرضهم ومائهم لوجهاء أعنياء يأتون من المدينة أو من قرى اخرى ، قادرين على تنفيذ العمليات اللازمة لجر المياه وللري وتقديم كل ما يلزم من نفقات . وفي الوقت نفسـه ، يقـوم مالكو الارض بالعمل لدى هؤلاء المستأجرين مقابل ٣٣٪ من المحصـول في نهايـة العـام . وقـد زادت هذه الحصة الى ٥٠٪ نتيجة للتنافس الشديد الذي وقع بين المستأجرين .

إن القوانين المنظمة لتوريع واستثمار المياه في سورية سيئة بشكل عام ، وخـاصـة في الجـولان . فهـذه القـوانـين التي خضعت خلال قرن لما يسمّى بالعرف ، والتي تختلف من منطقة لأخرى ، معقدة جداً . وليس من السهل إبطـالهـا وإبـدالهـا بنظام توزيع حديث ومعقول . فحتى بداية الحرب العالمية الثـانيـة ، لم يعـرف الجـولان ريـاً حقيقيـاً . وكان السكان يكتفون بزراعة مسـاحـات صغيرة بالخضار للاستهلاك العائلي . وكان القسم الأكبر من المياه يضيع في الأودية .

وأول من أدخـل الـزراعـة المـروية للرز والقطن إلى الجولان هو شخص أرمني . وقـد دفـع النجـاح الكبير الذي حققه هذا الشخص إلى إيلاء أهمية زراعة الـرز . واصبـح المـاء الذي لم يكن له قيمة ، يخضع لاستثمار كثيف ، ولتوزيع دقيق . مع ذلـك لم يعـرف الجولان نظاماً مائياً كالنظام المعقد المتعارف عليه في

غوطة دمشق . ففي كل القرى التي تمارس الري ، يتكيف نظام توزيع الماء مع الشروط التي تفرضها الطبوغرافية المحلية . لذلك لا زال قسم من أراضي كل قرى الجولان لا يمكن ريه ، على الأقل في ظل الظروف الحالية ، بسبب عدم ملاءمة الشروط الطبوغرافية .)

ـ فعندما تكون الأراضي المراد ريها ممتدة على خاصرة وادٍ ، أو على سطح مائل ، يتم الري بسهولة وبواسطة قنال رئيسي يغذي فروعاً ثانوية .

ـ وعندما تكون الأراضي المراد ريها شاغلة لمنحدري وادٍ ، فإن صبيب النبع يجب أن يقسم الى فرعين ، يسقي كل واحد منها اراضي السفح الواحد تباعاً حتى سافلة الوادي .

وفي الواقع ، أن مسألة التوزيع ، يجب أن تبحث على شكلين مختلفين : شكل التوزيع لقرية واحدة ، وشكل التوزيع على قريتين أو أكثر لها الحق في المياه نفسها .

١ ـ **توزيع المياه على قطع مختلفة تابعة لأرض واحدة** : نتيجة لخطأ القوانين المدونة ، يسيطر العرف على توزيع الماء على المستحقين . فمن حيث المبدأ ، الحق المكتسب للماء يرتبط ارتباطاً وثيقاً مع الملكية العقارية ، وكل مالك له الحق في الماء بشكل يتناسب مع حصته العقارية . فملكية الأراضي تضم بشكل آلي الحق في الري ، والماء في القرى التي يسود فيها نظام الملكية المشاع ، متمم للأرض بشكل لا خلاف حوله . ولكن ملكية الماء ليست مرتبطة بمساحة الأرض المروية ، انما بعدد الوحدات الزراعية (فدان ، ربعة ، دونم) المشار اليها في سند التملك (الطابو) . والأمر على عكس ذلك في قرى الملكية الفردية اذ يكون مفهوم الحق المكتسب للماء فيها دقيقاً جداً ، وهو يتوقف على تطور التجمع المائي بما ينفذه من أعمال هامة لجر المياه وللبناء .

هذا وحينما يكون الماء وافراً بالنسبة لمساحة القسم المروي ، فإن موضوع الحق ومسألة التوزيع تبقى أموراً غير مطروحة . ويقوم كل من الفلاح والمستأجر بري حقوله دون الاهتمام بأي وجود أو أي صفة لحق الاستعمال . ولكن ليس هذا ما يحصل دائماً . فالاختلافات الفصلية لغزارة الينابيع هي أساس التعقيد لمشكلة الماء . وبانتهاء الربيع ، تقل الغزارة ، في الوقت الذي

تزداد فيه الحاجة للري . والذي يحدث غالباً في الجولان أن ملكية الأرض تصبح معقدة جداً نتيجة للبيع ولتقسيم حصة الأسلاف بين الورثة . وقد كان لهذا التعقيد للملكية العقارية ، بطبيعة الحال ، انعكاسات على ملكية الماء .

وهذا ما كان يحدث عندما يغيب العرف أحياناً في بعض القرى . فيقوم كل واحد ، وحسبما يستطيع ، بالدفاع عن زرعه ضد الجفاف ، حتى لو كان ذلك على حساب حرمان جاره من حقه في الماء . كما يقوم كل فرد ، أو كل جماعة ، بالدفاع بشراسة عما تظن انه من مصلحتها المباشرة . وهذه الحالات ليست نادرة في الجولان ، وهو في غمرة التطور الاجتماعي ، والدولة لم تتدخل بعد لتثبيت أعمال دائرة المصالح العقارية (الكاداستر) .

في غالب الحالات كان العرف عادةً يضمن لكل من له حق في حصة من الماء ، امكانية الحصول على جزء من الحجم الذي أقره التجمع ، والذي يمكن أن يتبدل خلال السنة حسب الفصول . إلا أن حصة الماء لا تقدر بالحجم ، بل تبقى الماء خلال زمن محدود لكل قطعة من الأرض وحسب نظام يسمى (العدان)[1] ولا احد يستطيع تغيير دوره المثبت في الانتفاع ، ولا التخلي عنه لمالك أرض ليس له حق الانتفاع من هذا النبع . وفي الحقيقة ، ان العدان المطبق في الغوطة ، أو في القلمون ، لا يصلح للتطبيق في قرى نظام المشاع في الجولان . فهنا التوزيع الدوري بسيط جداً ، والقسم الأكبر من ماء الري يخصص لمزارع الرز التي تتطلب الماء بشكل دائم .

وهكذا فإن التوزيع الدوري المسمى (عدان) ، قد استبدل بتوزيع حجمي للماء . فأصحاب الحق في الماء ، يحاولون الاقلال بقدر الامكان من عدد المستفيدين عن طريق جمعهم في مجموعتين أو ثلاثة مجموعات ، أو تأجير مجموع الماء لشخص واحد أو لشركة .

ويجري توزيع الماء حسب طريقة بدائية جداً . إذ يجري اختيار مكان من المجرى يكون مسطحاً بوجه التقريب ، ثم يقاس عرض المجرى في هذا

---

(١) للتفاصيل المتعلقة بالعدان راجع نظيم الموصلي في مشكلة المياه في سورية ص :

المكان بواسطة حبل أو عود من القصب حتى يمكن فيها بعد تقسيم كتلة الماء إلى قسمين أو ثلاثة أقسام ، حسب عدد المستفيدين ، وليستطع كل واحد الاستفادة من حصته طيلة السنة . وبهذه الطريقة يتساوى المستفيدون بحالة نقصان المياه أو زيادتها والتي يمكن أن تقع خلال أيام السنة .

مع ذلك فإن هذا التوزيع يبقى دوماً موضوعاً لحرمان من حق يمكن أن يقع ، وبالنتيجة موضوعاً لخلاف .

٢ - توزيع مياه مصدر مائي بين أراضي قريتين أو أكثر : تجتاز بعض المجاري المائية اراضي عدة قرى . وقد جاء في الموضوع ١٢٦٢ من مجلة « القانون المدني العثماني » ما يلي : « ان الاستفادة من مياه مجرى مائي عام لأجل ري الأراضي ، أمر حرّ تماماً ، بشرط لا يؤدي ذلك الى جفاف المجرى » . لذلك فإن تجمعات عالية المجرى تستطيع الاستفادة منه أكثر ، وبالتالي الاضرار بمجموعات سافلته . والمستعملون الاوائل يبذدون الماء ، إلا أن الجزء الباقي منه يتجمع من جديد في الاماكن المنخفضة من الوادي ليصل الى تناول القرى الأخرى .

وهكذا فإن وادي البحيران ، الذي ينبع من عرنة (جنوب شرق الحرمون) بعد أن يسقي أراضي هذه المنطقة ، تعود مياهه الفائضة الى المجرى لتقسم إلى قسمين : قسم لبيت تيما والأخر لقريتي كفرحور وحينة .

كذلك هي حالة الأودية الرافدة لنهر الأردن ، والخسارات الضخمة التي يمكن أن يتصورها المرء والتي ينزلها هذا النظام بقرى السافلة ، ان كان بسبب التبخر الشديد عندما ينتشر الماء بشكل طبقة فوق مساحة كبيرة . أو بسبب التسرب الذي ينتهي بجزء كبير من الماء إلى الاعماق عبر الشقوق الكثيرة الموجودة في الأراضي البازلتية .

والذي يحدث غالباً ، مع عدم وجود حدود محددة وثابتة بين أراضي القرى المتجاورة ، وبسبب الالتباس في سندات التمليك (الطابو) . ان يختلف سكان قريتين حول ملكية نبع اورأس مجرى مائي ، وقد أخذت مثل هذه الخلافات ، حديثاً ، وضعاً حاداً ، يندر ان ينتهي دون أضرار ، وحتى دون

ضحـايـا . ان القـانـون المدني العثماني ، كان قد ثبت بعض القواعد لمثل هذه الخـلافـات ، فالخـلافـات يجب ان تعـرض على الكبـار من أهـل القرى ، حافظي العـرف ، إلا ان لجنـة الخـبراء لا تحل الا الخـلافـات البسيطـة أمـا النـزاعـات الكبـيرة فيجب ان ترفـع الى قاضي المـدينـة . وان قرار المنـدوب السامي رقم ٣٢٠ تاريخ ٢٩ أيار ١٩٢٦ كان قد نص على إنشاء لجان خاصة لتسوية الخلافات ، وتسجيل الحقوق المكتسبة للماء . وتتألف اللجنة من خمسة أعضـاء : قاضي للرئـاسـة ، ثم مهنـدس مياه ، وممثل عن السجل العقاري واثنين من الوجهاء .

والذي يحدث في الجولان غالباً ، هو ان اللجنة الخاصة ، بعد ان تزور المـواقـع والينـابيـع التي يدور الخـلاف حولها ، تجد نفسها أمام حالات غامضة جداً ، فتحول حل المشكلة الى محكمين محليين ذوي خبرة .

الخلاصة ، ان توزيع المياه في منطقتنا ، ينظم بالعرف فقط ، وهو يعاني من التفكك والتناقض ومن عيوب متعددة تجعله في غالب الأحيان غير عادل .

وحالات الالتباس ، والخلافات المستمرة ، كان لها نتيجة هامة في كل القـرى التي تمتلك من المـاء مايكفي لممارسـة زراعـة مرويـة . وقـد خلقت فئة مستأجـري المـاء هذه النتيجة . فالقرويون يقومون ، لانهاء الخلافات الطويلة والـدمـويـة ، بتأجير الماء جماعة لوجيه قادر يفرض احترامه . وهكذا فان ٦٦٪ من الفوائد تعود لمثل هؤلاء المستأجرين .

٣ ـ **توزيع المساحات المروية في الجولان** : ان ما تجدر الاشارة اليه في البداية ، وجـود ري طبيعي دون أي تقنيـة تبـذل من أجله . والمسـاحات المروية في هذه الحـالـة هي التي يسمح وضعها الطبغرافي للمياه بأن تغمرها . وحالياً لا يستفاد من مياه الجولان بكاملها في الري ، إذ ان جزءاً كبيراً منها لا يزال يضيع في الاودية . والجدول التالي يبين توزيع المساحات المروية في قضائي القنيطرة وفيق مابين عامي ١٩٥٠ و ١٩٥٦[١] .

---

(١) كل الاحصاءات الخاصة بالزراعة مأخوذة من المصادر الرسمية لوزارة الزراعة السورية .

القضاء	السنة	المساحة المروية	%من المساحة المزروعة	%من مجموع القضاء
	١٩٥٠	٦٧٠٠ هـ	٢٣	٥
	٥١	٦٩٨٠	٢٤	٢ر٥
	٥٢	=	=	=
القنيطرة	٥٣	=	=	=
	٥٤	=	=	=
	٥٦	٧١٢٠	=	=
	١٩٥٠	٦٥٠	١ر٦	١ر١
	٥١	٧٠٠٠	١٥	١٢
	٥٢	=	=	=
فيق	٥٣	١٠٠٠٠	٢٠ر٤	١٧
	٥٤	١٧٤٠	٢٢	١٢
	٥٥	=	=	=
	٥٦	٤٤٣٩	٩	٧

ويسمح لنا الجدول السابق بتسجيل النقاط التالية :

ـ المساحات المروية في منطقتنا ليست ثابتة ، لانها تتعلق بغزارة الينابيع التي تتأثر بشكل كبير بتذبذب كمية الامطار ، وهذه صفة مميزة للجولان .

ـ ان نسبة المساحة المروية الى المساحة المزروعة هي اكبر في الشمال . وبالعكس فان نسبة المساحة المروية الى المساحة العامة للارض هي اكبر في الجنوب . الامر الذي يفسر بأن جزءاً كبيراً من مساحة قضاء القنيطرة تشغله البراري والغابات .

وحسب طريقة الري نستطيع ان نميز زمراً مختلفة من الاراضي المروية التي تتوزع مساحاتها حسب الجدول التالي .

القضاء	السنة	المجموع	مروية بمجاري	مروية باقنية	بآبار ومضخات	بآبار أغتراف	بالسيول
	١٩٥١	٦٩٨٠ هـ	٢٤٨٠هـ	٣٦٨٠هـ	—	١٢٠ هـ	١٦٠ هـ
	١٩٥٢	=	=	=	—	=	=
القنيطرة	١٩٥٣	=	=	=	—	=	=
	٥٤	=	=	=	—	=	=
	٥٥	=	=	=	١٠٨	=	=
	٥٦	=	٤١٧٠	٢٨٩٥	٣	١٤	٣٨
	١٩٥١	٧٠٩٠	٦٠٠٠	١٠٣٠	٦٠	—	—
	٥٢	=	=	=	=	—	—
فيق	٥٣	١٠٠٠٠	٨٥٠٠	١٥٠٠	=	—	—
	٥٤	٧١٤٠	٦١٣٠	١٠٥٠	=	—	—
	٥٥	=	=	=	=	—	—
	٥٦	٤٤٣٩	٣٩٢٠	٤٥٠	=	—	—

اذن يجري بصورة اساسية بواسطة مجاري المياه والاقنية المشتقة . وقنال البطيحة المسمى بقنال العفريتية هو أهم الاقنية في منطقتنا . وان هذا القنال الذي يبلغ طوله ١٠ كم وعرضه ٢ م والمشتق من نهر الاردن شمال القرية الصغيرة خان الدكة ، يروي ارض هذه القرية وأراضي الطواحين وتل أعور والدردارة وغزيل والقطوع واخيرا الدوكا . وتبلغ المساحة التي يرويها ١٥٥٠٠ دونماً . وان المشروع الاسرائيلي الذي يرتكز على تحويل مجرى الاردن نحو الغرب الى داخل اراضي اسرائيل[1] قد عرض للخطر ، وبشكل جدي ، القرى العشر التي تستفيد من ماء هذا القنال .

---

(١) كان من الأجدر أن يقال إلى داخل الاراضي المحتلة . (المترجم).

أمر اخير تجب الاشارة اليه ، هو ان اكبر جزء من الاراضي المروية ، يقع بحوزة كبار الملاك . فواحد منهم يملك لوحده ٢٦٫٦٪ ، واربعة يملكون ٣١٫٥٪ من مجموع الاراضي المروية في قضاء فيق .

٤) **الحاجة لسياسة ري معقولة وآفاق مستقبلية** : يبدو ان الحاجة الى مشروع سياسة معقولة لزيادة القطاع المروي في الجولان قد اصبحت ملحة للاسباب التالية :

آ) ـ في الجولان ، الذي تشكل الزراعة فيه النشاط الاساسي للسكان ، لاتزداد المساحات المزروعة والمروية بشكل مواز لزيادة السكان . فالتطور الديمغرافي مستمر ومتزايد ، بينما تطور المساحات المستثمرة مضطرب ، وأحياناً متناقص . ولأجل مواجهة هذا الضغط الديمغرافي بزيادة الانتاجية وتنظيمها ، يجب زيادة المساحة المستثمرة ، وترشيد الاساليب ، وتوسيع قطاع الزراعة المروية بشكل خاص .

ب) تعيش الفئة الزراعية في الجولان حالياً في بؤس كبير وبشكل يسمح بالكلام عن اكتظاظ مستمر . وبامكان الري ان يدخل زراعات جديدة وان يزيد من المردود ويرفع بالنتيجة المستوى المنخفض للحياة في منطقتنا .

جـ) ـ التوسع في القطاع المروي ، سيؤدي ، عن طريق زيادة الانتاجية ، الى نتائج جيدة بالنسبة للصحة العامة والتعليم .

في الفصل المخصص للدراسة الديمغرافية ، كنا قد تمكنا من إثبات ان نقص المدارس في بعض القرى يعود لفقر سكانها ، وفي الواقع ، ان المساحة المروية التي ازدادت من ٣٧٥٠ هكتاراً في عام ١٩٥٠ الى ٤١٢٠ هكتاراً عام ١٩٥٥ ، قد تضاعفت خلال ست سنوات . الا ان هذه المساحة المروية لاتمثل حتى الان الا ٧٫٥٪ من مجموع الجولان .

مع ذلك ، فان تطور الري بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٥٥ كان له نتائج محسوسة جداً في منطقتنا . وأهم هذه النتائج :

ـ دخول زراعة القطن والرز . وقد اصبحت مزارع الرز ثروات مهمة في المنطقة . كذلك توسعت زراعة الاشجار المثمرة بشكل محسوس جداً ،

واصبحت عنصراً معتبراً في دخل بعض القرى .

ـ ادى الري الى شد السكان الريفيين الى الارض . فالفلاحون الذين كانوا قد اجروا اراضيهم للعمل كعمال زراعيين لدى المستأجرين ، عادوا اليوم الى الارض للعمل فيها .

وهكذا فان عدد الذين يعيشون من العمل في اراضيهم الخاصة قد ازداد ، بينما تناقص عدد العمال الزراعيين ، والجدول التالي يفسر لنا هذا الامر .

القضاء	السنة	عدد الذين يعملون في أراضيهم	عدد العمال الزراعيين
	١٩٥١	٣٨٥٠٠	٢٧١٠٠
	٥٢	٣٨٢٠٠	٢٨٥٠٠
القنيطرة	٥٣	٣٩٠٠٠	٢٧٥٢٠
	٥٤	٣٩٠٠٠	٢٧٩٠٠
	٥٥	٣٨٥٠٠	٢٧٢٠٠
	٥٦	٣٩٢٠٠	٢٦٣٠٠
	١٩٥١	٦٢٩٥	١٥٤١٦١
	٥٢	٧١٠٠	١٠٠٨٨
فيق	٥٣	٤٥٠٠	١٠٦٥٠
	٥٤	٦٣٥٠	١٩١٤٠
	٥٥	٦٩٥٠	١٠٩٩٥
	٥٦	١٥٥٦١	٤٥٠٠

ـ لقد كان لعودة الفلاحين الى الارض وتناقص عدد العمال الزراعيين ، نتيجة اخرى ، هي زيادة الاجور اليومية لهؤلاء العمال . وقد كان تطور اجرة العمال الزراعيين اليومية كما يلي :

القضاء	السنة	رجل	امرأة	ولد
	١٩٥١	٣ ل .س	١٫٢٥ ل .س	٥٫ ل .س.
	٥٢	٢٫٥	=	١٫٢٥
القنيطرة	٥٣	٣	=	١
	٥٤	٣٫٥	٢	١٫٢٥
	٥٥	٣	٢	١٫٢٥
	٥٦	٤	٢٫٥	١٫٧٥
	١٩٥١	٣٫٥	١٫٥	١٫٢٥
	٥٢	٣٫٢٥	١٫٥	١٫٢٥
فيق	٥٣	٣	٢	١
	٥٤	٣٫٢٥	١٫٥	١٫٢٥
	٥٥	٣٫٥	١٫٥	١٫٢٥
	٥٦	٥	٣	١٫٥

وهكـذا فان الاجـور قد تضـاعفت تقـريباً خلال سبع سنين ، والزيادة كانت اكثر في قضاء فيق لان نقص العمال الزراعيين فيه كان اكبر ايضاً .

ـ وللري نتيجـة اخـرى في الجـولان . وهي انـه دفع بالتطور الاجتماعي للمـزارعـين قدمـاً عن طريق تنميـة روابط التضـامن والتنظيم التعـاوني بين المنتفعـين من نبـع ماء واحـد . وفي الـواقع ، عديدة هي التجمعات الفلاحية التي باشـرت ، عن طريق التعـاون ، بالزراعة المروية دون وساطة الرأسماليين المستأجـرين . لقـد كان المستأجـرون ، منـذ عدة سنـوات ، لايعـترفـون لأصحاب الارض الا بـ ٢٥٪ من المحصول ، ثم ارتفعت الى ٣٣٪ . وبدءاً من السنة الماضية اصبحت ٥٠٪ .

٥) ـ **الاعمال المائية المنجزة والمقترحة** : ان ما نفذ من اعمال مائية ، قياساً الى الشبكـة المـائيـة الهـزيلة ، والى الامكانيات المادية الضعيفة للسكان الريفيين لهذه المنطقـة ، لازال قليـلاً وعلى مقيـاس صغـير وجـزئي لايتنـاسب وحجم **المشكلة** المائية التي تعم المنطقة .

وسنتصدى تباعاً للنقاط التالية :

آ) ـ مشكلة مياه الشرب ، وتأمين حاجة التجمعات البشرية .

ب) ـ اعمال التجفيف والتطهير .

جـ) ـ اعمال الري واستغلال القوى المائية لتوليد الكهرباء .

أ) **مشكلة مياه الشرب وتأمين حاجة الفئات البشرية** : تجعل الشروط المناخية والجيولوجية في الجولان أمر تموين السكان بمياه الشرب ، طيلة العام ، صعباً بوجه العموم . فغالبية السكان ، تحصل على حاجتها من ماء الشرب بوسائل استعملت منذ قرون ، واهتمام السلطات ينحصر قبل كل شيء ، في تموين المدن ، اما العرب سكان القرى والبدو فلم ينالهم حتى الان الا القليل جداً من الحظ .

تأمين حاجة البدو وقطعانهم : لم تعمل السلطات المختصة حتى الان اي شيء خاص ببدو الجولان . ومن حسن الحظ ان بدو هذه المنطقة لايتعرضون لمشكلة الماء بشكلها الحاد الذي تعرف به البادية .

وفي الواقع ، يحرص بدو الجولان ، وهم يفتشون عن احسن المواقع تموينا بالماء والعشب ، على حصر تنقلاتهم ، ضمن حدود المنطقة . ولاينتقلون من الجولان الى البادية الا نادراً جداً ، وفي الشتاء فقط ، عندما يكون الماء متوفراً في كل مكان . ويسرع الرعاة بالعودة مع قطعانهم الى الجولان منذ نهاية الربيع عندما تبدأ غدران البادية بالنفاذ نتيجة التبخر والاستهلاك . وبشكل عام ، الينابيع والابار متناثرة في كل مكان من الجولان تقريباً . وحياة التقشف للبدو تجعل المشكلة اقل صعوبة . الا ان النقاط والينابيع التي تمد البدو وحيواناتهم قد اعدت بشكل قديم ، وقد تشح ان لم تجف بشكل تام في الصيف والخريف . لذلك يقترب البدو من القرى حيث تكون الينابيع اكثر اسقراراً .

هذا ويلمح بعض الكتاب الى اهمال البدو للآبار ، حتى انهم يتكلمون عن أعمالهم العدوانية تجاهها والتي تؤدي الى التخريب السريع لها . والحق يقال : ان بدو الجولان يهتمون غالباً بحماية مراكز الماء ، وهناك آبار كثيرة قام

البـدو بحفـرهـا ويدل على ذلك الشعارات القبلية المنقوشة على قطع البازلت التي اسعملت في بنـاء البئـر من الداخل . بالاضافة الى انهم يقومون كل سنة بتنظيف نقاط الماء التي يترددون اليها . ان كل ما يجب عمله لهم هو تأمين عدد اكبر من الينابيع الغزيرة والحسنة التوزيع بالنسبة للمراعي وللحركات الفصلية للقطعان .

وهنـاك مشكلة اخـرى يجب حلهـا وهي قضية رفع الماء . فالطريقة الحالية تعتمد كلياً على الحبل والدلو ، ويضيع فيها ماء كثير ووقت طويل كما تتطلب جهداً كبيراً .

ـ تأمـين حاجـة المـراكـز الـريفيـه : لم ينجز ايضاً اي شيء هام بالنسبة للقـرويـين ويمكن تصنيف المراكز الريفية في الجولان بالنسبة لمشكلة الماء في ثلاثة زمر :

١ ـ قرى لديهـا المـاء ما يكفي بشكـل مؤكـد لكـل السنـة : « من بين الـ ٦٠٠٠ قريـة سوريـة ، ٢٪ فقـط تمتلك بشكـل مؤكـد ماء صالح للشرب بكميات كافية »[1] .

وبـالنسبـة لمنطقتنـا ، نسبـة القـرى المحظـوظـة اعلى بكثـير فمن بين ١٦٥ قريـــة ، ١٢٠ قريـــة عنـدهـا ماء كاف أي ٧٠٪ . وقـد صنف السيـد الكسندر جيب[2] الجولان بين المناطق السورية التي تمتلك مصادر مائية كبيرة . من النوعية الجيدة والصالحة للشرب .

٢ ـ قرى تمتلك ثروة مائيـة كافيـة في سنوات الامطار الجيدة والمتوسطة : أثناء سنوات الجفاف وقلة الامطار ، يضطر سكان هذه القرى الى التفتيش عن الماء في القرى المجاورة ، قرية بريقة تعتمد على الجويزة ، وعين زيوان تعتمد على القنيطرة .

---

(١) بارودي : تأمين مياه الشرب للمدن والقرى . المؤتمر الثالث للمهندسين العرب بدمشق ١٩٤٧ .

(٢) جيب وبارتر : تنمية الاقتصاد السوري . لندن ١٩٤٧ . خارطة رقم ٧ .

٣ ـ قرى لاتمتلك في الوقت الراهن اي مصدر للماء : ويذهب سكان هذه القرى لجلب الماء من القرى المجاورة طيلة السنة . يحملون الماء على الحمير ، ووضع قرية كفر نفاخ مثال على هذه الحالة ، حيث يجلب سكانها الماء يومياً من العليقة التي تبعد عنها بحوالي ثلاثة كيلو مترات .

هذا وتمون بعض القرى بالماء الذي يتوزع بواسطة الا نابيب . وهذه القرى وعددها قليل مع الاسف ، هي : مجدل شمس وجباتا الزيت وحينة وبقعاتا ومنصورة والخشنية . الا ان المياه لاتصل الى البيوت ، انما الى بعض صنابير المياه العامة (فيجة) الموزعة على مستوى الاحياء ويتناول كل السكان . ويجب الاشارة ايضاً الى ان الماء يوزع كما تقدمه الطبيعة دون اي تصفيه او تعقيم .

ان توزيع الماء داخل بيوت القرويين ، لايمكن ان يتم في الواقع دون بعض الصعوبات فالقرويون ، او بالاصح القرويات معتادات على طريقة حمل الماء الشاقة ، وليس من السهل دوماً التخلص من مثل هذه العادات المتوارثة منذ اجيال . ولكن تدريجياً ، يتضح عدم كفاية طريقة حمل الماء الشاقة وأساليبها البدائية وان التحديث اصبح ملحاً في هذا المجال من اجل توفير الوقت ، ومن أجل مواجهة الكميات الكبيرة المطلوبة يومياً من المياه ، لقد حدد السيد الكسندر جيب الكمية اللازمة للفرد يومياً بين ٤٠ و٦٠ ليتراً ، ومع الاخذ بعين الاعتبار ان العائلة القروية في الجولان هي دوماً كبيرة، يمكن حساب الجهد الضائع لقاء الحصول على الماء .

والخلاصة ، تبرز مشكلة مياه الشرب في الريف بشكل مزدوج :

ـ عدم الكفاية كمياً .

ـ وعدم الكفاية كيفياً ، بمعنى ان الماء المستعمل لايكون دوماً مستوفي للشروط الصحية .

فالماء حتى لوكان صافياً في الحالة الطبيعية ، فانه يتلوث من كثرة الايدي البشرية التي تغرف منه ، اومن الحيوانات التي ترد المصدر الذي يشرب منه البشر .

ـ **تأمين حاجة المراكز الحضرية : القنيطرة وفيق** : تأخذ هاتان المدينتان مياه الشرب من آبار محفورة فيهما . وقبل ان يوزع الماء ، يضخ الى خزان ليعقم ويصفى فيه . ويتلقى ميسوري الحال من سكان هاتين المدينتين الماء الى داخل بيوتهم . أما بقية السكان فيأخذونه من صنابير المياه العامة الموزعة على الاحياء وعلى مفارق الطرق . وتلعب هذه الصنابير في الواقع دور النبع في القرى ، فالنساء يأتين إليها لملء صفائحهن (تنكاتهن) وجرارهن . كما يقف المارة عندها للشرب . فالماء يخلق حول هذه الصنابير دوماً جو حركة وضوضاء .

ويتم توزيع الماء الى داخل البيت بواسطة عداد ، وذلك من اجل الحد من الاسراف . وقد حدد السيد الكسندر جيب الاستهلاك الفردي بـ ٧٠ ليتراً إذا كان الماء في البيت ، في حين يهبط الاستهلاك الى ٢٥ ليتراً عندما يكون الماء من المورد العام المشترك .

ويختلف سعر الماء بشكل واضح من مدينة لأخرى في سورية . والأرقام التالية تظهر لنا هذا الاختلاف .

المدينة	سعر المتر المكعب بالقروش السورية
درعا	١٠٠
دمشق	٣٠
حلب	٢٦ر٥
حمص	٢٢
اللاذقية	١٣

ويدفع في القنيطرة بدل اشتراك شهري مقداره ٥ر٥ ل . س . مقابل كمية محددة من الماء . ويسجل العداد مايزيد عن هذه الكمية المحددة ليدفع عنها سعراً اضافياً متناسباً معها . وعلى العموم ، يصل سعر المتر المكعب من الماء إلى اكثر من ٥٠ قرشاً سورياً .

هذا وتحت ضغط الزيادة السكانية(١) ، أصبحت مياه القنيطرة غير كافية لكل أيام السنة . وبدأت مشكلة تأمين مياه الشرب منذ عام ١٩٥٢ . وفي المرة الأولى ، كان قائم مقام القنيطرة قد اقترح جر مياه بركة مسعدة لتغذية المدينة مع عدد من القرى العطشى : بقعاتا ، عين الحجل ، قطرانة ، الأحمدية ، المنصورة . ولأجل تنفيذ هذا المشروع ، كان يجب أن تكون غزارة البركة ١٠٠٠ متر مكعب في اليوم على الاقل . ولتقدير غزارة مجموع ينابيع البركة ، أجريت دراسة تمهيدية قام بها مهندس مائي . وقد بنيت هذه الدراسة على الامور التالية :

١ ـ الضخ يجب ان يكون في حدود الـ ٥ إلى ٢٠ ليتراً من الماء في الثانية وإلى خزان يرتفع ١١٠٠ متراً عن سطح البحر .

٢ ـ يجب ان يكون الخزان المطلوب بسعة ٤٠٠ م^3 .

٣ ـ وضع جهاز تعقيم ، لأن التحاليل التي اجريت أظهرت بأن الماء بحالته الطبيعية غير صالح للشرب .

٤ ـ جر المياه الى القنيطرة والمعسكرات المجاورة يجب ان يكون بأنابيب قطرها من ٤ إلى ٥ انش . وإلى باقي القرى بانابيب قطرها من ٢ إلى ٣ انش .

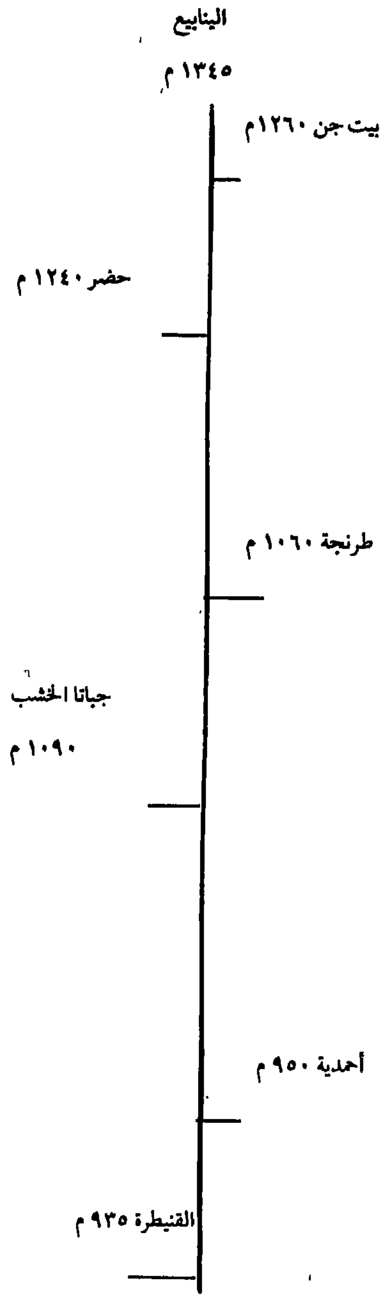
وحسب التقديرات الاولية كانت كلفة تنفيذ هذا المشروع ٢/١ مليون ليرة سورية . وقد أهمل هذا المشروع نهائياً نحت إلحاح المهندس المائي الرئيسي الذي أكد بأن ينابيع البركة غير قادرة على تغذية مثل هذا المشروع . وبعد اتضاح عجز مشروع مسعدة واستبعاده ، اختيرت ينابيع بيت جن لتغذية القنيطرة مع قرى حضر وطرنجة وجباتا الخشب والحميدية بالاضافة الى بيت جن نفسها .

وفي الواقع ، فان ينابيع بيت جن عديدة ، ولكن أهمها : عين كفر ، كويشة ، عين غوار ، عين الهامة تحتانية ، عين الهامة فوقانية ، عين مقتلة ،

---

(١) جاءت هذه الزيادة نتيجة لمجيء اللاجئين والحورانيين وعائلات الجند الى المدينة .

عين عليجـة وعـين الحسا . وان وضع هذه الينابيع بارتفاع ١٣٤٥ متراً يسهل جرّ الميـاه الى القنيطـرة التي ارتقـاعهـا ٩٥٠ متراً . كما أن هذه الينابيع صافية ونقية وغزيرة . وقد قدرت تكاليف هذا المشروع بـ ٧٥٠٫٠٠٠ ل .س . .


الينابيع
١٣٤٥ م
بيت جن ١٢٦٠م
حضر ١٢٤٠ م
طرنجة ١٠٦٠ م
جباتا الخشب
١٠٩٠م
أحمدية ٩٥٠ م
القنيطرة ٩٣٥ م

ب) ـ اعـمال التجفيف والتطهـير : إذا كان نقصـان الماء يطرح مشكلة حادة ويتطلب في الوقت نفسه حلها ، فان زيادة الماء في الاراضي يجب ان تواجه أيضـاً من أجـل الاهـداف الزراعية والصحية . إذ ان الصعوبة هي أحياناً معكـوسـة ويمكن ان ترتكـز على تخليص الأرض من الماء الغائض . وفي الـواقـع ، لهذا المـاء الـزائـد في الجولان ضرر مزدوج ، فهو ليس غير نافع فقـط ، انـما هو ضار أولاً لانه يجعل الارض غير صالحة لأي زراعة ، ثانياً لانه يجعل من هذه الامكنة الرطبة موطناً للملاريا .

ولقـد بدأت أولى أعـمال التجفيف في الجـولان في عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ بدافـع صحي فقـط ، واقتصـرت هذه الاعـمال على مسـاحات صغيرة . والجدول التالي يبين مساحات المستنقعات التي جففت وتوزيعها :

القرية	المساحة بالمتر المربع
بانياس	١٥٠٠ م
مغر شبعا	٧٠٠٠
الغجر	٢٨٠٠٠
نعران	٢٠٠٠
عليقة الشمالية	٤٠٠٠
باب الهوا	٢٠٠٠٠
المنصورة	١٠٠٠
القنيطرة	٢٠٠٠
المجموع	٦٥٥٠٠ (١)

(١) احصائيات التقرير الصحي لعامي ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ ص : ٣٠ باللغة العربية .

هذا وقد كلف قانون ٢٩ كانون الأول ١٩٤٣ القرويين بالقيام بأعمال التجفيف تحت مراقبة الدولة ومساعدتها التقنية . كما نص هذا القانون على تمليك الاراضي المجففة للقرويين . وقد ادى تطبيق القانون مباشرة إلى نتائج منتظرة بالنسبة لكل سورية حيث سُجل تراجع ملموس لحالات الاصابة بالملاريا . ففي عام ١٩٤٣ ، أصيب أكثر من ٥٠٠٠٠٠ شخص بالملاريا ، توفي منهم ١٠٥٠ شخصاً . في حين هبطت هذه الارقام في عام ١٩٤٤ بشكل محترم إلى ١١٦٠١٤ إصابة و ٦٩٠ وفاة . أما في عام ١٩٤٥ فقد كانت الارقام لاتزيد عن ٨٩٠٦٣ إصابة مع ٢١٦ حادثة وفاة .

مع الاسف ، لقد انجزت أعمال التجفيف في الجولان بشكل بدائي جداً ، لا أثر لأي تقنية فيه . وفي التقرير الصحي لعام ١٩٤٥ إشارة الى مايثبت ذلك . حين يبين عودة المستنقعات التي كانت قد جففت في العام السابق .

هذا وقد أدت زراعة الرز الى زيادة المساحات المغمورة بالمياه ، فتضاعف نتيجة لذلك عدد الاصابات بالملاريا ، الامر الذي دفع لوضع شروط لزراعته أولاً الحصول من وزارة الصحة العامة على إذن مسبق ، ثانياً أن تكون أماكن الزراعة بعيدة عن أماكن السكن بمسافة لاتقل عن ثلاثة كيلومترات .

جـ)- **أعمال الري واستغلال الطاقة المائية لتوليد الكهرباء :** كنا قد أشرنا سابقاً في دراستنا للوضع المائي في الجولان ، الى ان مشكلة الماء تشتد حدتها في ميدان الزراعة والري ، وإلى ان الناحية التقنية لمشكلة الماء هي الاكثر بروزاً .

فهناك نقص تقني يعيق الاستغلال المعقول لمصادر المياه الكامنة من أجل تلبية حاجات الري والحاجات المنزلية . والذي يحدث في الجولان أن الماء عندما يكون كافياً للري . فوجوده في أغلب الاحيان لايأتي في المكان الصالح لجعله اكثر فائدة . وهذا سبب أساسي من الأسباب التي تجعل من موضوع المياه مشكلة ، بعض جوانبها تقني .

وهـذا صحيح ، فينابيع ومجاري الماء في منطقتنا ، يمكن أن تصبح عامـل نمـو وازدهـار لقطـاع الـزراعة المروية ، إذا ما أعدت تقنياً وبشكل معقـول . علماً بأن مانفـذ حتى الآن من مثل هذا الاعداد لم يتعد الاعمال البسيطـة المتعلقـة بزيـادة المصـادر وحفر أقنية صغيرة للتوزيع . وكل هذه الاعـمال حديثـة وقـد نفذت على المستوى الفردي . والذي نفذ منها على مستـوى القـرية لازال نادراً حتى الآن . مع ذلك فكل شيء يسمح بتوقع نمو بعض الاعمال في المستقبل فالاعدادات المائية للمستقبل تتعلق بشكل خاص باستثمار مياه الامطار والطبقات الباطنية .

ان نمـوذج الاوديـة المـوجـودة في الجـولان قابلة ، على الأقـل لأن يستفـاد منهـا محليـاً بحبس ميـاه السيـول الشتـوية وخزنها بواسطة السدود للفصل الجاف .

وفي الواقع ، يجب بناء نوعين من السدود في الجولان :

١ ـ السـد الصغـير : وهـو سد لاعتراض المجاري وتحويل مياهها . وهذا النوع من السدود ناجح جداً في أودية الغرب والجنوب الغربي والتي تجري فيها خيوط من الماء بشكل دائم . ويجب ان تكون قمة السد أعلى من أقنية الري لينساب الماء فيها ، وليتابع الماء الفائض جريانه الطبيعي بعد السد ومن الاسفل . والسد الصغير مفيد في الجولان لبساطة مبدئه ولانخفاض تكاليف بنائه .

٢ ـ السد التخزيني : من أجل حبس وتخزين مياه السيل التي تضيع دون فائدة في الشتاء ، حتى يمكن الاستفادة منها اثناء الفصل الجاف .

وفي الـواقـع ، يمكن خزن المـاء ، ليس فقط من فصل لآخر ، بل من سنـة لأخـرى . وخلافاً للسد الصغير الاعتراضي ، يرتبط بناء السد التخزيني بالتقنية الحديثة ، ويتطلب مبالغ كبيرة . وحتى الآن لم يقم أي سد تخزيني في الجـولان . إلا أن دراسـة لمخطط مشروع كانت قد وضعت من قبـل لجنـة (جيب وبـارتـويـرز) تتعلق بنهـر الاعوج الذي ينابيعه في منطقة دراستنا ، والذي في عاليته سيبنى السدان المقترحان .

وتقع الينابيع التي تغذي هذا النهر عند أقدام المنحدر الجنوبي الشرقي للحرمون . إلا أن نهر الأعوج بالذات فيتشكل بعد ملتقى المياه الآتية من ينابيع بيت جن من جهة ، والآتية من عرنه ، عبر كفرحور (نهر بحيران) وبيت تيما من جهة اخرى . ويتم الالتقاء عند أم الشراطيط إلى الشرق من طريق القنيطرة ـ دمشق ، على بعد ٣٥ كم إلى الجنوب الغربي من دمشق .

وقد انتهت الدراسات المائية التي اجريت في أم الشراطيط بتحديد نظام نهر الاعوج . ويتميز هذا النظام بفارق ضخم بين المناسيب الفصلية ، أي بين الحدين الادنى والأقصى للصيف والشتاء ، بالاضافة الى فارق كبير أيضاً بين المناسيب الوسطى السنوية[1] .

وان الفروق الفصلية للمنسوب من جهة (آذار ١٣٫٨ مليون م ^{٣} وتشرين الاول ١٫٦ مليون م ^{٣}) والفروق الوسطى السنوية من جهة اخرى (عام ١٩٣٦ ٣٤ مليون م ^{٣} و(عام ١٩٤٢ ١١٥ مليون م ^{٣}) ، قد دعت للتفكير بخزن هذه الكمية الضخمة من الماء والتي تذهب لتتبخر في المنخفض النهائي وتشكل الهيجانة .

وبسبب ضخامة كمية الماء التي يمكن خزنها ، تقرر بناء خزانين ، واحد على كل فرع من فرعي النهر . مكان الأول في بيت تيما حيث ينحصر نهر بحيران بين الحمم البركانية الميوسينية على شكل خانق صالح لمثل هذا البناء . أما مكان الثاني ففي مزرعة بيت جن حيث ينحصر النهر بين البازلت الرباعي على شكل يصلح لبناء السد المرتقب .

هذا وان كل الشروط متوفرة بشكل جيد لبناء سد تخزين مشابه على وادي الركاد (الرقاد) عند ارتفاع قرية كدنة الصغيرة أو نعيمية .

ويتصف نظام نهر الركاد بتغيرات فصلية وسنوية اكثر سعة من تغيرات الأعوج . ومياه المناسيب القصوى ، يمكن أن تخزن من فصل لآخر ، ومن سنة لأخرى ، ليستفاد منها في ري منخفض الركاد الواسع .

---

(١) انظر الكسندر جيب . تنمية الاقتصاد السوري الجداول ٤٢ و٤٣ .

هذا وإن أي سد على الركاد سيواجه عقبتين : **الأولى** هي التوحل السريع لحوض التخزين بسبب مايترسب فيه من كميات هائلة من الطمي الذي تجلبه مياه السيول الوحشية .

والثانية هي التبخر الشديد نيجة للحرارة المرتفعة في الجولان حيث يضيع قسم كبير من ماء الخزان .

استثمار مياه نهر الاردن من أجل الري : ان التفكيرَ باستثمار معقول لسهل الحولة ، انطلاقاً من تجفيف المستنقعات الضارة ، ثم ري الاراضي الخصبة المسماة بأرض الحولة ، يعود في الواقع إلى العهد العثماني ، عندما كان هذا السهل بكامله ملكاً للعرب ومن الناحية الادارية كان يشكل جزءاً من الجولان .

ففي عام ١٩١٤ (خزيران) منحت السلطات العثمانية اللبناني م . و . بيهم وريتشارد م . سرسق رخصة استصلاح واستثمار ارض الحولة . وبعد انتظار أصحاب الرخصة اكثر من أربعة سنين ، دون أية بادرة ، اضطروا إلى بيع رخصتهم في عام ١٩١٨ إلى مؤسسة زراعية سورية ، قامت بدورها ببيع الرخصة في عام ١٩٣٤ إلى المؤسسة الفلسطينية : « Palestine land Development Co » وتغطى الاراضي المزروعة في السهل ١٢٠٠٠ دونماً ، أما الاراضي المستنقعية التي ستجفف فتبلغ مساحتها ٧٠٠٠٠٠ دونماً[١] .

إن الاستثمار المعقول للحولة والذي يرتكز على بناء شبكة كثيفة لأقنية الري ، مع شبكة اخرى للصرف في الاراضي المستنقعية . واخيرا تحديد مجرى مياه الاردن نفسه ، ان هذا الاستثمار قد كلف مبالغ ضخمة ، وكان تقدمه حتى عام ١٩٤٨ بطيئاً جداً . وبعد قيام دولة اسرائيل[٢] ، عاد العمل ، وجفف قسم كبير من السهل المستنقعي ، إلا أن العمل قطع مرة ثانية أمام معارضة سورية المستمرة والصلبة من جهة ،

---

(١) احصاءات أ . أ . كردي ـ مرجع سبق ذكره ص : ٧٥ .

(٢) وبعد قيام دولة اسرائيل (المغتصبة) . (المترجم) .

ولأن اسرائيل كانت تريد دمج مخطط استثمار الحولة مع مخطط آخر للري أوسع ومقترح على مستوى دولة اسرائيل من جهة أخرى .

اليرموك والري : نظرياً ، ملاءمة نهر اليرموك المتعمق لاقامة مراكز كهرمائية ، أحسن من ملاءمته للري . ومع ذلك ، فان مشروعاً ، درس بشكل جيد ، قد مكن من استصلاح ٣٥٠٠ هكتاراً من ضواحي مزيريب وتل شهاب . ونكتفي هنا بالتلميح عن ري مزيريب لانها تقع خارج ميدان دراستنا[1] .

مشاريع لاستثمار مياه اليرموك والاردن على مقياس واسع : ان مخططات استثمار الاردن واليرموك للري ولانتاج الكهرباء ، تتخطى في الواقع مستوى الجولان ، وحتى مستوى سورية . فهي من االمشاكل التي تطرح على مستوى مجموعة دول لها حقوق من مياه هذين النهرين .

وسورية ، في الواقع ، هي التي تملك الينابيع والروافد الرئيسية للاردن واليرموك ، أما بداية نهر الحاصباني وينابيع أخرى تابعة لنهر الاردن ، فتقع كلها في الاراضي اللبنانية ، بينما تملك اسرائيل ، حسب الحدود الحالية ، بحيرة الحولة ومعظم بحيرة طبريا تقريباً .

وان اصحاب الحق هؤلاء ، والخصوم في الميدان السياسي ، لم يتفقوا على استثمار مياه هذين النهرين ، فقبل الحرب العالمية الثانية اقترحت أعمال مائية في حوض الاردن ونفذت بشكل مفصول ومحلي (الحولة ـ المركز الكهرمائي لتل عر) .

أما المخططات المشتركة للاستثمار فلم تطرح على بساط البحث إلا في وقت متأخر . ففي عام ١٩٣٩ كان W. C. Lowdermilk وهو مهندس زراعي وفني كهربائي ، قد زار بلدان الشرق الاوسط (مكلفاً بمهمة من قبل وزارة التجارة الامريكية) ليدرس فيها امكانات تنمية الزراعة . وبعد ان طار هذا المهندس فوق وادي الاردن ، اقترح مشروع « T.he Jordan Vally Authority » المشابه لمشروع وادي تينسي المتأثر به . وقد جاء في

---

(١) للتفاصيل راجع موصلي . مرجع سبق ذكره . ص : ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣١ .

الكتـاب الـذي طبعـه اثناء الحرب العالمية الثانية تحت عنوان : Palestine land of Primise وصفاً للمشروع الذي اقترحه تحت العبارات التاليه[1] : « ComparablTo aur T.V.A.in scope and importance » وبعـد هذه الـدراسة التي قام بها W.C. Lowdermilk ظهـرت المشـاريـع الجـديـة مثـل : مشروع Banger ومشبورع Johnston والمشروع العربي .

مشـورع Banger المشـروع الاردني ـ السـوري : يرتكز هذا المشروع على تحقيق الاعمال التالية :

١ ـ سد تخزين على وادي الـيرمـوك قرب المقـارن ، المكـان الـذي تلتقي فيـه الانهـر الثـلاثـة : هريـر وشلاله وعلان . على أن يكون هذا الخزان قادراً على خزن ٥٠٠ مليـون م ٣ من المـاء وان يتيـح بالنتيجـة تنظيم منسوب النهر وضمان غزارة له تساوي ٢٠م ٣/ثا .

٢ ـ بنـاء اربعـة محطـات كهرمائية بين المقارن والعدسية (قرية اردنية تقع على الغـور الى الجنـوب من بحـيرة طبر يـا) . وستنتـج هذه المحطـات ٢٠٠ مليـون كيلو واط في السنـة ٧٥٪ منهـا لسـورية ، والباقي للاردن . ومحطـة المقـارن ستنتـج لوحـدهـا ٦٦ مليـون كيلوا واط في السبنة ، أي ما يسمح بتغطية حاجة حوران والجولان معاً .

٣ ـ قنـاة تحويـل تذهب من المقـارن إلى العـدسيـة تستخـدم ميـاههـا لانتاج الكهرباء ثم الري .

٤ ـ سد اعـتراضي في العـدسيـة لتنظيم حركة توزيع المياه الصادره من المحطة الكهـرمـائية . وقد قدم لمجموع المشروع قرض بـ ٥٠ مليون دولار ٥٪ منه لسـوريـة و ٩٥٪ للاردن . كما اجـريت دراسـة جيولوجية لمكان إقامة سد المقارن ، وحفرت الأقنية في الغور ، ووصلت طائرات خاصة لأخذ صور جويـة لمسـح طبغـرافي مفصـل . ولكن فجأة توقف العمـل ، وتخلى المهنـدسـون الاجـانب ، الـذين كانـوا قد جاءوا لتنفيـذ المشـروع ، عن عملهم وعادوا الى بلادهم . ذلك لان مشروعاً جديداً ، مدعوماً من قبل

---

(١) انظر أ . أ . كردي . مرجع سبق ذكره . ص : ١٥٠

الرئيس ايزنهاور ، قد ظهر في الولايات المتحدة الامريكية وهو مشروع Johnston .

مشروع Johnston : في تشرين الاول لعام ١٩٥٣ صرح السيد Johnston المرسل الخاص للرئيس الامريكي إلى الشرق الاوسط ، بان الرئيس ايزنهاور وحكومته قد أقروا ودعموا مشروع Johnston لأنه يتصدى لاستثمار موحد لمياه نهري الاردن واليرموك . وهو أفضل من استثمار يفصل نهر الاردن عن رافده اليرموك . ويمكن تلخيص هذا المشروع بما يلي :

في مجال الري :

١ ـ بناء سد تخزيني على نهر الحاصباني في الاراضي اللبنانية بهدف خزن ماء الفيضانات ، وتنظيم المنسوب . ويجب أن تقوم قناة تحويل بايصال الماء الى تل حي في اقصى الشمال الغربي لمنخفض الحولة ، حيث تشق قناة أخرى لري الجليل .

٢ ـ بناء سد آخر تحويلي على كل من نهري بانياس واللداني لجر المياه عبر قناة بطول ١١٠ كم لري الجليل ومرج ابن عامر .

٣ ـ تجفيف منطقة الحولة المستنقعية .

٤ ـ تعلية حاجز بحيرة طبريا من أجل زيادة استطاعتها إلى ٨٣٠ مليون $م^٣$.

٥ ـ سد تحويلي على اليرموك بارتفاع العدسية لايصال مياه النهر ، ضمن قناة ، الى بحيرة طبريا ليخزن فيها .

٦ ـ توزيع مياه بحيرة طبريا بواسطة قناتين تحفران بمجارات الطرفين الشرقي والغربي لنهر الاردن . وبذلك تروى اراضي الغور حتى البحر الميت*.

٧ ـ منشآت مختلفة لخزن مياه الاودية الثانوية للاستفادة منها في أعمال الري .

٨ ـ وأخيراً سد تخزيني على اليرموك بالقرب من المقارن باستطاعة ١٩٥ مليون $م^٣$.

في مجال توليد الكهرباء :

١ ـ بناء مركز كهرمائي في تل حي يغذى من سد الحاصباني يبلغ انتاجه السنوي ٣٧ ألف كيلو واط .

٢ ـ مركز آخر في العدسية يغذى من سد المقارن وبقناة مشتقة . ويبلغ انتاج هذا المركز ٣٠ ألف كيلو واط .

هذا . وكان يجب على المشروع أن ينفذ على خمسة مراحل ، سنتان لكل مرحلة . وبتكاليف قدرها ١٣٥ مليون دولار . وسيؤ من هذا المشروع في النهاية الري لمساحة ٣٠٠٠ هـ في سورية و٤٩٠٠ هـ في الاردن و٤١٦٠٠ هـ في اسرائيل . وقد رفض المسؤولون العرب هذا المشروع رفضاً مطلقاً . ويمكن تلخيص وجهة نظر العرب وفق مايلي :

آ) ـ ان مشروع جونسون ، باهماله الحدود بين البلدان المختلفة ، يحرم بعض هذه البلدان من حقوقها الطبيعية ، فمياه نهر الحاصباني ستخصص لاسرائيل وحدها ، في الوقت الذي تستطيع فيه هذه المياه ، وبحكم منشئها اللبناني ، ان تروي ٣٥٠٠ هـ من الاراضي اللبنانية .

ب) ـ ان الارقام المسجلة والمتعلقة بالمساحات التي ستروى من اسرائيل غير حقيقية . فالرقم الرسمي ٤١٦٠٠ هـ فقط في حين يغطي سهل الحولة لوحده ٧٠٠٠٠ هـ ، ومثلث اليرموك ـ الاردن يغطي ١٥٠٠٠ هـ . وعلى هذا الاساس فان ما سيروى في اسرائيل سيكون اكثر من ٨١٥٠٠ هـ .

جـ) ـ يخصص هذا المشروع للعرب ٨١٩ مليون م^3 من الماء فقط ، في الوقت الذي تزود فيه الينابيع الواقعة في الاراضي العربية الأنهار بمقدار ١٠٥٧ مليون م^3 سنوياً .

ـ) ـ يسمح المشروع لسورية بري ٣٠٠٠ هـ فقط ، في حين تبلغ الاراضي الصالحة للري فيها ١٢٠٠٠ هـ .

ـ) ـ ان الاحجام المائية المحسوبة لري الاراضي العربية ، وخاصة في الاردن ، هي أقل بكثير من الاحتياجات الحقيقية .

) ـ ستكون استطاعة سد المقارن حسب هذا المشروع ١٩٥ مليون م^3 بينما تصل الاستطاعة في المشروع الاردني ـ السوري إلى ٤٧٥ مليون م^3 .

وامام هذه المعارضة القطعية من قبل الحكومات العربية عدل مشروع جونستون ليولد من جديد ، مشروع جديد ، هو المشروع

العربي .

المشـروع العـربي : يقتضي هذا المشـروع الأخير استثمار المياه مع الأخـذ بعـين الاعتبـار الحـدود بين مختلف البلدان بشكـل يضمن لكل بلد ما يمكنه من استثمار اراضيه . ويشمل هذا المشروع الانشاءات التالية :

١ ـ سد تخزين على اليرموك في المقارن باستطاعة ٤٠٠ مليون م^{3} .

٢ ـ سد آخـر قرب العـدسيـة باستطاعة ٦٠ مليون م^{3} . وهكذا يخزن السدان ٤٦٠ مليون م^{3} من الماء ولكن سيفقد منها ١٥ مليون م^{3} .

٣ ـ وسيكون توزيع المياه والمساحات المروية كما يلي :

البلد	المساحة المروية	كمية الماء
لبنان	٣٥٠٠ هـ	٣٥ مليون متر مكعب
سورية	١١٩٠٠	١٤٥
الاردن	٤٩٠٠٠	٦٩٨
اسرائيل	٢٣٤٠٠	١٨٢
المجموع	٨٧٨٠٠ هـ	١٠٦٠ مليون مترمكعب

وسيضمن هذا المشروع الاخير للجولان ري ٩٠٠ هـ في مناطق بانياس والبطيحة ووادي اليرموك بين المقارن والعدسية .

ولكن التنفيذ لهذا المشروع يتطلب تعاون عربي ـ اسرائيلي غير مباشر في الميدان الاقتصادي ، وهذا غير قابل للتحقيق في الظروف الحالية .

الانتاج الزراعي في الجولان

آ) ـ الصفات الرئيسية لهذا الانتاج :

١ ـ لايمثل الانتاج الحالي للجولان الامكانات المتوفرة ، إذ ان هناك مساحات كبيرة من الارض الصالحة للزراعة متروكة بوراً . كما ان نسبة الاراضي المزوعة والصالحة للزراعة قد تطورت بين عامي **١٩٥١** و**١٩٥٦** حسب الارقام التالية :

السنة	أراضي مزروعة	اراضي بور ولكنها صالحة للاستثمار
١٩٥١	٣٦٪ من مجموع الجولان	٢٧٪ من جموع الجولان
١٩٥٦	٤٢٪ من مجموع الجولان	٢٦٪ من مجموع الجولان

وهكذا فان اكثر من ربع المساحة القابلة للاستثمار تبقى بوراً ، وامكانية تنمية الزراعة كبيرة وخاصة في قضاء القنيطرة ، في حين ان معظم ارض قضاء فيق مستثمرة :

قضاء أو منطقة	السنة	أراضي مزروعة	أراضي بور ولكنها صالحة للزراعة
القنيطرة	١٩٥١	٢٣٪ من مجموع القضاء	٣٩ ٪ من مجموع القضاء
	١٩٥٦	٢٤٪ من مجموع القضاء	٣٧ ٪ من مجموع القضاء
فيق	١٩٥١	٦٦٪ من مجموع القضاء	٧ر٠٪ من مجموع القضاء
	١٩٥٦	٨٢٪ من مجموع القضاء	٦ر٠٪ من مجموع القضاء

٢ ـ مردود الزراعة غير ثابت وضعيف غالباً . وسبب ذلك ان غالبية المزروعات غير مروية وهي مرتبطة بالتالي بشروط الامطار الامر الذي يجعل مردود الهكتار الواحد يختلف من عام آلى اخر . وحال القمح خير مثال على ذلك :

السنة	قضاء القنيطرة	قضاء فيق
١٩٥٠	٧٦٦ كغ قمح في الهكتار	٩٦٠ كغ قمح في الهكتار الواحد
١٩٥١	١١٠٠ كغ قمح في الهكتار	١٠٠٠ كغ قمح في الهكتار الواحد
١٩٥٢	٦٤٠ كغ قمح في الهكتار	٢٠٠٠ كغ قمح في الهكتار الواحد
١٩٥٣	٩٦٠ كغ قمح في الهكتار	٦٠٠ كغ قمح في الهكتار الواحد
١٩٥٤	١٠٠٠ كغ قمح في الهكتار	٢٠٢٥ كغ قمح في الهكتار الواحد
١٩٥٥	٨٠٠ كغ قمح في الهكتار	٨٠٠ كغ قمح في الهكتار الواحد
١٩٥٦	٤٦٥ كغ قمح في الهكتار	٧٤٠ كغ قمح في الهكتار الواحد

وهكـــذا فان اختـلاف مردود هكتـار القمـح من سنـة الى اخـرى يتراوح بين (١ -٣ر٢) في قضاء القنيطرة وبين (١- ٥ر٢) في قضاء فيق .

وتذبذب وضعف الانتاج يوضحه مردود الكيلوغرام الواحد من البذار .

السنة	قضاء القنيطرة	قضاء فيق
١٩٥٠	٣ر٥ كغ من ١ كغ بذار	٢ر٦ كغ من ١ كغ بذار
١٩٥١	٣ر٧ كغ من ١ كغ بذار	٧ كغ من ١ كغ بذار
١٩٥٢	٤ كغ من ١ كغ بذار	٣ر١٥ كغ من ١ كغ بذار
١٩٥٣	٦ كغ من ١ كغ بذار	٤ كغ من ١ كغ بذار
١٩٥٤	٤ر٥ كغ من ١ كغ بذار	٣ر٥ كغ من ١ كغ بذار
١٩٥٥	٥ر٤ كغ من ١ كغ بذار	٣ر٥ كغ من ١ كغ بذار
١٩٥٦	٢ر٩ كغ من ١ كغ بذار	٥ر٥ كغ من ١ كغ بذار
وسطي	٣ر٥ كغ من ١ كغ بذار	١ر٨ كغ من ١ كغ بذار

٣ ـ يتميـز الانتـاج الـزراعي لمنطقتنا بتشتت الفعالية بين جماعة مكونة من وحـدات صغـيرة منطـويـة على نفسها (مغلقة) على مستوى العائلة او القرية ، ومبادلاتها الخارجية محدودة وخاصة .

٤ - الانتاج الرزاعي في مطقتنا محافظ ككل اقتصاد الهدف التقليدي لزراعته المتعددة الانواع ، كفاية حاجا - كتلة الفلاحين .
لذلك فان هذا الاقتصاد قليل التطور ، اذ لا يمكن تبديل أي عنصر من عناصر الزراعة المتنوعة فيه دون ان يكون في هذا التبديل إخلال بتوازن التركيبة ، وتعريض غذاء العائلة بل وكل الفلاحين للخطر .

ان اقتصاداً مثل هذا الاقتصاد ينتج قليلا ويبيع قليلاً ، ليس هو الا اقتصاداً فقيراً ، يعجز باعتماداته القليلة للاستثمار ، عن تذليل الصعوبات التي تفرضها عمليات يتطلبها التحديث والتطوير .

ويلعب نظام ملكية الارض دوراً هاما في صفة المحافظة الملازمة للانتاج الرزاعي في منطقتنا ، فالملاك الصغار لاينتجون اكثر من حاجة معاشهم-والملاك الكبار أيضاً ، باستخفافهم واتباعهم اسلوب الزراعة الواسعة من أجل الحصول على أعلى مردود بأقل التكاليف ، يساهمون بدورهم بتكريس الجمود .

وبعد دراسة الصفات العامة للزراعة في الجولان ، ننتقل الى دراسة المنتجات الزراعية .

ب) - المنتجات الزراعية : يمكن تصنيف المنتجات الزراعية المختلفة لمنطقتنا في خمس زمر رئيسية من المزروعات : الحبوب ، البقول ، الخضار ، المزروعات الصناعية ، واخيراً الاشجار المثمرة .

١ - الحبوب : وتمثل الزراعات الاساسية في منطقتنا ، وتمارس في كل مكان ، لأن الحبوب تدخل بقسط وافر في غذاء الفلاح على شكل خبز . والتي لاتدخل في صناعة الخبز تزرع لتغذية الحيوانات .

ويميز عادة ، حسب فترة البذار ، بين حبوب الشتاء وحبوب الصيف ، أو على الاصح حبوب الربيع .

القمح : وهو اهم انواع الحبوب ويخصص الفلاح له دوما احسن اراضيه وقمح الجولان من النوع القاسي ، أي من النوع الحوراني الذي يتصف بلون ذهبي . وهو يعطي خبزاً جيداً جداً . ويفقد هذاالنوع الحوراني المزروع في الجولان صفاته بسرعة فتصبح الحبات بيضاء ، ويصبح الخبز

بالتالي اقل جودة . لذلك يجد فلاح الجولان نفسه مجبرا على تجديد البذار دوما .

والفلاحون الميسورو الحال فقط يستهلكون القمح بشكل خبز ، في حين يقتصر استهلاك الفقراء منهم للقمح على (البرغل) ، اما من اجل الخبز فيستبدلون قمحهم بحبوب ارخص ، خاصة الذرة البيضاء التي تزرع بدون سقي وبدون سماد .

لقد رأينا سابقا ضعف وتذبذب محصول القمح بالنسبة لوحدة البذار ولكن من أجل شرح تذبذب انتاج الجولان من القمح يجب أيضا الأخذ بعين الاعتبار أثر أعداء القمح العديدين وأشدهم خطورة :

- فئران الحقل التي تقضي في بعض السنين على كل مزروعات الحبوب ، وخاصة في جنوب منطقتنا .
- الجراد وخاصة الرحال منه .
- جرّية القمح العسلية والسوسة والطفيليات الملطخة للقمح .
- النخر والتفحم والعفونة .
- الذبول ولفح الحر .

هذا وقد كان تطور انتاج القمح والمساحة المزروعة به وفق الجدول التالي :

السنة	المساحة المزروعة بالقمح	مجمل انتاج الجولان	كغ قمح لكل شخص في الجولان	كغ قمح لكل شخص في سورية
١٩٥٠	١٣٥٠٠ هـ	—	—	—
١٩٥١	١٣٢٠٠	١٢٠٩٠ طن	١٨٠ كغ	—
١٩٥٢	١٤١٠٠	١٤٣٣٠	٢٠٤	—
١٩٥٣	١٩٣٢٠	٢١٩٤٤	٣٠٤	٢٦٢ كغ
١٩٥٤	١٩٥٠٠	١٤٢٢٧	١٧٧	٢٣٠
١٩٥٥	٢٥٢٠٠	٢٠١٦٠	٢٣٤	١١٢
١٩٥٦	١٤٥٠٢	٨٥٥١	—	—

الشعير : وهومن الحبوب الثانوية ، ويزرع مثل القمح في نهاية الخريف ، وهــو يتأقلم بشكـــل احسن مع الاراضي الفقـيرة ، ويقـاوم اكثـر خطـر الاحتـمالات المنـاخية . وتخصص له دوماً الاراضي الضعيفة لانه لايدخل في غذاء فلاحي الجـولان إلا في حالات نادرة وفي سنـوات المـواسم السيئة جداً للقمـح وهـويزرع بشكـل عام لاطعـام الحيـوانـات وبشكـل خاص الخيول ، كما يصدر أحياناً لخارج المنطقة حيث يستعمل لصناعة الجعة

وتنتشـر زراعـة الشعـير في منطقـة القنيطـرة بشكل خاص ، إلا ان مردود الهكتـار يكـون اعلى في الجنـوب مماهـو عليـه في الشمـال . والجدول التالي يبين انتاج الشعير ومساحاته في قضائي الجولان بين ١٩٥٠و١٩٥٦ :

القضاء	السنة	المساحة المزروعة	البذار بالطن	الانتاج بالطن	كغ بذار في الهكتار	كغ مردود في الهكتار	المردود بالنسبة لوحدة البذار
	١٩٥٠	٣٦٠٠ هـ	٥٧٠ طن	٣٢٠٠طن	ـــ كغ	٨٨٠ كغ	٥ر٦
	١٩٥١	٣٢٠٠	٥٢٨	٣٦٠٠	١٦٣	١١٢٥	٦ر٨
	١٩٥٢	٣٥٠٠	٥٩٥	٢٧٥٠	١٧٠	١١٢٠	٦ر٣
القنيطرة	١٩٥٣	٣٢٨٠	٥٤١	٣٧٨٨	١٦٥	١١١٥	٦ر٢
	١٩٥٤	٣١٨٠	٥٢٤	٤١٩٧	١٦٥	١٣٢٠	٨
	١٩٥٥	ــــ	ـــ	٣٣٥٣	ــــ	٦٦٠	٧
	١٩٥٦	٣٨٥٠	٦٣٥	٢٤٥١	ــــ	٩٥٠	٤
	١٩٥٠	٢٢٠٠	٢٢٤	١١٢٠	ـــ	ــــ	٥
	١٩٥١	٢٢٠٠	٢٢٤	١٩٧٦	١٠٠	٥٠٨	٨ر٨
	١٩٥٢	٢٥٠٠	٢٥٠	٧٥٠٠	١٠٠	٣٠٠٠	٣٠
فيق	١٩٥٣	٣٠٠٠	٥٦	١٥٠٠	١٢٠	٥٠٠	٤١
	١٩٥٤	٣٠٢٥	٣٠٢	٩٠٧٥	١٠٠	٣٠٠٠	٣٠
	١٩٥٥	٣٠٢٠	٣٠٢	٢٧١٨	١٠٠	٩٠٠	٩
	١٩٥٦	١٠٦٧	١٤٦	١١٧٠	١٠٠		٨

ويمكننا هذا الجدول من ملاحظة اختلافات معتبرة بين قسمي الجولان :

ـ في الشمال المساحات المخصصة لزراعة الشعير اوسع ، والبذار الذي يبذر في وحدة السطح اكثر ، والفرق في المردود بين سنة وأخرى هو في حدود ٢/١ .

ـ في الجنوب ، المردود في الهكتار ، وبالنسبة لوحدة البذار أعلى بكثير ، والفرق في المردود بين سنة واخرى هو في حدود ٨/١ .

البيقية والجلبان والكرسنة : وهي ثلاثة انواع من البقول تعتبر من الحبوب الشتوية لانها تزرع في مطلع الشتاء مثل القمح والشعير ، وقد أخذت زراعتها بالانتشار بين زراعة الحبوب الشتوية شيئاً فشيئاً كزراعة متممة للدورة الانباتية إذْ انها لاتنهك الترب ، بل على العكس من ذلك تعيد لها جزءاً من الآزوت الذي استنفذته الزراعات السابقة ، لهذا فان وقت زراعتها في الدورة المتكاملة يأتي بعد القمح حيث يبذر البذار حبة حبة خلف المحراث . ودورتها الانباتية ليست طويلة كبقية الحبوب فحصادها يتم قبل حصاد الشعير بالاقتلاع باليد .

وهذه الحبوب المخصصة فقط لغذاء الحيوانات ، يمكن زراعتها إذا ما توفر الري ، على شكل كلأ ، حيث تزرع في شهر آب ويحش الحشيش في الشتاء . ولكن تزرع غالباً من أجل حبوبها التي تخلط بعد تكسيرها مع التبن لتكون في الجولان أحسن غذاء لحيوانات العمل الزراعي وبشكل خاص الثيران والجمال .

والجدول التالي يعطي الانتاج والمساحة المزروعة والمردود للكرسنة لانها تحظى بالاهتمام اكثر من البيقية والجلبان :

القضاء	السنة	المساحة	البذار	الانتاج	كغ بذار لكل هـ	المردود لكل هـ	المردود بالنسبة لوحدة البذار
القنيطرة	١٩٥٠	٢٢٠ هـ	٣٠ طن	١٢٥ طن	—	—	٤
	١٩٥١	٢٠٠	٣٥	١٢٠	١٧٥	٦٠٠	٣ر٤
	١٩٥٢	٢٢٠	٤٤	١٥٤	٢٠٠	٧٠٠	٣ر٧
	١٩٥٣	٣٠٨	٥٥	٥٤٤	١٨٠	١٨٠٠	٩ر٩
	١٩٥٤	٣٢٥	٥٧	٥١٢	١٧٥	١٥٧٥	٩
	١٩٥٥	—	—	٤٣٠	—	١٢٢٥	—
	١٩٥٦	٣٧٠	٦٥	٣٨٩	—	١٠٥٠	٦
فيق	١٩٥٠	٦٠٠	٧٠	١٠٠	—	—	٢ر٦
	١٩٥١	٦٠٠	٦٠	٩	١٠٠	—	—
	١٩٥٢	٦٥٠	٧٨	٦٥٠	١٢٠	١٠٠٠	٦ر٣
	١٩٥	٧٠٠	١٠٥	٥٠٤	١٥٠	٧٢٠	٤ر٨
	١٩٥٤	٧٥٠	١٠٥	٨٢٥	١٤٠	١١٠٠	٨
	١٩٥٥	٧٢٥	١٠١	٧٢٥	—	١١٠٠	٧ر١
	١٩٥٦	١٧٢	٢٥ر٥	١٤٧	١٤٨	٨٥٥	٥ر٨

حبوب الصيف او بالاصح حبوب الربيع : ترتبط زراعة حبوب الصيف بدرجة كبيرة بأمطار الربيع . وهي على نوعين : الذرة الصفراء (الشامية) والذرة البيضاء .

وتزرع الصفراء في شمال الجولان معتمدة غالباً على السقي . ويستهلك الشركس والتركمان كميات معتبرة منها . في حين لا يستهلك منها الفلاحون في الجنوب إلا كميات قليلة . وتتلف الخنازير البرية والثعالب مزروعات الذرة الصفراء مسببة أضراراً فادحة .

والجدول التالي يبين واقع زراعة الذرة في الجولان :

القضاء	السنة	المساحة	البذار	الانتاج	كغ بذار لكل هـ	المردود لكل هـ	المردود بالنسبة لوحدة البذار
	١٩٥٠	٨٠٠ هـ	٢٦ر٢٥ طن	٨٧٥	٣٢كغ	١٠٩٤ كغ	٥٣
	١٩٥١	٧٥٠	٥٢ر٥	١٥٠٠	٧٠	٢٠٠٠	٢٩
	١٩٥٢	٧٨٠	٥٤ر٦	١٢٦٠	٧١	١٨٠٠	٢٣
القنيطرة	١٩٥٣	٥٩٠	٢٩	٥٠٢	٥٠	٨٥٠	١٧
	١٩٥٤	٨٩٠	٥٢ر٩	٢٥٥٥	٥٨	٣٠٠٠	٤٧
	١٩٥٥	٩٧٥	٥٨	٢٧٨٧	٦٠	٢٥٦٨	٤٩
	١٩٥٦	١٠١٠	٦٠١	٢٦٩٤	٦٠	٣٠٦٠	٤٤
	١٩٥٠	٧٠	٣ر٥	١٢٦	٥٠	١٨٠٠	٣٦
	١٩٥١	٧٠	٣ر٥	٠ر٥	٥١	٧	١٤ر٠
	١٩٥٢	٦٠	٢ر٤	١٥٣	٤٠	٢٥٥٠	٤٦
فيق	١٩٥٣	٥٠	٢	٧٥	٤٠	٧٥	٣٥
	١٩٥٤	٥٥	٢ر٢٥	١٤١	٤٥	٢٨٠٠	٥٣
	١٩٥٥	١٧	١ر٥	٣٢	٨٨	١٨٦٧	٢١
	١٩٥٦	٨٦	٣ر٤٥	١٠٠ر٥	٤٠	١١٦١	٢٩

أمـا الـذرة البيضاء ، فهي على عكس الصفراء تزرع وتستهلك بشكل خاص في جنـوب الجـولان حيث يصنـع منهـا ، كما في حوران الخبـز المشهـور (كردوش) . وبسبب كون سعـر الـذرة البيضـاء أقل من سعر القمح ، يكتفي الفـلاحـون بأكلهـا ، ليتسنى لهم بيـع القمـح والحصول على سيولة نقدية . وتزرع الذرة البيضاء بدون سقي ، وبعيداً عن القرى ، لحمايتها من أخطر عدو لها وهـو العصفـور الـدوري الذي قد يعرض المحصول للخطر في الوقت الذي لاتـزال الحبـات فيه طرية . وقد كان انتاج الذرة البيضاء في الجولان بين عامي ١٩٥٠ و١٩٥٦ كما يلي :

القضاء	السنة	المساحة	البذار	الانتاج	كغ بذار لكل هـ	المردود لكل هـ	المردود بالنسبة لوحدة البذار
	١٩٥٠	٥٠٠ هـ	١٥ طن	١٠٠٠طن	٣٠كغ	٢٠٠٠ كغ	٦٦
	١٩٥١	٧٢٠	١٨	١٠٠٠	٢٥	١٤٢٠	٥٥
	١٩٥٢	٧١٠	١٧ر٧٥	٣٥٢	٢٥	١٢٠٠	٤٨
القنيطرة	١٩٥٣	٢٤٦١	٤٥	٩٠٥	٢٠	٤٠٠	٢٠
	١٩٥٤	٢٥٦١	٥١ر٢٢	٣٨٤١	٢٠	١٥٠٠	٧٥
	١٩٥٥	٢٦٠٠	٥٢	٣٩٠٠	٢٠	١٣٣٥	٧٥
	١٩٥٦	٢٦٢٠	٥٢ر٤	١٤٩٧ر٤	٢٠	٥٧٢	٢٨
	١٩٥٠	٦٠٠٠	٤٠	٤٠٠٠	٧	٦٦٦	١٠٠
	١٩٥١	٩٠٠٠	٠٠	٤	٥	٤	٠ر١
	١٩٥٢	٤٠٠٠	٦٠	٤٨٠٠	١٥	١٢٠٠	٨٠
فيق	١٩٥٣	٥٠٠٠	٢٥	٢٠٠٠٠	٥	٤٠٠٠	٨٠٠ (١)
	١٩٥٤	٤٥٠٠	٦٧ر٥	٤٥٠٠	٢٠	١٠٠٠	٦٦
	١٩٥٥	—	—	—	—	—	—
	١٩٥٦	٤٢٧٨	٢٧	١٢١٢	٦	٢٨٣	٤٥

(١) أرقام هذه السنة تدعو للشك

ويسمح لنا الجدول السابق بالتأكيد على ما يلي :

- من بين الحبوب المزروعة في الجولان ، تعطي الذرة البيضاء اعلى مردود ، ولكن بفارق ملحوظ بين سنة واخرى. كمية البذار التي تبذر في وحدة من المساحة في منطقة القنيطرة تساوي غالباً ثلاثة أضعاف البذار المطبق في منطقة فيق ، ومع ذلك فالمردود في فيق هو أعلى .
- تضاعفت المنطقة المزروعة بالذرة البيضاء في شمال الجولان خمسة مرات خلال سبع سنوات ، في الوقت الذي تناقصت فيه المساحة في الجنوب بمقدار ٢٨٪ .

الـرز : يزرع الـرز في الجـولان في مطلع نيسـان ، ويعتبر مع الذرة الصفراء او الـذرة البيضـاء من الحبوب الصيفية أو الربيعية . ولكن بسبب الدورة الانباتية الطويلة للرز ، فان حصاده لايتم إلا في النصف الثاني من شهر تشرين الاول مما يستدعي ان يبذل العمال الزراعيون نشاطاً واسعاً وحثيثاً في مزارع الرز لانهاء أعمال الحصـاد والـدراسـة قبل موعد الامطار . هذا ولم تنقطع زراعة الرز التي دخلت الجولان حديثاً ، عن التوسع ، حتى اصبحت شيئاً فشيئاً عنصراً هاماً في اقتصـاد المنطقـة . وهو الانتاج الوحيد الذي يصدر بكامله للخارج ، فيتيح للفـلاحـين امكـانيـة الحصـول على سيولة نقدية . وتصدر الجولان رزها عادة بدون تقشير . ولكن ، ومنذ ثلاث سنوات ، انشئت في القنيطرة عدة مكائن لتقشيره .

ولقش الـرز اهميـة ، اذ يستخـدم كطعـام للحيـوانات ، كما يستخدمه الفـلاحـون الفقـراء لحشي فرشهم بسبب طراوتـه . وهكـذا فالحب يصـدر ، والقش يستخدم في المكان نفسه .

وقد تطور انتاج الرز في الجولان بين عام ١٩٥٠ و ١٩٥٦ كما يلي :

القضاء	السنة	المساحة	البذار	الانتاج	كغ بذار لكل هـ	المردود لكل هـ	المردود بالنسبة لوحدة البذار
القنيطرة	١٩٥٠	٢٧٠ هـ	٢٧ طن	١٣٥٠ طن	١٠٠ كغ	٥٠٠٠ كغ	٥٠
	١٩٥١	٥٠	٥	٢٥	١٠٠	٥٠٠	٥
	١٩٥٢	٣٠٠	٣٠	١٤٤٠	١٢٠	٤٨٠٠	٤٨
	١٩٥٣	٣٤٠	٤١	١٦٣٢	١٢٠	٤٨٠٠	٤٠
	١٩٥٤	٤٨٣	٥٨	٢٨٩٨	١٢٠	٦٥٠٠	٥٠
	١٩٥٥	٢٧٢	٣٢٫٦	١٦٣٢	١٢٠	٥٤٠٠	٥١
	١٩٥٦	٢٣٦٫٥	٢٨٫٣٨	١٢٧٧	١٢٠	٤٥٦٠	٤٥
فيق	١٩٥٠	٧٣	٦٫٨	١١٧	٩٣	١٥٨٩	١٧
	١٩٥١	٧٣	٦٫٨	١٠	١٠٠	١٣٧	١٫٤
	١٩٥٢	١٨٤	١٨٫٤	٢٧٥	١٠٠	١٤٩٧	١٥

طبق	١٩٥٣	٢٠	٢	٤٠	١٠٠	٢٠٠٠	٢٠
	١٩٥٤	٩٨,٥	١٩,٨٥	٣٩٧	١٠٠	٢٠٠٠	٢٠
	١٩٥٥	١٣٢	٢	٢٤٦,٤	٩٠	١٨٦٦	٢٠
	١٩٥٦	١٦	٦,٥	٤٠	١٢٣	٢٥٠٠	٢٠

١) ـ يجب ان يلاحظ ان الجولان هي المنطقة الوحيدة التي تمارس زراعة الرز بين كل مناطق جنوبي سورية ، والتي تضم محافظات : دمشق وحوران وجبل الدروز . وان انتاج منطقتنا ، التي لاتزيد مساحتها عن ١,١٪ من المساحة العامة للبلاد ، هو انتاج هام ، حيث كان في عام ١٩٥٢ ٢٩٪ من انتاج كل سورية للرز ، وفي عام ١٩٥٣ ١٠٪ وفي عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٥ ١٨٪ .

٢ ـ يظهر الجدول السابق عدم ثبات مساحة وانتاج الرز . ويفسر ذلك بالامور التالية :

ـ تذبذب غزارة الينابيع من سنة لأخرى . وحتى في السنة نفسها ، ففي مطلع الربيع تتدفق المياه من الينابيع بغزارة .

وبما ان المزارعين لايستطيعون التنبؤ ، بشكل دقيق ، باختلاف الغزارة التي لاتخضع لاي قاعدة ، فانهم يغامرون بزراعة مساحات كبيرة بأمل ان تبقى الغزارة مرتفعة طيلة الموسم . فاذا لم يتحقق ذلك ، وضعفت مياه الينابيع في الصيف والخريف ، لجأوا الى تجفيف وإهمال جزء من حقولهم لانقاذ الباقي .

ـ منع زراعة الرز بالقرب من القرى والمناطق السكنية . من قبل وزارة الصحة ، بحجة ان مزارع الرز تساعد على تكاثر البعوض وبالتالي انتشار الملاريا .

ـ يقوم نوع خاص من الجراد المحلي في المنطقة بإتلاف جزء هام من المحصول . على الرغم من تعلم مزارعي الرز حديثاً طرقاً جديدة لمكافحة الجراد والبعوض .

٣ ـ يشير الجدول السابق الى ان المناطق الشمالية من الجولان حيث التربة ناعمة ومحصاة ، هي التي سجلت المردود العالي . ويزرع الرز غالباً في أراضي لاتهيأ أبداً ، كما ان الخبرة قد علمت المزارعين بأن زراعة الرز تزدهر اكثر في الاراضي غير العميقة .

٤ ـ وأمر آخر تجدر الاشارة اليه ، هو ان الارقام الخاصة بالانتاج والمردود بعيدة عن تمثيل الحقيقة . إذ ان عدداً كبيراً من مزارعي الرز لايبعون محصولهم مباشرة بعد الدراسة ، بل يقومون بخزنه في قراهم للتهرب غالباً من دفع ضريبة الانتاج الزراعي ، أولانتظار تحسن الاسعار . وهكذا فان كميات كبيرة من محصول الرز في الجولان تحجب عن السلطات ولاتدخل في الاحصاء .

٢ـ البقــول : تلعب البقـول ، مع الحبـوب ، دوراً هامـاً جداً في غذاء جمهور فلاحي منطقتنـا . ففي الشتـاء بشكـل خاص ، تكـاد التغـذيـة تقتصـر على الحبـوب والبقـول . ولاتـزرع البقـول كلهـا في وقت واحد ، فبعضها يزرع في الشتاء ، والآخر في الصيف .

الحمص : وهـو أهم البقـول ، يزرع في نيسـان ويحصد في حزيران وتموز . فهو زراعـة صيفيـة . ويستهلك الفـلاحـون ، وبشكـل خاص الفتيـان كثيراً من الحمص . إلا أن اكـبر كميـة منـه تستهلك بشكل حمص معجون (مسبحة) اكثـر الاكـلات شعبيـة ، ليس فقط بالقرى ، بل في المدن أيضاً . وهكذا فان حمص الجـولان يتسـرب الى المدن ، وتتعلق الكمية المصدرة منه بالطبع بانتاج كل سنة .

وفي الواقع ، يكون المردود مرتفعاً نسبياً ، عندما يصل الى ٣٥ مثلا في بعض السنين ، كما يبين الجـدول التـالي . وإنتاج جنوب الجولان منه اكثر من إنتاج الشمال .

القضاء	السنة	المساحة	البذار	الانتاج	كغ بذار لكل هـ	المردود لكل هـ	المردود بالنسبة لوحدة البذار
	١٩٥٠	٣٥٠ هـ	٢٢ طن	١٧٥ طن	٣٦ كغ	٥٠٠ كغ	٨
	١٩٥١	٣٠٠	٢٠	١٥٠	٦٦	٥٠٠	٥ر٧
	١٩٥٢	٣٢٠	٢٠	١٤٥	٦٥	٤٥٥	٢ر٧
القنيطرة	١٩٥٣	٥٧٣	٤٠	٢٠١	٧٠	٣٥٠	٥
	١٩٥٤	٥٠٠	٣٥	٢٤٥	٧٠	٩٠٠	٧
	١٩٥٥	٧٠٠	٣٥	٧٧٠	٥٠	١١٠٠	٢٢
	١٩٥٦	٢٤٥	٧ر٢٩	٨٨٤	٧٩	٢٠٨٠	٤ر٢٩
	١٩٥٠	٧٠٠	٦٣	٩٤٥	٩٠	١٣٧٠	١٥
	١٩٥١	٧٠٠	٦٣	١٣٠٠	١٠٠	١٩٤٣	٥ر١٢
	١٩٥٢	٧٥٠	٧٥	١٥٠٠	١٠٠	٢٠٠٠	٢٠
فيق	١٩٥٣	٦٥٠	٢٦	٢٠٠	٤٠	٤٠٠	١٠
	١٩٥٤	٧٥٠	٥ر٣٧	١٢٠٠	٥٠	١٦٠٠	٣٥
	١٩٥٥	٧٥٠	٣٧	١٢٠٠	٥٠	١٦٠٠	٣٥
	١٩٥٦	٦٠٦	١ر٣٧	٢٤٥	٦٦	٤٠٤	٦ر٦

العدس : ويدخل أيضاً بشكل واسع في الغذاء الشعبي على شكل حساء (شوربة) او مخلوطاً مع البرغل الاكلة التقليدية المعروفة في كل انحاء سورية (المجدرة) .

وبخلاف بقية البقول ، يزرع العدس في الخريف ، ويحصد في الربيع وطيور الحجل التي تكثر في أدغال الجولان هي أخطر أعداء العدس . وفي السنين الجيدة . تنتقل منه ، كالحمص ، كميات معتبرة الى المدن . والجدول التالي يعطي فكرة عامة عن زراعة العدس في الجولان :

القضاء	السنة	المساحة	البذار	الانتاج	كغ بذار لكل هـ	المردود لكل هـ	المردوية بالنسبة لوحدة البذار
	١٩٥٠	١٤٠ هـ	٢٠ طن	٨٠ طن	١٥٠ كغ	٥٧١ كغ	٤
	١٩٥١	١٢٠	٢٠	٧٥	١٧٠	٦٢٠	٣ر٧٥
	١٩٥٢	١٤٠	٢٨	١١٢	٢٠٠	٨٠٠	٤
القنيطرة	١٩٥٣	٣١٣	٥٦	٦٧٧	١٨٠	٢١٦٠	١٢
	١٩٥٤	٢٧٥	٤٠	٣٩٨	١٤٥	١٤٥٠	١٠
	١٩٥٥	٤٢٠	٤٢	٥٠٤	١٠٠	١٢٠٠	١٢
	١٩٥٦	٣٥٠	٥٠ر٧٥	٢٥٣ر٧٥	١٤٣	٧٢٥	٥
	١٩٥٠	٣٠٠	٣٠	١٥٠	١٠٠	٥٠٠	٥
	١٩٥١	٣٠٠	٣٠	٩	١٠٠	٣٠	٠ر٣
	١٩٥٢	٣٥٠	٣٥	٣٨ر٥	١٠٠	١١٠٠	١١
فيق	١٩٥٣	٤٠٠	١٦	١٦٠	٤٠	٤٠٠	١٠
	١٩٥٤	٤٢٥	٤٢ر٥	٤٨٩	١٠٠	١١٥٠	١١
	١٩٥٥	—	—	—	—	—	—
	١٩٥٦	٣٧٣	٢٥ر٢٥	١٤١	٣٧٨	٢١٠٠	٥ر٦

وبخلاف الحمص الذي يزدهر كما رأينا سابقاً في جنوب الجولان ، تنتشر زراعة العدس في شمال منطقتنا ، وبمردود اعلى .

الفول : ويزرع في الشتاء في حالة الزارعة البعلية الجافة . أما في حالة الري فيزرع في وقت متأخر . ويستهلك الفلاحون في الجولان الفول أخضراً بينما تباع حبوبه الجافة وتصدر الى خارج المنطقة . والجدول التالي يبين إنتاج حبوب الفول الجافة بين عامي ١٩٥٠ و١٩٥٦ .

القضاء	السنة	المساحة	البذار	الانتاج	كغ بذار لكل هـ	المردود لكل هـ
	١٩٥٠	١٨٠ هـ	٤٥ طن	١٨٠ طن	٥٢٠ كغ	١٠٠٠ كغ
	١٩٥١	١٨٠	٤٥	١٩٥	٢٥٠	١٠٨٣
	١٩٥٢	٢٠٠	٥٠	١٩١	—	٩٥٥
القنيطرة	١٩٥٣	٥٨	١٥	١١٦	—	٢٠٠٠
	١٩٥٤	٢٠٠	٤٩	٢٨٠	٢٣٥	١٥٠٠
	١٩٥٥	—	—	—	—	—
	١٩٥٦	١٨٠	٥٨ر٨	١٦٢	٣٣٠	٩٠٠
	١٩٥٠	٩٠	٣٩ر٥	١٨٢	٤٤٠	٢٠٢٢
	١٩٥١	٩٠	—	٩	٢٤٠	١٠٠
	١٩٥٢	—	—	—	—	—
فيق	١٩٥٣	—	—	—	—	٢٠٠٠
	١٩٥٤	٢٠	٤	٢٣	٢٠٠	١١٥٠
	١٩٥٥	٢٢		٢٥	١٨٢	١٥٧٠
	١٩٥٦	٤٥	٥	٤٠	١١١	٩٠٠

أمـا بقيـة البقـول كالفاصولياء والجلبان واللوبياء ، فانها تزرع في منطقة القنيطرة فقط . وقد كان الانتاج والمساحات المزروعة في عام ١٩٥٦ كما يلي :

الفاصولياء	٣٠ هكتاراً	١٧ر١٥ طناً من الحبوب
الجلبان	٤٠ هكتاراً	٨ر٢٣ طناً من الحبوب
اللوبياء	٢٢ هكتاراً	٥٤ر٨ طناً من الحبوب

٣ ـ الخضار : وتضم هذه الزراعة في الجولان تشكيلة كبيرة من الخضار إلا أن انتاجها ضعيف ، وقد تركزت في سهل البطيحة وفي ضواحي مجدل شمس وبانياس وفي الامكنة الاخرى التي يتوفر فيها ماء للري . وتواجه الزراعة مصاعب جدية ، منها غياب السوق الاستهلاكية ، اذ ان القنيطرة وفيق لاتشكلان لوحدهما سوقاً كبيرة تستوعب كميات كبيرة من الخضار ، كما ان دمشق بعيدة ، ولا يستطيع صغار المنتجين دفع انتاجهم اليها ، ويضطرون لبيعه في محله بالسعر الدارج . ففي عام ١٩٥٦ بيع كيلوغرام البندورة في مكان انتاجه في البطيحة بخمسة قروش سورية ، وفي القنيطرة بـ ٢٥ قرشاً وفي دمشق بـ ٤٠ قرشاً .

بينما يقوم كبار الملاك بشحن البواكير الى دمشق حيث يبيعونها بأسعار مرتفعة ، يضطر الصغار منهم لحملها على ظهور الحيوانات الى القرى البعيدة . فدروز مجدل شمس يبيعون ملفوفهم في جنوب الجولان ، وحتى في حوران ، حيث يبادلون عليه بالقمح أو بأي نوع آخر من الحبوب . وليتهربوا من دفع ضرائب الانتاج الزراعي كانوا غالباً ينتقلون في الليل وفي طريق غير محددة .

مع كل ذلك فقد تطورت زراعة الخضار بشكل تدريجي وبخطى حثيثة . ففي عام ١٩٥٠ كانت زراعة مختلف الخضار لاتغطي إلاّ ٥٩٤ هكتاراً ، في حين تجاوزت المساحة المخصصة لزراعة البندورة لوحدها في عام ١٩٥٦ الـ ١٦٥٨ هكتاراً ، ومساحة الباذنجان الـ ١١٢٧ هكتاراً .

وفيما يتعلق بالمساحة المزروعة وبالانتاج ، تحتل البندورة المكان الأول بين مختلف الخضار . والجدول التالي يبين المساحة المزروعة بالبندورة وانتاجها بين عامي ١٩٥٠ و١٩٥٦ .

السنة	قضاء القنيطرة: المساحة المزروعة	قضاء القنيطرة: الانتاج	قضاء فيق: المساحة المزروعة	قضاء فيق: الانتاج
١٩٥٠	٥٠ هكتاراً	٨٠ طناً	١٣٠ هكتاراً	٩٥٠ طناً
١٩٥١	٧٠ =	٢٨٠٠ =	٨٠ =	١٦٠٠طناً
١٩٥٢	٧٥ =	٣٠٠٠ =	٨٥ =	١٨٧٠ =
١٩٥٣	٩٧٩ =	٩٧٢ =	٨٠ =	١٢٠٠ =
١٩٥٤	٢٧٠ =	٥٧٥ =	٨٥ =	١٨٢٧ر٥ =
١٩٥٥	١٧٠ =	٢٤٥٠ =	٤٠ =	١٠٠ =
١٩٥٦	١٩٠ =	٣٦٥٠ =	٤٤٨ =	١٩٦٥ =

ويحتل الباذنجان المكان الثاني بين الخضار والجدول التالي يبين تطور الانتاج بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٥٦ :

السنة	المساحة	الانتاج	المردود في الهكتار
١٩٥٠	٨٠ هكتار	٥٦٢ طنا	٧٠٢٥ كغ
١٩٥١	—	—	—
١٩٥٢	٦٨	٢٥٧٠	٣٨٠٠٠
١٩٥٣	٤٨	٩٧	٢٠٠٠
١٩٥٤	٦٥	٦٣٧	٣٠٠٠
١٩٥٥	٤٠	١٠٠ (١)	١٧٥٠٠
١٩٥٦	٦٦٨	٤٦٦٥	٦٧٥٨

(١) تشير بعض الارقام الواردة في هذا الجدول وفي الجداول السابقة الشك في صحتها وربما كان مرد ذلك لخطأ في الطباعة . وقد تركت هذه الارقام على حالها من قبل المترجم وعلى مسؤولية المؤلف .

ويأتي البطيخ الاحمر (الجبس) بعد الباذنجان ، حيث تنتشر زراعته في القسم الجنوبي الشرقي من الجولان بشكل خاص . والجدول التالي يبين انتاج الجولان من البطيخ الاحمر بين عامي ١٩٥٠ و١٩٥٤

السنة	المساحة	الانتاج	المردود في الهكتار
١٩٥٠	١٦٢ هكتارا	٦٦٠ طناً	٣٩٥٠ كغ
١٩٥١	١٥	٤٥٠	٣٠٠٠٠
١٩٥٢	١٦٣	٣٣٩٠	٢٠٠٠٠
١٩٥٣	١٣	٣٩٠	٢٠٠٠٠
١٩٥٤	١٧٠	٣٥٠٠	٢٠٠٠٠

أما البطاطا . فانتشارها في الجولان حديث العهد ، ولذا فانها تحتل المرتبة الرابعة . والجدول التالي يبين انتاجها بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٥٦

السنة	المساحة	البذار	الانتاج	البذار في الهكتار	المردود في الهكتار	المردود بالنسبة لوحدة البذار
١٩٥٠	٥٥ هـ	٥٠ طن	٥٤٥طن	٩٠٠ كغ	٩٩٠٠ كغ	١١
١٩٥١	٥٧	٢٤	٥٦٤	١٢٠٠	١٢٠٠٠	٢٣
١٩٥٢	٥٤	٦٠	٦٤٨	١٢٠٠	١٢٠٠٠	١٠ر٨
١٩٥٣	١٠	١٢	١٢٠	١٢٠٠	١٢٠٠٠	١٠
١٩٥٤	١٣	١٢	١٦٧	١٢٠٠	١٢٠٠٠	١٠
١٩٥٥	١٢	٨	٧٦	٥٦٦	٦٢٥٠	٢١
١٩٥٦	١٢	١٤ر٤	١٢٠	١٢٠٠	١٠٠٠٠	٨ر٣

وبالنسبة لباقي الخضار كالفليفلة والكوسا والخيار والقرنبيط والملفوف والفجل والفاصولياء الخضراء والبصل والملوخية ، فان الجدول التالي يلخص انتاجها في كل الجولان منذ عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٥٦ .

السنة	المساحة المزروعة بالهكتار	الانتاج بالطن
١٩٥١	١٤٧ هكتاراً	٢٠٩٥ طناً
١٩٥٢	١٤٧	٢١٠٢
١٩٥٣	٢٧٧	٣٢٨٠
١٩٥٤	٣٠٠	٢٦٣٠
١٩٥٥	٢٠٠	١٠٥٠
١٩٥٦	٢٩٠	٢١٨٧

١٤- الزراعات الصناعية : وقد دخلت حديثاً الى الجولان . ولازال انتاجها محدود الاهمية ولايرد ذكره في الاحصاءات الا نادراً .

القطن : وقد دخلت زراعته الى الجولان بعد الحرب العالمية الثانية ، وكانت المحاولات الاولى مشجعة إلا ان عدة إحباطات متتابعة في زراعته فيما بعد أدت الى إفلاس عدد من المزراعين . والاحصاءات الوحيدة التى توصلنا اليها فيما يتعلق بزراعة القطن في الجولان هي التي تشير الى المساحات المزروعة بين عامي ١٩٥٠ و١٩٥٢ :

السنة	المساحات المروية	المساحات غير المروية
١٩٥٠	٣٨ هكتاراً	٣ هكتارات
١٩٥١	١٥٧٨	٦٠
١٩٥٢	١٩٨ر٨	٥٢٦ر٨

القنب : دخلت زراعته الجولان في عام ١٩٥٦ ، وقد كانت المساحة المزوعة في هذا العام حوالي خمسة هكتارات فقط . ورغم عدم توفر احصائيات لانتاج السنوات التالية فإن مصدراً رسمياً يؤكد بان انتاج الجولان لعام ١٩٥٧ قد بيع بثمن كلي يساوي ٢٥٠٠٠ ليرة سورية الأمر الذي يسمح بالافتراض بان الانتاج قد ازداد بشكل كبير .

الكتان : ويزرع بكميات قليلة في قرى الحرمون .

والى جانب هذه الزراعات الصناعية النسيجية ، تمارس ايضاً بعض الزراعات التي تدخل في الصناعات الغذاية مثل السمسم والفول السوداني واليانسون .

السمسم : ويزرع مع الحبوب الصيفية ، في مطلع نيسان ، ويتم الحصاد في آب . ويزرع يدون سقي ، بعد أن تخصص له ، بصورة عامة ، الاراضي الجيدة التي تحضرلزراعته باعتناء . وزراعته مفيدة في الدورة الانباتية من أجل الارض ، فهو لايتبعها .

ويزرع السمسم من أجل حباته التي تعصر ليستخرج منها زيت السمسم والسائل المشهور باسم (الطحينة) التي تستخدم في صنع العديد من المأكولات والحلويات . وبحباته يزيّن الخبز ويطيب . ويصدر كل انتاجه تقريباً الى خارج المنطقة . والجدول التالي يوضح تطور انتاج السمسم بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٦ .

السنة	المساحة	البذار	الانتاج	البذار في الهكتار	المردود في الهكتار	المردود بالنسبة لوحدة البذار
١٩٥٢	٩٣١ هـ	٢١٩ر٩طن	٨ر٦٩٩طن	٩ كغ	٧٥٢ كغ	٧٥
١٩٥٣	٥٦	٠ر٥٣٨	٢٧ر٨	٦	٥٠٠	٧٧
١٩٥٤	٧٨٠	٧ر٧٧	٦٦٤	٩	٨٢٠	٨٥
١٩٥٥	١٠٠٠	١٠	١٦٦	١٠	٦١٦	٦٦ر٦
١٩٥٦	٥٥	١ر١٥	٥٩	٢٠	١٠٧١	٥١

الفول السوداني : هو من الزراعات المروية والمتمركزة في منطقة بانياس ونهر الاردن . ويزرع في نهاية شهر نيسان بشكل خطوط أو حزم ويحصد في شهر حزيران . وقد تطور انتاجه بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٥ بالشكل التالي :

السنة	المساحة	البذار	الانتاج	البذار في الهكتار	المردود في الهكتار	المردود بالنسبة لوحدة البذار
١٩٥٢	٩٥ر٥ هـ	٦٨٥ر٦ طن	٩٥ر٥ طن	٧٠ كغ	١٠٠٠ كغ	١٤
١٩٥٣	٣١٠	٤ر٦٥	٣٠٠	١٥	١٠٠٠	٦٠
١٩٥٤	٥٠٠	٧	٢٧٥	١٤	٥٥٠	٣٦
١٩٥٥	٦٠٠	٢٩ر٢	٣٣٠	٤٨	٥٥٠	١١

هذا ويصدر الفول السوداني إلى خارج المنطقة لعصره واستخلاص زيته .

اليانسون : ويزرع في المناطق الواقعة في اقدام الحرمون . وانتاجه ضعيف ولا يدخل في الاحصائيات . فائدته الاساسية هي صناعة المشروبات الروحية خاصة النوع المعروف في سورية باسم (العرق) .

١٥ـ زراعة الاشجار : المنحدرات الجنوبية الشرقية للحرمون هي المناطق المثلى لزراعة الاشجار . وتنقصنا الاحصائيات لقرى هذه المنحدرات . لذا سنكتفي بدراسة هذه الزراعة في منطقتي القنيطرة وفيق .

وحتى وقت قريب كان التشجير في الجولان محدوداً ومبعثراً ، ويتمثل ببعض أشجار الزيتون والرمان وكروم العنب المبعثرة في المنطقة كلها .

ومن مقارنة أرقام المساحات المزروعة وعدد الاشجار والانتاج لعام ١٩٥٠ مع ارقام عام ١٩٥٦ المعتبرة ، نلمس التطور الحثيث لزراعة الاشجار .

نوع الشجر المثمر	١٩٥٠ المساحة المزروعة بالهكتار	١٩٥٠ العدد الاجمالي للاشجار	١٩٥٠ عدد الاشجار المثمرة	١٩٥٠ الانتاج بالطن	١٩٥٦ ساحة المزروعة بالهكتار	١٩٥٦ العدد الاجمالي للاشجار	١٩٥٦ عدد الاشجار المثمرة	١٩٥٦ الانتاج بالطن
اللوز	١٢	٥٨٢٥	٤٢٢٥	٣٧	١٥	٧١٠٠	٦٢٩٥	١٠٤
الجوز	٦	٤٨٠	٢٠٠	٤	١٠ر٥	٨٧٠	٤٦٥	١٦ر٤
الخوخ	١٦	٤٦٥٠	٤٥٠	٩	١٥	٤٦٢٥	٤٢٢٠	٨٥ر٦
التفاح	٢٢	٥٥٠٠	١٦٠٠	٢	٢٦١ر٨	٧٠٧٩٦٣	١٣٦٥٠	٣٧٥
البرتقال	٣	١٢٠٠	١٢٠٠	١٤	١٥	٣٤٠٠	٢١٨٠	٧٦
الليمون	٣	١٢٠٠	١٢٠٠	٢٢	٦	٢١٠٠	١٧٢٥	٣٤ر٥
التوت	٦	١٨٠٠	١٢٠٠	١٢	٦	١٨٠٠	١٢٠٠	١٢
الدراقن	٣	٣٣٠	٣٠	٠ر٣	٧	١١٣٥	٩٠٠	٣٨
السفرجل	٣	٦٥٠	٥٠	٠ر٢	١١ر٥	٢١٧٥	١٣٥٠	٣٨
الرمان	٣٢	٧١٠٠	٣٣٠٠	٢٠ر٥	٣٤	٨٥٧٥	٤٣٠٢	١١٦ر٥
التين	٨٤	٣٩٢٠٠	١٣٤٠٠	٣٣	٣٧٤ر٣	٢٠١٨٥	٨٨٩٨	٢٢١ر٣
المشمش	٣٥	٦٦٥٠	٢٥٥٠	٦	١٤	٣٣٠٠	٤٥٠	٥٠
العنب	٢٢٥	١٢٨٩٠٠	٩٩٤٠٠	٢٤٢	٨١٦	٥٢٩٩١٥	٤١٩٨٠٠	١٥٠٦
الزيتون	٢٣٨	٣٤٩٦٠	٢٣٢٠٠	٢١٧ر٤	١٧٤٨	٣٤٩٠٠	٢٢٦٩٠	١١٨٠ر٥
الكمثرى	٧	١٨٥٠	٨٥٠	٠ر٦	١٢ر٢٥	٣٤٢٥	٢٤٢٠	٦٠
المجموع	٦٩٥	٢٤٠٣٤٥	١٥٢٨٥٥	٦٢٠	١٧٤٤ر٣٥	١٣٣١٩٢٣	٥٠٢٥٠٠	٣٨٨٩ر٨

الفصل الثالث
تربية الحيوانات

١١ـ الصفات العامة لتربية الحيوانات في الجولان :

١ ـ التربية البدائية : وهي الشكل الذي يعتمد على الطبيعة ، والانسان لايتدخل لتأمين الملجأ والطعام للحيوانات ، الا بشكل محدود ونادر . لذلك فان هذه التربية ترتبط بشكل وثيق بالشروط الطبيعية للمناخ ، وبشكل خاص العنصرين الناتجين عنه : الماء والعشب . إن سنة سيئة المراعي مع بُرد قاس ، تكفي لاهلاك قسم كبير من القطعان . ففي عام ١٩٥٢ فقدت منطقة الجولان ٢ر١٢٪ من خرافها التي كانت تملكها . وبالمقابل فان سنة جيدةتكفي لزيادة القطيع زيادة كبيرةففي عام ١٩٥٥ كان عدد الاغنام في قضاء القنيطرة لوحدها ١١١٠٥٠فارتفع في عام ١٩٥٦ الى ١٤٠١٢٩ وكانت نسبة الزيادة ٢٦٪ .

وبشكل عام ، منطقة الجولان ملائمة بشكل جيد لمثل هذا الشكل للتربية البدائية ، فالمراعي غالباً غنية ، كما ان فروق المناخ المحلي بين الشمال والجنوب ، مع وجود الهضبة والوديان ، كل ذلك يفسح المجال لعمليات انتجاع مناسبة .

وفي الواقع يستقبل الجولان في كل سنة العديد من القطعان الآتية من حوران وجبل الدروز ، ومن المناطق المجاورة لقضاء فصل الشتاء في الأجزاء الجنوبية منه ، وبشكل خاص ، في بطاح أوديته الكبيرة . والخراف التي تأتي هزيلة ، تغادر بنهاية الشتاء وقد اصبحت سمينة .

٢ ـ تلعب تربيةالحيوانات دوراً معتبراً في الحياة الاقتصادية للجولان ، وهذه الفعالية موجودة في كل مكان منه مع تباين في أهميتها من مكان لآخر ، حسب التجمعات البشرية وحسب الامكنة :

ـ فلدى البدو تشكل تربية الحيوانات النشاط الوحيد .
ـ ولدى أنصاف البدو تبقى التربية أيضاً النشاط الراجح .
ـ أما بالنسبة لفلاحي القنيطرة فتربية الحيوانات نشاط متمم وهام جداً وان ٧٦٪ من مجموع مساحة القضاء هي ارض بور ومخصصة للتربية ، في حين لاتزيد نسبة المراعي في سورية عامة عن ٢٠٪ من مجموع المساحة .
ـ وفي قرى الحرمون ، ليس لتربية الحيوانات إلا أهمية ثانوية . فالماشية الكبيرة عددها محدود ، وهي مخصصة للأعمال الزراعية . وفوق المراعي الفقيرة للتربة الرقيقة ، يعيش عدد من قطعان الماعز .
ـ وفي جنوب الجولان ، في قضاء فيق ، تتفوق الزراعة وتشغل ٨١٪ من المساحة العامة لهذه المنطقة .

٣ ـ تربية الحيوانات في الجولان وسيلة تضامن بين البدووالفلاحين . فالرعاة هم دوماً من البدو الذين يهتمون بحيوانات الفلاحين حسب عقود مختلفة ، ولكن محددة بشكل جيد أي واضحة .

٤ ـ أخذت تربية الماشية تضعف شيئاً فشيئاً بسبب إشغال الارض ، وبالفعل أخذت الزراعة تنموعلى حساب التربية ، خاصة في منطقة فيق .

١٢ـ الاهمية الاقتصادية والاجتماعية للماشية :

يشكل الحيوان الأساس لحياة البدوي . ولايقل الامر بالنسبة للفلاح ، فكل واحد منهما يعتني بحيواناته بحب ، فبالفرح يستقبل مولد صغار الحيوانات ، كما ان فقدان أحدها يسبب له الحزن . وهو لايتوانى إن دعت الحاجة في الاوقات الصعبة ، عن ايواء الحيوانات معه في الامكنة التي تعيش فيها اسرته ، فهذه الحيوانات أعضاء من العائلة . وكلمة (الحلال) التي يشير بها عرب الجولان الى القطيع تظهر مدى ارتباطهم بحيواناتهم .

وتترجم اهمية الحيوان في الحياة الاجتماعية لمنطقتنا بقائمة من المفردات الخاصة والفنية والدقيقة التعابير ، التي تسمح بتسمية الحيوان حسب لون شعره ، أو حسب شكل وتفصيلة قرونه وآذانه ، أو حسب عمره وجنسة .

وفي الواقع ، كان الاقدمون يتمتعون بحدة ذهن خاصة في ملاحظة اقل الاشارات المميزة ، وفي الكشف عن أقل سمة تسمح بتمييز حيوان عن مجانسيه[1] .

وتنعكس مكانة الحيوان في المجتمع الفلاحي للجولان على المسكن ، فالمساحة الي تشغلها الحظيرة في البيت الريفي مهمة جداً .

أخيراً لايرتكز الغنى الاجتماعي على الملكية العقارية فقط ، وإنما على القطيع أيضاً . فغنى رجل او عائلة يقاس بعدد رؤوس القطيع ، أي بقيمة متحركة .

ويلعب الحيوان في الحياة الاقتصادية لمنطقتنا دوراً هاماً جداً أيضاً :

- فهو لايمثل رأسمالاً فقط ، وإنما يمثل عملة تداول أيضاً ، لأنه قابل للمبادلة بأراض وبحبوب وتبن ، ولتسديد الديون . . الخ . .

- غالباً ما يدفع مهر المرأة رءوساً معدودة من الماشية . وان تعدد الزوجات عادة شائعة لدى الفلاحين ، وبشكل خاص لدى البدو الذين يملكون عدداً كبيراً من الحيوانات .

- ان معظم الاسواق الاسبوعية التي تقام في الجولان هي في الأساس أسواق ماشية . فالجولان يصدر حيوانات عمل لحوران ولجبل الدروز ، مع حيوانات ذبح الى المدن السورية الكبرى والى جنوب لبنان .

- يشكل الحيوان القوة المحركة في المنطقة ، الثيران للاعمال الزراعية ، والجمال لنقل الحمولات الثقيلة ، والحمير للحمولات الاقل ثقلاً . وأخيراً الخيول لركوب وانتقال الاشخاص .

- كل سكان الجولان ، يبيعون مجموعة من المنتجات الحيوانية : حملان ،

---

(١) عبسة : نعجة بيضاء برأس أسود . شقرة : نعجة بيضاء برأس أسمر داكن . قرعة : نعجة بدون قرون وبآذان طويلة مدلاة . قرطا إذا كانت الآذان صغيرة . وهناك تعابير خاصة للأبقار والثيران . صبحة : بقرة سوداء برأس ابيض ، وأصبح للثور . نجيمة : للبقرة التي لها بقعة بيضاء في الجبهة ، نجيم للثور . وهناك الكثير من قبيل هذه التسميات

عجـول ، حليب ، سمن ، جلود ، وحتى الـروث يبـاع تارة بشكـل سماد طبيعي (زبل) وتارة أخرى بشكل وقود (جلّة) .

وتتـزامن أوقـات بيـع المنتجات الحيوانية مع انفراج اقتصادى ، ويحتفل بمثـل هذه المنـاسبات كأعياد اجتماعية ، تبدأ بحلب النعاج ، وجز الصوف ، وبيع الحملان .

وتضم تربية الحيوانات في منطقتنا : الابقار والاغنام والخيول والجمال .

٣ـ تربية الابقار :

الأصـل لابقـار منطقتنـا والمسمى بالجـولاني ، مشهور في البلاد المحيطة بالجولان . وهو يختلف عن بقية أجناس البقر السوري المعروفة باسـم (الـبـلدي والقيسي) فحجمـه اصغـر من حجم الاجنـاس الاخـرى ، إلا انـه اكثـر جلداً وتحمـلاً . وهـو لا يعطي اكثر من حوالي ٥٠٠ ليـتراً من الحـليـب سنـويـاً ، الا ان هذا الحليب دسم وغني بالقشـدة ، والبقـر الجـولاني ، بلونـه الاسـود أو الآسـود والأبيض ، وبصفـاتـه يشبه الجنس البر وتاني في فرنسا .

في الاسـاس ، يتكـون قطيع البقر من بقرات الانجاب والتكاثر ومن بقرات الحليب ، اما الذكور فتخصص للعمل أو الذبح ، وتخصى في سن العـامـين لتصبـح طيعـة ولتسمن . ويترك عادة ثور فحل لكل خمسين بقـرة ، بشكـل يبقى فيه ثوران او ثلاثة في كل قرية ، يتمتعان بامتيازات كبيرة كحق الرعي في أي مكان حتى بين الزرع .

وفيما يتعلق بعدد الابقار ، فان الاهتمام باحصاءاتها أقل دقة من احصـاءات الاغنـام ، ذلك لان الابقارمعفية من أي ضريبة ، واهتمام السلطات بحصر عددها قليل .

والجـدول التـالي يبـين تكـوين وتطـور قطعـان البقر بين ١٩٥٠ و ١٩٥٦ في قضائي القنيطرة وفيق .

القضاء	السنة	أبقار	ثيران	عجول	جواميس	المجموع
	١٩٥٠	٥٢٠٠٠	٤٦٠٠٠		٦٥٥	—
	١٩٥١	٥٥٠٠٠	٤٧٠٠٠	١٤٠٠٠	٦٧٠	٢٢٧٠
	١٩٥٢	٥٤٥٠٠	٥١٠٠٠	١٢٠٠٠	٥٧٨	١٢٣٢٨
القنيطرة	١٩٥٣	٥٣٢٠٠	٥٠٣٥	١٤٠٠٠	٥٢٩	١٢٢٤٨
	١٩٥٤	٥٦٠٠٠	٥٠٠٠٠	١٤٥٠٠	٤٤٩	١٢٦٩٩
	١٩٥٥	٥٧٠٠٠	٥١٥٠٠	١٥٠٠٠	٦٧٠	١٣٠٢٠
	١٩٥٦	٥٧٥٠٠	٥٢٥٠٠	١٥٥٠٠	٦٧٨	١٣٢٢٨
	١٩٥٠	٣٥٠٠٠	٤٥٠٠٠	—	٥٧٠	—
	١٩٥١	١٥٠٠٠	٤٠٠٠	٤٠٠٠	٣٠٠٠	٢٦٠٠٠
	١٩٥٢	١٧٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٦٤٥	٣٣٤٥
فيق	١٩٥٣	١٨٠٠٠	٦٠٠٠	٦٠٠٠	٧٠٠	٣٧٠٠٠
	١٩٥٤	١٤٠٠٠	٦٥٠	٦٢٥	٤٨٩	٣٦٦٤
	١٩٥٥	—	—	—	—	—
	١٩٥٦	٥٩٤٠	٢٨٣٩	١١٥٠	١٥٠	٩٦٢٩

المصدر لهذه الاحصاءات وزارة الزراعة السورية

وتظهر اهمية الابقار في منطقتنا بوضوح عندما نقارن بين ما يصيب كل ١٠٠٠ نسمة في الجولان من الابقار وبين مايصيب الـ ١٠٠٠ نسمة في سورية عامة . ففي عام ١٩٥٥ كان لكل ١٠٠٠ نسمة من منطقتنا ٢٤٨ رأساً ، في حين يهبط الرقم الى ١٢٠ رأساً بالنسبة لعموم سورية .

طرق وعقود تربية الابقار في الجولان :

الفلاحون المستقرون هم الذين يملكون معظم قطعان البقر تقريباً ، وفق طرق وعقود مختلفة :

أ) ـ **التربية في القرى** : وهي تربية محدودة ، حيث يكون لكل عائلة بعض البقرات للحليب ، وبعض الثيران للعمل ونلقى هذه الحيوانات شيئاً من العناية ، إذ يؤمن لها الغذاء والملجأ في الشتاء وتفصل الثيران والابقار والعجول عن بعضها في الرعي ، ويخصص لكل فئة من هذه الفئات راع مشترك لكل القرية ، حيث يجب على الحيوانات ان تجتمع في الصباح الباكر ، في ميدان القرية ليستطيع الراعي سوقها نحو المراعي مع شروق الشمس . وتختلف مدة البقاء في هذه المراعي حسب الفصول :

ـ ففي الشتاء يستمر البقاء ، دفعة واحدة ، من الصباح حتى المساء ، ذلك لان النهار قصير ، والحيوانات لا تعطش . وبسبب المطر والضباب ، يضيع الرعاة غالباً وجهتهم وقت العودة ، فيستعينون بالطيور المهاجرة ، خاصة الزرازير التي تعود كل مساء الى وديان الجولان الجنوبية الغربية في وقت ثابت من كل يوم محددة بذلك اتجاه الجنوب الغربي ووقت العودة للرعاة .

ـ وفي الربيع ، يتوجب على الراعي الخروج بوقت باكر جداً ، وذلك لأن ذبابة تسمى محلياً (قيقوب) تبدأ في حوالي الساعة العاشرة من الصباح بلسع الحيوانات فتهيجها وتمنعها من الاستمرار في الرعي وتضطرها للعودة , ويقوم كل فلاح بمفرده برعي حيواناته خلال بضع ساعات من الليل. وعموماً ، تشبع الحيوانات بسرعة في الربيع لغزارة العشب ووفرته .

ـ وفي الصيف والخريف ، تعود الحيوانات التي خرجت في الصباح ، لتشرب ظهراً وتبقى تجتر تحت الشمس الحامية الى مابعد الظهر ، لتساق مرة ثانية الى المراعي . وفي المساء تعود الى القرية مع غروب الشمس .

العقود مع الراعي المشترك : الاجرة يمكن ان تكون شهرية اوسنوية وتختلف حسب نوع الحيوانات التي يتعهد بالرعي بها : بقرات أوعجول أو ثيران .

ـ **راعي العجول** : وهو غالباً صبي اجرته الشهرية بين ٢٠ و٣٠ ليرة سورّية إضافة لأكله ولباسه .

راعي البقرات : ويأخذ على البقرة الواحدة ٥٠ قرشاً سورياً في الشهر عندما يكون القطيع كبيراً الى حد ما . أما في حالة القطيع الصغير فيتقاضى الراعي في نهاية كل سنة حولياً عمره سنتان اضافة الى طعامه .

ب) ـ **التربية خارج القرى** : يعهد كل فلاح يملك اكثر من ثلاثين رأساً من الحيوانات بجزء من حيواناته لمن يتعهد بالرعي بها . وبشكل عام يتحمل البدوي مثل هذا العمل ، بحكم بداوته وقدرته على الأنتجاع ، حسب الفصول ما بين الشمال والجنوب ، وما بين المرتفعات والوديان . والعقود في هذا الشكل من أشكال الرعي متعددة ومعقدة اكثر مما في حالة الراعي المشترك للقرية . والعقود التالية هي اكثر الاشكال شيوعاً في الجولان :

١ ـ الهجانة Al Hejané : ويتعهد البدوي في هذه الحالة بالاعتناء بالقطيع طيلة السنة مقابل الحليب . وعندما يبيع المالك قسماً من حيواناته يأخذ الراعي ، من الشاري عادة ، من ٥ الى ١٠ ليرات سورية مقابل (خطارة)

٢ ـ **الاجرة** : والراعي في هذه الحالة مأجور . وتختلف الاجرة حسب عدد الحيوانات ، وتحدد بالاتفاق بين المالك والراعي . اضافة على الاجرة ، يتوجب على المالك ان يقدم للمرأة التي تحلب الابقار أواني الحليب وثوباً من النوع التقليدي الذي ترتديه المرأة البدوية مع زوج من الأحذية ومنديل رأس (عصبة) . بالمقابل يقوم الراعي بتحويل الحليب الى سمن يقدمه للمالك مبقياً لنفسه الناتج المسمى (شنينة) . وفي كل الاحوال يجب على المالك ان يقبل مايقدمه الراعي دون اي نقاش أو احتجاج لأن القاعدة هي : الراعي أمين ولايخون الامانة .

٣ ـ المناصفة : يقدم المالك في هذه الحالة عدداً من الحيوانات لشخص يتعهد بالعناية بها وباطعامها مقابل الحليب . وبعد مضي فترة محدودة وهي في الغالب عشر سنين ، يستعيد المالك عدداً من الحيوانات مساوٍ للعدد الذي كان قد قدمه ، ويقسم الباقي من القطيع الذي نما مناصفة بين

المتعاقدين .

٤ ـ **الشراكة** : يقدم المالك في هذه الحالة عدداً من الحيوانات يحدد ثمنها . لشخص يتعهد بالعناية بها مقابل الحليب . وعلى هذا الشخص ان يدفع له خلال سنتين اوثلاثة ، نصف الثمن الذي حدد . إضافة الى ذلك تقسيم الحيوانات جميعها في اليوم المحدد للقسمة مناصفة بين المتعاقدين .

٤ ـ تربية الاغنام في الجولان :

وتشمل تربية الخراف والماعز . وقد تغلبت تربية الخراف بشكل كبير على تربية الماعز وخروف الجولان من النوع المسمى (عربي) وهو يختلف كلياً عن المعروف في فرنسا بذنبه الدهني الضخم الذي يغطي الفخذين بشكل تام ويمتد حتى العرقوب . ويزن هذا الذنب من ٣ الى ٥ كيلوغرامات مكوناً خزاناً احتياطياً للغذاء يتيح للحيوان القيام بسير طويل واحتمال فترة سوء المراعي مدة طويلة .

يتكون قطيع اغنام الجولان بشكل اساسي ، من النعاج والعنزات ، أما الأكباش والتيوس فعددها قليل ، واحد لكل خمسين من الاناث . . وللحصول على فحول الكباش يقوم البدوي بانتقاء عدد من الحملان الذكور الجيدة التكوين ويتركها ترضع مع امهاتها فترة طويلة ، بينما يرسل الذكور الاخرى الى الذبح حين يصبح عمرها شهرين اوثلاثة أشهر . أما الأناث فتضاف الى القطيع لرفع نسبة الولادات فيه وزيادة عدده .

ويتم احصاء الخراف بشكل أحسن من إحصاء الأبقار ، لانها محملة بضريبة خاصة (الاغنام) . وعلى كل راع التصريح عن الرقم الحقيقي لقطيعه ليتم فيها بعد دفع الضرائب عنه . ويتلقى الراعي مقابل تصريحه وثيقه تسمى (قوشان) يذكر فيها العدد المصرح به واسم المالك . ويتم حفظ هذه الوثيقة باعتناء فائق ، ويجب ان تكون جاهزة لدى الراعي لابرازها للمفتشين الذين يجوبون الريف على خيولهم . ويترتب على عدم مطابقة الارقام المعلن عنها في الوثيقة مع العدد الحقيقي للقطيع غرامات نقدية باهظة .

والجـدول التـالي يسمـح بأخـذ فكـرة عن تطور تربية الاغنام بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٥٦ في الجولان :

القضاء	السنة	نعاج	عنزات	المجموع
	١٩٥٠	٦١٦١٢	٣٥١٢٢	٩٦٦١٢
	١٩٥١	٦١٦٢٠	٣٧٤٣٠	٩٨٩٦٠
	١٩٥٢	٦٢٢٢٠	٤٣٠٣٣	١٠٥٢٤٥
القنيطرة	١٩٥٣	٥٦٧٨٤	٣٩٩١٦	٩٦٧٥٠
	١٩٥٤	٦٦١٩٧	٤٤٦٨٨	١١٠٨٨٥
	١٩٥٥	٦٦٣٠٠	٤٤٧٥٠	١١١٠٥٠
	١٩٥٦	٨١٠٩٣	٥٩٠٣٦	١٤٠١٢٩
	١٩٥٠	٣٥٥١٩	١٩٣٦٧	٥٤٨٨٣
	١٩٥١	٤٣٣٥٠	١٥٤١٤	٥٨٧٦٤
	١٩٥٢	٢٢٦٩١	١٤٧٥٦	٣٧٤٤٧
فيق	١٩٥٣	٢٣٥٠٠	١٦٧٠٠	٤٠٢٠٠
	١٩٥٤	٢٦٧٢٥	١٥٤٧٦	٤٢٢١١
	١٩٥٥	—	—	—
	١٩٥٦	—	—	—

حيث نلاحـظ انـه : على الـرغم من الـتراجـع الطـارىء في بعض السنـين ، فعـدد الاغنام في قضاء القنيطرة بمجمله قد تقدم بشكل تدريجي ، وارتفع خلال سبع سنوات من ٩٦٦١٦ رأساً إلى ١٤٠١٢٩ رأساً . هذا يعني ان نسبة الزيادة كانت ٣١٪ .

ـ وعلى العكس من ذلك تراجع عدد الاغنام بمجمله في قضاء فيق . ففي عام واحد من ١٩٥١ إلى ١٩٥٢ فقد القطيع ٢٣٪ من مجموع عدده . ويرتبط هذا التراجع ارتباطاً وثيقاً بتطور الزراعة وتقلص المراعي الطبيعية .

وفي الواقع كانت المراعي الطبيعية في ١٩٥٠ تغطي ٣٥٪ من مجموع أراضي القضاء ، وفي عام ١٩٥٦ لم يبق للحيوانات إلا ما يغطي ١٩٪ فقط وقد كان تقلص المراعي في قضاء القنيطرة ، في الفترة نفسها ، أقل بكثير . فمن ٧٧٪ من مجموع مساحة القضاء انحدرت نسبة المراعي إلى ٧٦٪ فقط .

ـ لتربية الخراف في الجولان ، كما لتربية الأبقار ، أهمية كبيرة نسبياً ، ففي الوقت الذي كان فيه لكل ألف نسمة من سكان سورية ١٣١٣ خروفاً في عام ١٩٥٥ ، كان نصيب الألف نسمة من سكان الجولان في السنة نفسها ١٨٤٣ خروفاً .

انتجاع الخراف : التنقلات الفصلية للخراف اكثر تكراراً واكثر اتساعاً من تنقلات الابقار .

١ ـ **التنقلات الشمالية ـ الجنوبية وبالعكس** : يتمتع الجنوب بشتاء اكثر لطفاً من الشمال ، فينبت العشب فيه بسرعة ، لذلك توجه القطعان الى الجنوب لقضاء الشتاء في بطون الأودية الكبيرة ، وبسبب امتلاك كبار الملاك العقاريين لهذه المراعي الواسعة ، يتوجب على الرعاة دفع ضريبة مشتى تعادل ليرة سورية عن كل رأس . وببداية الربيع توجه القطعان الى الشمال حيث توجد المراعي الغنية الواسعة . وهنا أيضاً يتوجب دفع ضريبة جديدة للملاك الكبار من أجل تمضية فصل الربيع .

٢ ـ وبنهاية الربيع تتوجه الخراف الى الشرق (تشريق) ، نحو حوران . حيث تستطيع الرعي بحرية في الحقول الحورانية الواسعة ، بعد الحصاد . ويتقبل الحورانيون وصول قطعان الجولان لأسباب عديدة :

ـ لايملك الحورانيون أعداداً كبيرة من الماشية لاطلاقها ترعى ما يبقى من الزرع بعد الحصاد .

ـ تترك الاغنام في الحقول كميات كبيرة من السماد الطبيعي المخصب .

ـ يستفيد فلاحو حوران من هذه المناسبة لشراء الألبان وبعض النعاج من

البدو ، وبالمقابل يبيعونهم القمح .

٣ ـ وفي بداية الخريف يعود الرعاة مع قطعانهم إلى الجولان الشمالي ويقتربون من القرى حيث توجد الينابيع ذات المياه الدائمة . ويستطيع البدو المتشاركين مع القرويين بعقود تربية البقاء حول القرية المدة التي يريدونها . أما الذين لاتربطهم بأهل القرية أية شراكة ، فيتوجب عليهم دفع ضريبة رمزية لمختار القرية ، تكون غالياً خروفاً عن كل قطيع .

٤ ـ تجري بعض التنقلات النادرة نحو البادية ، حيث يقضي الرعاة مع قطعانهم فصل الربيع والشتاء ويعودون الى الجولان في مطلع الصيف عندما يصبح الماء نادراً في البادية .

وأثناء هذه التقلات الطويلة يهلك بعض الخراف ، وفي هذه الحالة يتوجب على البدوي الراعي ، مراعاة للامانة ، أن يجلب معه جلود الحيوانات التي فقدت ليتعرف عليها أصحابها عن طريق العلامات الفارقة التي يضعها الملاك عادة على خرافهم .

عقود تربية الخراف :

١ ـ **الغلاج** : وهي طريقة المشاركة المألوفة في الجولان ، وعقدها لسنة ، يتجدد تلقائياً إذا لم يطلب احد الطرفين انهاءه في نهاية العام . ويوجب هذا العقد على الراعي ، مقابل حصوله على ربع الحملان المولودة ، أن يقدم للمالك رطلاً من السمن[1] عن كل نعجة حامل . ويحتفظ بالفائض من السمن لنفسه . ومن المعروف ان النعجة تعطي غالباً اكثر من رطل من السمن . كما ان الحليب الناتج عن عملية التحويل إلى سمن وهو ما يسمى (شنينة) يبقى للراعي .

٢ ـ **شركة العظم** : في هذا الاسلوب في المشاركة ، يتم الاتفاق بين المالك والراعي البدوي على الشكل التالي :

ـ يقدم المالك رأس المال لشراء القطيع ، ويحتفظ بالاتفاق مع شريكه بسجل المصاريف .

---

(١) الرطل = ٢٫٥ كغ .

- من انتاج القطيع من سمن وصوف وحملان ذكور ، لأن الاناث تضاف للقطيع الولود ، يسدد الراعي للمالك نصف رأس المال ، أي نصف ثمن القطيع ، كما يدفع كل ما يترتب على القطيع من ضرائب للسلطات ولاصحاب المراعي . بالاضافة الى ذلك فانه يتكفل بتحمل نصف الخسارة التي قد تقع قبل تاريخ الاقتسام .

وعندما ينتهي الراعي من تسديد رأس المال ، ويتم هذا عادة خلال سنتين او ثلاثة . تجري القسمة ، ويحصل الراعي على نصف العدد النهائي للقطيع .

٣ - الشكارة : ويشبه هذا الأسلوب الأول ، حيث يتكفل البدوي برعي حيوانات المالك والاعتناء بها مقابل ربع الحملان المولودة مع مؤونة من القمح والبرغل والملح ، ويؤول الحليب كله للمالك الذي يتعهد بحلبه وبيعه مباشرة او بتحويله الى سمن .

٤ - الربوع : وهي طريقة المشاركة الشائعة في جنوب الجولان ، وتشبه الطرق السابقة أذ يحصل الراعي على ربع الحملان المولودة وربع الصوف والنعاج غير الحاملة مع خمسة كيلوغرامات من القمح عن كل نعجة تلد . ويؤول الحليب كله للمالك وحده .

٥ - تربية الحيوانات الاخرى في الجولان :

وتشمل تربية الجمال والخيول والحمير والبغال .

الجمال : لازال الجمل يحتل مكاناً هاماً في المجتمعين البدوي والقروي . وهو بالنسبة للبدوي الوسيلة الوحيدة للنقل لحياة التنقل فيها دائم . وبعد عمليات الحصاد يأتي البدو للعمل لدى القرويين . وبواسطة الجمل يتم نقل اكوام الحصيد والحشيش إلى مواقع البيادر . واجور النقل مختلفة ، ويتم الاتفاق مع الجمّال بالمقاولة غالباً .

الخيول : حتى وقت قريب كانت الخيول الأصيلة تلعب دوراً هاماً في الجولان . فهناك خيول عربية أصيلة حافظت على أصلها بدقة . ويمتلك كل مالك لخيول أصيلة وثيقة نسب لخيوله . موقعة من عدة وجهاء ، تثبت محافظة هذه الخيول على نسبها وأصلها العربي . وتسمى

هذه الوثيقة بـ (الحجات)[1]

وفي الواقع ، كان العرب ، ومنهم الدروز ، ثم الشركس من أكبر مربي الخيول ، فالحصان في نظرهم من أرقى وأنبل الحيوانات ويخصص للركوب ، وبشكل خاص لميادين سباق الخيل والاستعراضات أثناء الأعياد والأعراس .

وقد ساهمت فترة الانتداب الفرنسي في التشجيع على تربية الخيول ، ذلك لان جيوش المشرق كانت تضم فرق خيالة ، والمنتسبون الى هذه الفرق يأتون الى الجولان لشراء الخيول .

وحالياً ، يتراجع الحصان باستمرار ، أمام السيارة ، وقد تحولت أكثر الخيول أصالة إلى العمل الزراعي ، الأمر الذي كان محظوراً بشكل مطلق .

البغال والحمير : وهي لازالت كثيرة ، خاصة في جنوب الجولان . والحمار ضروري للعائلة الريفية ، فهو حيوان الركوب المثالي ، لرخصه ولصبره وتلبيته لخدمات عديدة .

والجدول التالي يلخص وضع تربية حيوانات الجر والركوب في الجولان بين ١٩٥٠ و١٩٥٦ .

---

(١) أكثر سلالات الخيل أصالة في الجولان هي : الحمداني ، السامري ، الكحيلان ـ عجوز الصقلاوي . مع العلم بان أصل الأم هو الذي يؤخذ بعين الاعتبار من أجل إثبات الاصالة .

	السنة	الخيول	الغال	الحمير	الجمال	المجموع
	١٩٥٠	١٤٠٠	٤٥٠	٣٨٠٠	٧٩٧	٦٤٤٧
	١٩٥١	١٤٠٠	٤٧٠	٤٦٠٠	٨٢٠	٧٢٩٠
	١٩٥٢	١٥٠٠	٥٠٠	٤٧٠٠	٢٠	٥٧٢٠
القنيطرة	١٩٥٣	١٥٧٠	٥٣٠	٤٨٦٠	٥٢٤	٧٤٨٤
	١٩٥٤	١٣٠٠	٥٢٤	٤٩٧٠	٤٤٨	٧٢٢٢
	١٩٥٥	١٥٠٠	٥٥٠	٥٠٠٠	٦٠٠	٧٦٥٠
	١٩٥٦	١٦٠٠	٥٧٥	٥٠٢٥	٤٣٤	٧٦٣٤
	١٩٥٠	٧٠٠	٣٠٠	٢٧٠٠	٤٦٣	٤١٦٠
	١٩٥١	٢٦٥٠	١٨٠٠	١٧٤٥٠	٧٣٠	٢٢٦٣٠
	١٩٥٢	٢٧٠٠	١٨٥٠	١٨٠٥٠	٢٠٨	٢٢٨٠٨
فيق	١٩٥٣	٢٤٠٠	١٢٠٠	١٨٦٠٠	٣٠٠	٢٢٥٠٠
	١٩٥٤	٢٤٥٠	١٢٥٠	١٨٧٥٠	٢٣٧	٢١٤٨٧
	١٩٥٥	—	—	—	—	—
	١٩٥٦	٣٦٣٤	٢٠٢٨	١٦٦٨٥	١٠٨	٢١٥٥٥

ـ **الدواجن :**

الدجاج هو اهم انواع الدواجن . وله مع البيض قيمة العملة السائلة في كل ريف الجولان . ولدى كل عائلة قروية أوبدوية ، عدد من الدجاجات وبواسطة البيض يمكن شراء كل ماهو مطلوب من الدكان . كما أن البائعين المتجولين القادمين إلى القرية لبيع منسوجات وأدوات طبخ وصابون . . الخ . . . ، يقبلون الدجاج والفراخ مقابل بضائعهم . وفي الواقع الدجاج والبيض في الريف عبارة عن رأس مال موضوع تحت تصرف النساء . وتستهلك محلات بيع الفروج بالقنيطرة عدداً كبيراً من الفراريج كل اسبوع . إضافة الى ذلك ، يدخل البيض

بنسبة كبيرة في النظام الغذائي . وبسبب عدم وجود اماكن لبيع اللحم في القرى ، تحل الفراريج محل اللحم عندما يكون هناك ضيف يجب إطعامه .

ويأتي الديك الرومي بالمرتبة الثانية بعد الفروج . وللديوك الرومية التي تحضر من قبل النساء الشركسيات شهرة كبيرة في كل سورية . أما الوز والبط والحمام والارانب والنحل فدورها ثانوي في الاقتصاد الريفي لمنطقتنا .

وفي الواقع ، لقد تلقت تجارة الدواجن ضربة قاتلة بعد إغلاق السوق الفلسطينية . ومع ذلك ، فالجولان لايزال يمتلك ثروة معتبرة من الدواجن . ففي عام ١٩٥١ ، كان جولاننا يمتلك من الفراخ ٢٥٪ ومن النحل ٢٨٪ ومن الديوك الرومية ٧٥٪ من مجموع كل مافي محافظتي دمشق وحوران .

والجدول التالي يعطينا فكرة عامة عن الدواجن في الجولان بين عامي ١٩٥٠ و١٩٥٦ :

القضاء	السنة	الفراخ	الديوك الرومية	الوز	البط	الحمام	الارانب	خلايا النحل
							—	١٢٠٠
	١٩٥٠	٣٢٠٠٠	—	٦٤٠	٧٢٠	٧٥٠٠	٣٥٠	٣٣١
	١٩٥١	٣٢٤٠٠	٣٧٠٠	٦٨٠	٧٥٠	٧٨٠٠	٣٠٠	٣٩٥
	١٩٥٢	٣٣١٠٠	٣٩٠٠	٦٥٠	٧٠٠	٨٢٠٠	٣٨٠	٤٤٣
القنيطرة	١٩٥٣	٣١٨٠٠	٤٢٠٠	٦٩٠	٧٢٠	٩١٠٠	٣٤٠	٨٨٥
	١٩٥٤	٣٨٥٠٠	٣٧٠٠	٦٢٠	٦٨٠	٩٦٥٠	٣٥٠	٨٨٥
	١٩٥٥	٣٩٥٠٠	٣٨٠٠	٦٥٠	٧٠٠	٩٠٠٠	٣٧٥	٨٦٠
	١٩٥٦	٣٩٧٠٠	٥٨٥٠	٦٧٠	٧٢٥	٩٥٠٠		
	١٩٥٠	٢٠٠٠٠	—	٢٠٠	٢٠	٣٥٠٠	—	٢٥٠
	١٩٥١	٢٥٠٠٠	٤٠	٢٠٠	١٣٠	٥٤٠	١٤٧	٢١٧
	١٩٥٢	٢٥٥٠٠	٣٥٠	٣٥٠	٢٥٠	٣٠٠٠	٢٥٠	٣٠٨
فيق	١٩٥٣	٣٠٥٠٠	٢٠٠	٢٧٥	٢٥٠	٣٠٠٠	٢٠٠	٤٦٣
	١٩٥٤	٢٠٥٠٠	٢٥٠	٣٠٠	٣٠٠	٤٥٠٠	٣٠٠	٨٠٠
	١٩٥٥	٢١٠٠٠	٢٧٥	٢٥٠	٣٢٥	٤١٠٠	٢٧٥	٨٠٠
	١٩٥٦	٦٥٨٥	٦٥	١٨٧	—	—	٤٠	٤٠٠

٧ـ المنتجات الرئيسية لتربية الحيوان :

١ ـ حيوانات العمل : ان الهدف الاساسي من تربية الابقار هو انتاج حيوانات العمل ، فالعجول التي اخصيت وهي في عمر السنتين ، يجري بيعها عندما يصبح عمرها اربع سنين . والزبائن الرئيسيون لهذه الحيوانات هم الحوارنة والدروز .

٢ ـ اللحم : لايستهلك لحم المواشي الكبيرة في الجولان ، كما هو الحال في كل سورية ، الا بكميات قليلة . والحيوانات الهرمة التي لم تعد صالحة للعمل ولا للانجاب ، تسمن لبيعها للتجار القادمين من جنوبي لبنان ، حيث

يشكل متاوله هذه المنطقة حالياً الزبائن الوحيدين لحيوانات الذبح في الجولان .

وقبل عام ١٩٤٨ ، كانت فلسطين تشكل أحسن سوق لاستهلاك حيوانات الذبح ، إذ كان البقر الجولاني مفضلاً على غيره عند اليهود .

وترسل الحملان الذكور بكاملها تقريباً للذبح وتباع وهي في الشهرين أو الثلاثة أشهر من عمرها . فالكبار منها وتسمى (بدري) تباع في شهر آذار ، أما الاصغر والمسماة (وردي) فتباع في شهر نيسان . ويأتي التجار ، وبشكل خاص من دمشق ، ليجوبوا كل المنطقة بشاحناتهم الضخمة وينتقوا الحملان مباشرة الى المدن الكبرى . ولحم الحملان مرغوب جداً لأن التخزين العام للدهن في الذنب الدهني، لم يبدأ بعد عندها .

٣ ـ **الألبان** : يستهلك لبن الأبقار في مكانه غالباً ، ولا يدخل إلا نادراً في التجارة . أما لبن النعاج فانتاجه كثير ومرغوب ومقدر ومنتجاته الرئيسية هي :

ـ **السمن** : ويحصل عليه بخض اللبن الرائب (المختر) داخل قربة من جلد الماعز تستعمل كمخض ، وتملأ هذه القربة باللبن الرائب من العنق حتى ثلاث أرباعها ، ثم يشد العنق بإحكام بواسطة خيط متين ، وتبدأ البدوية بخض القربة المعلقة على ركيزة خشبية مثلثة الارجل . وللزبدة الناتجة بهذه الطريقة مذاق حامز ومالح . ولتحويلها الى سمن يمكن حفظه ، يجب إذابتها وغليها . ويخزن البدوي السمن في قرب من جلد الماعز . أما أصحاب القطعان الكبيرة والتجار فيضعونه ضمن صفائح من التنك سعة الواحدة ١٨ ليتراً أي ما يعادل ستة أرطال أو ١٥ كغ . وبهذه العبوات يطرح السمن في التجارة .

وفي الواقع ، ينتج الجولان سنوياً كمية معتبرة من السمن . ففي عام ١٩٥١ كان انتاجه يمثل ٦١٪ من مجمل انتاج محافظتي دمشق وحوران .

الجبن : ويخصص لبن الماعز لصناعته ، وتجدر الاشارة الى ان انتاج الجبن هو بالاساس انتاج قروي ، والبدوي يكاد لاينتج منه شيئاً .

وكان انتاج الجولان من الجبن في عام ١٩٥١ يمثل ٥٠٪ من مجمل انتاج محافظتي دمشق وحوران .

الزبدة : واستهلاك الزبدة البدوية الطازجة محدود جداً بسبب طعمها الحامز والمر . أما زبدة المائدة المرغوبة ، فهي التي تنتجها القرى ، وبشكل خاص قرى الشركس . وقد انتج الجولان في عام ١٩٥٥ ٤٢٪ من مجمل انتاج محافظتي دمشق وحوران .

٤ ـ **الصوف** : يبدأ جز الصوف عادة في ١٥ نيسان وهو عيد اجتماعي حقيقي ، إذ يقوم كل راع بذبح حمل ، ويأكل الناس كلهم اللحم في هذا اليوم . والجز شامل بسبب لطافة المناخ في هذه الفترة . لايستثنى منه إلا الاناث من حملان السنة نفسها . ويجري الجز بواسطة مقص بدائي يسمى (الزو) أو (المقراط) . وتلف الجزة قطعة واحدة يبقى الجزء الذي كان ملاصقاً لجلد الخروف في الداخل . وتزن كل جزة عادة من ٢ إلى ٣ كيلوغرامات .

ويشتري التجار الصوف غالباً من محله ، وحتى قبل جزه بدفع سلفة (عربون) للمربين . وفي الواقع ، يقوم البدوي وشريكه ببيع الصوف مباشرة بعد الجز ، لانهما ملزمين بدفع رسم الاغنام في الفترة نفسها : وقد انتج الجولان في ١٩٥٠ ٣٢٪ من صوف محافظتي دمشق وحوران . وصوف الجولان هو كصوف بقية المناطق السورية من النوع المتوسط الجودة ، يصدر إلى الولايات المتحدة الامريكية لصناعة البسط والسجاد . وهنا تجدر الاشارة إلى أن السيد الكسندر جيب كان قد نصح الحكومة السورية بعدم تحسين نوع الصوف السوري ، بحجة انه لايستطيع مقاومة المنافسة في ميدان السوق العالمية .

٥ ـ شعر الماعز : ويلعب دوراً محلياً معتبراً ، إذ تحضر منه المادة الاولية لصنع الخيام بمزجه مع الصوف . كما يستعمل لصنع أكياس كبيرة لحفظ ونقل الحبوب . ومن مجمل انتاج محافظتي دمشق وحوران ، كان انتاج الجولان

منه في عام ١٩٥٠ ٨٥٪ .

٦ ـ **منتجات الدواجن** : وهي بشكل أساسي البيض والعسل ، وقد انتج الجولان في عام ١٩٥١ ٣١٪ من البيض و٢٥٪ من العسل اللذين انتجتهما محافظتا دمشق وحوران .

والجدول التالي يلخص تطور اهم منتجات التربية الحيوانية :

القضاء	السنة	الحليب	السمن	الجبن	الزبدة	الصوف	شعر الماعز	بيضة	العسل
القنيطرة	١٩٥٠	٤٤٠٠ طن	٢٢٠ طن	٤٨٠ طن	١٢ طن	١٥٠ طن	—	١٠٠٠×٧٥٠	٦ طن
	١٩٥١	٤٥٠٠	٢٢٠	٤٨٠	١٤	٨٠	٤٥	٧٦٠	٨
	١٩٥٢	٤٧٥٥	٢٣٣	٥١٠	١٥	٨١	٥٠	٢٨٥	٠ر٧٥
	١٩٥٣	٤٦٤٠	٢٣٦	٤٩٥	١٥	٥٧	٤٨	٧٥٦	٨ر٥
	١٩٥٤	٥١٥٠	٢٤٨	٥٤٤	١٥	٧٩	٥٨	٦٧٧ر٥	٩
	١٩٥٥	٤٥٠٠	٢١٠	٤٨٠	١٣ر٥	٤٦	٥١	٦٥٣ر٤	٩
	١٩٥٦	٥٣٠٠	٢٠٠	٥٦٣	١٤ر٥	٥٨	٥٤	٦٩٢ر٣	٩
فيق	١٩٥٠	٤٢٠٠	١٤٢	١٠	٢٢	٤٥	—	٦٠٠	٠ر٦٢
	١٩٥١	٩٠٠٠	٢٠	٣	٠ر٢٥	٤٥	٨	١٨٧ر٥	٠ر٢٥
	١٩٥٢	٢٣٠١	٢٩	—	—	١٥	٤ر٩	٩٥٦ر٢	١
	١٩٥٣	٢١٠٠	٣٠	—	—	١٤	٣	١١٠٠	١
	١٩٥٤	١٣٥٠	٣٠	—	—	١٥	٣	١١٠٠	١ر٥
	١٩٥٥	—	—	—	—	١٩	—	—	١
	١٩٥٦	٢٠٠	١٨	—	—	١٨	٢ر٥	٢٧٠	١

٨ المشاكل التي تطرحها تربية الحيوان :

١ ـ عدم كفاية المراعي : كنا قد بينا سابقاً في الفصل السادس ، من القسم الاول ، بان البراري الطبيعية ليست مضمونة ومنتظمة في كل سنة . كما أشرنا أيضاً الى النباتات المعمّرة التي يمكن اقتراح زراعتها في الجولان لتحسين البراري . وفي الواقع ، ان الحالة الراهنة للمراعي في الجولان لاتسمح بأي تطوير منتظم وعقلاني لتربية الحيوان . لذلك فان إدخال نباتات معمّرة جديدة هو أمر ملح للأسباب التالية :ـ التحسين الكمي والوصفي للمراعي يجعل تربية الحيوان اكثر استقراراً واكثر نفعاً .

ـ إكساء الارض بغطاء نباتي دائم يطور التربة للأحسن ويغنيها بالذبال . وهذا سيسمح بدوره اذا ماوقع على المنطقة ضغط ديمغرافي بتحويل المنطقة إلى أراض زراعية .

ـ النباتات الدائمة ستفيد في حماية التربة من الحت والانجراف . بالاضافة الى ذلك يجب التوسع في زراعة الحبوب الثانوية كالبيقية والجلبان والكرسنة ، لان هذه الحبوب غير المنهكة للتربة ، تندمج بشكل جيد بالدورة الزراعية ، وتؤمن غذاء حيوانياً جيداً .

٢ ـ عدم كفاية الماء : في الواقع التوزع السيء لنقاط الماء في الجولان وعدم توافره ، يجبر الرعاة على الانتقال مع قطعانهم تفتيشاً عن الماء ، حتى في حالة توفر العشب بكميات جيدة .

الماء متوفر وسهل المنال في كل بقعة من منطقتنا ، إلا ان البدو غير قادرين ، ولا يملكون امكانية حفر الآبار وضخ الماء . لذلك يتوجب على الرعاة ان يدفعوا لأهل القرى رسوم سقاية قطعانهم .

٣ ـ كثرة الامراض السارية والطفيلية : تبيد الأوبئة بين الحين والآخر القسم الاكبر من القطعان . مع ذلك فمكافحة الامراض السارية والطفيلية لاتتوفر بشكل كاف وملموس .

مبدئياً ، معالجة الحيوانات المريضة واعطاؤها اللقاحات الواقية أمور مجانية تقوم بها الدولة . لكن واقعياً ، في كل منطقة الجولان لايوجد سوى

طبيب بيطـري واحـد مكانه في القنيطرة . وعلى الفلاح والبدوي المجيء اليهـا للاعـلام عن الحيـواناتـ المريضة . وحتى تاريخ قريب كان الاهالي يفضلون معالجة حيواناتهم وفق طرقهم البلدية الخاصة ولايقدرون المعالجة البيطرية حق تقد يرها . ومن أهم هذه الطرق الكي .

وحديثاً جداً ، أصبح التصريح عن الحيوانات المريضة اكثر اتقاناً . والجـدول التـالي يبين اكثر الامراض انتشاراً في الجولان مع عدد الحيوانات المريضة المعالجة من قبل الوحدة البيطرية بين عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٦ .

الأمـــــراض	١٩٥٤ العدد المعالج	١٩٥٤ النوع المعالج	١٩٥٥ العدد المعالج	١٩٥٥ النوع المعالج	١٩٥٦ العدد المعالج	١٩٥٦ النوع المعالج
داء الكلب	١٥	حمير وكلاب	٧٩	بقر وكلاب	١٥	خيل وكلاب
جدري الأغنام	٥١٦٠	خراف وماعز	٣٤٤٠٠	خراف	٢٤٠٠	خراف
الحمى القلاعية	١٣٥٥	بقر	١٧٤١٧	أبقار	١٧٧٨٥	أبقار واغنام
الجمرة العرضية	٩٥٠	أبقار	٥٤٧٠	أبقار	١٨٧٥	ابقار واغنام
الجمرة	١٤٣٥	أغنام	١١٢٥٠	أغنام	١٥٠٠	ابقار
الديدان الكبدية	٥٨٨١	أغنام	١٤٠٦٦	اغنام وابقار	٧١٨٣	اغنام وابقار
الجرب	٣٩٠٤	أغنام وجمال	٧٠٤٠	مختلفة	٦٩٥١	اغنام وجمال
الديدان الرئوية	٥٢٠	اغنام	—	—	١٠٢٩٥	أغنام
الديدا المعوية	٢٣٩٤	أغنام	١٤٨٢	مختلفة	١٠٨٨٣	اغنام وابقار
الملاريا(داء الصفار الخبيث)	—	—	—	—	٦١٥٦	خراف
القراد طفيليات خارجية	١٤١٥٢	مختلفة	٥٤٣٠٣	مختلفة	—	—
طاعون الدجاج	—	—	٢٠٠٠	دجاج	—	—
شبه طاعون الدجاج (الكاذب)	—	—	١٧٠٠	دجاج	٢٠٠٠	دجاج
المجموع	٣٦١٢١		١٥٩١١٨		٦٨٧٩٢	

٤ ـ **مشكلة تحسين السلالات الحيوانية بطريقة الانتقاء والتصالب** : حتى الآن لم يحقق اي شيء في هذا المجال . والامر الغريب الذي تجدر الاشارة اليه هو ان السيد الكسندر جيب ، في تقريره عام ١٩٤٧ حول التنمية الاقتصادية لسورية ، كان قد حذر الحكومة السورية من استيراد سلالات اجنبية لأجل التهجين بحجة ان المحاولات التي اجريت في كل من تركيا وقبرص والجزائر ، لم تعط نتائج مشجعة .

٥ ـ المشكلة المتمثلة بالاضرار التي يلحقها نمو وانتشار الزراعة بالبراري المخصصة لتربية الحيوان .

الفصل الرابع
الفقر الريفي في الجولان

الزيادة المتواصلة والسريعة للسكان ، أمر معروف لدى كل المجتمعات الزراعية . وان عدم تزايد الحيوية المنتجة للسكان فيها بشكل مواز للزيادة الديمغرافية ، هو الذي يفسر البؤس الشديد في هذه المجتمعات .

وفي الواقع ، رأينا في الدراسة الديمغرافية ، النمو الملموس والمتصاعد لسكان الجولان . لقد كان هذا التزايد ، في الحقيقة مصحوباً بتوسع في مجال الارض المستثمرة ، عن طريق معالجة الاراضي الاحتياطية وكسرها للزراعة ، إلا ان هذا الحل كان مؤقتاً ، لأن التلف والخراب سرعان مايصيب الارض نتيجة لاساليب الاستثمار الطائشة والمفتقرة الى الخبرة .

ونظام الملكية العقارية سبب آخر للبؤس الريفي الشديد في الجولان . لقد رأينا سابقاً ، ان عدداً كبيراً من الذين يشتغلون في الاراضي ليسوا من الملاكين . وان هذا العدد لايتلقى من الانتاج الا ٢٥٪ في حالة المرابع و ٥٠٪ في حالة المزارع المناصف (المؤاكر) .

وفي الحقيقة ، ان البؤس الريفي ظاهرة اجتماعية تنتشر في كل مكان من الجولان . ويتمثل الفقر في آن واحد بالنظام الغذائي للسكان وبلباسهم وبسكنهم .

١ ـ **النظام الغذائي** : الغذاء الاساسي للقوت الريفي اليومي هو خبز القمح ، أو الحبوب الاخرى ، فالفلاحون الاغنياء يستهلكون خبز القمح . في حين يقوم الآخرون ببيع القمح وشراء الذرة البيضاء الأقل سعراً ، ليصنعوا منها المعجنة المشهورة ، والمعروفة في حوران وفي الجنوب من الجولان باسم (كردوش) .

ولا يستهلك البدو خبز القمح الا نادراً . وهم يفضلون غالباً خبز الذرة المعمول بالطريقة البدوية (خبز الصاج) على الصاج . وان هذا الخبز المعروف عند البدو والقرويين ، ممتاز وصالح للحفظ كما انه يتلاءم بسهولة مع كل استعمالات المائدة القروية التي تفتقر الى أدوات الطعام من ملعقة وشوكة . وتتطلب استعمال الأصابع في الاكل(١) .

وفي سنوات المحاصيل السيئة ، يدخل الشعير بنسبة كبيرة في خبز الارياف . ويستهلك شركس الجولان تقريباً لوحدهم الذرة الصفراء خاصة في الشتاء بشكل مسلوق (باستا) .

والقوت اليومي قليل التنوع ، والبرغل هو الاكلة القروية المفضلة . فحتى الفقراء من القرويين والذين يبيعون القمح ويستهلكون الذرة البيضاء ، يتوجب عليهم الاحتفاظ بكمية كافية من القمح لعمل البرغل ، الذي يلعب في كل الريف السوري ، دور المغربية (الكسكس) في افريقية الشمالية ، ويستهلك العدس والحمص والفول ايضاً ، وبشكل خاص في الشتاء ، والحليب عنصر مألوف في الغذاء الريفي ، ويستهلك غالباً بشكل لبن رائب . إلا ان الفلاح لايستهلك كثيراً من الحليب ، لانه لايحصل عليه الا خلال بعض الأشهر ، ولأن الفلاحين عموماً يبيعون حليبهم بشكل لبن رائب وسمن وجبن ، وذلك من أجل الحصول على عملة سائلة .

ولايشتري الفلاحون الخضار إلا نادراً ، أما في القرى التي تستخدم الري فتزرع مساحات صغيرة بالخضار من أجل الاستهلاك العائلي . وفي مطلع الربيع يستهلك الريفيون انواعاً عديدة من النباتات التي تنبت تلقائياً ، ويبادل الدروز عنبهم وملفوفهم بالحبوب في كل قرى الجولان تقريباً . والبطيخ الأحمر والأصفر هي الثمار الدارجة التي يبيعها الباعة المتجولون بعرباتهم .

---

(١) فلاحو سورية والشرق الادنى ص : ٢٣٢ J. Weulersse .

واللحم نادر في كل مكان ، ولايظهر الا في الاعياد الدينية وفي ايام الضيـافـة والفـرح والأعـراس والحـج . . . وان عدداً كبيراً من العائلات الريفية لاتأكل اللحم حتى ولامرة واحدة في السنة .

ومـع ذلـك ، وعلى الـرغم من رتـابـة النظام الغذائي للريفيين في الجولان . فإن هذا الغذاء لايصل الى ما يمكن ان يقال عنه نقص تغذية دائم (مزمن) كما في المنـاطق المكتظـة في الشـرق الاقصى . وانـه لمن المؤكـد أن الـريفيـين في الجـولان يستطيعـون الحصـول على أكـل أكثـر وأحسن . وان واقـع الحـال يشـير الى ان بؤسهم ليس في الأساس بؤساً غذائيـاً ، وان هنـاك نواقص اهم تتعلق باللباس والسكن والجهل وفقدان الامن الاجتـماعي . كما ان وجـود الأراضي أوفقـدانها ليس هو السبب في هذا البؤس . انما الاصح التنظيم الاجتماعي هو السبب .

٢ ـ **اللبـاس** : منـاخ الجـولان ، كما رأينـا ، منـاخ شديـد ، وبـرد الشتاء فيه قاسي ، وزخـات المطـر اعصـاريـة والـريـاح عاصفة ورطبة . ومناخ مثل هذا ، يتطلب ثيـاب ملائمـة ومتبدلة ، مع ذلك فان لباس غالبية منطقتنا سيء . وعـدد الـذين يسيرون في الشتـاء في الطـين والثلج وأقـدامهم حافيـة ، لازال كثيراً خاصـة النسـاء والاطفال . وثياب واحدة تستعمل لكل السنة . والذين لديهم ثياب للشتاء واخرى للصيف لازالوا قلة في جولاننا .

وحتى وقت قريب ، كان سكـان الجـولان من دروز وبـدو وشركس يتميزون بألبستهم الشعبية (الفولكلورية) . إلا ان الحرب العالمية الثانية كانت فترة تأخـر وانحطـاط لأحسن المـلابس الاصليـة التي تراجعت امام الالبسـة الامـريكيـة الـرثـة القديمة التي كانت تباع بأبخس الاثمان والتي كانت منذ عشر سنين العامل في تجانس الالبسة في منطقتنا .

وفي الواقع ، الألبسة القديمة الغربية مهما كان نوعها ، كانت تباع للاستعـمال الشعبي فقـط ولمن لم يسبق له بها معـرفة . (فشروال) الدروز (وقمبـاز) البـدو تراجعـا امـام السترة والبنطال الغربيين . كما ان العباءة والفـروة تراجعتا أيضـاً امام المعاطف الواقية من المطر والمعاطف العسكرية

التي كان يبيعها تجار الالبسة البالية الغربية .

وبالمقابل فان عمرة الرأس البدوية (الكوفية) الممتازة ضد الريح والرمل والشمس قد لاقت انتشاراً واسعاً ، وهي قطعة من الحرير أوالقطن ، بيضاء اوملونة ، تحيط بالوجه وتتدلى على الكتفين مغطية الرقبة ، وتثبت على الرأس بواسطة (العقال) المصنوع من الصوف اومن شعر الماعز .

ولازال في اللباس النسائي للدروز والشركس والترك بعض التنوع ، في حين أصبح لباس غالبية السكان بسيطاً جداً ومتواضعاً ، كما هو حال البدويات ونساء الأسكي - تركمان وفلاحي الجنوب ، حيث يقتصر لباس المرأة على الثوب الازرق (الغرش) الموحد والخالي من أي تزيين ، وعلى وشاح أسود تخفي به شعرها بشكل تام (العصابة).

٣ - **المسكن والأمتعة (الأثاث)** : سندرس في فصل خاص البيت والسكن الريفي ، لهذا فاننا سنكتفي هنا بإيراد بعض الملاحظات حول البيت الريفي لمنطقتنا :

- تصميم بسيط يعم ويشمل البيت الريفي في كل مكان ، والفروق الاساسية التي قد تشاهد في التصميم تقررها حالة رفاه أوبؤس العائلات التي شيدت هذه المساكن .
- ويتكون المسكن غالباً من حجرة وحيدة للعائلة وللقطيع وللمؤنة .
- شروط سيئة جداً للتهوية والانارة والتدفئة ، والنوافذ نادرة ، وإذا وجدت فهي صغيرة جداً . وكذلك الابواب . وبسبب الدخان يعم السواد كل مافي داخل المسكن .
- ان مساكن اللاجئين وعددهم كبير في الجولان ، هي دون مستوى الاكواخ المغربية (النوالا والغوربي)
- مع ذلك فأمام طرق اختلاف البناء للبيت ، تختفي رتابة المخطط ، ويختفي فقره وخلوه من الصبغة المميزة للبيت الريفي ، ويصبح مظهره خير ما يعكس شدة التعارض للشروط الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية .

وهذا مايجعل دراسته ذات فائدة جغرافية عظيمة .

ـ الاثاث القروي واحد تقريباً ببساطته في كل مكان في الجولان ، حتى انه يمكن القول بأن الاثاث بالمعنى الكامل والصحيح ، لايوجد الا عند وجهاء القرويين . ان فقدان الأثاث يتفق مع الحاجة الى إشغال الغرف الضيقة بعدد كبير من الاشخاص حتى يبقى اكبر جزء منها فارغاً .

٤ ـ **موارد العائلة الريفية في الجولان** : ان دراسة موارد الفلاحين ستسمح لنا بتوضيح سبب هذه الحياة البائسة التي يعيشها فلاحو منطقتنا . الا انه من الصعب جداً تحديد موارد العائلات الفلاحية ، لان مواردهم وهي أساساً زراعية ، تتصف بعدم ثبات كبير . إضافة الى ذلك فان موارد العائلة الفلاحية تتغير من قرية الى اخرى ، وحتى في القرية الواحدة ، يجب ان نفرق بين ثلاث زمر من العائلات :

ـ العائلات المالكة للارض ، إلا انها تستثمر اراضيها بطريقة غير مباشرة .

ـ العائلات المالكة للارض وتستثمر اراضيها مباشرة .

ـ اخيراً العائلات غير المالكة والتي تشتغل في أراضي الغير .

وسندرس فيما يلي موارد ثلاث نماذج من العائلات الفلاحية المالكة للارض والتي تشتغل في اراضيها الخاصة بها .

آ ـ **موارد عائلة فلاحية في جنوب الجولان** : جنوب الجولان ، قضاء فيق ، هو ميدان حقيقي لزراعة وحيدة هي الحبوب . والمردود مرتبط بالشروط الجوية والفلاح لايحصل على محاصيل جيدة الا مرة واحدة كل ثلاث سنوات وسطياً . والعائلة الواحدة التي تمتلك فداناً من الأرض أي ١٥٠ دونماً ، هي عائلة ميسورة نسبياً . فالأرض تقسم الى ثلاث قطع مساحة كل منها ٥٠ دونماً ، تزرع الاولى بالقمح والثانية بالذرة . اما الثالثة فتترك للاستراحة .

ولما كان البذار الذي يبذر في القطعتين سنوياً هو **٣٢** مداً من القمح (المد = ٢٠ كغ) و ٢٠ مداً من الذرة . وكان المردود المتوسط للقمح اربعة امثال . وللذرة عشرة امثال ، فان وارد الفدان سنوياً يكون :

١٢٨ مداً من القمح و ٢٠٠ مداً من الذرة .

ومن هذا الانتاج العام يجب عزل ٣٢ مداً من القمح و٢٠ مداً من الذره كبذار للسنة التالية ، ثم طرح حوالي ٥ مدد قمح و٥ مدد ذرة لتغطيه المصاريف المختلفة لأعمال الحصاد والنقل وغيرها . . . وما يتبقى هو الذي يكون المورد الصافي للفلاح والذي لايزيد عن ٩١ مداً من القمح و ١٧٥ مداً من الذرة .

ولما كان مد القمح يباع بست ليرات سورية ومد الذرة بأربع ليرات سورية ، فان المورد السنوي الصافي لأي عائلة ، عدد أفرادها لايمكن ان نقل عن خمسة أشخاص . هو بحدود الـ ١٢٤٦ ل . س . أي ما يقارب الـ ٢٥٠ ل . س . لكل فرد سنوياً . وهذا يبين بوضوح ضآلة هذا المورد .

ويشكل عام يحتفظ الفلاح بالذرة للاستهلاك العائلي ، ويبيع معظم القمح ليتمكن من الحصول على العملة السائلة اللازمة لشراء الالبسة والسكر ومنتجات اخرى تصنع في المدينة .

ب) ـ **موارد عائلة فلاحية في شمال الجولان** : لاتشكل زراعة الحبوب في هذا الجزء من الجولان ، أي في قضاء القنيطرة النشاط الوحيد للفلاح . فتربية الحيوان تشكل مصدراً هاماً جداً للاعانة ، خاصة وان الفلاح لاينتج في الغالب كمية كافية من الحبوب للاستهلاك العائلي .

وفي سنوات المواسم السيئة ، يضطر فلاح الشمال ، الشركس خاصة لشراء القمح والتبن . وبالمقابل يتوجب على كل عائلة ان تبيع جزءاً من ماشيتها سنوياً لشراء الالبسة والسكر والمنتجات الأخرى التي تصنع في المدينة . فالعجل من عمر ثلاث سنوات يباع بمبلغ يتراوح مابين ٢٥٠ و٣٠٠ ليرة سورية . والدابة الهرمة المعدة للذبح بحوالي ١٥٠ ل . س . والبقرة الحلوب بمبلغ يتراوح بين ٣٠٠ و٣٥٠ ل . س .

ويجب الاشارة هنا الى ان تجارة المواشي قد أصيبت بضربة مؤلمة اثر اغلاق السوق الفلسطينية منذ عام ١٩٤٨ .

ج)ـ **موارد عائلة فلاحية من الحرمون** : على الرغم من ضعف الارض في هذه المنطقة ، فان الفلاح يعيش فيها من العمل في الارض ، والدرزي هو

أقدر فلاح في منطقتنا .

وبسبب ضعف مردود الحبوب ، يخصص الفلاح أحسن أرضه لزراعة الكروم . اما الاراضي المروية فيزرعها بالبقول والأشجار . كما ان عدم وجود سوق استهلاك كافية ومتطورة ، يجبر فلاح الحرمون على حمل عنبه وفوله وملفوفه على ظهر الحمير الى القرى الحورانية ليبادل عليها بالقمح والذرة . ورغم مثابرة فلاح الحرمون ، فإنه يعيش في ظل بؤس صارخ ، والموارد بالكاد أن تكفيه للبقاء .

د) ـ **موارد عائلة بدوية** : وهنا يجب ان نفرق بين العائلات التي لها حيواناتها الخاصة ، وبين تلك التي ترعى حيوانات سكان القرى أو المدن . وهذه العائلات الأخيرة تعيش حالة بؤس حقيقي ، إذ ان عائلة عدد افرادها لا يقل عن خمسة اشخاص ، وترعى قطيعاً مؤلفاً من ٢٠٠ نعجة ، وتتلقى كل سنة ٣٥ حملاً ، يباع الواحد منها بـ ٣٠ ل . س يكون دخلها السنوي ١٠٥٠ ل . س . ويكون بالتالي دخل الفرد السنوي في عائلة بدوية حوالي ٢٠٠ ل . س .

ان البؤس الريفي لمنطقتنا يفسر بالامور التالية :

١ ـ ضعف الانتاجية الريفية بسبب الاساليب البدائية للزراعة ولتربية الحيوان .

٢ ـ غياب السوق الاستهلاكية بالسعة والتنظيم اللازمين والكافيين لجريان المنتجات الزراعية والحيوانية التي تباع بأبخس الأسعار .

٣ ـ أرتفاع أسعار المنتجات المصنوعة في المدينة بالنسبة للمنتجات الريفية . ووجود فئة من التجار تستثمر بشكل غير عادل سذاجة الفلاحين والبدو مرتكبة حتى طرق النصب والاحتيال .

الفصل الخامس
مشاهد طبيعية واشكال سكن ريفية

أ ١ ـ **المشاهد الطبيعية الاقليمية** : تختلف المشاهد الطبيعية الاقليميه في منطقة الجولان . ويبدو هذا الاختلاف بشكل ملموس من الشمال الى الجنوب .

آ) ـ **الحرمون** : تنتصب هذه الكتلة الضخمة ، والكلسية في معظم اجزائها بشكل جدار عظيم متناقض مع هضاب الجولان البازلتية بارتفاعه الذي يصل الى ٢٨٠٠ متراً ، وبصخوره الرسوبية المائلة للبياض .

ويلمح سكان شمال الجولان ، وكذلك سكان السهل الحوراني ، المظهر الجانبي العظيم لهذا الجبل ، وقمته التي تحجبها الغيوم في الشتاء ، ويغطيها الثلج في الصيف .

ويتميز المشهد الطبيعي للحرمون ، من جهة إلى أخرى ، ككل المناطق الكلسية بالسطوح الواسعة والجرداء تقريباً ، والتي تقطعها الصدوع والأودية المتعمقة ، وتتناثر فوقها المنخفضات المغلقة بمساحات وأشكال مختلفة .

ويعمل الارتفاع وفقدان الماء بسبب النفوذية الشديدة للأرض مع النقص شبه الكامل للتربة الزراعية ، على جعل المحور المركزي للحرمون منطقة خالية تماماً .

ويختلف المشهد الطبيعي في الجنوب والجنوب الغربي ، حيث يمتلك الحرمون واجهة جذابة ، معرضة بشكل واسع للرياح الآتية من البحر عن طريق فتحة مرجعيون تحمل معها الأمطار الغزيرة .

وفي الوقت نفسه ، تختلف طبيعة الأرض فتحل المنحدرات الكلسية محل جرود المحور الجوراسي وتظهر طبقات حاوية على الماء تفجر مصادر ضخمة منه

وهكذا فان أقدام الجنوب والجنوب الغربي والجنوب الشرقي لجبال الحـرمـون لاتشكـل صحـراء بشـريـة . والقـرى الكبـيرة ذات المـوقـع الدفاعي ، عديدة هنا . ولم يعد سكان القرى الدرزية والمسيحية يعيشون كالسـابق منعـزلين . فقد اخذوا بالنزول شيئاً فشيئاً نحو نقاط الماء ليزاولوا زراعـة الأشجـار المثمـرة لدرجة أصبحت فيه البقع الخضراء تقطع تدريجياً رتابة المشهد الطبيعي الأجرد القديم .

ب) ـ **شمال الجـولان أو ضواحي القنيطـرة** : وهنـا تشـاهـد أحـدث الاشكال للأجهزة البركانية المفيدة لمعرفة الحمم والمخاريط البركانية الرباعية .

وتشكـل المخـاريـط الـبركـانيـة السليمـة التي ترتصف من الشمال والشـمال الغـري إلى الجنـوب والجنـوب الشـرقي ، العنصـر الأسـاسي للمشهـد الطبيعي رغم ارتفـاعها القليل . وتنتصب هذه البراكين فوق هضبة الحمم لتتعارض معها بخضرة غاباتها عندما تكون مشجرة ، وبلونها الأحمر ، او الأحمر البنفسجي ، عندما تكون معراة من اشجارها .

أمـا الهضبـة البـازلتية فإنها تغير منظرها من فصل لآخر ، ففي الصيف والخـريف ، تكـون الأراضي جرداء ، تغطيهـا قطـع الحجارة المختلفة الحجم معطية للمنطقة مشهداً حجرياً رمادياً وكئيباً . ويغطي نبات عشبي وافر المنطقة في الـربيـع مخفيـاً الأحجـار وجـاعـلاً المنظـر أكثـر بهجـة .

ومنـذ العهـد الروماني أسهم الإنسان في تغيير المنظر الطبيعي ، باهتمامه الـدائم بتخليص الأرض من أكـوام الحجـارة التي تغطيهـا ، ليبني منها التلال الحجرية المبعثرة في كل ناحية . وهذا الجزء من الجولان هو ، كما رأينا سابقاً ، منطقة الملكية الصغيرة المجزأة . لذلك قام كل مالك بتسوير حقوله بسياج من الاحجـار لأجـل حمايـة مزروعـاتـه من الحيوانات الشاردة من جهة ، وللتخلص من الاحجـار التي تعيق الحـراثـة من جهـة أخـرى .

والقرميد الأحمر مع سقف التوتياء المتموج واللامع هما عنصران أصيلان ادخلهما الانسان على المشهد الطبيعي لهذا القسم من منطقتنا .

جـ) **جنوب الجولان أو ضواحي فيق** : ويصبح مظهر الهضبة في هذا الجزء من الجولان اكثر وضوحاً ، وتختفي هنا المخاريط البركانية العديدة التي تميز بها الجزء الشمالي . وبالمقابل تصبح الأودية عنصراً أساسياً من عناصر المشهد الطبيعي ، وقد دفعت هذه الأودية ، وهي روافد لنهر الأردن واليرموك والرقاد ، برؤ وسها نحو داخل المنطقة مقطعة أطراف الهضبة الى مجموعة من الوجينات التي ترق أحياناً لتصبح بشكل سنام الجمل .

وهذا الجزء من الهضبة مغطى بتربة سميكة ومتطورة جداً ، ذات لون أسمر أو أسمر محمر ، ولايوجد فيها من كتل الحجارة الكبيرة إلا الشيء القليل . ولاتوجد في هذا الجزء من الجولان حقول مسيجة . وقد حفظت الملكية غير المقسمة (المشاع) ، مع عدم وجود الحجارة ، لهذه البقعة منظر الحقل .

والمسكن الخرائبي المبني بالحجارة ذي السقف المستو لايميز المشهد الطبيعي لهذه البقعة بالدرجة التي ميز بها البيت ذي السقف القرميدي او المصنوع من التوتياء المموجة ، مشهد المنطقة الشمالية .

د) ـ **سهل البطيحة** : يختلف المشهد الطبيعي الاقليمي لهذا السهل اللحقي الصغير ، المحدود من الغرب ببحيرة طبرية ، ومن الشرق بمنحدر الانهدام ، عن المشاهد الاقليمية الأخرى في الجولان .

فعلى هذا السهل ، تنفتح اودية كبيرة : صفا ، دالية ، شيخ علي . ويشابه هذا السهل العميق التربة ، سهول مستوى الأساس . فنهر الاردن ، الذي يتخذ من بحيرة طبرية مستوى أساس له ، يشكل فوق هذا السهل حلقات وفروع متشابكة . وبخلاف الأجزاء الأخرى من الجولان ، الماء هنا غزير يسمح بأعمال ري من جهة وينشر الملاريا من جهة أخرى . وبسبب الحرارة المرتفعة ، حتى في الشتاء ، وكثرة الماء ، نبتت الأشجار في هذا السهل بشكل كبير . إلا أن الانسان أتلف هذه النباتات وأحل مكانها بستنة كثيفة ، وزراعة الأشجار المثمرة تضم بشكل أساسي الحمضيات والموز .

وهنـا نشـاهد أكثر البيوت بدائية في منطقتنا ، حيث يتجاور الكوخ الترابي مع كل من الخص والخيمة

٢ ـ **السكن الريفي :**

آ) ـ **البيت الريفي** : بيت الجولان الريفي ، كما هوحال البيت الريفي في منـاطق اخـرى من العالم ، ليس مخصصاً فقط لايواء الفلاحين واسرهـم ، بل أيضاً لاحتواء حيواناتهم وعددهم ومحاصيلهم . ولابد لهذا البيت المقام في وسـط جغـرافي معين ، ليلبي حاجات معينة بل ومحدودة ، من التكيف مع عدد من الشروط الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية .

ب) ـ **التكيف مع الشـروط الطبيعيـة للوسـط أي مع المـواد** : يستفيـد القرويون من أجل بناء مساكنهم ، من المواد التي يقدمها الوسط الطبيعي من احجـار للبنـاء ونبـاتـات . فيـما يتعلق بالغـابـة ، فان غابة المنطقة قد تضـاءلت لدرجـة انهـا لم تعـد تلعب أي دورهام ، خاصة بعد طرح مواد البناء في الأسواق التجارية .

أما الارض والاحجار فانها لازالت العامل في اختلاف مظهر البيت الريفي . وهكذا يمكن اجراء مفاضلة بسيطة جداً بين :

ـ بيت مبني من حجـارة كلسيـة على السفـوح الجنـوبية والجنوبية الشرقية للحرمون ، يعطي للقرية لوناً مبيضاً .

ـ بيت مبني من البازلت في كل مكان من الجولان بلونه المعتم والكئيب .

ـ البيت الطيني وهو نادر في الجولان لانه لايستطيع مقاومة الشروط المناخية للمنطقـة . مع ذلـك فالطـين يدخـل بنسبـة كبيرة في بناء البيت في سهل البطيحة وفي وادي اليرموك .

ـ على طول خط التـماس بين هضبـة الجـولان البـازلتيـة ، وهالة الحرمون الرسوبية ، تستعمل الاحجار البازلتية والكلسية معاً كما في بيت تيما .

كلمة أخيرة هي أن بيت الجولان يبنى من الحجارة أكانت كلسية ام بركانية .

ج) ـ **طرق الاستفادة من الحجارة لاقامة الجدران** : الطرق واحدة في كل من المنطقتين البركانية والرسوبية طالما ان الحجارة الصلبة متوفرة .

ـ **اكثر الحالات بدائية** : ويستفاد فيها من قطع الحجارة بحجومها وأشكالها المختلفة كما تقدمها الطبيعة . وتطبق في بناء جدران الأسوار التي تحيط من الخارج بفناء البيت أو البستان أو الحقول الواقعة في الأطراف المباشرة للقرية .

ـ **حالة بناء الجدار المسمى (دبش)** : وتستخدم فيها أيضاً الحجارة القاسية ، كما في الحالة السابقة ولكن بعد تفصيلها بشكل قطع خشنة . ويبنى هذا النوع من الجدران بشكل مضاعف ، وتوضع في الفراغ الواقع بين شقتي الجدار ، أحجار صغيرة مختلفة الحجوم .

ويبني الفلاحون الفقراء بيوتهم من (الدبش) أما الأغنياء فيستخدمونه فقط لبناء الاصطبل والزريبة .

ـ **البناء بالحجارة المفصلة مع استخدام الملاط** : ويختلف الملاط حسب الحالة الاقتصادية . ففي حالة الرغبة في توفير نفقات البناء ، يكون الملاط من خرسانة خام مخلوطة مع تبن . إلا أن الملاط المكون من خليط الكلس والرمل هو اكثر الانواع استعمالاً . وتتوالى صفوف الحجارة في هذا النوع من البناء مع الحفاظ في ان لا تتلاقى الوصلات بين قطع كل صف مع وصلات قطع الصف السابق . والجدران تتألف من واجهتين ، وتكون العناية بتقطيع الخارجية أكبر . وعندما ينتهي البناء ، تسد الفواصل الكائنة بين قطع الصخور بالاسمنت ، وهذا ما يسمى بالتكحيلة .

ويرافق كل أشكال البناء السابقة حرص شديد لجعل البناء متيناً . فتوجه العناية الشديدة لانتقاء حجرات الزوايا التي تكون بوجه عام كبيرة وجيدة التفصيل وسليمة التركيز .

ـ **الأبواب والنوافذ** : وهي في كل الأشكال السابقة للبناء ضيقة ولاتزيد عن المتر . وقد بدأ البعض بجعل الفتحات الخاصة بالأبواب والنوافذ واسعة وحسب الطلب مع استخدام الخرسانة المسلحة .

د) ـ المواد المستعملة في السقوف :

١ ـ سقف القش : وبشكل خاص قش الذرة بنوعيها . والشركس هم الذين ادخلوا هذا النوع من السقوف في الجولان . وبعد ان كان كثير الانتشار في

قراهم ، أصبح شيئاً فشيئاً نادر الوجود . ويجب تغيير القش كلياً او جزئياً كل خمس سنـوات . ولسـقف القش منحدران وهو يرتكز على مشبك بسيط مصنوع من الأغصان

٢ ـ سقف الطـين : وهـو اكثـر الاشكال انتشاراً في منطقتنا ، ويعود سبب هذا الانتشار الى سهولة الحصول على المواد التي تلزم لانشائه إذ يكفي لذلك عدد من العوارض مع بضع مئات من اعواد القصب تنضد فوق العوارض مباشـرة لتكـون قاعـدة يمـدّ عليها الطين . وتكاليف إنشاء هذا السقف قليلة ، إلا أنه يتطلب عناية مستمرة ، ففي بداية كل موسم أمطار ، يجب ان يرص ويملس بالمدحلة حتى لاينفذ منه ماء المطر . ويميل السطح دوماً ميلاً خفيفاً باتجاه واحد .

٣ ـ سقف التـوتيـاء المـوج : قبل الحرب العالمية الثانية ، كان سقف التوتياء المموج قليـل الانتشـار . وكان وجوده يقتصر على قرى الشركس . وبعد عام ١٩٤٥ ، أدى تخريب معسكـرات قوات الحلفـاء الى طرح كميات كبيرة من ألواح التوتياء في الأسواق . وبيعها بأسعار رخيصة . ومنذ ذلك التاريخ اصبح سقف التوتياء المموج مألوفاً في الجولان .

وبسبب شدة تحسس الالـواح بالتقلبـات الحـراريـة الفصليـة واليـوميـة ، اقتصـر استعـمالها غالبـاً على سقف الاصطبـل وغرف المعزا [illegible] ولـلتـخفيف من نتـائـج تحسسهـا بالتقلبـات الحـراريـة ، توضـع بينهـا وبـين العـوارض طبقة عازلة من أعواد القصب والخـرسـانـة الرقيقة . ويمكن ان يكون لسقف التوتياء ميل باتجاه واحد أو ميل باتجاهين .

٤ ـ سقف القرميد : وهو قليل الانتشار ، إذا استثنينا قرى الشركس التي ينتشر فيهـا بنسبـة كبـيرة ، فيعطيهـا مع وجـود بعض الاشجـار مشهـداً جذاباً .

والقـرميـد المستعمـل في الجولان هو من النوع المسطح المستورد من فرنسـا والمصنـوع في مرسيليـا . وقد صنع نوع من القرميد المقوس محلياً في قرية بريقة ، إلا انه لم ينجح . ولسقف القرميد غالباً أربعة ميول ، وهذا

مايعرف في المنطقة باسم (جبالون)

٥ ـ **سقف الاسمنت المسلح** : وهـو أحـدث أشكـال السقـوف في الجـولان . وتكـاليفـه اكثـر من تكـاليف سقف القـرميـد ، إلا انه اكثر مقاومة وأطول بقــاء . وهـو يمثـل في كل مكـان من انحـاء الجـولان بيت الـوجهـاء من القرويين .

هـ) ـ **تأثـير الاقتصـاد القـروي والمتـاجـرة بالمـواد الاولية للبناء** : كان قروي الجـولان حتى وقت متأخـر يشـتري مواد البنـاء من دمشق . وكانت اجور النقل تكلف غالياً ، وخاصة إذا كان هذا الامر يتطلب نقل هذه المواد الى قرى لاتصل اليها طرق معبدة . لذلك كانت حركة البناء بطيئة ، وبالتالي كانت القرى لاتتجدد الابشكل محدد . أما حالياً ، فقد اصبحت القنيطرة مركـزاً لتجـارة مواد البناء ، إذ يأتي إليها تجار غوطة دمشق ليبيعوا فيها كل أنـواع الأعمـدة والعـوارض الخشبيـة والقرميد والواح التوتياء . في حين ، يقـوم تجار محليـون ببيـع الـرمـل والكلس اللذين تنتجهـما قريتان من قرى الحرمون هما مجدل وجباتا الزيت . كما اصبح يوجد أيضاً في القنيطرة تجار حديد وأسمنت لأجل الخرسانة المسلحة .

وقد أصبح بامكان القرويين الشراء بالتقسيط . كما ان الطرق الى القرى قد تحسنت بفضل ماشقه الجيش الوطني في المنطقة من طرق تصل الى جميع القرى .

ونتيجـة لسهـولة شراء وتأمين المواد الأولية والمواصلات ، أصبحت البيوت أحسن بناء . وحتى أنصاف المستقرين ، أصبحوا يشترون ألواح التـوتيـاء ومنجور البناء من القنيطرة وهكذا تقدمت حركة البناء شيئاً فشيئاً وبخطى حثيثة .

ولم يكن تأثـير الاقتصـاد الـريفي على المسكن أقـل أهمية . . ففي فترة الـرخـاء يبني الفلاحون أكثر البيوت اتقاناً وفخامة . وبيوت الشركس هي خير دليـل على ذلـك . فالقـرميـد فيهـا لا يمثـل أي تأثـير عرقي أو اريخي . وهـو يرتبـط فقـط بفـترة الازدهـار والرخاء التي كانت السلطات

السابقة المنتدبة تدفع اثناءها للجند الشركس الشجعان بسخاء .
وبمرتباتهم قام هؤلاء الجند ، بعد ان اصبحوا قادرين على شراء القرميد ، ببناء بيوتهم الجميلة .

و) ـ **تكيف البيت الجولاني مع الشروط المناخية** : لمقاومة تقلبات الجو ، يظهر البيت بعض التكيف مع شروط المناخ الجولاني الذي درسنا صفاته في القسم الطبيعي لهذه الدراسة .

ـ وأول مظاهر التكيف هذه نجدها في اتجاه البيت . إذ يمكن في الحقيقة بتوجيه معقول ، تحاشي الرياح والعواصف السائدة في المنطقة . ففي شمال الجولان تتوجه كل البيوت نحو الجنوب ، ليس فقط من أجل الشمس ، بل من أجل تجنب رياح الشمال الشديدة والباردة التي تعصف مارة بالحرمون والتي تسمى (غضب الله) .

ـ ويختلف اتجاه الرياح العنيفة الضارة بالنسبة للقرى حسب موقعها . فبعض القرى المحمية من رياح الشمال مثل الجويزة ، تزعجها الرياح الشرقية الرهيبة . أما بالنسبة لقرية بريقة فالرياح الغربية هي الرياح الضارة .

ـ الرياح الغربية بشكل عام هي التي تجلب الامطار في كل المنطقة ، لذلك يعمد القرويون ، من أجل تحاشي الرطوبة ، إلى جعل الجدران المواجهة لجهة الغرب مضاعفة . واضافة الى ذلك ، تغطى هذه الجدران بطبقة من الاسمنت أو الاسفلت أو على الأقل بطبقة من الخرسانة .

ـ من أجل تسهيل تصريف مياه الامطار ، وتخفيف أثر الرياح ، وهي العنصر المناخي الرهيب في المنطقة ، والذي يقتلع ويطيح غالباً بقطع القرميد والتوتياء ، تجعل السقوف مائلة ، ويوضع عليها قطع كبيرة من الحجارة .

ـ تلعب المدفأة دوراً هاماً في البيت الريفي ، وهي الوسيلة الوحيدة للتدفئة وللطبخ أيضاً . ومنظر مدخنة المدفأة يرى من بعد في كل البيوت الريفية في الجولان ، القديم منها والحديث

وتأخذ المحروقات مكاناً هاماً في البيت . فتحضر الأشواك ، وكذلك الحطب ويحفظان بعناية من أجل الشتاء .

- ومن مظاهر مقاومة البرد أيضاً ، قلة النوافذ ، وضيقها غالباً . وقد تفتح بعض النوافذ في البداية ، إلا أن هذه النوافذ يعاد إغلاقها فيما بعد .

- لحماية الجدار المواجه للرياح السائدة في المنطقة ، ومنع أضرار الماء بأساساته ، يحاط طرفة الاعلى بافريز ، وطرفةالاسفل برصيف صغير مبلط .

ز) - التكيف مع الشروط الاقتصادية والاجتماعية : المخطط : لايبني القروي بيته في الجولان بموجب مخطط مهيأ بشكل مسبق الا في حالات استثنائية . والمخطط الاساسي لابد من أن يعتريه تغيرات في السنوات التالية لانجاز البناء . والتغير قد يكون بشكل جذري وحسب الشروط الاقتصادية والاجتماعية المتبدلة . فالى النواة الأولى ، يضيف القروي باستمرار أمكنة أخرى ، اسطبلاً أوزريبة . وهكذا يمكن اعتبار كل مخطط بانه شيء مؤقت .

ان لنوع عمل القروي تأثير ملموس على المخطط . ففي الشمال والجنوب من الجولان ، القروي مزارع قبل كل شيء . أما في القسم الاوسط فهو مربي حيوانات ، لذلك يخصص قسماً كبيراً من المسكن لحيواناته ، حيث يشغل الاسطبل الجزء الاكبر من البناء .

ولأنصاف البدو أو أنصاف المستقرين وضع خاص ، فالحيوانات تبقى غالباً بدون ملجأ ، وفي حالة تساقط الثلوج ، فان هذه الحيوانات تشارك صاحبها الحجرة الوحيدة .

وحتى أنصاف المستقرين ، يحاولون دوماً اضافة أمكنة جديدة إلى بيوتهم حسب تطور شروط حياتهم . إلا أن مايضاف لايخضع لأي تخطيط دقيق يحافظ على ترتيب البيت .

ويلعب الوضع الاجتماعي للقرويين الدور الهام بهذا الخصوص ،

فالمتحضر يحرص على أن يبني وفق ترتيب معين ، أما الفقير فانه لايعنى بشيء من هذا القبيل .

هذا ويرغب القرويون كلهم رغبة شديدة في أن يكون لبيوتهم فناء واسع يمكنهم من إضافة أمكنة جديدة يتطلبها التطور الاقتصادي والديمغرافي للاسرة .

والبناء المتعدد الطوابق غير معروف في منطقتنا بشكل واسع ، لان الشتاء قاس ، وفي الصيف لاحاجة للارتفاع لان الطقس معتدل والهواء منعش .

ح) ـ **بعض الامثلة لمخططات نماذج من بيوت الجولان الريفية :**

ـ يتكون أبسط المخططات وأكثرها انتشاراً من عدد من الغرف المرصوفة بشكل مستطيل الواحدة تلو الأخرى وتحت سقف واحد مشترك . يتراوح عدد الغرف بين ٢ و ٤ . ويمتاز هذا المخطط بامكانية تقسيمه عندما يزداد الضغط الديمغرافي للاسرة .

ـ وهناك مخطط آخر بسيط أيضاً ولكن مع رواق (ليوان) تنفتح الغرف عليه بدلاً من ان تنفتح على الخارج . ويختلف عدد الغرف المطلة على الرواق ، غير ان البيت المؤلف من غرفتين ورواق هو الاكثر انتشاراً . أما بالنسبة للعائلات الموسرة ، فعدد الغرف يرتفع إلى ٥ أو ٦ .

وكل هذه المخططات صالحة فقط للاماكن الرئيسية المخصصة لسكن العائلة .

ولن نطيل الكلام عن مخطط لترتيب الأجزاء التابعة للبيت من اسطبل ومخزن وفناء دواجن ومخبز (تنور) . . . الخ . . . والتي يبنى الواحد منها تلو الآخر دون أي تخطيط شامل ، حسبما تفرضه الارض ، والرغبة الخاصة هي التي تنظم مثل هذه التوسعات .

وكما هو غالب في العالم الاسلامي ، لاينكشف البيت على الخارج . ويكون غالباً محاطاً بجدار مرتفع نوعاً ما ومن الحجارة .

ط) ـ **تجمع المسكن الريفي :** المسكن الريفي المبعثر غير معروف في منطقتنا . مع ذلك قد تشاهد في مناطق الملكيات العقارية الكبيرة مزارع

منعزلة ، مخصصة للوكيل ولادوات الشغل ولخزن المحاصيل ، يطلق على بعضها اسم (حانوت) أو (عمرة) .

وهكذا فإن مسكن الجولان الريفي هو دوماً بشكل متجمع .

١ ـ عوامل تجمع المسكن الريفي في الجولان :

ـ ان مشاعر التعاون والقراية التي تربط أفراد القبيلة الواحدة هي السبب الرئيسي للتجمع . وفي الحقيقة يتجمع العرب والشركس والتركمان في قرى مميزة . وفي القرية الواحدة ، يكون أيضاً لكل جماعة حي خاص مميز .

ـ نتيجة لسياسة المسلمين السنة ، تجمع المسيحيون والدروز والعلويون في قرى ذات موقع حصين .

ـ لقد أجبر اضطراب حبل الامن ، طيلة فترة الاحتلال العثماني ، القرويين على التجمع باعداد كبيرة في قرى كبيرة نوعاً ما .

ـ لعبت أماكن المياه دوراً هاماً في هذه المنطقة شبه الجافة ، خاصة بالنسبة للذين يعملون بآن واحد بالزراعة وفي الرعي . والقرى في هذه الحالة ملزمة في الحقيقة بمجاورة موارد المياه اكثر بكثير من الحالة التي يقتصر فيها استهلاك الماء على حاجات الانسان فقط .

ـ يتطلب نظام الملكية العقارية ، بمختلف أشكاله ، تجمع الفلاحين . فنظام المشاع لايصلح أبداً للتبعثر . كذلك لاتصلح له الملكية المجزأة ، فالقروي لايستطيع الاقامة منفرداً ، ويفضل بالمناسبة العيش في القرية مع الجماعة .

هذا ويجمع الملاك الكبار مزارعيهم في قرى محدودة دوماً . ليس لهؤلاء الحق ببناء مساكن في القرية بدون اذن مسبق .

ـ ولقد لعبت القرى الرومانية القديمة دور قطب جذب . **فقد وجد** القرويون في خرائبها أحجاراً مفصلة وصالحة للاستعمال في البناء مباشرة :

كفر نفاخ ، نعران ، رمسانية . . . الخ . . .

٢ ـ صفات تجمع المسكن الريفي :

ـ كثافة الاعمار الريفي : من بين كل أقضية دمشق ودرعا ، منطقة الجولان هي أكثرها اعماراً :

القضاء	المساحة بالكم	عدد التجمعات السكنية	النسبة
القنيطرة+ فيق	١٨٩٠	١٣٧	تجمع واحد لكل ١٣ كم
ازرع	٢١٤٠	٣٦	تجمع واحد لكل ٦٠ كم
درعا	١٧٧٠	٥٦	تجمع واحد لكل ٢٦ كم
قطنا	٦٥٠	٢٥	تجمع واحد لكل ٢٤ كم
الزبداني	٣٥٦٠	٥٩	تجمع واحد لك ٦٢ كم
القلمون	١٢٠٦٠	٣٧	تجمع واحد لكل ١٣١ كم
دوما	١٢٠١٧	٦١	تجمع واحد لكل ١٩٧ كم

وتفســر هذه الكثـافـة في شبكـة قرى الجـولان بخصـوبـة الارض البركانية وبغزارة التهطال السنوي .

ـ ان قرى الجولان بشكل عام ، أصغر من قرى الاقضية المجاورة :

القضاء	متوسط عدد السكان في التجمع الواحد
القنيطرة+ فيق	٧٠٠
ازرع	١٩٤٠
درعا+الارياف	٩٢٣
قطنا	٢٠٠٠
دوما	١٠٤٠
دمشق (الارياف فقط)	١٨٠٠
القلمون	١٥٥٠

مع ذلـك ، فان المتوسط ٧٠٠ نسمةللقرية الواحدة بعيد عن تمثيل حقيقـة قرى منطقتنـا ، إذ يوجد فيها قرى كبيرة نوعاً ما مثل مجدل شمس وجبـاتـا الـزيت اللتـين لايستهان بعدد سكانها البالغ ٣٧٨٠ و ٢٥٨٠ . وبالعكس فهناك قرى صغيرة جداً مثل دلهمية ٤٥ نسمة وجرابا ٤٦ نسمة .

وفي الـواقـع ، ان نسبـة القـرى التي يقـل سكـان كل منهـا عن ١٠٠ نسمة في قضاء القنيطرة ١٧٪ . وتهبط هذه النسبة في قضاء فيق الى ٣٪ . أمـا القـرى التي سكـان كل منهـا اكثـر من ٧٠٠ نسمة فنسبتها في قضاء القنيطرة ٢١٪ فقط في حين ترتفع هذه النسبة في قضاء فيق الى ٣٠٪ .

ويفسر هذا الاختلاف بين قضائي منطقتنا ، باستقرار القرويين في المنطقـة الجنـوبية وارتباطهم بالارض منذ زمن طويل . وبقاء الشمال حتى الآن ميداناً لحياة الترحال . فأنصاف المستقرين أو (الفلاليح) هم الذين يسكنون قرى الشمال الصغيرة .

ـ باستثنـاء قرى الحـرمـون ، التجمعـات السكـانيـة هزيلة بشكل عام . والبيوت متباعدة عن بعضها .

ـ اننـا لانستطيـع ان نعمـل تصنيفـاً لقـرى الجولان حسب اسلوب متزن Meitzen أو أسلوب دومـانجـون Demangeon لأن القرية كالبيت الريفي ، بدون أي مخطط مسبق ، وبدون أي شكل محدد ، فالقرى كلها مستديرة بشكـل عام ، ومنكمشـة حول الجامع أوحول النبع . ولايوجد في المنطقة سكـة حديـد ، والطـرق ، حتى وقت قريب ، لم تلعب أي دور . وإذا كانت الطـرق عامـل جذب وتجميع بشكل عام . ففي منطقتنا توجد قرى تخاف الطـريق ، ويـوجـد قرويـون يعتقدون بان الطريق تضعهم مباشرة تحت سلطة المدينة .

ـ **وضـع القـريـة بالنسبة لمجالها الزراعي** : وبما ان التربة متجانسة في كل القسم الـبركـاني ، فان القرية تتمركز في وسط أرضها الزراعية . ويتلاءم هذا التمركز مع نظام الملكية . إلا أن عوامل غير زراعية ، يمكن أن تبعد

القرية عن هذا التمركز كتحكم الماء ، أو الموقع التاريخي أو الدفاعي اللذين لايكونان دوماً في وسط المجال الزراعي .

٣ - السكن الحضري : أمر جوهري تجدر الاشارة اليه منذ البداية ، هو أن نمو الحياة الحضرية في منطقتنا كان محدوداً ، فحتى الآن ، ليس فيها سوى مدينتين صغيرتين هما فيق والقنيطرة ، اللتين كان يعيش فيهما في عام ١٩٥٣ ، حسب الاحصاءات الرسمية ، ١٣٪ من سكان الجولان ، في حين كانت نسبة سكان المدن لعموم سورية ٣٠٪ . إضافة لذلك فان هاتين المدينتين لاتختلفان كثيرا عن قرى الجولان الكبيرة ، ومظهرهما الحضري بدائي جداً . وإن وظائفهما الادارية والتجارية هي التي تسمح باعتبارهما كمدن .

وهنا يرد التساؤل التالي : كيف يمكن تفسير فقر هذه المنطقة بمراكز المدن ؟ ألا يبدو هذا الفقر متناقضا مع موقعها عند التقاء الطرق .

في الواقع ، كانت منطقتنا دوماً مقراً لحياة بدوية وريفية متقدمة نوعاً ما ، إلا أن الموقع عند ملتقى طرق كان يؤدي غالباً الى نتائج سيئة ، وأهمها ، عدم الاستقرار الدائم المصحوب باضطرابات داخلية وغارات خارجية (الدراسة التاريخية في الفصل الاول من القسم الثاني) . وهكذا فعدم الاستقرار هو الذي أعاق التحضر ونمو المدن .

وحتى العهد الهلنستي المتصف بالاستقرار النسبي ، وبولادة حواضر في سورية ، لم يترك في الجولان إلا قرية صغيرة (سلوقية) . وهذه القرية التي لازالت تحمل اسم مؤسسيها السلوقيين ، لاتعطينا أي معلومات عن سلوقية الأصلية .

وفي العهد الروماني ، كانت الحدود الشرقية للإقليم السوري قد تعرضت لتهديد الساسانيين . لمواجهة هذا التهديد ، قام الرومان والبيزنطيون بانشاء مدن حصينة وقواعد عسكرية في كل من حوران وجبل الدروز . أما في الجولان فلم يتم شيء من هذا القبيل .

مع ذلك فان شيئاً واحدا قد حدث بالفعل . هو أن مدناً صغيرة كانت قد ازدهرت في الجولان منذ الفتح الاسلامي كالجابية والقنيطرة والخراب ومنصورة الخراب . . . الخ . . إلا أن هذه المدن قد تهدمت وهجرت . ولا

أحـد يستطيـع إعطـاء إجابة مؤكدة عن السبب ، أهو هزات أرضية كانت قد مست المنطقة ، أم تدمير لحق بها أثناء الحروب الصليبية أو الاجتياح المغولي ؟ . .

لن نقوم بدراسة خاصة للبيت الحضري . لأن هذا البت لايختلف عن البيت الـريفي إلا بأشيـاء بسيطـة من حيث الارتبـاط بمخطط واتقان البناء . وسنكتفي أيضا بدراسة القنيطرة كمركز حضري ، لأن فيق التي اعتبرت مدينة لأسبـاب إداريــة فقـط ، ليست في الحقيقـة إلا قريـة كبـيرة بعـدد سكـانهـا الـ ٢٠٠٠ نسمـة ، وجبـاتا الزيت بسكانها البالغ عددهم ٢٥٨٥ ، نسمة هي أضخم من المركز الإداري فيق .

مدينـة القنيطـرة : اسم مدينـة القنيطرة هو التصغير للقنطرة التي تعني باللغـة العـربيـة جسـر ، ويسمـح هذا الاسم بتقدير أهمية موقع هذه المدينة . وحسب الاحصاءات الرسمية ، كان ٨١٨٥ نسمة يسكنون في هذه المدينة في عام ١٩٥٣ ، وفي نهايـة عام ١٩٥٤ أصبـح العـدد ٨٩٦٩ نسمة . إذن زيادة السكـان خلال سنـة واحـدة كانت ٩٥ في الألف . وهـذه الـزيـارة لا يمكن أن تكون طبيعية فقط ، إنما تشمل نسبة كبيرة من الوافدين الى المدينة باستمرار .

مع ذلـك ، فان الاحصـاءات الـرسميـة لاتمثـل إلا السكـان الاصلاء للمدينة ، أي السكان المسجلين في سجل الأحوال المدنية فيها .

وفي الـحـقيقــة ، يبلغ العــدد الفعــلي لسكــان هذه المــدينــة حوالي ١٥٠٠٠ شخصـاً والفـرق بين هذا الـرقم ورقم الاحـوال المـدنية ناتج عن أن السجـلات الـرسميـة للمـدينة ، لم يسجل فيها التجار الذين قدموا من دمشق واستقـروا في المـدينـة ولكنهم بقـوا دمشقيين ، ولا اللاجئين الفلسطينيين ، أو الريفيين الذين جاءوا حديثاً ، ولا عائلات العسكريين الكثيرة العدد .

موقع القنيطرة : تقع المدينة شرق سهل صغير مسطح الشكل تقريباً ، حدوده الشرقية وادي الجاج المتجه من الشمال الى الجنوب الشرقي . وقد تجمع المهـاجـرون الشـركس الـذين قدمـوا الى المنطقـة في النصف الثاني من القرن التـاسـع عشر ، حول نبع يقع الى الشمال من جامع الشركس الحالي . والذي يمثـل وسـط المـدينـة تقـريبـاً . إلا أن هذا المـوقع الأولي لم يبق ثابتاً ، والمدينة

توسعت . كما رأينا ، نحو الشمال والشمال الشرقي ، لتشغل التلال الصخ
الحجرية التي تحمل حالياً أحدث حي في المدينة حيث سكن كبار الأغنياء من
التجار وشخصيات القنيطرة .

أهمية موقع القنيطرة : تكمن أهمية القنيطرة في الواقع ، بموقعها عند ملتقى طرق عبور حيث تتقاطع طرق معتبرة الأهمية :

١ ـ طريق دمشق ـ بانياس ـ مرجعيون ـ صيدا ـ بيروت . إن أهمية هذه الطريق عظيمة جداً ، خاصة عندما تعطل الثلوج المتراكمة في ممر ضهر البيدر المواصلات بين دمشق وبيروت .

٢ ـ طريق دمشق ـ شيخ مسكين ـ درعا ـ عمان .

٣ ـ طريق فيق ـ الحمة ـ فلسطين . وقد اصبحت حركة المرور على هذه الطريق ناشطة جداً في الوقت الحالي ، بعد ربط حمامات الحمة بسورية اعتباراً من عام ١٩٤٨ . فهذه الحمامات تجتذب الزوار من كل المناطق السورية ، والذين لايودون ركوب القطار يجب ان يمروا بالقنيطرة .

٤ ـ طريق دمشق ـ جسر بنات يعقوب ـ فلسطين . وقد كانت هذه الطريق قبل قيام دولة العدو ، الطريق الرئيسية التي تؤمن مواصلات مدينتنا . وبعد حرب عام ١٩٤٨ توقفت حركة المرور على هذه الطريق كلياً . إلا انها أخذت الآن تنتعش شيئاً فشيئاً ، لأن طرق كل غرب الجولان ترتبط بهذه الطريق الرئيسية .

وهكذا فان الطرق الرئيسية الأربعة يجب ان تمر من القنيطرة وعبر جسر (القنطرة) المقام على وادي الجاج .

مخطط المدينة وتطوره الحضري : لايمكن الكلام عن مخطط نموذجي أو مميز . فالمدينة لم تكن ، حتى تاريخ قريب ، إلا بلدة قد انشئت دون اي تنظيم ووفق رغبات سكانها . فتجمع الشركس ، وهم أوائل السكان ، جاء وفق عشائرهم الرئيسية . ولكن دون أي ترتيب ملموس . وهكذا فان الاحياء القديمة ، والتي سميت بأسماء العشائر : داغستان ، ابزاح ، كبارداي ، باديزاي . . . تتميز بالدروب الضيقة والملتوية .

أمـا حي المسيحيـين الـذين جاءوا الى القنيطـرة بعد الشركس ، فله تاريخ حديث ، وهـو يقـع شمال شرق المدينة ، وشمال طريق القنيطرة ـ دمشق شرق وادي الجاج . وقد نظم هذا الحي اكثر من الاحياء الاخرى اللاحقة .

ومنذ عشرين سنة ، كان أمر بناء بيوت جديدة ، أو إصلاح بيوت قديمة ممنـوعـاً إلا بإذن مسبق . إلا ان التـدفق العظيم للريفيـين والطلاب وعائلات الجنـد قد خلق ازمـة سكن ، وأدى إلى ارتفـاع بدل الايجـار . وامام مثل هذا الـوضـع ، أخـذ أصحـاب البيـوت القـديمة يوسعون بيوتهم ، باضافة غرف جديـدة تخصص للايجـار . كما قام الـريفيـون والـلاجئـون الفلسطينيون ببناء (براكـات) . وللتهـرب من الاذن المسبق والذي يشترط تنفيذ بعض الشروط المـترتبـة بالمخطط وباتقان العمل وبمراعاة قواعد الصحة . . كانت البراكات تبنى في ليلة واحـــدة وتسكن مبـــاشـــرة لتحـــاشي هدمهـا . وهكـذا ، رغم الصعوبات ورقابة المسؤولين ، فقد قام حي لفقراء العرب واللاجئين في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة (حي أكواخ الصفيح أو حي أكواخ القش) .

ولقـد تم توسـع القنيطـرة الحضـري على مراحـل متعـاقبـة ، وحسب اتجاهات مختلفة .

١ ـ حصلت المرحلة الاولى للتوسع نتيجة لسبب قاهر هو عدم كفاية المياه فنبع وسـط المـدينـة الوحيد لم يكن كافياً لتأمين حاجة السكان المتزايدين باستمرار . لذلـك اتسعت المـدينة باتجاه الغرب ، حيث الطبقة المائية قريبة من السطح . وقامت في هذه الجهة من المدينة وفي السهل الصغير ، مساكن متباعدة دون أي نظـام ، فكـل فرد كان يحفـر بئـره الخـاص ويبني بيته حسب وسائله الخاصة . وسـرعـان ماتحـاط هذه البيـوت الصغيرة بالخضرة التي تشكلها بساتين حقيقية للأشجار المثمرة والخضار .

٢ ـ وفي وسـط هذه البيـوت المبعثرة غربي المـدينة ، حفر البئر الكبير المشترك الـذي وزعت ميـاهـه على مختلف أحيـاء القنيطـرة . ولقد كان حفر هذا البئر حوالي عام ١٩٤٠ ، بدايـة للمرحلة الجديدة باتجاه آخر . فالسلطات الادارية منعت بنـاء البيـوت حول البئـر خوفاً من خطر تسرب مياه المجارير والمياه المنزلية عبر التربة المنفذة واختلاطها بمياه البئر وتلوثها . وهي تنوي أيضاً الانتهاء من

امر البيوت التي كانت قد اقيمت سابقاً حول هذا البئر .

وأمام هذه الخطوات ، وبعد توزيع الماء والكهرباء على كل الأحياء ، اتجهت المدينة نحو الشمال ، فأحدث وأفخم المساكن تقع حالياً فوق الرابية الصغيرة المشرفة على القنيطرة من جهة الشمال .

وقبل جر مياه الشرب ، كان توسع المدينة باتجاه هذه الرابية غير ممكن ، لعدم التمكن من الوصول الى طبقة المياه الجوفية فيها .

٣ ـ المرحلة الثالثة للتوسع حديثة جداً ، وقد التحق فيها حي البؤساء بشمال شرق المدينة معطياً لمدخلها الشرقي مظهراً لايسر . وان سبب بناء البراكات في هذا المكان بالذات يفسر بأن هؤلاء الريفيين الفقراء لم يكن لديهم من المال ما يمكنهم من شراء الارض للبناء ، فبنوا بيوتهم فوق الارض التابعة لأملاك الدولة .

٤ ـ منذ عدة اعوام ، شب حريق في مركز لتوزيع المحروقات يقع وسط المدينة . سبب أضراراً كبيرة دفعت مدير المنطقة الى منع بيع المحروقات داخل المدينة وهكذا قامت مراكز عصرية وجديدة لتوزيع البنزين وللتشحيم والتزييت على طول الطرق المتجهة الى دمشق وفيق ودرعا الامر الذي أعطى لتوسع المدينة نحو الشرق والجنوب مظهرا جديدا .

وهكذا أخذ توسع المدينة طابعاً محيطياً هامشياً امتد من المركز القديم الذي كان الجامع ودار الحكومة (السراي) يشكلان عناصره الأساسية . فحول هاتين المؤسستين تمركز النشاط التجاري للمدينة تباعاً . وفي الواقع . بدأت التجارة على جسر وادي الجاج حيث شيدت حديثاً اكبر مخازن المدينة ، ومن هذا الجسر امتدت نحو الجنوب والغرب متبعة اتجاهين رئيسيين . وهذا هو الحي الاداري والتجاري الذي تقل فيه بيوت السكن ويقفر بعد صلاة العشاء .

الوظائف الحضرية لمدينة القنيطرة :

١ ـ **الوظيفة الادارية** : وهي الوظيفة التي جعلت من القنيطرة مدينة منذ العهد العثماني (القرن التاسع عشر) بحكم كونها مركزاً لوحدة إدارية تسمى القضاء . والقنيطرة هي مقر القائم مقام مدير المنطقة ، وقائد الشرطة

(الجندرمة) ، وقاضي الصلح (حاكم الصلح) ، والقاضي الشرعي (القاضي) ، ومدير مركز الصحة العامة ، ومدير المالية والبنك الزراعي .

١ ـ **الوظيفة الثقافية** : منذ العهد العثماني حتى الاستقلال ، كان تلاميذ كل قرى القضاء مجبرين على المجيء إلى القنيطرة لتتويج دراستهم الابتدائية بشهادة التعليم الابتدائي .

وحالياً تستقبل هذه المدينة الطالبات والطلاب الراغبين في إتمام دراستهم الثانوية ، وتلعب « ثانوية الجولان » التي افتتحت منذ عام ١٩٤٩ ، دوراً هاماً جداً في التعليم العام ، لأن سكان هذه المنطقة واغلبهم فقراء ، لايستطيعون إرسال أبنائهم الى دمشق من أجل إتمام دراستهم الثانوية ، وتكاليف المعيشة في القنيطرة أقل من تكاليفها في دمشق ، إذ يستطيع عدة طلاب من قرية واحدة ، العيش سوية في غرفة واحدة . ويستطيع اهلهم ان يرسلوا اليهم قوام طعامهم كل اسبوع .

٣ ـ **الوظيفة التجارية** : والتجارة هي النشاط الرئيسي لهذه المدينة ، ويلعب التجار المقيمون دور الجمع والتوزيع معاً ، يشترون القمح والرز والصوف والسمن ، ويقومون بخزن هذه المشتريات في مستودعات كبيرة منتظرين تحسن الاسعار . وفي الوقت نفسه ، يقوم هؤلاء التجار انفسهم باحتكار توزيع البضائع المستوردة من دمشق . وتجارة الماشية هي التجارة الوحيدة التي تفلت من أيدي القادمين من دمشق ومن المدن الأخرى ، فمن لبنان يأتي التجار الذين يشترون حيوانات الذبح . بينما من جبل الدروز ومن حوران يأتي الذين يشترون حيوانات العمل .

هذا ويبيع القرويون والبدو حيواناتهم دون الاستعانة بوسطاء . مع ذلك ، يتوجب دفع ضريبة معينة لبلدية المدينة عن كل حيوان يباع .

٤ ـ **النشاط الحرفي** : وهو محدود جداً ، لكنه يؤمن مع ذلك الحاجات الاولية للسكان :

ـ عدد من الحدادين يصنعون سكك المحاريث ، والمناجل ، والاقفال ، والمواقد .

- بضع محلات لتصليح السيارات والساعات والاجهزة الكهربائية
- بضع نجارين لنجارة الجدران ومشارب الماء .
- الذين يهتمون بغزل ونسيج شعر الماعز لصنع مختلف اجزاء الخيمة .
- الذين يعملون اللباد للبدو (اللبابيدية)
- الذين يعملون في دباغة جلود الحيوانات ويصنعون الفراء (فرواتية) .
- عدد من الخياطيبن ، خاصة خياطة الملابس العسكرية .
- عدد من صانعي الاحذية ، يؤمن قسماً كبيراً للاستهلاك المحلي ، خاصة أحذية القرويين والبدو التي يصنع نعلها من إطارات السيارات القديمة .

تأثير ونفوذ القنيطرة : في الواقع تلعب هذه المدينة الصغيرة دوراً معتبراً ، ليس فقط في قضاء القنيطرة ، بل ايضاً في قضاء فيق . وتخضع فيق نفسها مباشرة للقنيطرة بسبب طريق دمشق الذي يمر بالمدينتين ، بينما يقتصر تأثير درعا ، مركز محافظة حوران ، على الناحية الادارية فقط . ويمتد اشعاع القنيطرة وفق محاور الطرق الرئيسية . ويقوم عدد من سيارات نقل الركاب الكبيرة والصغيرة بتأمين النقل ، عدة مرات في اليوم ، بين القنيطرة وبانياس الواقعة على الحدود اللبنانية ، كذلك الى جسر بنات يعقوب ، والى البطيحة ، والى الخشنية الواقعة على بعد حوالي ٢٠ كم جنوب القنيطرة .

إن المواصلات إلى القرى المتناثرة على طول هذه الطرق مؤمنة بواسطة حركة السيارات . لقد كان سكان القرى البعيدة يجدون صعوبة للوصول الى الطريق العامة ، وكان يجب عليهم الانتظار طويلاً حتى تمر سيارة عابرة مرورها غير مؤكد أومنتظم . ولكن حالياً ، أصبح لأكثر القرى طرقها المعبدة . إلا أن عدد السيارات لازال غير كاف . ومن المألوف ان نرى على طرق منطقتنا سيارات محشوة بالاشخاص ، وان نرى بعضهم فوق السيارة ، والبعض الآخر متعلق بمؤخرتها .

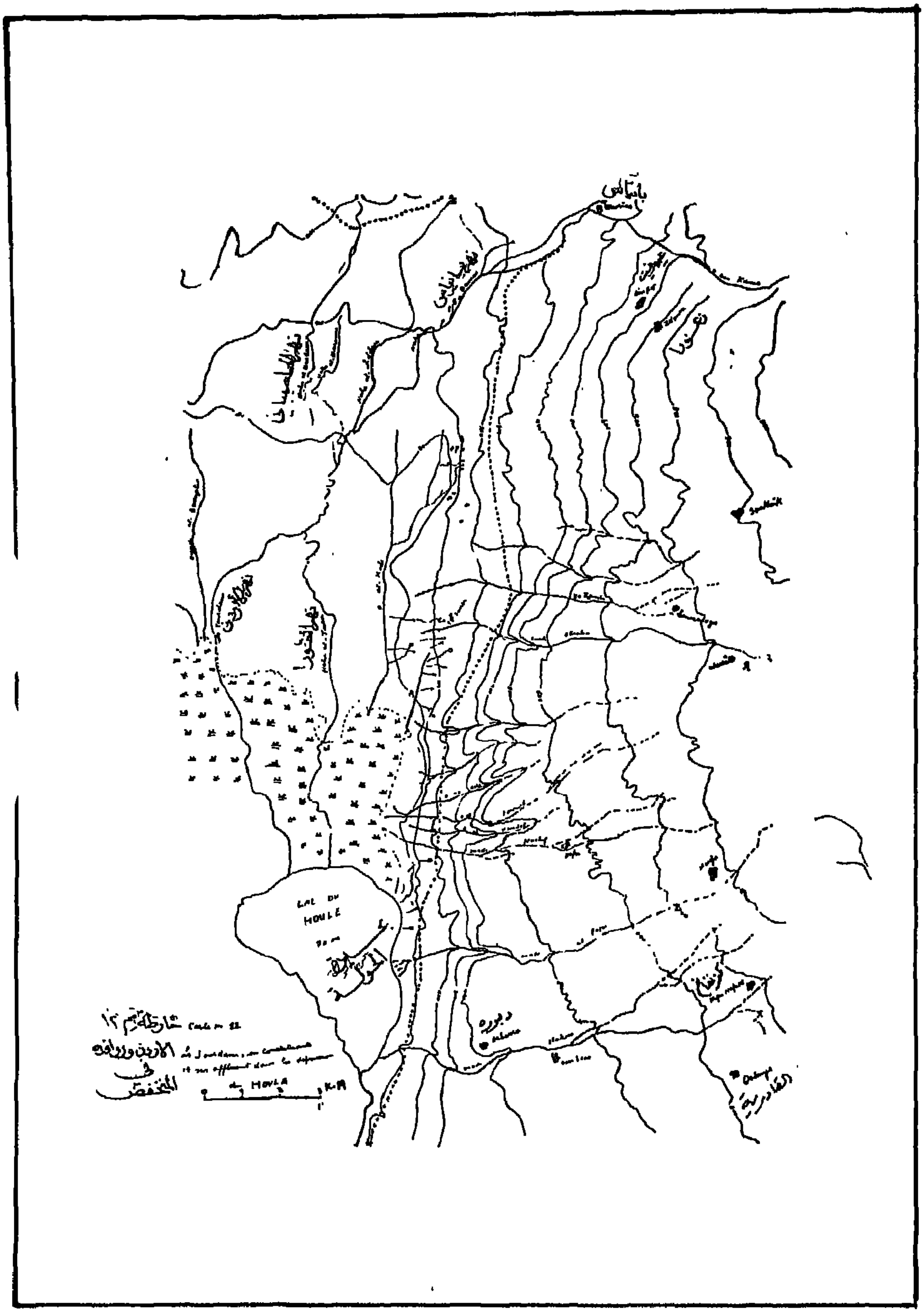
هذا ويأتي الكثير من القرويين والبدو يومياً ، الى القنيطرة لقضاء اشغال مختلفة ، ثم يعودون مساءً إلى قراهم .

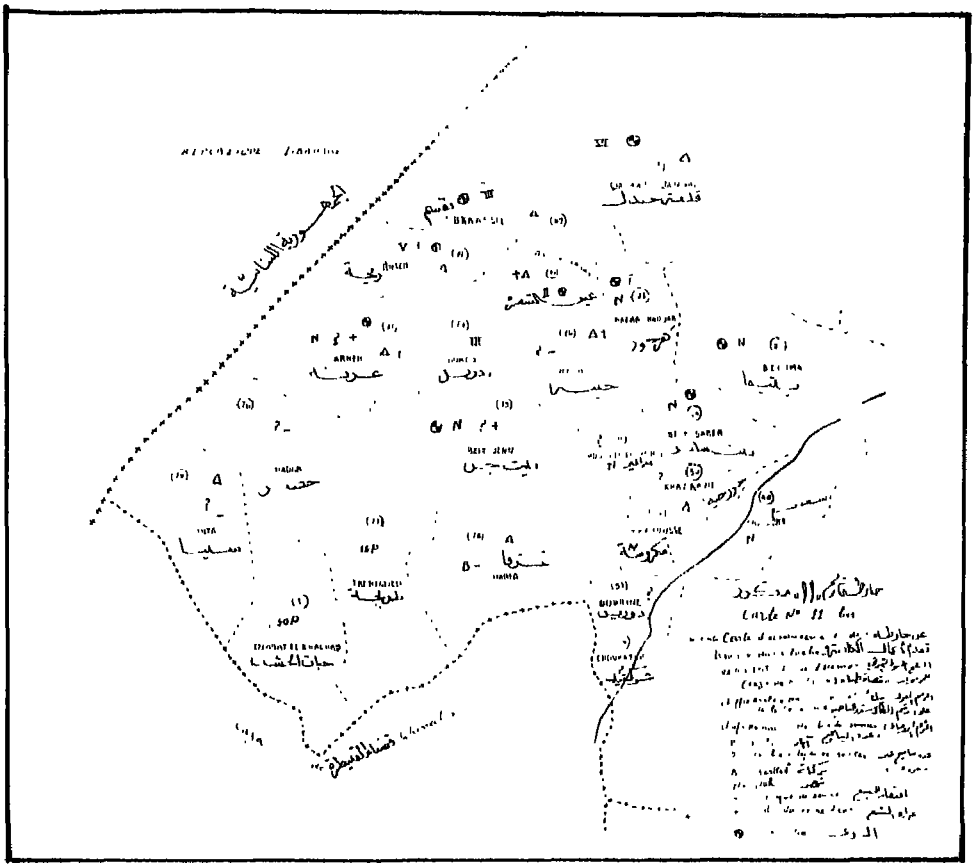
وتشكل القرى الثلاثة : المنصورة وعين زيوان والعدنانية توابع حقيقية للقنيطرة ، فسكان هذه القرى التي لاتبعد أكثر من ثلاثة كيلومترات عن

المدينة ، يأتون كل صباح إليها لشراء حاجاتهم . ويمصل طلابها على غيرهم من طلاب القرى الاخرى من أجل اتمام دراستهم الثانوية في ثانوية القنيطرة .

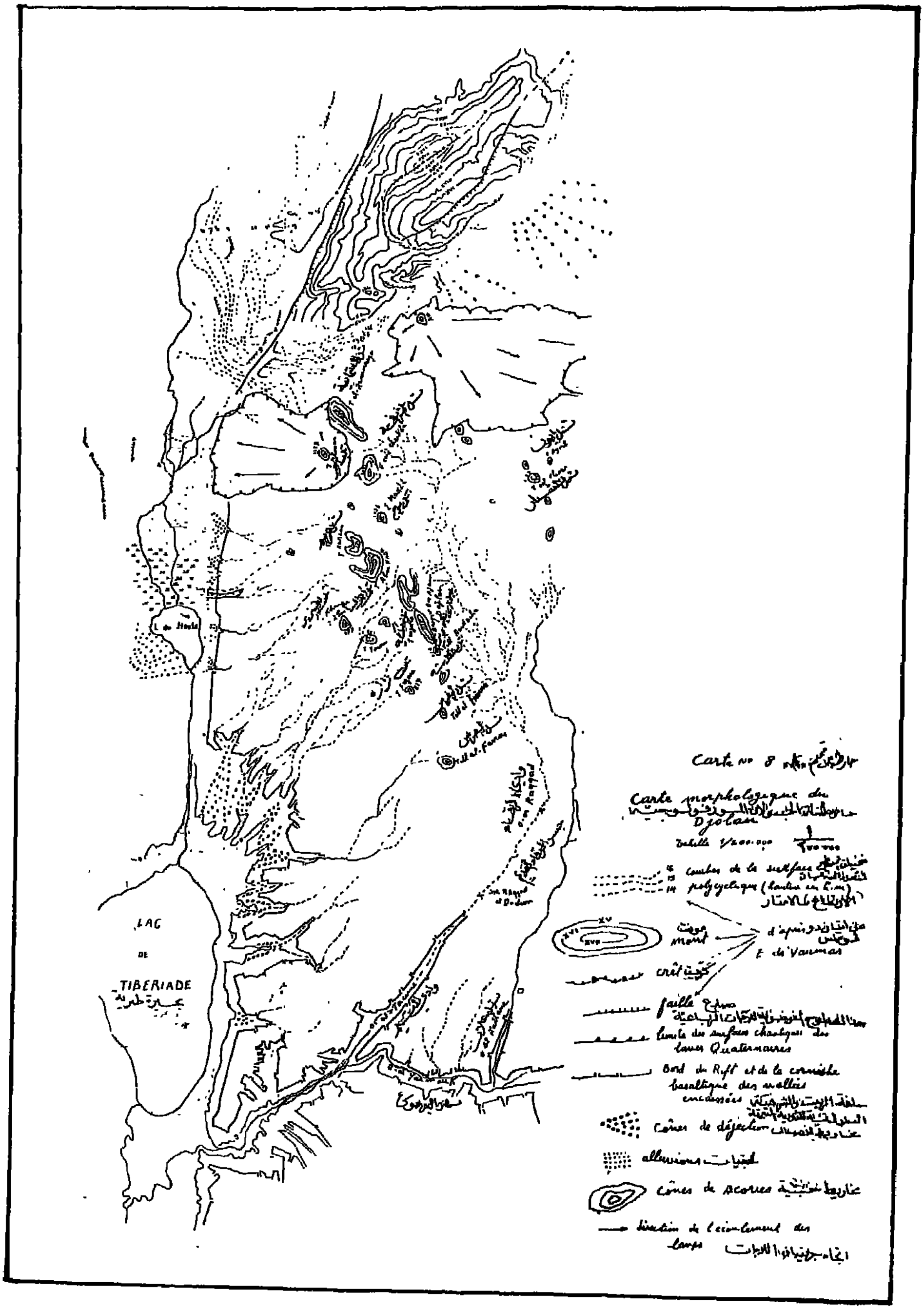
وبالمقابل فان للقنيطرة تأثيراً سيئاً على رجال هذه القرى الثلاث . لانه عندما ينتهون من قضاء حاجاتهم ، لايعودون الى قراهم بل يجتمعون في المقاهي ، حيث يبقون فيها يومياً الى مابعد منتصف الليل وهم يلعبون الميسر ليتحولوا في النهاية الى مقامرين وعاطلين حقيقيين .

الخرائط الجيولوجية والطبيعيه للاقليم

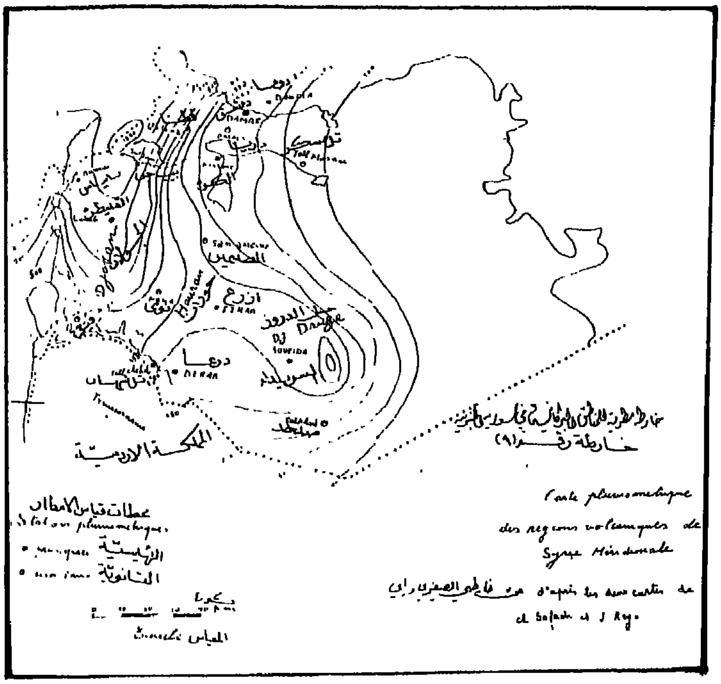

خارطة رقم ١٢
الأردن وروافده في المنخفض
LAC DU HOULE
بانياس

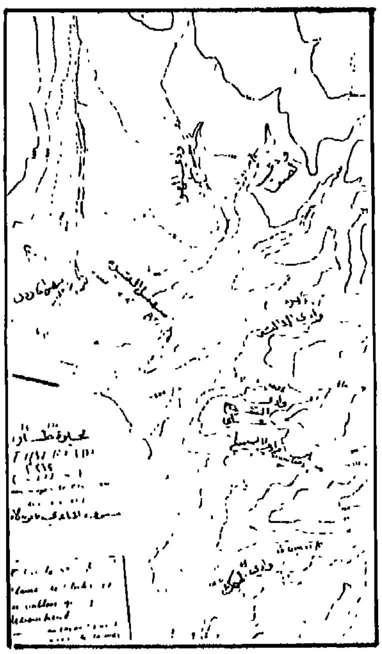

الجمهورية اللبنانية
عين الشعرة
حسينية
بيت جن
حضر
Carte N° 11 bis

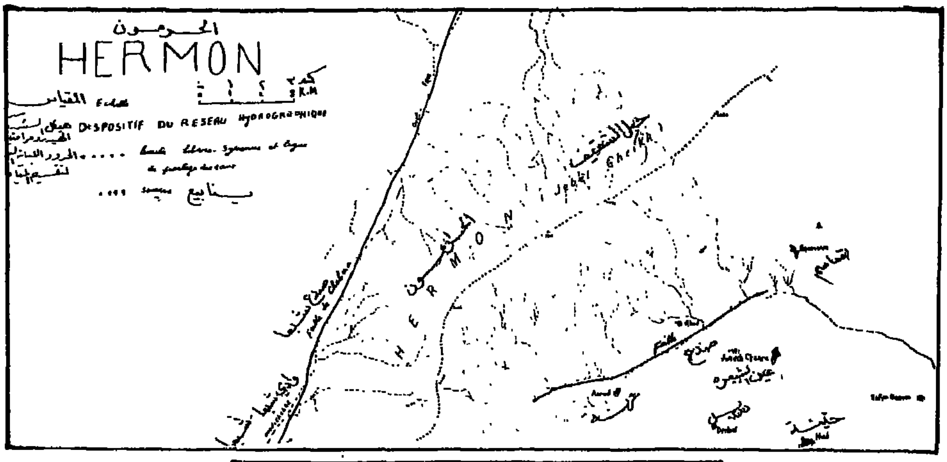

Carte N° 10
La plaine de Quneitra et les cônes volcaniques environnants
(Situation de Quneitra)
سهل القنيطرة والخاريط البركانية المجاورة
القنيطرة
المقياس ١/٥٠٠٠٠

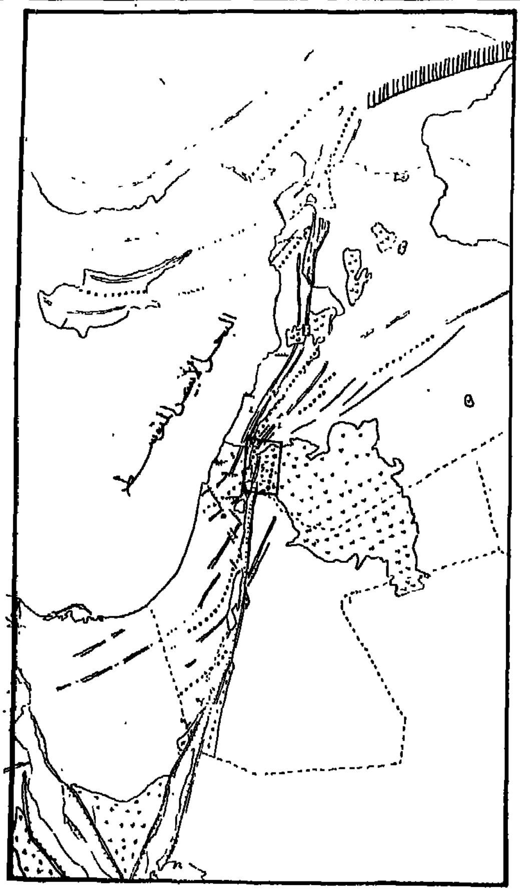


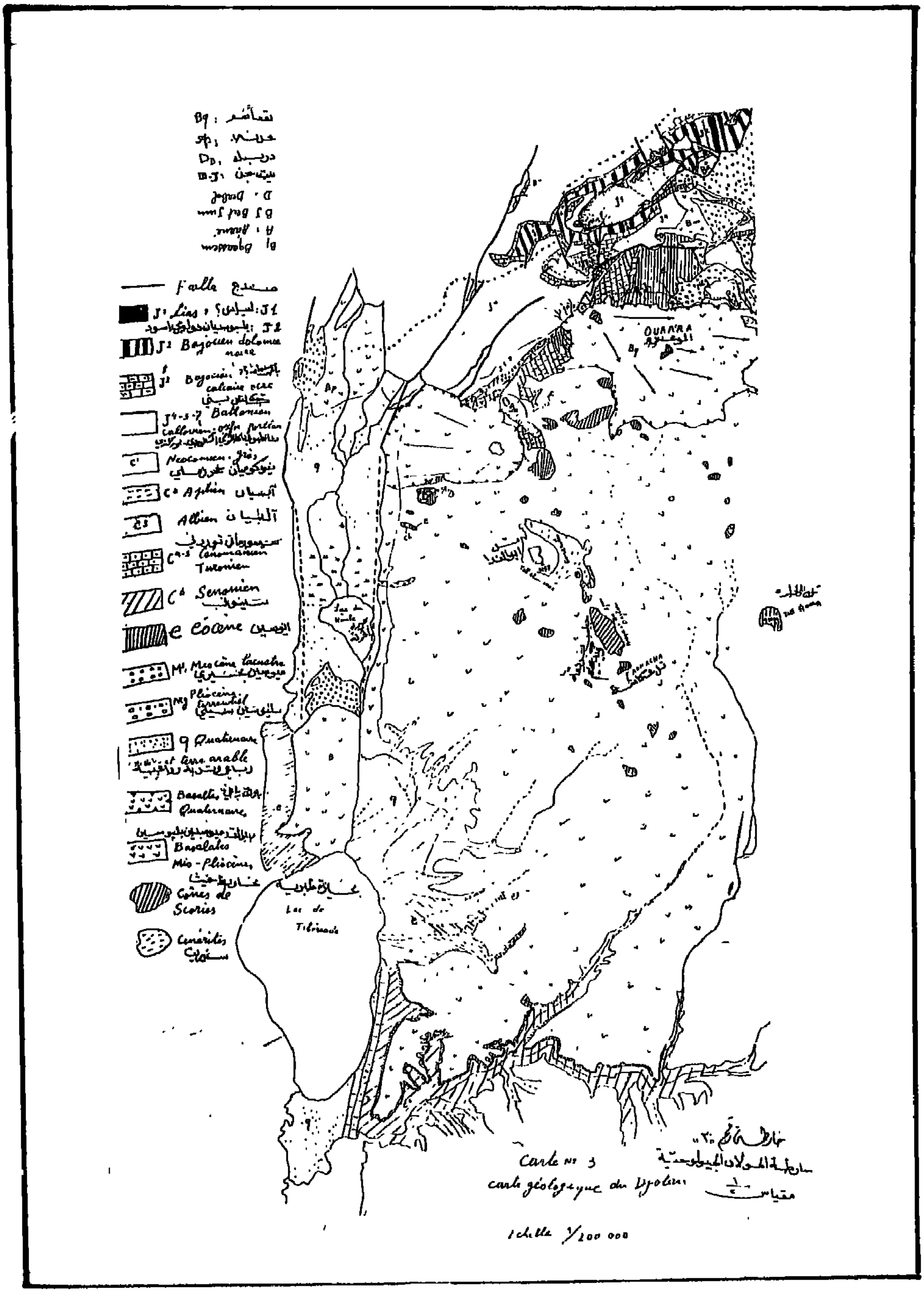
LAC
DE
TIBERIADE
Carte no 8
Carte morphologique du
Djolan
Echelle 1/200.000
courbes de la surface
polycyclique (hauteur en E.m)
mont
d'après
E. de Vaumas
crêt
faille
limite des surfaces chaotiques des
laves Quaternaires
Bord du Rift et de la corniche
basaltique des vallées
encaissées
Cônes de déjection
alluvions
Cônes de scories
direction de l'écoulement des
laves

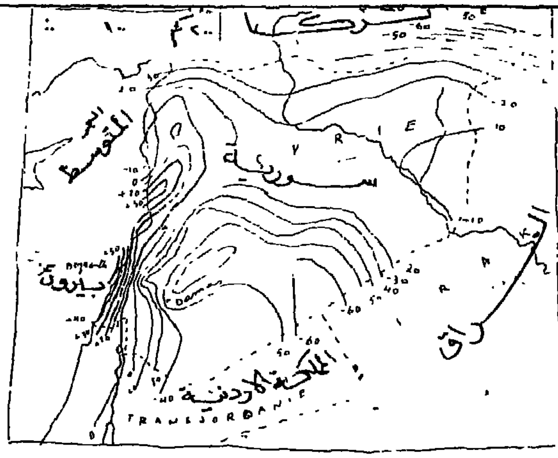

خارطة رقم (٩)
درعا
DERAA
السويداء
SOUWEIDA
المملكة الاردنية




الحرمون
HERMON
K.M
DISPOSITIF DU RESEAU HYDROGRAPHIQUE
ينابيع
HERMON
البحر الابيض المتوسط


البحر الابيض المتوسط

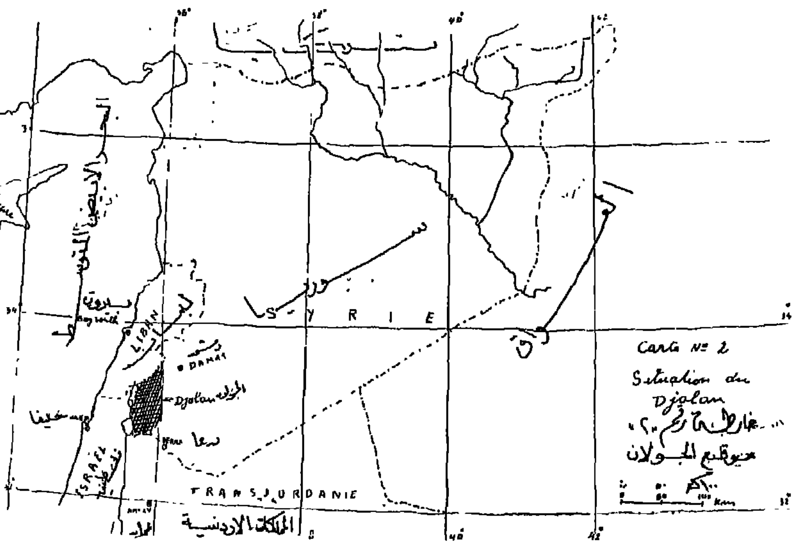

Faille صدع
Lias
Bajocien dolomie noire
Ballonien Callovien
Néocomien
Aptien
Albien
Cenomanien Turonien
Senonien
Eocène
Miocène lacustre
Pliocène continental
q Quaternaire
terre arable
Basaltes Quaternaires
Basaltes Mio-Pliocènes
Cônes de Scories
Cinérites
Lac de Tibériade
OUARRA
Carte No 3
carte géologique du Djolan
échelle 1/200 000



Carte No 4 . Carte des Isonomales de Bouguer en Syrie et au Liban

D'après P Lejay

خارطة شذوذات بوغر المتساوية في سوريا ولبنان بعد لوجاي

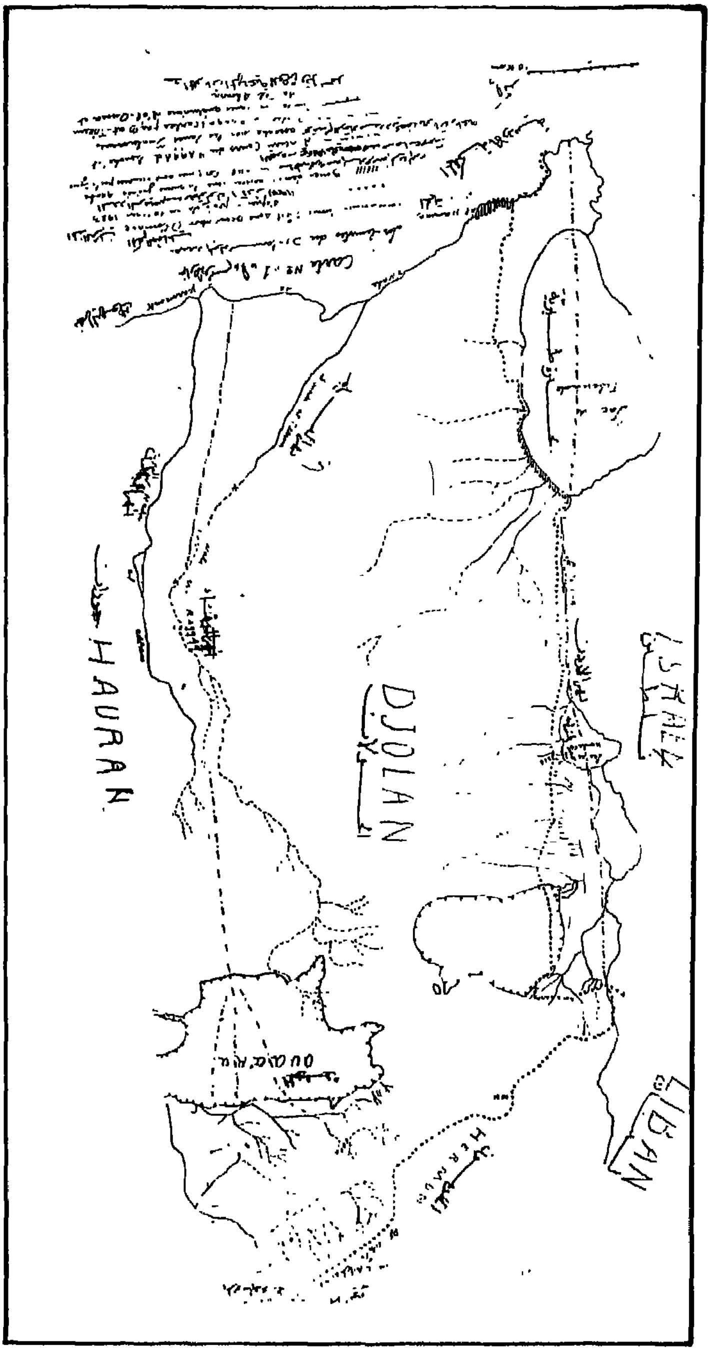


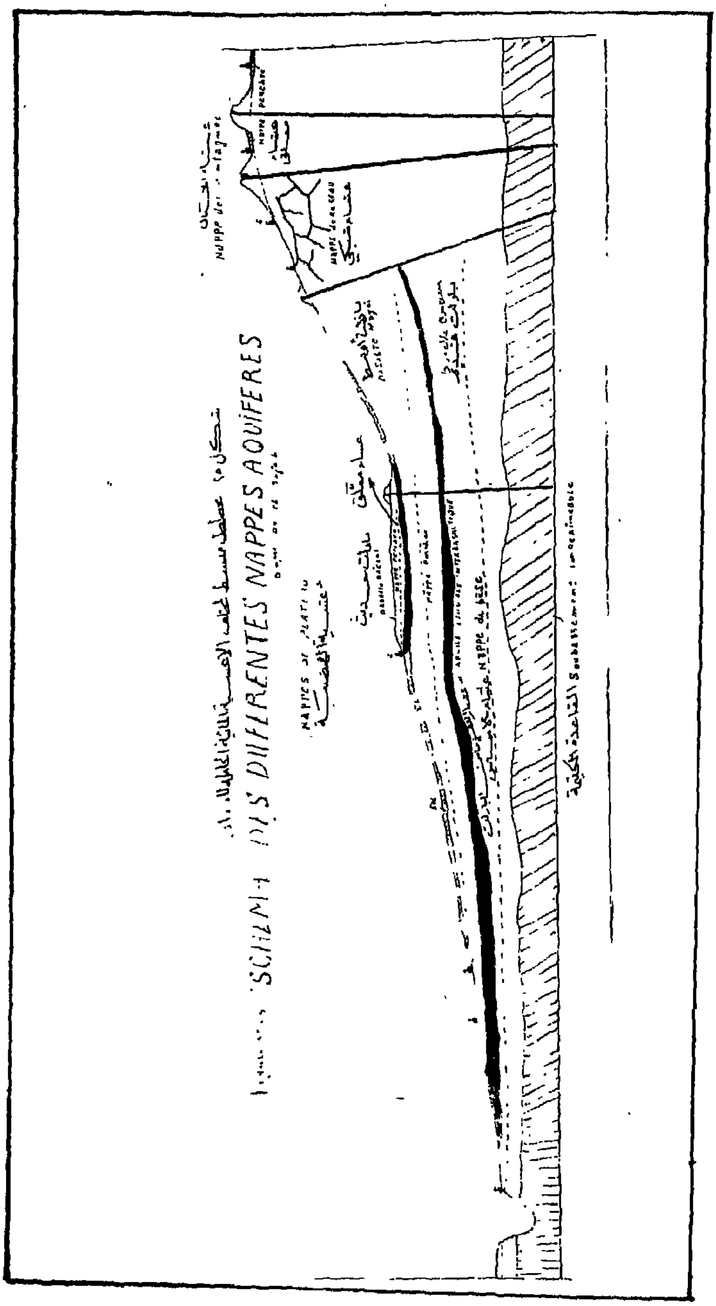
Carte No 2

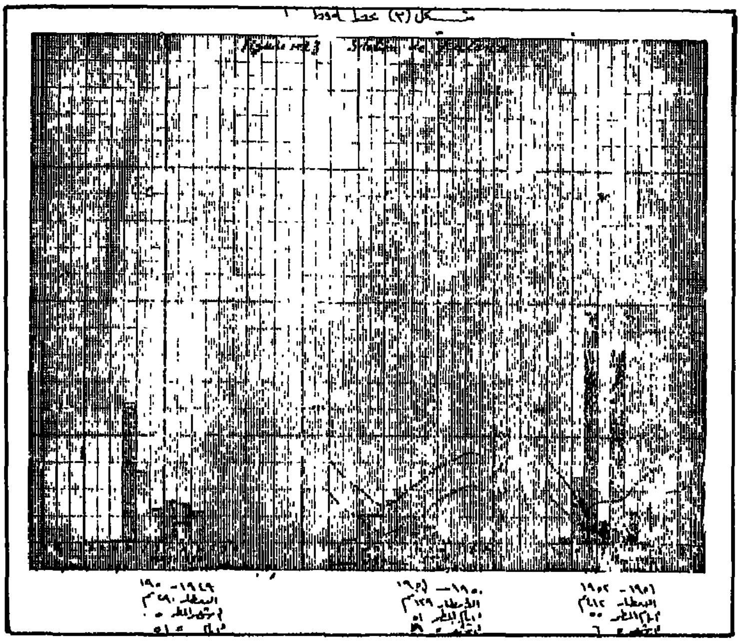
Situation du Djolan

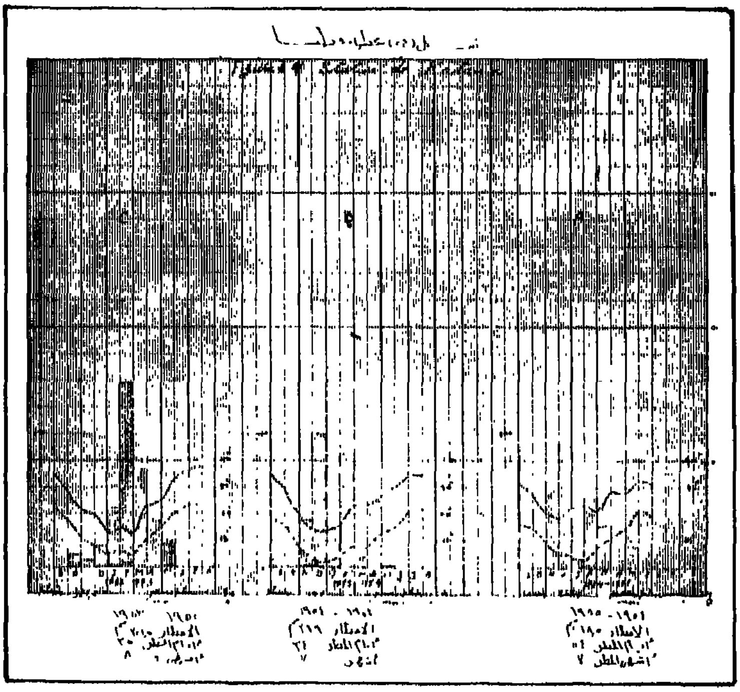
خارطة رقم ٢٠

موقع الجولان

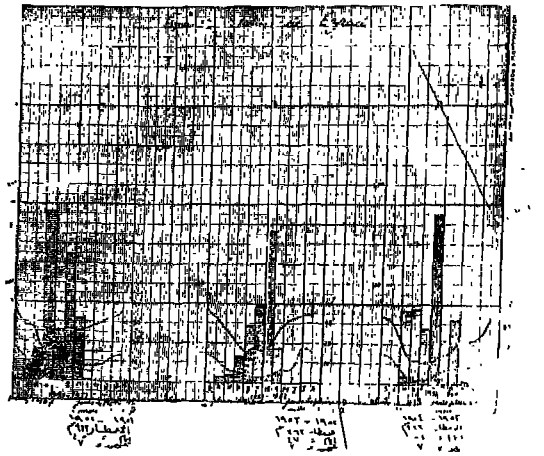

HAURAN
DJOLAN
ISRAEL
LIBAN
HERMON

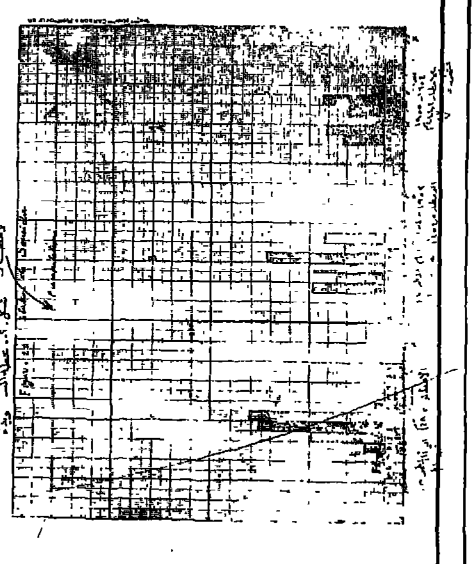

SCHEMA DES DIFFERENTES NAPPES AQUIFERES

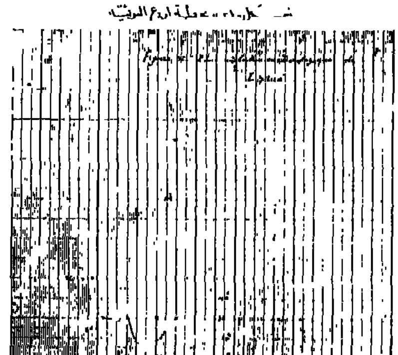


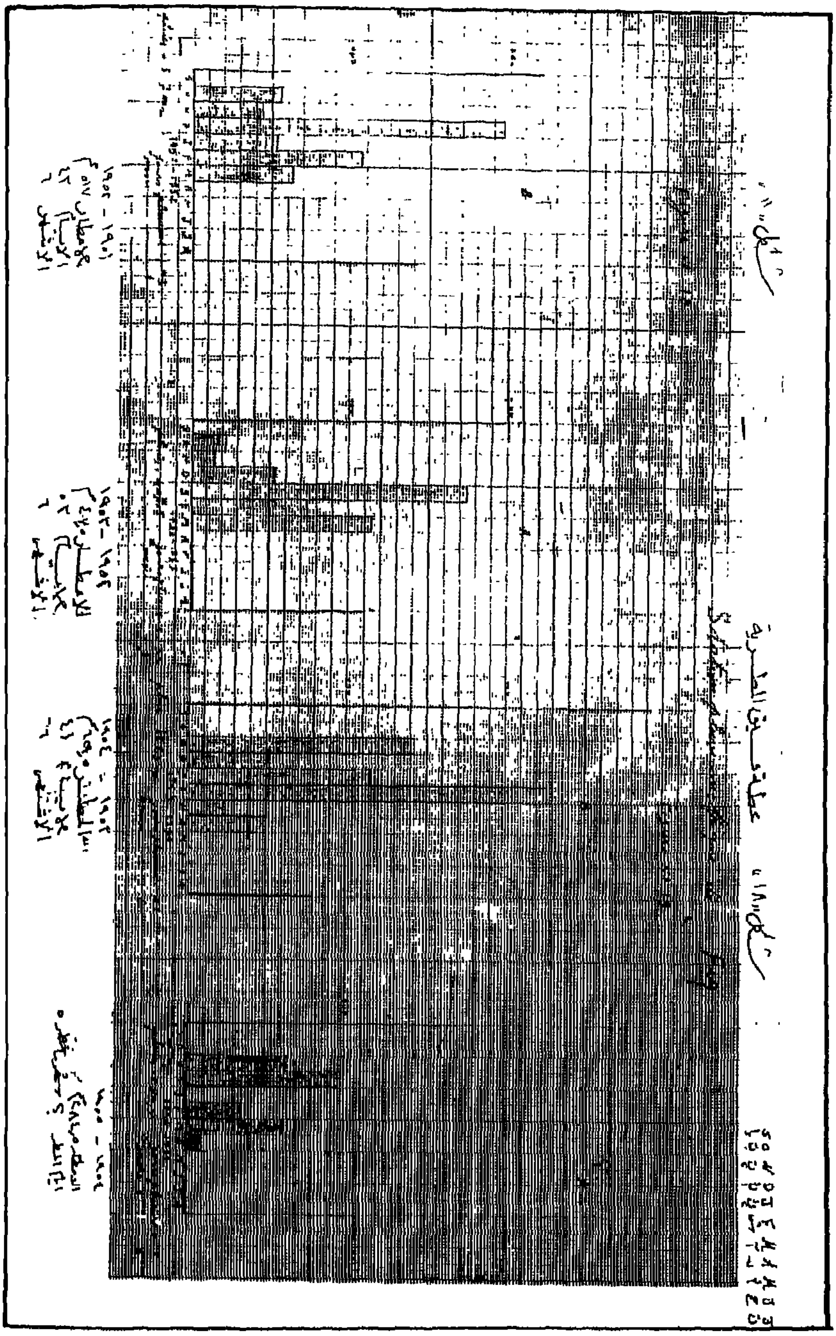


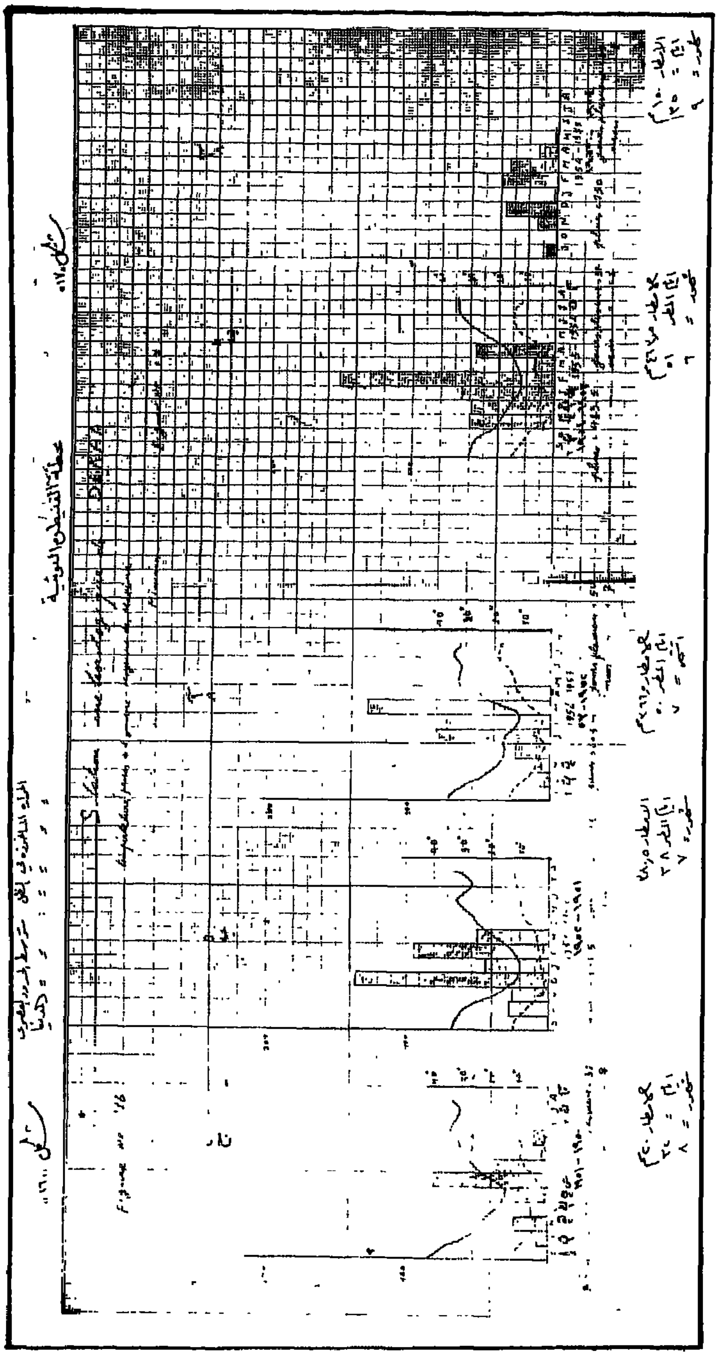
شـكل ٢٢ ، محطة اريح

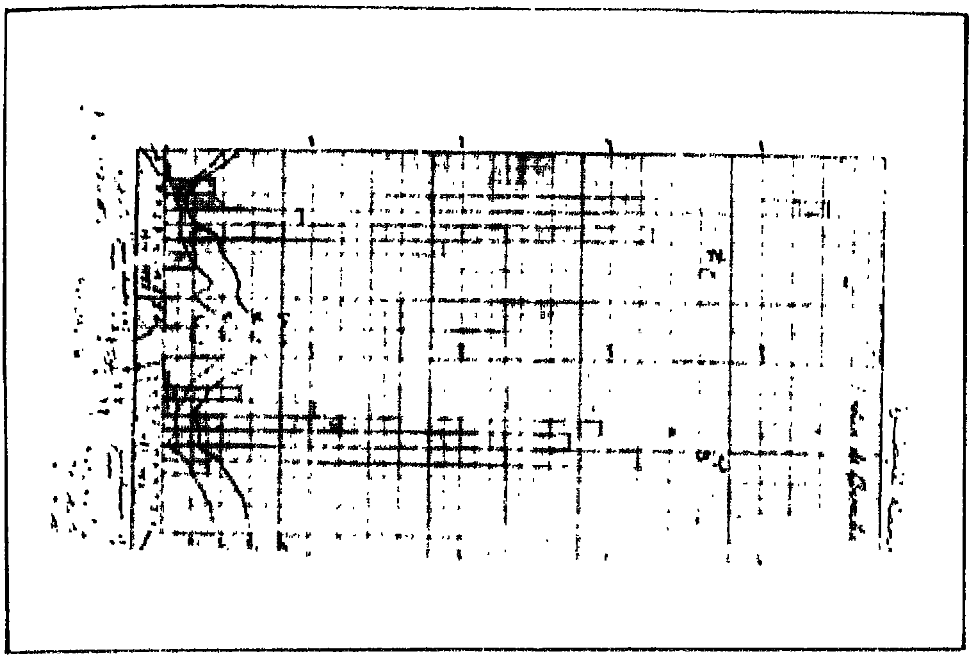


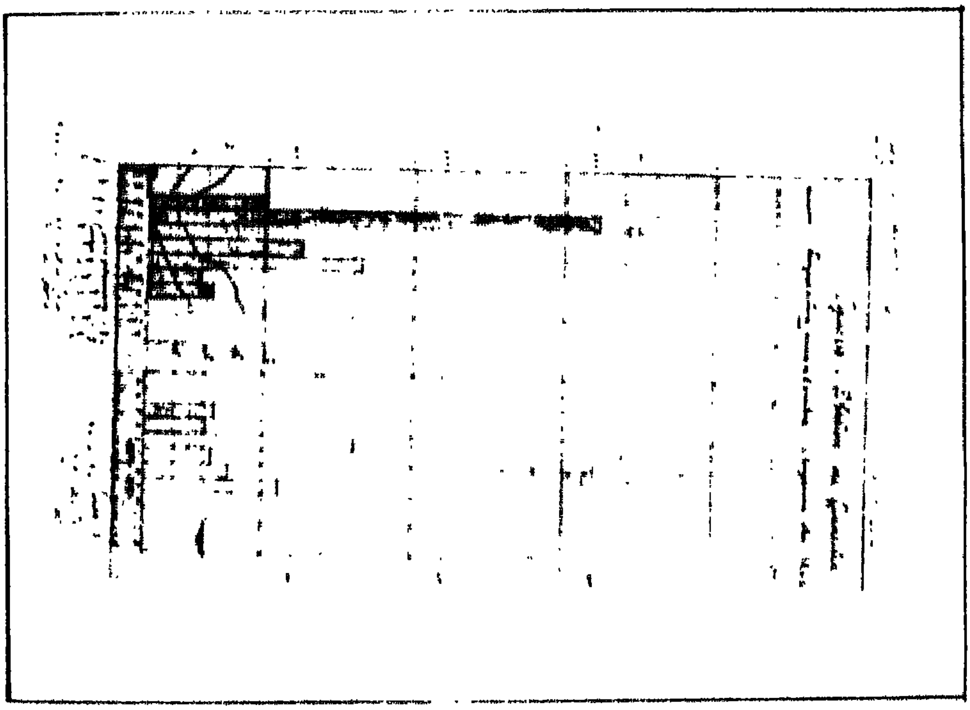


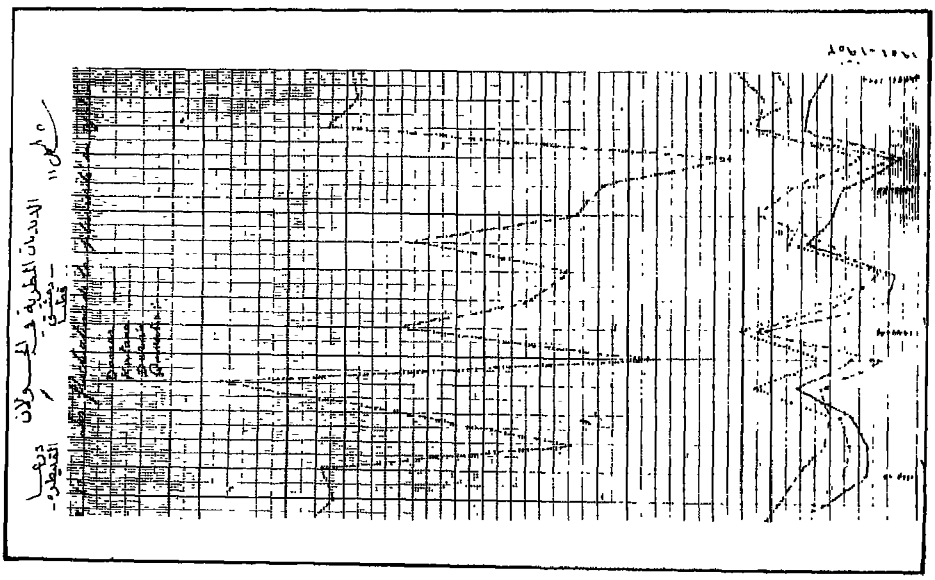


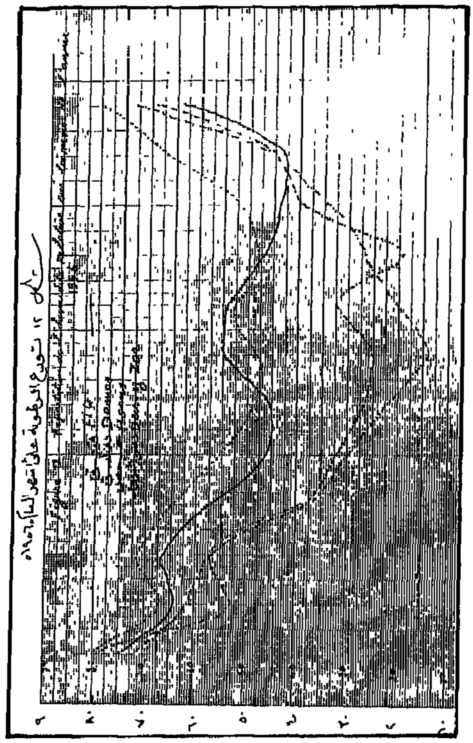


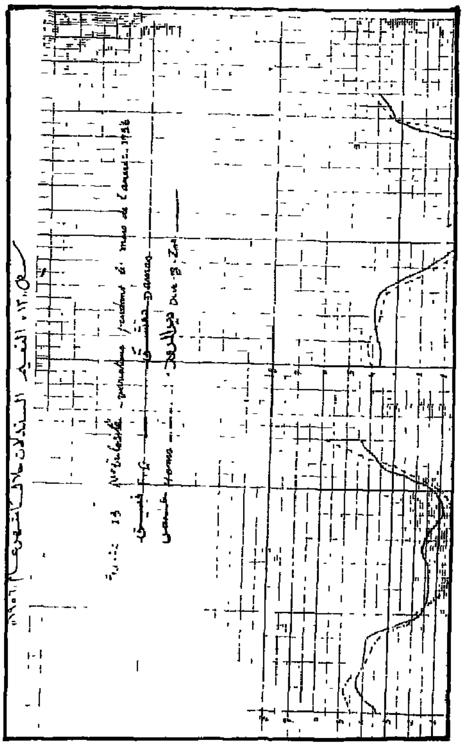


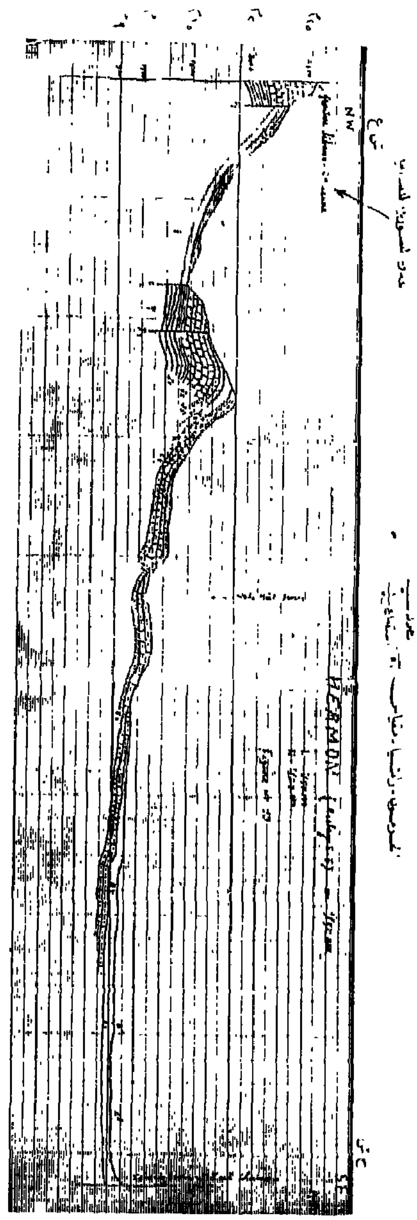




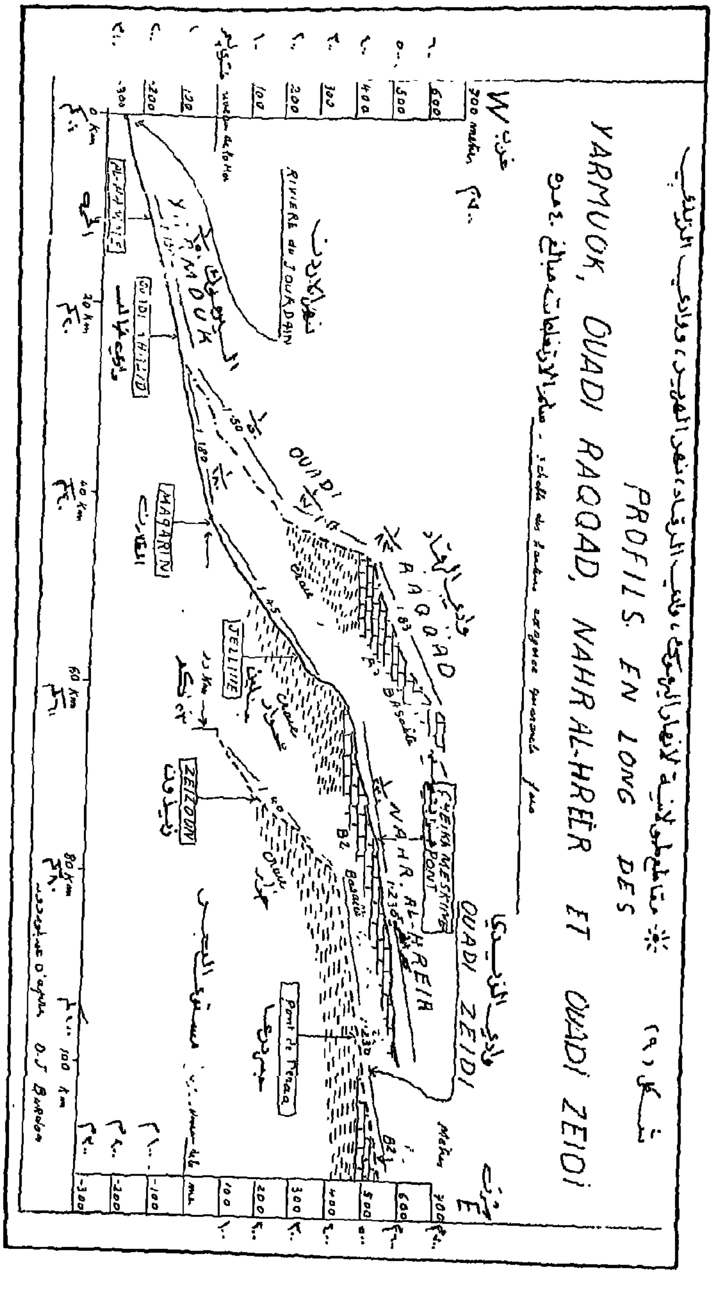


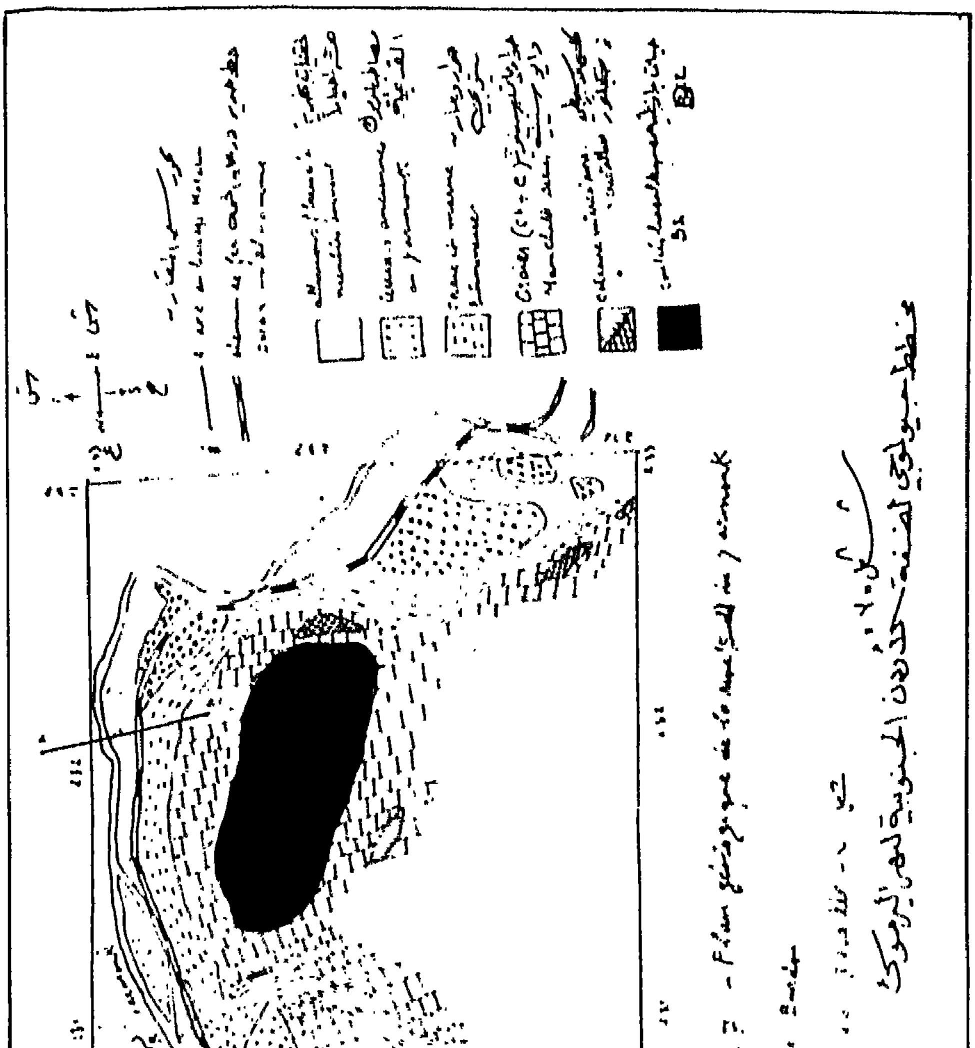






عروق الحياة والشمس
١٠١٥م


شكل (٩)
مقاطع طولانية لانهار اليرموك، وادي الرقاد، نهر الهرير، ووادي الزيدي
PROFILS EN LONG DES
YARMUOK, OUADI RAQQAD, NAHR AL-HREÏR ET OUADI ZEIDI
غرب W
شرق E
RIVIERE du JOURDAIN
نهر الاردن
YARMOUK
اليرموك
OUADI RAQQAD
وادي الرقاد
NAHR. AL-HREIR
OUADI ZEIDI
وادي الزيدي
CHEIKH MESKINE PONT
MAQARIN
المقارن
JELLINE
ZEIZOUN
زيزون
Pont de Meraa
OUADI KHALID
AL-HAMME
الحمة
Basalte
Craie
0 Km
20 Km
40 Km
60 Km
80 Km
100 Km
D'après D.J Burdon



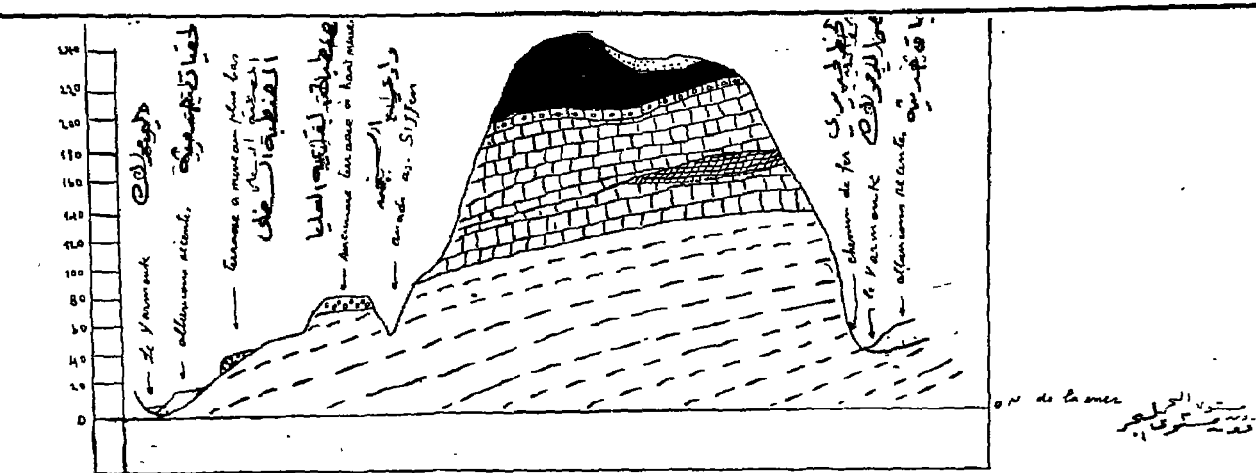
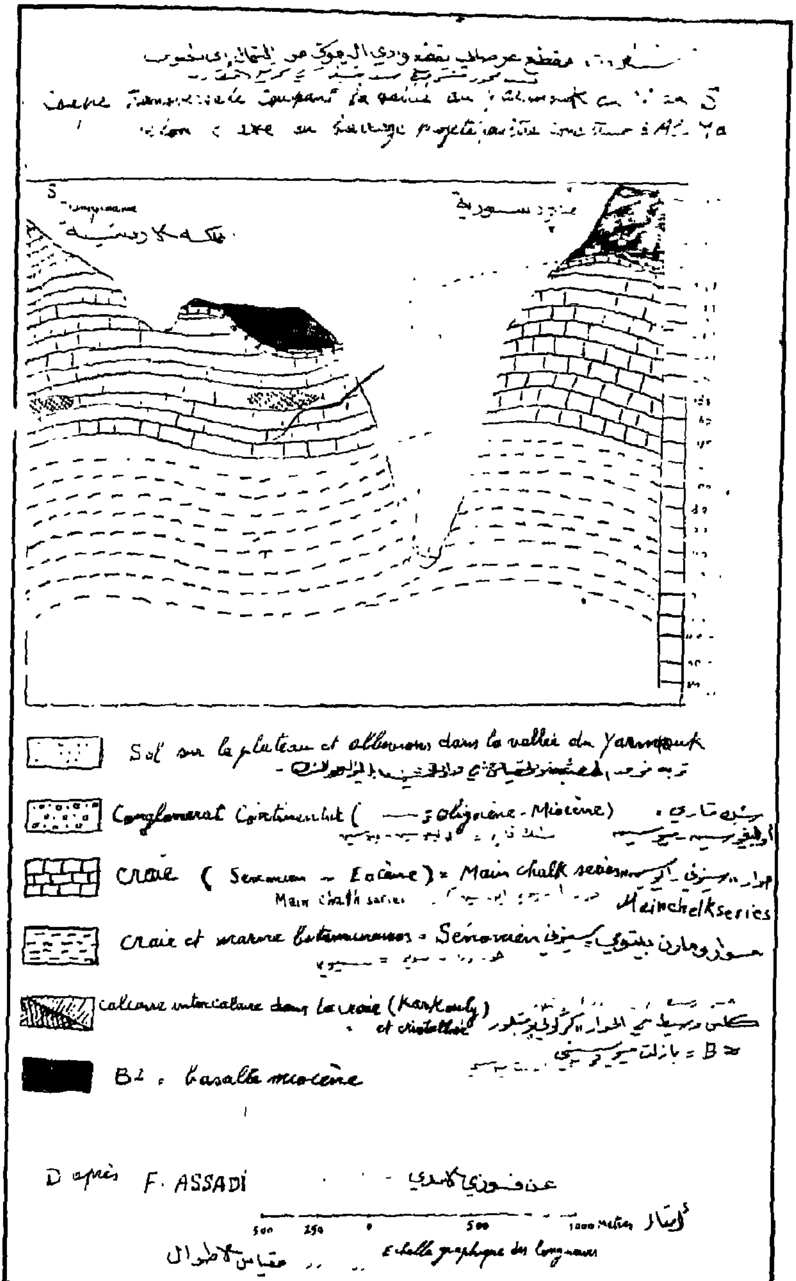


Figure 8 : Coupe géologique E-W à travers d'un éperon de la rive Sud du Yarmouk

D'après Dr Burdon

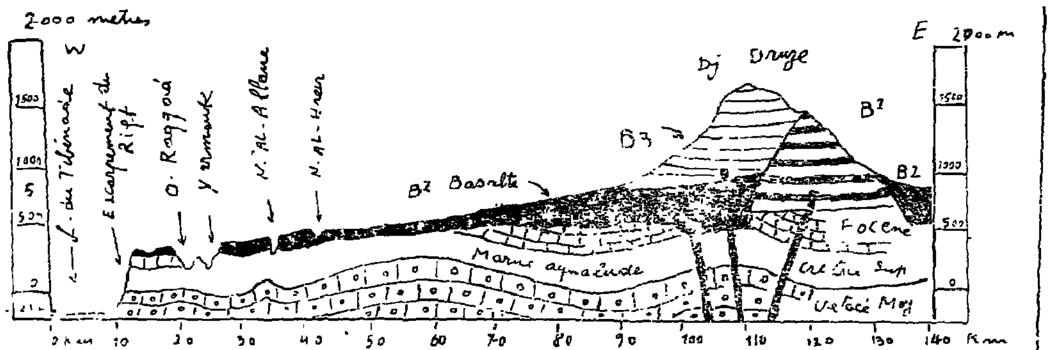
sols et alluvions	calcaire intercalaire dans la craie (cristallisé)
conglomérats continental (oligo-miocène)	
craies (Senonienne et éocène) : Main chalk series	B² : basalte miocène
craie et marne bitumineuses : Sénonien	


S
Sol sur le plateau et alluvions dans la vallée du Yarmouk
Conglomerat Continental (Oligocène - Miocène)
Craie (Senonien - Eocène) = Main chalk series
Main chalk series
Craie et marne bitumineuses = Senonien
calcaire intercalaire dans la craie (Karkouly)
et cristallisé
B2 basalte miocène
D'après F. ASSADI
عن فوزي الأسدي
500 250 0 500 1000 Metres
أمتار
Echelle graphique des longueurs
مقياس الأطوال

شكل "٤" مقطع تفصيلي للجوراسي الأعلى
عند قدم جبل الحرمون بين مجدل شمس وجباتا الزيت



Figure N° 4 – Coupe détaillée du Jurassique supérieur au pied de l'...
entre Magdal Chams et Joubbat ez-Zeite



شكل ٢ « مقطع عرضاني للنقاط الجنوبية من جبل لبنان والحرمون يرينا موضع مجدل شمس حيث تم اكتشاف الجوراسي في الحرمون . وقد ظلت قبة الحرمون ومدة طويلة تعتبر من عصر سينومانيان » - مقطع عرضاني للنقاط الجنوبية من جبل لبنان والحرمون يرينا
« عن لويس دوبرتريه »



– Coupe transversale des points S du Liban et de l'Hermon, montrant la position de Majdal Chams, découvert le Jurassique de l'Hermon.. Le noyau de l'Hermon a longtemps passé pour Cénomanien
(d'après Dubertret)

Figure N° 2

شكل (٣) مقطع ستراتيغرافي للخاصرة — مقطع ستراتيغرافي لخاصرة الحرمون الجنوبي الشرقي « عن فوتران ».
)

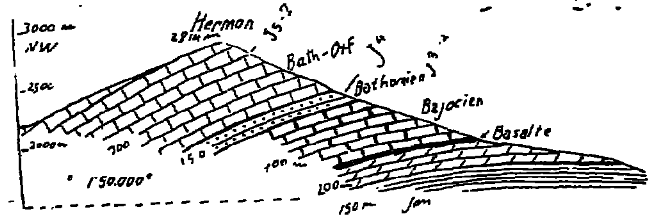
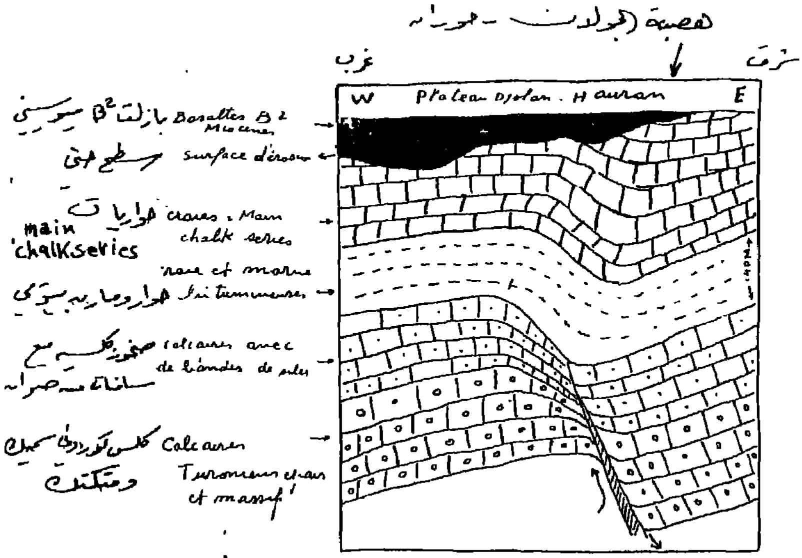


Figure N° 3 – Coupe stratigraphique du flanc SE de l'Hermon d'après E. Vautrin



شكل رقم (١) : مقطع تقريبي من الغرب للشرق عبر الجولان وحوران.

Figure No 1 = Coupe schématique W-E a travers du Djolan - H...

Echelle des hauteurs = echelle des longueurs X 5 (D'apres ...

مقياس الارتفاعات = الأطوال X ٥ (عن ...

Cette coupe montre que :

١- يتصل الجولان بحوران بثنية والجولان المرتفع يشرف على حوران المنخفض

Djolan et Hauran se raccorde par une flexure ... Djolan plus haut domine le Hauran qui s'...

٢- تبدو طبقات الحوار والمارن منثنية ... أما الطبقات الكلسية ...

2 - Les couches de craie et de marne sont affectées une véritable flexure, les couches de calcaire dures sont affectées par pli-faille

٣- ... السطح الحتي الذي بتر الحوارات ... الإيوسينية ... بازلتية ميوسينية.

3 - la surface d'érosion qui a tronqué les craies Senon - Eocènes, fut fossilisée par les basaltiques miocènes

المحتوى

صدر حديثاً عن اتحاد الكتاب العرب

* الأزرق والأحمر - شعر .

محمد عمران .

* الطاحونة السوداء - رواية .

بندر عبد الحميد .

* اليافاوي - قصص .

زكريا شريقي .

* أدب الاطفال نظرياً وتطبيقياً - دراسة .

عبد اللّه أبو هيف .